

التبيان

في تعريف سور القرآن

تأليف
الدكتور عبدالله خضر حمد

الجزء الثاني

التبيان في تعريف سور القرآن

الدكتور عبدالله خضر حمد
الجزء الثاني

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع هذا الكتاب من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفًا وتكرما- على البريد الإلكتروني الآتي، وذلك لإرسال الكتاب بأحدث نسخة وبصيغة (word) إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإياكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
{يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَيْرٌ
[المجادلة : ١١]}

سورة «يس»

سورة «يس»: هي السورة «السادسة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الحادية والأربعون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «الجن»^(١)، عدد آياتها ثمانون وثلاث آيات عند الكوفيين واثنان عند الباقيين، وكلماتها سبعمائة وتسع وعشرون، وحروفها ثلاثة آلاف، المختلف فيها آية واحدة {يس} [يس : ١]، مجموع فواصل آياتها: «من»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة يس»:

سميت هذه السورة «يس» بمسمى الحرفين الواقعين في أولها في رسم المصحف؛ لأنها انفردت بهما^(٣)؛ فكانا مميزين لها عن بقية السور، فصار منطوقهما علماً عليها. وكذلك ورد اسمها عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٤).

ثانياً:- اسمها الإجتهدية:

الاسم الأول:- «قلب القرآن»:

سميت بذلك لوصفها في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن لكل شيء قلباً، وإن قلب القرآن يس.."^(٥).

ويبدو وجه إطلاق ذلك عليها، لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر، والحشر مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه، فجعله قلب القرآن لذلك، قاله أبو حامد الغزالي، واستحسنه فخر الدين الرازي^(٦).

وقيل: لاحتواء السورة مع قصر نظمها وصغر حجمها على الآيات الساطعة، والبراهين القاطعة والعلوم المكنونة، والمعاني الدقيقة، والمواعيد الرغبية، والزواجر البالغة، والإشارات الباهرة، والشواهد البليغة، وغير ذلك مما لو تدبره المؤمن السليم لصدر عنه الرأي^(٧).

قال ابن عاشور: "وهي تسمية غير مشهورة"^(٨).

الاسم الثاني والثالث:- «سورة المعمة» و«سورة الدافعة القاضية»:

روي عن الصلت، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سورة يس في التوراة تدعى المعمة"، قيل: ما المعمة؟ قال: "تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهوال الآخرة، وتدعى المدافعة القاضية تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل

(١) انظر: الكشاف: ٣/٤.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٩٠.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) سنن الدرامي (٣٤٥٩): ص ٢١٤٩/٤، وسنن الترمذي (٢٨٨٧): ص ١٢/٥.

(٦) انظر: مفاتيح الغيب: ٣١٢/٢٦. وفيه كلام الغزالي.

(٧) شرح الطيبي: ٢٥٥/٤.

(٨) التحرير والتنوير: ٣٤١/٢٢.

حاجة من قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، من كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور وألف يقين وألف بركة وألف رحمة، ونزعت عنه كل غل وداء" (١).
فيظهر وجه التسمية من الحديث السابق، لأنها تعم صاحبها بخيري الدنيا والآخرة، وسميت بالدافعة والقاضية، لأنها تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة.

الاسم الرابع:- «سورة العظيمة عند الله»:

أورد هذه التسمية الالوسي، مستندا إلى حديث عائشة رضي الله عنها-، قالت: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في القرآن لسورة تدعى العظيمة عند الله يدعى صاحبها الشريف عند الله يشفع صاحبها يوم القيامة في أكثر من ربيعة ومضر" (٢).
وهذه التسمية وصف تشريفي للسورة بأن صاحبها يكون ذو مكانة عظيمة عند الله تعالى يم القيامة. والله أعلم.

الاسم الخامس:- «سورة الحبيب النجار»:

سماها بذلك الفيروزآبادي (٣)، وذكر ابن عاشور ان هذه اتسمية وردت في مصحف مشرقي نسخ سنة: «١٠٧٨ هـ»، والذي يظهر انه في بلاد العجم عنوانها «سورة حبيب النجار»، قال ابن عاشور: " وهذه التسمية غريبة لانعرف لها سنداً" (٤).

وذكر الفيروزآبادي سبب تسميتها بذلك، لاشتمالها على قصة «حبيب النجار» في قوله تعالى: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٢٠].

وبعد فإن هذه الأسماء الخمسة البعض منها أوصاف للسورة مثل: «قلب القرآن، العظيمة عند الله»، وأما تسميتها إياها بسورة: «المعممة والدافعة والقاضية وحبيب النجار»، فهذه التسميات لم يثبت فيها حديث صحيح. والله أعلم.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس (٥)، وعائشة (٦)، والحسن (١)، وعكرمة (٢)، وقتادة (٣)، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور (٤).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٧):ص ٦٦٩/١. وقال: " تفرد به محمد بن عبد الرحمن هذا عن سليمان، وهو منكر

"

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٠/٧، وعزاه إلى أبي نصر السجزي في الإبانة، قال: "وحسنه".

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٠/١.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٤١/٢٢.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالإجماع"^(٥).

قال ابن عطية: "هذه السورة مكية بإجماع"^(٦).

الثاني: أنها مكية إلا آية منها، وهي قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} [يس : ٤٧]، حكاها ابن الجوزي عن ابن عباس، وقتادة^(٧).

قال ابن الجوزي: "وحكي أبو سليمان الدمشقي أنها مدنية، وقال: ليس بالمشهور"^(٨).

وقال ابن عطية: "إلا أن فرقة قالت إن قوله، ونكتب ما قدموا وأثارهم [يس: ١٢] نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: «دياركم تكتب آثاركم»، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفوا المدينة، وعلى هذا فالآية مدنية وليس الأمر كذلك، وإنما نزلت الآية بمكة ولكنه احتج بها عليهم في المدينة ووافقها قول النبي صلى الله عليه وسلم في المعنى، فمن هنا قال من قال إنها نزلت في بني سلمة"^(٩).

مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها:

- ١- إنه لما جاء في السورة السالفة قوله: {وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ} [فاطر : ٣٧]، وقوله: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ} [فاطر : ٤٢]، وقد عرضوا عنه وكذبوه- افتتح هذه السورة بالقسم بصحة رسالته وأنه على صراط مستقيم لينذر قوما ما أنذر أبأؤهم.
- ٢- إنه قال فيما قبلها «وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى» وقال في هذه: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس : ٣٨]، وقال: {وَالْقَمَرَ قَدَرًا مَّنَازِلٍ} [يس : ٣٩]^(١٠).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تضمنت سورة «يس» تقرير الأصول الثلاثة: الوجدانية، والرسالة، والحشر، بأقوى البراهين، إذ جاءت فاتحتها ببيان الرسالة، بقوله سبحانه: {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٣]، وجاءت خاتمتها ببيان الوجدانية والحشر؛ فقوله عز وجل: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} [يس : ٨٣]، إشارة إلى التوحيد. وقوله تعالى: {وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ} [يس : ٨٣]، إشارة إلى الحشر.

(١) حكاها عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٢) حكاها عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٣) حكاها عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٤) انظر: زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٥) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٠/١.

(٦) المحرر الوجيز: ٤٤٥/٤.

(٧) انظر: زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٨) زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٩) المحرر الوجيز: ٤٤٥/٤.

(١٠) انظر: تفسير المراغي: ١٤٤/٢٢.

قال البقاعي: "وليس في هذه السورة إلا هذه الأصول الثلاثة ودلائلها، ومن حصل من هذا القرآن هذا القدر، فقد حصل نصيب قلبه، وهو التصديق الذي بالجنان. وأما الذي باللسان، والذي بالأركان، ففي غير هذه السورة"^(١).

وقال ابن عاشور: "قامت السورة على تقرير أمهات أصول الدين على أبلغ وجه وأتمه من إثبات الرسالة، والوحي، ومعجزة القرآن، وما يعتبر في صفات الأنبياء، وإثبات القدر، وعلم الله، والحشر، والتوحيد، وشكر المنعم - وهذه أصول الطاعة بالاعتقاد والعمل، ومنها تنفرع الشريعة- وإثبات الجزاء على الخير والشر، مع إدماج الأدلة من الآفاق والأنفس بتفنن عجيب، فكانت هذه السورة جديرة بأن تسمى «قلب القرآن»؛ لأن من تقاسيمها تنتشعب شرايين القرآن كله، وإلى وتينها ينصب مجراها"^(٢).
وقد ذكر الفيروز آبادي أن السورة اشتملت على جملة من المقاصد، هي: "تأكيد أمر القرآن، والرسالة، وإلزام الحجة على أهل الضلالة، وضرب المثل في أهل أنطاكية، وذكر حبيب النجار، وبيان البراهين المختلفة في إحياء الأرض الميتة، وإيداء الليل، والنهار، وسير الكواكب، ودور الأفلاك، وجرى الجوارى المنشآت في البحار، وذلة الكفار عند الموت، وحيرتهم ساعة البعث، وسعد المؤمنين المطيعين، وشغلهم في الجنة، وميز المؤمن من الكافر في القيامة، وشهادة الجوارح على أهل المعاصي بمعاصيهم، والمنة على الرسول صلى الله عليه وسلم بصيانتته من الشعر ونظمه، وإقامة البرهان على البعث، ونفاذ أمر الحق في كن فيكون، وكمال ملك ذي الجلال على كل حال في قوله: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بيده مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس : ٨٣]"^(٣).

وعلى الجملة يمكن ذكر مقاصد هذه السورة وفق التالي:

- ١- التحدي بإعجاز القرآن بالحروف المقطعة، وبالقسم بالقرآن؛ تنويهاً به، ووصفه بـ{الحكيم} [يس : ٢] إشارة إلى بلوغه أعلى درجات الأحكام.
- ٢- أولت السورة أهمية لبناء أسس العقيدة؛ فتعرضت لطبيعة الوحي، وصدق الرسالة منذ افتتاحها، ولقضية الألوهية والوحدانية، واستنكار الشرك على لسان الرجل المؤمن، الذي جاء من أقصى المدينة ساعياً؛ ليحاج قومه في شأن المرسلين.
- ٣- تحقيق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وتفضيل الدين الذي جاء به في كتاب منزل من الله؛ لإبلاغ الأمة الغاية السامية، وهي استقامة أمورها في الدنيا، والفوز في الآخرة.
- ٤- وصف إعراض أكثر مشركي قريش عن تلقي الإسلام، وتمثيل حالهم الشنيعة، وحرمانهم من الانتفاع بهدي الإسلام، وأن الذين اتبعوا دين الإسلام، هم أهل الخشية، وأن الإسلام هو الدين الموصوف بالصراط المستقيم.
- ٥- ضرب المثل لفريقي المتبعين والمعرضين من أهل القرى بما سبق من حال أهل القرية، الذين شابه تكذيبهم الرسل تكذيب قريش، وكيف كان جزاء المعرضين من أهلها في الدنيا، وجزاء المتبعين في الآخرة. إضافة إلى ضرب المثل بالأعم، وهم القرون الذين كذبوا، فأهلكوا.

(١) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٣٩٣/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٤٤/٢٢. الوتين: عرق يتعلق به القلب، إذا انقطع مات صاحبه.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٠/١.

- ٦- التذكير بأعظم حادثة حدثت على المكذبين للرسول والمتمسكين بالأصنام من الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام منذراً لهم، فهلك من كذب، ونجا من آمن.
- ٧- ذكر جملة من الآيات الكونية التي بثها سبحانه في الكون، والامتنان على عباده بالنعمة التي تتضمنها تلك الآيات. وبيان دلالة تلك الآيات والنعم على تفرد خالقها ومنعها بالوحدانية؛ إيقاظاً للعباد من غفلتهم، وإرشاداً لهم للافتكار والاعتبار.
- ٨- وجهت السورة نداء الحسرة على العباد، الذين ما يفتؤون يكذبون كل رسول، ويستهزئون به، غير معتبرين بمصارع المكذبين، ولا متيقظين لآيات الله في الكون، وهي كثيرة.
- ٩- ذكر دلائل التوحيد المشوبة بالامتنان؛ للتذكير بواجب الشكر على النعم بالتقوى والإحسان وترقب الجزاء. والإقلاع عن الشرك والاستهزاء بالرسول عليه الصلاة والسلام، واستعجال وعيد العذاب، والتحذير من حلوله بغتة حين يفوت التدارك.
- ١٠- بينت السورة أن الإنذار إنما ينفع من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب، فاستعد قلبه لاستقبال دلائل الهدى وموجيات الإيمان.
- ١١- التذكير بما عهد الله إلى عباده مما أودعه في فطرتهم من قابليات واستعدادات.
- ١٢- الاستدلال على عداوة الشيطان للإنسان، والإرشاد إلى اتباع دعاة الخير.
- ١٣- نفت السورة أن يكون ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم شعراً، ونفت عن الرسول كل علاقة بالشعر أصلاً.
- ١٤- النعي على المشركين اتخاذهم آلهة من دون الله، يبتغون عندهم النصر، وهم الذين يقومون بحماية تلك الآلهة المدعاة.
- ١٥- تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يحزنه قول الذين أشركوا، وأن له بالله أسوة، إذ خلقهم، فعملوا قدرته عن إيجادهم مرة ثانية، ولكنهم راجعون إليه، لا مفر لهم من ذلك.
- ١٦- القضية التي اشتد عليها التركيز في السورة، وترددت في مواضع كثيرة منها، هي قضية البعث والنشور؛ وذلك بغرض الاستدلال على تقريب البعث وإثباته، وتذكير العباد بالنشأة الأولى من نطفة؛ ليروا أن إحياء العظام وهي رميم كذلك النشأة ولا غرابة^(١).

المنسوخ والمنسوخ:

قال هبة الله بن سلامة: " لا منسوخ فيها، وقد ذهب قوم الى أن فيها آية واحدة من المنسوخ وهي قوله تعالى: {قُلَّا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ} [يس : ٧٦]، نسخت بآية السيف، والأولى القول الاول، والله أعلم"^(٢).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ يس كل ليلة غفر له"^(٣).
- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له تلك الليلة"^(٤).
- عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر له"^(١).

(١) انظر: إسلام ويب. [موقع إلكتروني].

(٢) المناسخ والمنسوخ: ١٤٦ .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٤):ص٩٤/٤.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٥):ص٩٥/٤.

- عن أبي عثمان، أن أبا هريرة، قال: " من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن عشر مرات " وقال أبو سعيد: " من قرأ يس مرة، فكأنما قرأ القرآن مرتين". قال أبو هريرة: "حدث أنت عما سمعت وأحدث أنا بما سمعت"^(١).
- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لكل شيء قلب، وإن قلب القرآن يس من قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات "^(٢).
- عن حسان بن عطية، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من قرأ يس فكأنما قرأ القرآن عشر مرات "^(٣).
- عن معقل بن يسار المزني، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قرأ يس ابتغاء وجه الله عز وجل غفر له ما تقدم من ذنبه فاقرءوها عند موتاكم "^(٤).
- عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سورة يس اقرءوها عند موتاكم ". وفي رواية عبدان. " اقرءوها على موتاكم ". قال الحلبي رضي الله عنه: " يعني: على المحتضرين "^(٥).
- عن أبي قلابة، قال: " من حفظ عشر آيات من الكهف عصم من فتنة الدجال، ومن قرأ الكهف في يوم الجمعة حفظ من الجمعة إلى الجمعة، وإذا أدرك الدجال لم يضره وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن قرأ يس غفر له، ومن قرأها وهو جائع شبع، ومن قرأها وهو ضال هدي، ومن قرأها وله ضالة وجدها، ومن قرأها عند طعام خاف قلته كفاه، ومن قرأها عند ميت هون عليه، ومن قرأها عند امرأة عسر عليها ولدها يسر عليها، ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن إحدى عشرة مرة، ولكل شيء قلب، وقلب القرآن يس "^(٦).
- عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: " من وجد في قلبه قسوة فليكتب {يس والقرآن الحكيم} في جام بزعفران، ثم يشربه "^(٧).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٦):ص٩٦/٤.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٨):ص٩٨/٤.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٣):ص٩٤/٤.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٢):ص٩٤/٤ [مرسل]

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣١):ص٩٣/٤.

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٠):ص٩٢/٤.

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٩):ص٩٨/٤. قال البيهقي: " هذا نقل إلينا بهذا الإسناد من قول أبي قلابة وكان من كبار التابعين، ولا يقوله إن صح ذلك عنه إلا بلاغا".

(٨) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٤٠):ص٩٩/٤. قال البيهقي رحمه الله: " كذا روي في هذه الحكاية وفي الحديث قبلها وكان إبراهيم يكره ذلك ولو صح الحديث لم يكن للكراهة معنى إلا أن في صحته نظرا، والله أعلم ".

سورة « الصَّافَات »

سورة «الصفافات» هي السورة «السابعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «السادسة والخمسون» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة: «الأنعام»^(١). عدد آياتها مائة وثمانون وآية عند البصريين، وآيتان عند الباقيين. وكلماتها ثمانمائة واثنان وستون. وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وست وعشرون. المختلف فيها: آيتان: {وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} [الصفافات : ٢٢]، {وَأِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ} [الصفافات : ٦٧]، مجموع فواصلها «قدم بنا»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الصفافات»:

اسمها المشهور المتفق عليه «الصفافات» . وبذلك سميت في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف كلها. وقد ثبتت تسميتها عن النبي-صلى الله عليه وسلم- وعن صحابته رضوان الله عليهم اجمعين، كما سيأتي في فضائل السورة.

ووجه تسميتها باسم «الصفافات» وقوع هذا اللفظ فيها بالمعنى الذي أريد به أنه وصف الملائكة وإن كان قد وقع في سورة «الملك»، لكن بمعنى آخر إذ أريد هنالك صفة الطير، على أن الأشهر أن «سورة الملك» نزلت بعد «سورة الصفافات»^(٣).

قال الفيروزآبادي: "سميت «والصفافات»، لافتتاحها بها"^(٤).

ثانياً:- اسمها الإجتهدية:

١- «سورة الذبيح»:

قال السيوطي: "رأيت في كلام الجعبري أن سورة «الصفافات» تسمى: «سورة الذبيح»، وذلك يحتاج إلى مستند من الأثر"^(٥).

٢- «سورة الزينة»:

ذكر البقاعي أنها تسمى أيضاً «سورة الزينة»^(٦)، ولعل هذه التسمية مأخوذة من قوله تعالى في السورة نفسها: {إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ} [الصفافات : ٦].

■ مكية السورة ومدنيتها:

قال ابن عباس: "نزلت سورة الصفافات بمكة"^(٧).

قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(٨).

(١) انظر: الكشاف: ٣٣/٤.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٩٣.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٨١/٢٣.

(٤) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٩٣.

(٥) الإتيقان: ١٩٩/١.

(٦) نقلا عن موقع اسلام ويب.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٧٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٨) زاد المسير: ٥٣٥/٣.

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالاتفاق"^(١).

مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها:

- ١- أن فيها تفصيل أحوال القرون الغابرة، التي أشير إليها إجمالاً في السورة السابقة في قوله: {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ} [يس : ٣١].
- ٢- أن فيها تفصيل أحوال المؤمنين، وأحوال أعدائهم الكافرين يوم القيامة، مما أشير إليه إجمالاً في السورة قبلها.
- ٣- المشاكلة بين أولها وآخر سابقتها، ذاك أنه ذكر فيما قبلها قدرته تعالى على المعاد وإحياء الموتى، وعلل ذلك بأنه منشئهم، وأنه إذا تعلق إرادته بشيء كان. وذكر هنا ما هو كالدليل على ذلك. وهو وحدانيته تعالى، إذ لا يتم ما تعلق به الإرادة إيجاباً وإعداماً إلا إذا كان المرید واحداً، كما يشير إلى ذلك قوله: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء : ٢٢]^(٢).

وعبارة أبي حيان هنا: "مناسبة أول هذه السورة لآخر «يس»: أنه تعالى لما ذكر المعاد وقدرته على إحياء الموتى، وأنه هو منشئهم، وإذا تعلق إرادته بشيء كان .. ذكر تعالى هنا وحدانيته. إذ لا يتم ما تعلق به الإرادة وجوداً وعدمًا إلا بكون المرید واحداً. وتقدم الكلام على ذلك في قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء : ٢٢]"^(٣).

■ أغراض السورة ومقاصدها

- ١- تستهدف سورة الصافات إثبات وحدانية الله تعالى، وسوق دلائل كثيرة على ذلك، دلت على انفراده سبحانه بصنع المخلوقات العظيمة، التي لا قبل لغيره بصنعها، وهي العوالم السماوية بأجزائها وسكانها، ولا قبل لمن على الأرض أن يتطرق في ذلك.
- ٢- وتستهدف السورة -كسائر السور المكية- بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صورته وأشكاله. ولكنها -بصفة خاصة- تعالج صورة معينة من صور الشرك، التي كانت سائدة في البيئة العربية الأولى، تلك السورة التي تزعم أن ثمة قرابة بين الله سبحانه وبين الجن، وتزعم أنه من التزاوج بين الله تعالى والجنة ولدت الملائكة، ثم تزعم أن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله! هذه الأسطورة تتعرض لحملة قوية في هذه السورة، تكشف عن تهاافتها، وسخفها.
- ٣- تتناول السورة جوانب العقيدة الأخرى التي تتناولها السور المكية، فتثبت فكرة التوحيد مستدلة بالكون المشهود، وتنص على أن الشرك هو السبب في عذاب المعذبين في ثنایا مشهد من مشاهد القيامة.
- ٤- تتناول السورة قضية البعث، والحساب، والجزاء، وتعرض مشهداً مطولاً فريداً من مشاهد القيامة، ووصف حال المشركين يوم الجزاء، ووقوع بعضهم في بعض، ووصف حسن أحوال المؤمنين ونعيمهم، ومذاكرتهم فيما كان يجري بينهم وبين بعض المشركين من أصحابهم في الجاهلية، ومحاولتهم صرفهم عن الإسلام.
- ٥- تعرض السورة لقضية الوحي والرسالة، وتنظير دعوة محمد صلى الله عليه وسلم قومه بدعوة الرسل من قبله، وكيف نصر الله رسله ورفع شأنهم وبارك عليهم.

(١) البصائر: ٣٩٣/١.

(٢) انظر: تفسير المراغي: ٤١/٢٣.

(٣) البحر المحیط: ٨٩/٩.

- ٦- تعرض السورة لسلسلة من قصص الرسل عليهم السلام: نوح، وإبراهيم وبنيه، وموسى وأخيه، وإلياس، ولوط، ويونس، تتكشف فيها رحمة الله لعباده، ونصره لرسله، وذكر مناقبهم وفضائلهم وقوتهم في دين الله، وما نجاهم الله من الكروب التي حفت بهم، وخاصة منقبة الذبيح إسماعيل .
- ٧- تبرز في القصص التي تضمنتها السورة قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، قصة الذبح والفداء، وتبرز فيها الطاعة لله والاستسلام لأمره في أروع صورها وأعمقها وأرفعها، وتبلغ الذروة التي لا يبلغها إلا الإيمان الخالص، الذي يرفع النفوس إلى ذلك الأفق السامق الوضيء.
- ٨- تصف السورة ما حل بالأمم الذين كذبوا الرسل، وتتحى على المشركين فساد معتقداتهم في الله ونسبتهم إليه الشركاء، وقولهم: الملائكة بنات الله، وتكذيب الملائكة إياهم على رؤوس الأشهاد، وقولهم في النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن، وكيف كانوا يودون أن يكون لهم كتاب.
- ٩- وعد الله رسوله بالنصر كدأب المرسلين، ودأب المؤمنين السابقين، وأن عذاب الله نازل بالمشركين، وكون العقابة الحسنی للمؤمنين.
- ١٠- جاء ختام السورة بتنزيه الله سبحانه، والاعتراف بربوبيته، والتسليم على رسله. وكانت فاتحة السورة مناسبة لمقاصدها؛ ذلك بأن القَسَمَ بالملائكة {وَالصَّافَاتِ} [الصافات : ١] مناسب لإثبات الوجدانية؛ لأن الأصنام لم يدعوا لها ملائكة، والذي تخدمه الملائكة هو الإله الحق؛ ولأن الملائكة من جملة المخلوقات الدال خلقها على عظم الخالق. ثم إن الصفات التي لوحظت في القَسَمَ بها مناسبة للمقاصد المذكورة بعدها، فـ {الصافات} يناسب عظمة ربها. و{فالزاجرات} يناسب قذف الشياطين عن السماوات، ويناسب تسيير الكواكب وحفظها من أن يدرك بعضها بعضاً، ويناسب زجرها الناس في المحشر. ويناسب أحوال الرسول والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما أرسلوا به إلى أقوامهم. وعلى الجملة، فإن مقصود السورة تنزيه الله سبحانه عن النقائص، اللازم منه رد العباد للفصل بينهم بالعدل، اللازم منه الوجدانية مطلقاً في الإلهية وغيرها، وذلك هو المعنى الذي أشار إليه تسميتها بالصافات؛ لأن الصف يلزم منه الوحدة في الحشر، باجتماع التفرق، وفي المعنى باتحاد الكلمة، المراد منه هنا: الاتحاد في التنزيه^(١).

الناسخ والمنسوخ:

وذكروا فيها أربع آيات منسوخات:

- منها آيتان متصلتان أوليان هما قوله تعالى: {قَتُولَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥)} [الصافات : ١٧٤ - ١٧٥].
- والآيتان المتصلتان الآخرتان قوله تعالى: {وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩)} [الصافات : ١٧٨ - ١٧٩].

قال هبة الله: "وبين الحينين فرق كبير، فالحين الأول انتظار امر الله تعالى بقتالهم، والحين الثاني كناية عن يوم بدر، والمشهور نسخت الأربع بآية السيف"^(٢).

■ فضائل السورة:

(١) انظر: إسلام ويب. [موقع إلكتروني].

(٢) الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٤٧.

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ يس والصفات يوم الجمعة ثم سأل الله أعطاه سؤله"^(١).
- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ والصفات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان، وتباعد عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك، وشهد له حافظه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين»^(٢).
- عن ابن عمر قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات"^(٣).

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٧٧/٧، وعزاه إلى ابن أبي داود في فضائل القرآن وابن النجار في تاريخه.
(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٣٨/٨، والواحي في الوسيط (٧٨٣): ص ٥٢١/٢. [ضعيف].
(٣) النسائي: (٩٥ / ٢) (١٠) كتاب الإمامة (٣٦) الرخصة للإمام في التطويل - رقم (٨٢٦).

سورة «ص»

سورة «ص»: هي السورة «الثامنة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، نزلت بعد سورة: «القمر»^(١)، وآياتها ثمان وثمانون في عد الكوفة، وست في عد الحجاز، والشأم، والبصر، وخمس في عد أيوب بن المتوكل وحده. وكلماتها سبعمائة واثنان وثلاثون. وحروفها ثلاثة آلاف وسبع وستون. المختلف فيها ثلاث: {الدَّكْرُ} [ص : ١]، {وَعَوَّاصُ} [ص : ٣٧]، {وَالْحَقُّ أَقُولُ} [ص : ٨٤]، مجموع فواصل آياتها: «صد قطرب من لج»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة صاد»:

سميت في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة والآثار عن السلف سورة (صاد) كما ينطق باسم حرف (الصاد) تسمية لها بأول كلمة منها هي (صاد) (بصادٍ، فألفٍ، فดาลٍ ساكنة سكون وقف) شأن حروف التهجي عند التهجي بها أن تكون موقوفة.

قال الفيروزآبادي: "سميت «سورة صاد»؛ لافتتاحها بها"^(٣).

ثانياً:- اسمها الإجتهادي: «سورة داود»:

قال الفيروزآبادي: "سميت «سورة داود»؛ لاشتمالها على مقصد قصته في قوله: {وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ} [ص : ١٧]"^(٤).

ونقل السيوطي في "الإتقان" عن كتاب "جمال القراء" لـ السخاوي: أن سورة (ص) تسمى أيضاً سورة داود، قال: "وذلك يحتاج إلى مُسْتَدَدٍ من الأثر"^(٥).

وكتب اسمها في المصاحف بصورة حرف (الصاد) مثل سائر الحروف المقطعة في أوائل السور؛ اتباعاً لما كتب في المصحف.

■ مكية السورة ومدنيتها:

قال ابن عباس: "نزلت سورة (ص) بمكة"^(٦).

قال ابن عطية: "هذه السورة مكية بإجماع من المفسرين"^(٧).

قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(٨).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية إجماعاً"^(٩).

(١) انظر: الكشاف: ٧٠/٤.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٩٩ / ١.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٩٩ / ١.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٩٩ / ١.

(٥) الإتقان: ١٩٩/١.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٤٢/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٧) المحرر الوجيز: ٤٩١/٤.

(٨) زاد المسير: ٥٥٧/٣.

(٩) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٩/١.

وقد روي عن ابن عباس، قال: "مرض أبو طالب، فأتته قريش، وأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده، وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل فقعد فيه، فقالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا، وقال: ما شأن قومك يشكونك؟ قال: "يا عم أريدكم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب، وتؤدي العجم إليهم الجزية"، قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله»، فقاموا: فقالوا: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟ قال: ونزل: ﴿ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، فقرأ حتى بلغ: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥] ^(١).

فهذا نص في أن نزوله هذه السورة في آخر حياة أبي طالب وفي مرض موته -كما ذكر ابن عطية -^(٢) فتكون هذه السورة قد نزلت في سنة ثلاث قبل الهجرة.

مناسبة سورة «صاد» مع سورة «الصفات»:

إن مناسبة «سورة ص» لما قبلها أنها جاءت كالمتمة لها من وجهين:

- ١- إنه ذكر فيها من قصص الأنبياء ما لم يذكر في تلك كداود وسليمان.
- ٢- إنه بعد أن حكى فيما قبلها عن الكفار أنهم قالوا: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الصفات: ١٦٨-١٦٩]، وأنهم كفروا بالذكر لما جاءهم- بدأ عز اسمه هذه السورة بالقرآن ذي الذكر، فقال: ﴿ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، ثم فصل ما أجمله هناك من كفرهم ^(٣).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تناولت السورة -كغيرها من السور المكية- ثلاث قضايا رئيسة: قضية التوحيد، وقضية الوحي إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقضية الحساب في الآخرة، وتعريض هذه القضايا الثلاث في مطلعها، فجاءت فاتحتها مناسبة لجميع أغراضها؛ إذ ابتدأت بالقسم بالقرآن الذي كذب به المشركون، وجاء المقسم عليه أن الذين كفروا في عزة وشقاق، وكل ما ذكر فيها من أحوال المكذبين سببه اعتزازهم وشقاقهم، ومن أحوال المؤمنين سببه ضد ذلك. هذه مقاصد السورة من حيث العموم.

أما من حيث التفصيل، فجاءت أهدافها وفق التالي:

- ١- توبيخ المشركين على تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتكبرهم عن قبول ما أرسل به، وتهديدهم بمثل ما حل بالأمم المكذبة قبلهم، وأنهم إنما كذبوه؛ لأنه جاء بتوحيد الله تعالى؛ ولأنه اختص بالرسالة من دونهم.
- ٢- تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عن تكذيب المشركين له، وأن يقتدي بالرسول من قبله، داود وأيوب وغيرهما وما جوزوا عن صبرهم.
- ٣- الدعوة إلى الحكم بين الناس بالعدل، والنهي عن اتباع الهوى، والوعيد الشديد لمن لم يهتد بهدي القرآن.

^(١) حديث حسن بطرقه وشواهد. أخرجه أحمد (٢٠٠٨): ص ٤٥٨/٣، وأبو يعلى ٢٥٨٣ والترمذي ٣٢٣٢ والنسائي في «التفسير» ٤٥٦ / ٢ / الحاكم ٤٣٢ / ٢ / البيهقي ١٨٨ / ٩ / والواحي في «أسباب النزول» ٧٢٢ عن ابن عباس به، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، مع أن فيه يحيى بن عمار، وهو مقبول. وتوبع في رواية ثانية للنسائي ٤٥٧ / ٢ / وأحمد ٣٦٢ / ٢. وفيه أيضا عباد بن جعفر، وهو مجهول. وورد من وجه ثالث، أخرجه الحاكم ٤٣٢ / ٢ / وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وهو حسن لأجل ابن إسحاق، وقد صرح بالتحديث.

^(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٤٩٣/٤.

^(٣) انظر: تفسير المراغي: ٩٤/٢٣.

- ٤- توجيه النبي صلى الله عليه وسلم -والمؤمنين معه- إلى الصبر على ما يلقاه من المكذبين، والتطلع إلى فضل الله ورعايته، كما تمثلهما قصة داود وقصة سليمان عليهما السلام.
- ٥- تضمنت السورة قصة أيوب، التي تصور ابتلاء الله للمخلصين من عباده بالضراء، وصبر أيوب مثل في الصبر الذي ينبغي أن يُقتدى به.
- ٦- تأسية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، عما كانوا يلقونه من الضر والبأساء في مكة، وتوجيه إلى ما وراء الابتلاء من رحمة، تفيض من خزائن الله عندما يشاء.
- ٧- تعرض السورة صورة مصارع الغابرين، الذين طغوا في البلاد، وتجبروا على العباد، واستعلوا على الرسل والأنبياء، ثم انتهوا إلى الهزيمة والدمار والخذلان...الهزيمة والدمار والهلاك للطغاة المكذبين. ثم تعرض بإزائها صفحة العز والتمكين والرحمة والرعاية لعباد الله المختارين، في قصص داود، وسليمان، وأيوب عليهم السلام.
- ٨- عرضت السورة مشهداً من مشاهد القيامة، يصور النعيم الذي ينتظر المتقين، والجحيم التي تنتظر المكذبين، وتكشف عن استقرار القيم الحقيقية في الآخرة بين هؤلاء وهؤلاء، حين يرى المتكبرون مصيرهم ومصير الفقراء الضعاف، الذين كانوا يهزؤون بهم في الأرض، ويسخرون منهم، ويستكثرون عليهم أن تنالهم رحمة الله، وهم ليسوا من العظماء ولا الكبراء، ويُختم المشهد ببيان أن للمتقين لحسن مآب، وأن للطاغين لشر مآب.
- ٩- إثبات البعث بقصد جزاء العالمين بأعمالهم من خير أو شر، وأنه ليس للبشر شيء من ملك السماوات والأرض، وإنما يفتح الله من رزقه ورحمته على من يشاء.
- ١٠- أن الله سبحانه يختار من عباده من يعلم استحقاقهم للخير، ويُنعم عليهم بشتى النعم، بلا قيد، ولا حد، ولا حساب.
- ١١- تصور السورة جزاء المؤمنين المتقين، ومقابله من جزاء الطاغين، الذين أضلّوهم، وقبحوا لهم الإسلام والمسلمين.
- ١٢- تعرض السورة بشكل موجز لقصة البشرية الأولى، وقصة الحسد والغواية من العدو الأول إبليس، الذي يقود خطى الضالين عن عمد وعن سابق إصرار، وهم غافلون.
- ١٣- أن الذي أورد إبليس، وذهب به إلى الطرد واللعنة، كان هو حسده لأدم عليه السلام، واستكثاره أن يؤثره الله عليه ويصطفيه، كما أن المشركين يستكثرون على محمد صلى الله عليه وسلم أن يصطفيه الله من بينهم بتنزيل الذكر، ففي موقفهم شبّه واضح من موقف إبليس المطرود اللعين.
- ١٤- ترد في ثنايا القصص في هذه السورة لفظة تلمس القلب البشري، وتوقظه إلى الحق الكامن في بناء السماء والأرض، وأنه الحق الذي يريد الله بإرسال الرسل أن يقره بين الناس في الأرض.
- ١٥- تختم السورة مقاصدها ببيان أن ما يدعو إليه الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتكلفه من عنده، ولا يطلب عليه أجراً، وأن له شأنًا عظيماً سوف يتجلى في حينه المقرر عنده سبحانه^(١).

الناسخ والمنسوخ:

وذكروا فيها من المنسوخ آياتان:

- الآية الأولى قوله تعالى: {إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [ص : ٧٠]، نسخ معناها لا لفظها بآية السيف.

(١) انظر: إسلام ويب. [موقع إلكتروني].

- الآية الثانية مختلف فيها فطائفة من أهل العلم يذهبون الى أن قوله تعالى: {وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ} [ص : ٨٨]، من جعل الحين آخر الدهر فلا نسخ عنده، ومن جعل الحين يوم بدر يكون فيه النسخ عنده والناسخ عنده آية السيف - والله أعلم-^(١).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان، وتباعد عنه مرده الشياطين وبرئ من الشرك، وشهد له حافظه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين»^(٢).
- عن عائشة-رضي الله عنها: "أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا تضور -أي: تقلب من الليل- قال: «لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار»^(٣). وذلك اخذاً من قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَقَّارُ (٦٦)} [ص : ٦٥ - ٦٦].

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٤٨.

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٥/٨، والواحي في الوسيط (٧٩٠): ص ٥٣٧/٣، وذكره المستغفري في الفضائل (١٢٠٥): ص ٧٨٣/٢ [ضعيف].

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧٦٤١): ١٣٥/٧، وابن السني (٧٦٢)، والحاكم ٥٤٠/١، والبيهقي في " الأسماء

والصفات " ٤٢/١، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي!

سورة «الزمر»

سورة «الزمر»: هي السورة «التاسعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «التاسعة والخمسون» في ترتيب النزول على المختار، نزلت بعد سورة: «سبأ»^(١)، وقبل سورة غافر، وعدد آياتها خمسون وسبعون آية في عدّ الكوفي، وثلاث في عدّ الشامي، والباقيين. وكلماتها ألف ومائة وسبعون. وحروفها أربعة آلاف وسبعمائة وثمان^(٢).

والآيات المختلف فيها سبع: {فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [الزمر : ٣]، {مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر : ١١]، {مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر : ١٤]، و{مِنْ هَادٍ} [الزمر : ٣٦]، {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الزمر : ٣٩]، {فَبَشِّرْ عِبَادِ} [الزمر : ١٧]، {مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الزمر : ٢٠]، مجموع فواصل آياتها: «من ولى يدر»^(٣).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الزمر»:

سميت في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة والآثار عن السلف سورة «الزمر» وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم سميت بهذا الاسم؛ لوقوع هذا اللفظ فيها دون غيرها من سور القرآن؛ وذلك قوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا} [الآية ٧١]، وقوله سبحانه: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا} [الآية ٧٣]، فذكر فيها زمر الفريقين أهل الشقاوة وأهل السعادة وتفصيل الجزاء وإلزام الحجة وبطلان المعذرة^(٤).

■ ثانياً:- اسمها الإجتهادي: «سورة الغرف»:

وتسمى أيضاً سورة «الغرف» وفي تفسير القرطبي، عن وهب بن منبه، أنه سماها سورة «الغرف»^(٥)، وتناقله المفسرون^(٦).

ووجه ذلك؛ أنها ذكر فيها لفظ «الغرف»، أي: بهذه الصيغة دون «الغرفات»، في قوله تعالى: {لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ} [الزمر : ٢٠].

و«الغرف»: جمع غرفة، و«الغرفة»: العلية، و«الغرفة»-أيضا-: السماء السابعة؛ قال لبيد^(٧):

سَوَىٰ فَأَعْلَقَ دُونَ غِرَّةِ عَرْشِيهِ^(٨)، ... سَبْعًا طَبَاقًا، وَفَوْقَ فَرْعِ الْمَنْقَلِ^(٩)(١٠).

■ مكية السورة ومدنيتها:

(١) انظر: الكشاف: ١١٠/٤.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٠٣/١.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٠٣/١.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(٦) انظر مثلا: معاني القرآن للزجاج: ٣٤٣/٤، والكشاف: ١١٠/٤، وتفسير السمعاني: ٤٥٧/٤، وزاد المسير: ٧/٤، وتفسير

القرطبي: ٢٣٢/١٥، وغيرها. وانظر: جمال القراء: ٩١، والإتقان: ١٩٤/١.

(٧) ديوانه: ص ١٢٦.

(٨) ويروى: دون غرفة عرشه، كما في تهذيب اللغة (غرف): ١٠٤ / ٨، واللسان (غرف): ص ٢٦٤/٩.

(٩) المنقل: ظهر الجبل.

(١٠) انظر: اللسان: (غرف): ص ٢٦٤/٩.

هي مكية، نزلت قبيل هجرة المؤمنين إلى الحبشة، أي: في سنة خمس قبل الهجرة، وقد اختلف أهل العلم في مكان نزول السورة على أقوال: أحدهما: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس^(١)، والحسن^(٢)، ومجاهد^(٣)، وعطاء^(٤)، عكرمة^(٥)، وقتادة^(٦)، وجابر بن زيد^(٧).

قال ابن عاشور: "هي مكية كلها عند الجمهور"^(٨).

الثاني: أنها مكية، إلا قوله: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا} [الزمر : ٥٣]... الآية. قاله الزمخشري^(٩). الثالث: أنها مكية إلا آيتين نزلتا بالمدينة، إحداهما: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [الزمر : ٢٣]، والأخرى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ} [الزمر : ٥٣] الآية. حكاه القرطبي عن ابن عباس^(١٠). الرابع: أنها مكية سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة في وحشي قاتل حمزة: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر : ٥٣] إلى ثلاث آيات. وهذا مروى عن ابن عباس أيضا^(١١). وبه قال مقاتل^(١٢)، وابن قتيبة^(١٣)، والزجاج^(١٤).

الخامس: أنها مكية إلا سبع آيات من قوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ} [الزمر : ٥٣]، إلى آخر سبع آيات نزلت في وحشي وأصحابه. حكاه القرطبي^(١٥).

قال ابن عاشور: "المتجه: أنها كلها مكية وأن ما يخيل أنه نزل في قصص معينة إن صحت أسانيده أن يكون وقع التمثل به في تلك القصص فاشتبه على بعض الرواة بأنه سبب نزول"^(١٦).
■ مناسبة السورة لما قبلها:

من وجه اتصال «سورة الزمر» لما قبلها:

١- إنه وصف القرآن في آخر سورة «ص» بقوله: {إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} [ص : ٨٧]، ووصفه هنا بقوله: {نَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الزمر : ١].

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢١٠/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) انظر: زاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(٣) انظر: زاد المسير: ٧/٤.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(٥) انظر: زاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(٦) انظر: زاد المسير: ٧/٤.

(٧) انظر: زاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(٨) المحرر الوجيز: ٣١١/٢٣.

(٩) انظر: الكشاف: ١١٠/٤.

(١٠) انظر: تفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(١١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢١٠/٧، وعزاه إلى النحاس في تاريخه. وانظر: معاني القرآن للنحاس: ١٤٧/٦.

(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٦٧/٣.

(١٣) انظر: غريب القرآن: ٣٨٢.

(١٤) انظر: معاني القرآن: ٣٤٣/٤.

(١٥) انظر: تفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(١٦) المحرر الوجيز: ٣١٢/٢٣.

٢- إنه ذكر في «ص» أحوال الخلق من المبدأ إلى المعاد، وذكر هنا مثله- إلى نحو ذلك من وجوه للربط تظهر بالتأمل^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

١- التتويه بشأن القرآن تنويهاً تكرر في ستة مواضع من هذه السورة؛ لأن القرآن جامع لمقاصدها، ومقاصدها كثيرة، تحوم حول إثبات تفرّد الله تعالى بالإلهية، وإبطال الشرك فيها، وإبطال تعلّلات المشركين؛ لإشراكهم وأكاذيبهم، ونفي ضَرْبٍ من ضروب الإِشْرَاق، وهو زعمهم أن الله ولدًا.

٢- الاستدلال على وحدانية الله في الإلهية بدلائل تفرده بإيجاد العوالم العلوية والسفلية، وبتدبير نظامها، وما تحتوي عليه مما لا ينكر المشركون انفراده به.

قال سيد قطب: "هذه السورة تكاد تكون مقصورة على علاج قضية التوحيد. وهي تطوف بالقلب البشري في جولات متعاقبة وتوقع على أوتاره إيقاعات متلاحقة وتهزه هذا عميقا متواصلًا لتطبع فيه حقيقة التوحيد وتمكنها، وتنفي عنه كل شبهة وكل ظل يشوب هذه الحقيقة"^(٢).

٣- الإشارة إلى الخلق العجيب في أطوار تكون الإنسان والحيوان، والاستدلال عليهم بدليل من فعلهم، وهو التجاؤم إلى الله عند ما يصيبهم الضرر.

٤- بيان أن دين التوحيد هو الذي جاءت به الرسل من قبل. والتحذير من أن يحل بالمشركين ما حل بأهل الشرك من الأمم الماضية.

٥- إعلام المشركين بأنهم وشركاءهم لا يُعبأ بهم عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فانه غني عن عبادتهم، ورسوله لا يخشاهم، ولا يخاف أصنامهم؛ لأن الله كفاه إياهم جميعاً.

٦- الدلالة على أنه سبحانه صادق الوعد، وأنه غالب لكل شيء، فلا يعجل؛ لأنه لا يفوته شيء، ويضع الأشياء في أوفق محالها.

٧- تمثيل حال المؤمنين وحال المشركين في الحياتين: الحياة الدنيا، والحياة الآخرة.

٨- دعاء المشركين للإقلاع عن الإسراف على أنفسهم، ودعاء المؤمنين للثبات على التقوى ومفارقة دار الكفر.

٩- تخلل السورة وعيد ووعد، وأمثال، وترهيب وترغيب، ووعظ، وإيماء بقوله: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر : ٩]، إلى أن شأن المؤمنين أنهم أهل علم، وأن المشركين أهل جهالة؛ وذلك تنويه برفعة العلم، ومذمة الجهل.

١٠- دعوة الناس إلى التدبر فيما يُلقى إليهم من القرآن، الذي هو أحسن الحديث. وتنبههم على كفرانهم شكر النعمة. والمقابلة بين حالهم وبين حال المؤمنين المخلصين لله.

١١- تضمنت السورة لمسات من واقع حياة البشر، وسبر أغوار نفوسهم، {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} [الزمر : ٨] {فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا تَمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ} [الزمر : ٤٩].

١٢- إثبات البعث والجزاء؛ لتجزى كل نفس بما كسبت، وتمثيل البعث بإحياء الأرض بعد موتها، وضرب لهم مثله بالنوم والإفاقة بعده، وأنه يوم الفصل بين المؤمنين والمشركين.

١٣- بيان أنه سبحانه أنزل كلاً من المحشورين داره المعدة له، بعد الإعذار في الإنذار، والحكم بينهم بما استحقه أعمالهم؛ عدلاً منه سبحانه بأهل النار، وفضلاً على المتقين الأبرار.

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٤١/٢٣.

(٢) في ظلال القرآن: ٣٠٣/٥.

- ٤- صورت السورة بعضاً من مشاهد القيامة، وما فيها من فزع، {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر : ٦٨]. ومشاهد آخر فيها إنابة وخشوع: {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الزمر : ٧٥].
- ١٥- ختمت السورة بصورة من صور يوم الحساب للفصل بين العباد؛ حيث الملائكة محيطون حول عرش الرحمن، يسبحون بحمده، ويحمدونه على قضائه وعدله بين العباد^(١).

الناسخ والمنسوخ:

وذكروا فيها من المنسوخ سبع آيات:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [الزمر : ٣]، نسخت بآية السيف.
- الآية الثانية: قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الزمر : ١٣]، نسخت بقوله: {لِيَعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح : ٢].
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ} [الزمر : ١٥]، نسخت بآية السيف. وقال ابن الجوزي: "ليس هذا بأمر وإنما هو تهديد، وهو محكم فهو كقوله: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ}، وقد زعم بعض من لا فهم له أنه منسوخ بآية السيف وإنما قال هذا، لأنه ظن أنه أمر، وهذا ظن فاسد وخيال رديء"^(٢).
- الآية الرابعة: قوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ} [الزمر : ٣٧]، نسخ الأمر من الخبر بآية السيف.
- الآية الخامسة والسادسة: قوله تعالى: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الزمر : ٣٩]، نسخت أيضا بآية السيف، وكذا قوله: {مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [الزمر : ٤٠]، نسخ بآية السيف. وقال ابن الجوزي: "زعم بعض المفسرين أنهما نسختا بآية السيف، وإذا كان معناهما التهديد والوعيد، فلا وجه للنسخ"^(٣).
- الآية السابعة قوله تعالى: {فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنْسِيهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الزمر : ٤١]، نسخت بآية السيف.
- الآية السابعة: قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [الزمر : ٤٦]، نسخ معناها لا لفظها بآية السيف^(٤). قال ابن الجوزي: "زعم بعض ناقلي التفسير أن معناه نسخ بآية السيف، وليس هذا بصحيح؛ لأن حكم الله بين عباده في الدنيا بإظهار حجج المحقين وإبطال شبه الملحدين، وفي الآخرة بإدخال هؤلاء الجنة وهؤلاء النار، وهذا لا ينافي قتالهم"^(١).

(١) انظر: إسلام ويب. [موقع إلكتروني].

(٢) نواسخ القرآن: ١٨٧.

(٣) نواسخ القرآن: ١٨٧.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٤٩-١٥١.

فضائل السورة:

- ومما وردت في فضائل هذه السورة:
- عن أبي لبابة العقبلي قال: سمعت عائشة تقول: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول: ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان يقرأ في كل ليلة ببني إسرائيل، والزمر"^(٢).
 - قال وهب بن منبه: " من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه، فليقرأ آخر سورة الزمر"^(٣).

(١) نواسخ القرآن: ١٨٧.

(٢) أخرجه احمد في المسند(٢٤٣٨٨):ص٤٠/٤٥٢، وأخرجه بتمامه ومختصرا إسحاق بن راهويه (١٣٧٢) ، والترمذي (٢٩٢٠) و (٣٤٠٥)، وقال: «هذا حديث حسن غريب». وأخرجه النسائي في "المجتبى" ١٩٩/٤، وفي "الكبرى" (٣٦٥٦) و (١٤٤٤) - وهو في "عمل اليوم والليلة" (٧١٢) - وابن خزيمة (١١٦٣) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٦٧٨) ، والحاكم ٤٣٤/٢، والبيهقي في "الشعب" (٢٤٧٠) ، وفي "الدعوات الكبير" (٣٥٩) ، والمزي في "تهذيب الكمال" (في ترجمة مروان أبي لبابة) من طرق عن حماد بن زيد، به. ولفظه عند الترمذي: "كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر. وقال: هذا حديث حسن غريب، وسكت عنه الحاكم، ووافقه الذهبي. وأخرجه أبو يعلى (٤٦٤٣) و (٤٧٦٤) من طريق حسن بن عمر بن شقيق، عن حماد، به مختصرا، إلا أنه قال: تنزِيل السجدة بدل بني إسرائيل.

والحديث صحيح دون قوله: «وكان يقرأ في كل ليلة ببني إسرائيل والزمر»، وهذا إسناد فيه أبو لبابة العقبلي، وهو مروان مولى عائشة رضي الله عنها، ويقال: مولى هند بنت المهلب بن أبي صفرة، ويقال: مولى عبد الرحمن بن زياد العقبلي، ويقع ابن معين، والذهبي في "الكاشف"، وابن حجر في "التقريب"، وذكره ابن حبان في "الثقات" لكن الذهبي نص في "الميزان" ٥٦٥/٤ على أن خبره منكر، وتوقف فيه ابن خزيمة في "صحيحه" (١١٦٣) ، فقال: باب استحباب قراءة بني إسرائيل والزمر كل ليلة استنادا بالنبي صلى الله عليه وسلم، إن كان أبو لبابة هذا يجوز الاحتجاج بخبره، فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح، قلنا: حسن حديثه الترمذي، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. حسن: هو ابن موسى الأشيب".

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٧/٧. وعزاه إلى عبد بن حميد.

سورة «غافر»

سورة «غافر»: هي السورة «الأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة الزمر»، وقبل «سورة فصلت»، وهي أول سور «آل حم» نزولاً^(١).

وعدد آياتها خمس وثمانون في عد الكوفة والشام، وأربع في الحجاز، واثنان في البصرة. وكلماتها ألف ومائة وتسع وتسعون. وحروفها أربعة آلاف وتسعمائة وستون^(٢).

والآيات المختلف فيها تسع: {حم (١)} [غافر : ١]، {كَاظِمِينَ} [غافر : ١٨]، {التَّلَاقِ} [غافر : ١٥]، {بَارِزُونَ} [غافر : ١٦]، {إِسْرَائِيلَ} [غافر : ٥٣]، {فِي الْحَمِيمِ} [غافر : ٧٢]، {وَالْبَصِيرُ} [غافر : ٥٨]، {يُسْحَبُونَ} [غافر : ٧١]، {كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ} [غافر : ٧٣]. ومجموع فواصل آياتها: «من علق وتر»^(٣).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- أسماؤها التوقيفية:

■ الاسم الأول: «سورة غافر»:

وتسمى «سورة غافر»، «لذكر وصفه تعالى: {غَافِرِ الدَّنْبِ} [غافر : ٣] في أولها. وبهذا الاسم اشتهرت في مصاحف المغرب .

■ الاسم الثاني: «سورة المؤمن»:

وردت تسمية هذه السورة في السنة «حم المؤمن» كما في حديث الترمذي الآتي^(٤)، وبذلك اشتهرت في مصاحف المشرق، وبهذا الاسم ترجمها البخاري في: «صحيحه»^(٥) والترمذي في: «سننه»^(٦). ووجه التسمية أنها ذُكرت فيها قصة: مؤمن آل فرعون، ولم تذكر في سورة أخرى بوجه صريح.

ثانياً:- اسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الاول: «سورة الطول»:

وتسمى أيضاً سورة «الطَّوْل» لقوله تعالى في أولها: {ذِي الطَّوْلِ} [غافر : ٣]، وقد تنوسي هذا الاسم.

■ الاسم الثاني: «سورة حم الأولى»:

سمّاها بها الفيروزآبادي في كتابه البصائر^(٧)، وعلّل تسميتها بهذا الاسم لكونها "أولى ذوات «حم»"^(٨)، دون استناد إلى حديث في كلامه.

قال تاج القراء: "وسميت هذه السور السبع: «حم» على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل الذي اقتصت به، وهو أن كل واحدة استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب، مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام"^(٩).

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٧٦/٢٤.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٠٩ / ١.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) سيأتي في فضائل السورة.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٢٦/٦.

(٦) انظر: سنن لترمذي: ٢٢٥/٥.

(٧) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٠٩ / ١.

(٨) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٩) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٠٣٧/٢.

■ مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل العلم في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس^(١)، ومسروق^(٢)، وسمرة بن جندب^(٣)، والحسن^(٤)، وعطاء^(٥)، وعكرمة^(٦)، وجابر^(٧).

قال ابن عباس: "أنزلت الحواميم السبع بمكة"^(٨).

قال الشعبي: "أخبرني مسروق أن آل حم، إنما نزلت بمكة"^(٩).

قال سمرة بن جندب: "نزلت الحواميم جميعا بمكة"^(١٠).

الثاني: أنها مكية، إلا قوله: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} [غافر : ٥٥]... الآية، لأن الصلوات نزلت بالمدينة. قاله الحسن^(١١).

الثالث: أنها مكية، إلا قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِعَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ} [غافر : ٥٦]. وهذا قول أبي العالبة^(١٢).

عن أبي العالبة، قال: "إن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الدجال يكون منا في آخر الزمان، ويكون من أمره فعظموا أمره، وقالوا: يصنع كذا... فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِعَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ}، قال: لا يبلغ الذي يقول فاستعذ بالله فأمر نبيه- صلى الله عليه وسلم- أن يتعوذ من فتنة الدجال لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس الدجال"^(١٣).

الرابع: أنها مكية إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ} [غافر : ٥٦] والتي بعدها. قاله ابن عباس-أيضا-^(١٤)، وقتادة^(١٥).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالاتفاق"^(١).

(١) انظر: الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والنحاس والبيهقي في الدلائل.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٠٣/٢٢.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه والديلمي.

(٤) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

(٥) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

(٧) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه ابن الضريس والنحاس والبيهقي في الدلائل.

(٩) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢١.

(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه والديلمي.

(١١) انظر: الكشاف: ١٤٨/٤.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٤٤٠): ص ٣٢٦٨/١٠.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٤٠): ص ٣٢٦٨/١٠.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

قال ابن عطية: "هذه السورة مكية بإجماع، وقد روي في بعض آياتها أنها مدنية، وهذا ضعيف، والأول أصح"^(٢).

قال ابن عاشور: "هي مكية بالاتفاق وعن الحسن استثناء قوله تعالى: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَاللِّبْكَارِ} [غافر : ٥٥]، لأنه كان يرى أنها نزلت في فرض الصلوات الخمس وأوقاتها، ويرى أن فرض صلوات خمس وأوقاتها ما وقع إلا في المدينة وإنما كان المفروض بمكة ركعتين كل يوم من غير توقيت، وهو من بناء ضعيف على ضعيف فإن الجمهور على أن الصلوات الخمس فرضت بمكة في أوقاتها على أنه لا يتعين أن يكون المراد بالتسبيح في تلك الآية الصلوات بل يحمل على ظاهر لفظه من كل قول ينزه به الله تعالى"^(٣).

وقال ابن عاشور: "وأشد منه ما روي عن أبي العالية أن قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ} [غافر : ٥٦]، نزلت في يهود من المدينة جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الدجال وزعموا أنه منهم. وقد جاء في أول السورة {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} [غافر : ٤]. والمراد بهم: المشركون"^(٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

من وجه اتصال «سورة غافر» لما قبلها:

- ١- إنه ذكر في سابقها ما يؤول إليه حال الكافر وحال المؤمن، وذكر هنا أنه غافر الذنب، ليكون ذلك استدعاء للكافر إلى الإيمان والإقلاع عن الكفر.
- ٢- إنه ذكر في كل منهما أحوال يوم القيامة، وأحوال الكفار فيه وهم في المحشر وهم في النار^(٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها

إن مقصود السورة إجمالاً معالجة قضية الحق والباطل، وقضية الإيمان والكفر، وقضية الدعوة والتكذيب، وأخيراً قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ العالين المتجبرين. وفي أثناء هذه القضية تلم السورة بموقف المؤمنين المهتدين الطائعين، ونصر الله إياهم، واستغفار الملائكة لهم، واستجابة الله لدعائهم، وما ينتظرهم في الآخرة من نعيم مقيم.

وتفصيل هذه المقاصد التي اشتملت عليها هذه السورة جاءت وفق التالي:

- ١- ابتدأت السورة بما يقتضي تحدي المعاندين في صدق القرآن، كما اقتضاه الحرفان المقطعان في فاتحتها: {حم (١)} [غافر : ١]، وأجري على اسم الله تعالى من صفاته ما فيه تعريض بدعوتهم إلى الإقلاع عما هم فيه، فكانت فاتحة السورة مثل ديباجة الخطبة، مشيرة إلى الغرض من تنزيلها.
- ٢- حملة العرش ومن حوله يعلنون إيمانهم بربهم، ويتوجهون إليه بالعبادة، ويستغفرون للذين آمنوا من أهل الأرض، ويدعون لهم بالمغفرة والنعيم والفلاح.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٠٩/١.

(٢) المحرر الوجيز: ٥٤٥/٤.

(٣) المحرر الوجيز: ٧٥/٢٤.

(٤) المحرر الوجيز: ٧٦-٧٥/٢٤.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ٤١/٢٤.

- ٣- بيان أن دلائل تنزيل هذا الكتاب من الله بيينة، لا يجدها إلا الكافرون من الاعتراف بها حسداً، وأن جدالهم تشغيب وتعنت، لا طائل من ورائه. وقد تكرر ذكر المجادلين في آيات الله خمس مرات في هذه السورة.
- ٤- تمثيل حال المجادلين بحال الأمم التي كذبت رسل الله بذكرهم إجمالاً، ثم التنبيه على آثار استئصالهم، وضرب المثل بقوم فرعون.
- ٥- تقرير أن الذين يجادلون في آيات الله بغير حجة ولا برهان، إنما يدفعهم إلى هذا كِبْرٌ في نفوسهم عن الحق، وهم أصغر وأضال من هذا الكبير. ويوجه القلوب إلى هذا الوجود الكبير الذي خلقه الله، وهو أكبر من الناس جميعاً، لعل المتكبرين يتصاغرون أمام عظمة خلق الله، وتتفتح بصيرتهم، فلا يكونون عمياً.
- ٦- بيان أن الوجود كله مُسَلِّمٌ مستسلم لله، وأنه لا يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا، فيشذون عن سائر الوجود بهذا الجدل.
- ٧- التذكير بمجيء الساعة، والتوجيه إلى دعاء الله، الذي يستجيب لدعاء من دعاه؛ فأما الذين يستكبرون، فسيدخلون جهنم أذلاء صغراء، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبرأ من عبادة المستكبرين، ويعلن نهى ربه له عن آلهتهم، وأمره له بالإسلام ولاستسلام لرب العالمين.
- ٨- عرض مشهد الكافرين يوم القيامة، وهم ينادون من أرجاء الوجود المؤمن المسلم المستسلم، وهم في موقف الذلة والانكسار بعد التكبر والاستكبار، يقرون بذنبهم، ويعترفون بربهم، فلا ينفعهم الاعتراف والإقرار، إنما يُدْكَرُونَ بما كان منهم من شرك واستكبار.
- ٩- عرض جانب من قصة موسى عليه السلام مع فرعون وهامان وقارون، تمثل موقف الطغيان من دعوة الحق. فيها ظهور رجل مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه، يدفع عن موسى ما هموا بقتله، ويصدع بكلمة الحق والإيمان في تُلطف وحذر في أول الأمر، ثم في صراحة ووضوح في نهايته. يعرض في جدله مع فرعون حجج الحق وبراهينه قوية ناصعة، ويحذرهم يوم القيامة، ويمثل لهم بعض مشاهدته في أسلوب مؤثر، ويذكرهم موقفهم وموقف الأجيال قبلهم من يوسف عليه السلام ورسالته.
- ١٠- حوار بين الضعفاء والذين استكبروا، وحوار لهم جميعاً مع خزنة جهنم، يطلبون فيه الخلاص. ولات حين خلاص! وفي ظل هذا المشهد يوجه الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الصبر والثقة بوعد الله الحق، والتوجه إلى ربه بالتسبيح والحمد والاستغفار.
- ١١- التنبيه على دلائل تفرد الله تعالى بالإلهية إجمالاً. وإبطال عبادة ما يعبدون من دون الله.
- ١٢- التذكير بنعم الله على الناس؛ ليزداد الشاكرون شكراً، وليشكروه الذين أعرضوا عن شكره.
- ١٣- عرض مصارع الغابرين، الاستدلال على إمكان البعث، كما يتمثل في عرض مشاهد القيامة، مع بيان أن كل نفس مرت رحلة الامتحان في الحياة الدنيا، تُجزى يوم القيامة بما كسبت، دون أن تُظلم شيئاً، مع بيان أن الله سريع الحساب.
- ١٤- إنذار المجادلين والمعاندين بما يلقون من هول يوم البعث، وما يترقبهم من العذاب، وتوعدهم بأن لا نصير لهم يومئذ، وبأن كبراءهم يتبرؤون منهم. مع عرض مشهد من أحوال المعذبين في النار يوم القيامة، وهو مشهد مخيف لأهل العقول الواعية، الذين لم تنطمس بصائرهم بالأهواء، والشهوات، ووساوس الشياطين، وحب العاجلة، ومتاعات الأنفس فيها.
- ١٥- توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل حال رسالة دعوته من بعده أن ينذر المجادلين في آيات الله بغير علم عقاب الله يوم القيامة، ويبين لهم أنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه يقضي بين عباده بالحق، وأن الذين يدعون من دونه من شركاء لا يقضون بشيء، وأن الله هو السميع لشكوى عباده، والمجيب لدعائهم، وأنه هو البصير بحركاتهم وسكناتهم.

- ١٦- تثبتت الله رسوله صلى الله عليه وسلم بتحقيق نصر هذا الدين في حياته وبعد وفاته. وتوجيه الله رسوله إلى الصبر، والثقة بأن وعد الله حق، سواء أبقاه حتى يشهد بعض ما يعدهم، أو توفاه قبل أن يراه، فسيتم الوعد هناك.
- ١٧- الثناء على المؤمنين، ووصف كرامتهم، وثناء الملائكة عليهم.
- ١٨- تعرض السورة بعض آيات الله الكونية، التي يمرروا الناس عليها غافلين، وبيان أن في الكون آيات قائمة، وبين أيديهم آيات قريبة، ولكنهم يغفلون عن تدبرها؛ يعرض الليل سكناً والنهار مبصراً، والأرض قراراً والسماء بناء. وتذكير الناس بأنفسهم، وقد صورهم فأحسن صورهم، ويوجههم إلى دعوة الله مخلصين له الدين.
- ١٩- عرض بعض آيات الله في كونه، ومننه على خلقه، ومنها مئة الله على الخلق بالأنعام.
- ٢٠- تلويح المكذبين الكافرين، الذي يجادلون في آيات الله بالباطل؛ إذ لم يتعظوا بما شاهدوا في مواطن متعددة من الأرض آثار المهلكين السابقين، الذين كفروا بما جاءتهم به رسل ربهم من الحق، وفرحوا بما عندهم من علم دنيوي، فلما رأوا بأس الله نازل بهم آمنوا، فلم يك ينفعهم حينئذ إيمانهم، وأحاط بهم العذاب، الذي كانوا به يستهزئون ويكذبون، وأهلكهم الله ضمن سنته التي يجريها في عباده الأولين والآخرين. وبهذا المشهد تختم السورة أغراضها ومقاصدها^(١).

الناسخ والمنسوخ:

- وذكروا فيها من المنسوخ ثلاث آيات:
- الآية الأولى: قوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [غافر : ٥٥]، نسختها آية السيف.
 - الآية الثانية: قوله تعالى: {فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} [غافر : ١٢]، نسخ معنى الحكم في الدنيا بآية السيف.
 - الآية الثالثة: قوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَمَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيْكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ} [غافر : ٧٧]، نسخ أولها وآخرها بآية السيف^(٢).
- قال ابن الجوزي: "قوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [غافر: ٧٧]، هذه الآية في هذه السورة في موضعين وقد ذكروا أنها منسوخة بآية السيف وعلى ما قررنا في نظائرها لا نسخ"^(٣).

فضائل السورة:

- ومما وردت في فضائل هذه السورة:
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين^(٤).

(١) انظر: إسلام ويب. [موقع إلكتروني].

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٥٢.

(٣) نواسخ القرآن: ١٨٨.

(٤) "مسند أحمد" (٦٥٧٥)، وسنن أبي داود (١٣٩٩): ص ٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤)، وصحيح ابن حبان (٧٧٣): ٥٠/٣.

- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " من قرأ حم المؤمن إلى {إليه المصير} [غافر: ٣]، وآية الكرسي حين يصبح، حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح" (١).
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني السبع مكان التوراة وأعطاني الرأت إلى الطواسين مكان الإنجيل وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي» (٢).
- عن المهلب بن أبي صفرة، عن سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن بينكم العدو، فقولوا: «حم لا ينصرون»» (٣).
- عن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- مرفوعاً: " الحواميم روضة من رياض الجنة" (٤).
- عن الخليل بن مرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني" (٥).
- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن لكل شيء لباباً وإن لباب القرآن الحواميم" (٦).
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "الحواميم ديباج القرآن" (٧). ورواه أنس بن مالك مرفوعاً (٨).

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصديقي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحَ وَيُسَبِّحُ وَسَبَّحَ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى. (١) أخرجه الترمذي (٢٨٧٩): ص ١٥٧/٥، وقال: "ذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة المليكي من قبل حفظه".

[وحكم الألباني]: ضعيف، المشكاة (٢١٤٤ / التحقيق الثاني)، ضعيف الجامع الصغير (٥٧٦٩).

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) أخرجه الترمذي (١٦٨٢): ص ٢٤٩/٣. إسناده صحيح.

وأخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٩٤٦٧)، وأبو داود (٢٥٩٧)، والترمذي (١٦٨٢)، وابن الجارود في "المنتقى" (١٠٦٣)، والحاكم ١٠٧/٢، والبيهقي في "السنن" ٣٦٢-٣٦١/٦.

وأخرجه احمد (١٦٦١٥): ص ١٦٢/٢٧. بلفظ: «ما أراه الليلة إلا سيببوتكم فإن فعلوا فشعاركم: «حم لا ينصرون». وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٨٨٦١) و (١٠٤٥٣) - وهو في "عمل اليوم والليلة" (٦١٧) -، وفيه: «كان ذلك يوم الخندق».

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى الديلمي وابن مردويه.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد في فضائله.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٢٦٩/٧.

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: "إذا وقعت في الحواميم وقعت في روضات أتأنق فيهن"^(١).
- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: "إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب. فقيل له: إن مثل الغيث الأول كمثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل: «آل حم»^(٢) في القرآن"^(٣).
- فقوله: «حم لا ينصرون»: فإنه مع كونه علامة دعاء عليهم أيضاً.
- قال السندي: "«فشعاركم»، أي: علامتكم التي تتميزون أنتم فيما بينكم بها من عدوكم"^(٤).
- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»^(٥).
- عن أبي الدرداء - رضي الله عنه: "أنه بنى مسجداً فقيل له: ما هذا؟ فقال: لآل حم"^(٦).

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد ومحمد بن نصر وابن المنذر.

(٢) قال ابن عاشور: "السور المفتحة بكلمة حم سبع سور مرتبة في المصحف على ترتيبها في النزول ويدعى مجموعها «آل حم» جعلوا لها اسم (آل) لتأخيتها في فواتحها. فكأنها أسرة واحدة وكلمة (آل) تضاف إلى ذي شرف (ويقال لغير المقصود تشريفه أهل فلان) قال الكمي:

قرأنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا فقيه ومعرب

يريد قول الله تعالى في سورة «حم عسق» قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى [الشورى: ٢٣] على تأويل غير ابن عباس فلذلك عززه بقوله: تأولها منا فقيه ومعرب". [التحرير والتنوير: ٧٦/٢٤].
والبيت هو ٢٩ من يائته في الهاشميات وهو في الكتاب ٢٨ / ٢ والطبري ٢٤ / ٢٤ والسنن ٣٠ / ٢ والقرطبي ٢٨٨ / ١.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧-٢٦٩، وعزاه إلى محمد بن نصر وحميد بن زنجويه.

(٤) انظر: مسند احمد: ١٦٣/٢٧. الرسالة. أفاده المحقق.

(٥) مسند ابن أبي شيبة (٣٠٢٨٤): ص ١٥٣/٦، وسنن الدارمي (٣٤٦٥): ص ٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان (٢٢٥٣): ص ١٠٦/٤. إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر والحاكم.

سورة «فصلت»

سورة «فصلت»: هي السورة «الواحد والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الحادية والستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة غافر»، وقبل «سورة الزخرف»، وهي السورة الثانية من الحواميم السبع بعد «سورة غافر»^(١).

عدد آياتها أربع وخمسون في عد الكوفة، وثلاث في عد الحجاز، واثنان في عد البصرة، والشام. وكلماتها سبعمائة وست وتسعون. وحروفها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون، والمختلف فيها آيتان: {حم (١)} [فصلت : ١]، {عَادٍ وَتَمُودَ} [فصلت : ١٣]، مجموع فواصل آياتها «ظن طب حرم صد»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- أسماؤها التوقيفية: «سورة فصلت»:

الاسم المشهور لها هو «سورة فصلت»؛ لوقوع كلمة: {كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ} [فصلت : ٣] في أولها، فُعُرِفَتْ بها .

ثانياً:- اسمؤها الإجتهدية:

■ الاسم الأول: «حم السجدة»:

تسمى «حم السجدة» بإضافة «حم» إلى «السجدة»، وبذلك ترجمت في «صحيح البخاري»^(٣)، لأنها تميزت عن السور المفتحة بحروف «حم» بأن فيها سجدة من سجود القرآن^(٤).

قال المهامي: "سميت بها لاشتغالها على آية سجدة. تدل على بطلان عبادة المظاهر بالكلية. وأن الله يستحق بذاته أجل العبادات، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"^(٥).

■ الاسم الثاني: «سورة السجدة»:

وسميت في معظم مصاحف المشرق والتفاسير: «سورة السجدة»، وهو اختصار قولهم: «حم السجدة»، وليس تمييزاً لها بذات السجدة^(٦).

■ الاسم الثالث: «سورة المصايح»:

وتسمى: «سورة المصايح»، لقوله تعالى فيها: {وَزَيَّأَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَائِحَ} [فصلت : ١٢]. ذكره الكواشي^(٧).

■ الاسم الرابع: «سورة الأقوات»:

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٠٢/٢٤، والتحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٤.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٤١٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٢٧/٦.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٣.

(٥) نقلاً عن محاسن التأويل: ٣٢٣/٨.

(٦) نقلاً عن: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٤.

(٧) نقلاً عن: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٤.

والكواشي: هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع، موفق الدين أبو العباس الكواشي- قلعة من بلاد الموصل- المولود سنة ٥٩٠ هـ، الشافعي المقرئ المفسر الزاهد، بقية الأعلام، قرأ على والده، وقدم دمشق، وأخذ عن السخاوي وغيره، وتقدم في معرفة التفسير والقراءات والعربية، توفي سنة (٦٨٠ هـ).

انظر ترجمته في: معرفة القراء (٦٨٥ / ٢) وانظر غاية النهاية (١ / ١٥١) وشذرات الذهب (٥ / ٣٦٥) وطبقات المفسرين للداودي (١ / ١٠٠)، والعبر في خبر من غير (٥ / ٣٢٧).

سميت بذلك لقوله تعالى: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} [فصلت : ١٠]. ذكره الكواشي^(١).

■ الاسم الخامس: «سجدة المؤمن»:

تسمى: «سجدة المؤمن»، ووجه هذه التسمية قصد تمييزها عن سورة: «الم السجدة»، المسماة: «سورة المضاجع»، فأضافوا هذه إلى السورة التي قبلها وهي «سورة المؤمن»، كما ميزوا: «سورة المضاجع» باسم: «سجدة لقمان»، لأنها واقعة بعد سورة لقمان. ذكره الكواشي في «التبصرة»^(٢).

■ مكية السورة ومدنيتها:

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: "نزلت «حم» السجدة بمكة"^(٣). وروي عن ابن الزبير مثله^(٤).

قال ابن الجوزي: "مكية كلها بإجماعهم"^(٥).

قال أبو حيان: "هذه السورة مكية بلا خلاف"^(٦).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

من وجه اتصال «سورة فصلت» لما قبلها:

- ١- إنهما اشتركتا في تهديد قريش وتقريعهم، فقد توعدهم في السورة السابقة بقوله: {أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أُعْتِيَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [غافر : ٨٢]، وهددهم هنا بقوله: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت : ١٣].
- ٢- إن كليهما بدئت بوصف الكتاب الكريم^(٧).

وقال أبو حيان: "مناسبتها لما قبلها، أنه قال في آخر ما قبلها: {أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} [غافر : ٨٢]، إلى آخرها، فضمن وعيدا وتهديدا وتقريعا لقريش، فأتبع ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر، فذكر أنه نزل كتابا مفصلا آياته، بشيرا لمن اتبعه، ونذيرا لمن أعرض عنه، وأن أكثر قريش أعرضوا عنه. ثم ذكر قدرة الإله على إيجاد العالم العلوي والسفلي. ثم قال {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً} [فصلت : ١٣]، فكان هذا كله مناسبا لآخر سورة المؤمن من عدم انتفاع مكذبي الرسل حين التمس بهم العذاب، وكذلك قريش حل بصناديدها من القتل والأسر والنهب والسبي، واستئصال أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل بعاد وثمود من استئصالهم"^(٨).

■ أغراض السورة ومقاصدها

يجري سياق السورة بموضوعاتها ومؤثراتها في شوطين اثنين:

(١) نقلًا عن: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٤.

(٢) نقلًا عن: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٤.

(٣) الدر المنثور: ٣٠٨/٧..

(٤) انظر: الدر المنثور: ٣٠٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) زاد المسير: ٤٥/٤.

(٦) البحر المحيط: ٢٨٣/٩.

(٧) انظر: تفسير المراغي: ٤١/٢٤.

(٨) البحر المحيط: ٢٨٣/٩.

الشوط الأول: يبدأ بالآيات التي تتحدث عن تنزيل الكتاب وطبيعته وموقف المشركين منه. وتليها قصة خلق السماء والأرض. فقصة عاد وثمود. فمشهدهم في الآخرة، تشهد عليهم الأسماع والأبصار والجلود. ومن هنا يرتد إلى الحديث عنهم في الدنيا، وكيف ضلوا هذا الضلال، فيذكر أن الله قويض لهم قرناء سوء من الجن والإنس، يزينون لهم ما بين أيديهم وما خلفهم. ومن آثار هذا قولهم: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِمَا نَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ} [فصلت : ٢٦]، ثم موقفهم يوم القيامة حانقين على هؤلاء الذين خدعوه من قرناء الجن والإنس!

وعلى الضفة الأخرى: {الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [فصلت : ٣٠]، وهؤلاء تنزل عليهم الملائكة -لا قرناء سوء- يطمئنونهم، ويبشرونهم ويعلنون ولايتهم لهم في الدنيا والآخرة. ويلي هذا ما جاء عن الدعوة والداعية.

الشوط الثاني: يتحدث عن آيات الله من الليل والنهار والشمس والقمر والملائكة العابدة، والأرض الخاشعة، والحياة التي تهتز فيها وتربو بعد الموات. ويلي هذا الحديث عن الذين يلحدون في آيات الله وفي كتابه، وهنا يجيء ذلك الحديث عن هذا الكتاب. ويشار إلى كتاب موسى عليه السلام، واختلاف قومه فيه. ويوكل أمرهم إلى الله بعد الأجل المضروب. وحديث عن الساعة واختصاص علم الله بها، وعلمه بما تكنه الأكمام من ثمرات، وما تكنه الأرحام من أنسال. ويعرض مشهد الكافرين وهم يسألون عن الشركاء. يلي هذا الحديث عن النفس البشرية عارية من أستارها. ومع حرص الإنسان على نفسه هكذا، فإنه لا يحتاط لها فيكذب ويكفر، غير محتاط لما يعقب هذا التكذيب من دمار وعذاب.

وتختتم السورة بوعد من الله أن يكشف للناس عن آياته في الأنفس والأفاق حتى يتبينوا، ويتقوا: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت : ٥٣]^(١).

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان شرف القرآن، وإعراض الكفار من قبوله، وكيفية تخليق الأرض والسماء، والإشارة إلى إهلاك عاد وثمود، وشهادة الجوارح على العاصين في القيامة، وعجز الكفار في سجن جهنم، وبشارة المؤمنين بالخلود في الجنان، وشرف المؤذنين بالأذان، والاحتراز من نزغات الشيطان، والحجة والبرهان على وحدانية الرحمن، وبيان شرف القرآن، والنفع والضرر، والإساءة، والإحسان، وجزع الكفار عند الابتلاء والامتحان، وإظهار الآيات الدالة على الذات والصفات الحسان، وإحاطة علم الله بكل شيء من الأسرار والإعلان، بقوله: {ألا إنه بكل شيء محيط}"^(٢).

(١) انظر: إسلام ويب. [موقع إلكتروني].

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤١٣/١-٤١٤.

وقال ابن عاشور: "أغراض السورة: التنويه بالقرآن، والإشارة إلى عجزهم عن معارضته، وذكر هديه، وأنه معصوم من أن يتطرقه الباطل، وتأييده بما أنزل إلى الرسل من قبل الإسلام، وتلقي المشركين له بالإعراض وصم الأذان، وإبطال مطاعن المشركين فيه، وتذكيرهم بأن القرآن نزل بلغتهم، فلا عذر لهم أصلاً في عدم انتفاعهم بهديه. وزجر المشركين وتوبيخهم على كفرهم بخالق السماوات والأرض مع بيان ما في خلقها من الدلائل على تفرد بالإلهية. وإنذارهم بما حل بالأمم المكذبة من عذاب الدنيا، ووعيدهم بعذاب الآخرة وشهادة سمعهم وأبصارهم وأجسادهم عليهم، وتحذيرهم من القراء المزينين لهم الكفر من الشياطين والناس، وأنهم سيندمون يوم القيامة على اتباعهم في الدنيا، وقبول ذلك بما للموحدين من الكرامة عند الله. وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفعهم بالتي هي أحسن، وبالصبر على جفوتهم، وأن يستعيز بالله من الشيطان. وذكرت دلائل تفرد الله بخلق المخلوقات العظيمة كالشمس والقمر. ودلائل إمكان البعث، وأنه واقع لا محالة، ولا يعلم وقته إلا الله تعالى. وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتأييد الله إياهم بتنزل الملائكة بالوحي، وبالبشارة للمؤمنين. وتخلل ذلك أمثال مختلفة في ابتداء خلق العوالم، وعبر في تقلبات أهل الشرك، والتنويه بإيتاء الزكاة"^(١).

وقال سيد قطب: "قضية العقيدة بحقائقها الأساسية هي التي تعالجها هذه السورة...الألوهية الواحدة. والحياة الآخرة. والوحي بالرسالة. يضاف إليها طريقة الدعوة إلى الله وخلق الداعية. وكل ما في السورة هو شرح لهذه الحقائق، واستدلال عليها. وعرض لآيات الله في الأنفس والآفاق، وتحذير من التكذيب بها، وتذكير بمصارع المكذبين في الأجيال السابقة، وعرض لمشاهد المكذبين يوم القيامة. وبيان أن المكذبين من الجن والإنس هم وحدهم الذين لا يُسلمون بهذه الحقائق، ولا يستسلمون لله وحده، بينما السماء والأرض والشمس والقمر والملائكة...كلهم يسجدون لله، ويخشعون، ويُسلمون، ويستسلمون"^(٢).

الناسخ والمنسوخ:

قيل: فيها من المنسوخ آية واحدة وهو قوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ} [فصلت : ٣٤]: هذا محكم، والمنسوخ قوله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [فصلت : ٣٤]، نسختها آية السيف^(٣).

عن السدي: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، قال: هذا قبل القتال^(٤).

قال ابن الجوزي: "وقال أكثر المفسرين: هو كدفع الغضب بالصبر، والإساءة بالعفو، وهذا يدل على أنه ليس المراد بذلك معاملة الكفار فلا يتوجه النسخ"^(٥).

فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

(١) التحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٤-٢٢٩.

(٢) في ظلال القرآن: ٣١٠/٥.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٥٣.

(٤) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ١٨٨.

(٥) نواسخ القرآن: ١٨٨.

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين^(١).
- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»^(٢).

(١) "مسند أحمد" (٦٥٧٥)، وسنن أبي داود (١٣٩٩) ص: ٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤)، وصحيح ابن حبان (٧٧٣): ٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحَ وَيُسَبِّحُ وَسَبَّحَ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٢) مسند ابن أبي شيبه (٣٠٢٨٤): ص: ١٥٣/٦، وسنن الدارمي (٣٤٦٥): ص: ٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان (٢٢٥٣): ص: ١٠٦/٤.

وللاستزادة في فضائل «الحواميم» راجع فضائل السورة «غافر».

إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

سورة «الشورى»

سورة «الشورى»: هي السورة «الثانية والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثانية والستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة الكهف»، وقبل «سورة إبراهيم»^(١).

قال ابن عاشور: "السورة نزلت في حدود سنة ثمان بعد البعثة، ولعل نزولها استمر إلى سنة تسع بعد أن آمن نقيب الأنصار ليلة العقبة فقد قيل: إن قوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى : ٣٨]، أريد به الأنصار قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة"^(٢).

عدد آياتها ثلاث وخمسون في الكوفي، وخمسون في الباقيين. كلماتها ثمانمائة وست وستون. وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وثمان وثمانون. المختلف فيها من الأبي ثلاث: {حم (١)} [الشورى : ١]، {عسق (٢)} [الشورى : ٢]، {كألعلم} [الشورى : ٣٢]، مجموع فواصل آياتها: «زلصب قدم»^(٣).

■ أسماء السورة:

■ أسماؤها التوقيفية:

■ الاسم الأول: «سورة الشورى»:

تسمى «سورة الشورى» بالألف واللام، وربما قالوا: «سورة شورى» بدون ألف ولام، حكاية للفظ القرآن: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى : ٣٨].

قال المهامي: "سميت بالشورى، لإشعار آياتها بذلة الدنيا وعزة الآخرة، وصفات طالبها، مع اجتماع قلوبهم بكل حال. وهذا من أعظم مقاصد القرآن"^(٤).

■ الاسم الثاني والثالث: سورة «حم عسق»، و«عسق»:

اشتهرت تسميتها عند السلف «حم عسق»، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من "جامعه"^(٥)، والترمذي في "جامعه"^(٦)، وكذلك سميت في عدة من كتب التفسير، وكثير من المصاحف.

وتسمى «سورة عسق» بدون لفظ «حم»، لقصد الاختصار^(٧).

قال ابن عاشور: "ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء في تسميتها"^(٨).

■ الاسم الرابع: «حم سق»:

ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول: «حم سق»، ولا يجعل فيها عينا، ويقول: السين كل فرقة تكون، والقاف كل جماعة تكون^(٩).

قال الفراء: "ورأيتها في بعض مصاحف عبد الله: «حم سق» كما قال ابن عباس"^(١٠).

روى محبوب عن إسماعيل عن الأعمش عن ابن مسعود: «حم سق»^(١١).

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٠٢/٢٤، والتحرير والتنوير: ٢٤/٢٥.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٤/٢٥.

(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٤١٨.

(٤) نقلا عن: محاسن التأويل للقاسمي: ٣٤٩/٨.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٢٩/٦.

(٦) انظر: سنن الترمذي: ٢٣٠/٥.

(٧) انظر: التحرير والتنوير: ٢٣/٢٥.

(٨) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٩) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢١/٣، وتفسير الطبري: ٥٠٠/٢١، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٩٣/٤. والخبر بدون سند.

(١٠) معاني القرآن: ٢١/٣.

(١١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٢٤٩/٢.

قال ابن جني: " هذا مما يؤكد أن الغرض في هذه الفواتح إنما هو لكونها فواصل بين السور، ولو كانت أسماء الله سبحانه لما جاز تحريف شيء منها وذلك لأنها لو كانت أسماء له لكانت أعلاما، كزيد وعمرو، فالأعلام لا طريق إلى تحريف شيء منها، بل هي مؤداة بأعيانها"^(١).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس^(٢)، وابن الزبير^(٣)، الحسن^(٤)، وعكرمة^(٥)، ومجاهد^(٦)، وقتادة^(٧).

الثاني: أنها مكية لإقوله: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ} [الشورى : ٢٧]. نزلت في أهل الصفة، كما قال عمرو بن حريث^(٨)، وخباب بن الأرت^(٩)، وحكاه ابن الفرس عن مقاتل^(١٠)، فتكون الآية مدنية.

عن عمرو بن حريث: "إنما نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزَّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ} [الشورى : ٢٧]، وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا الدنيا، فتمنوا الدنيا"^(١١).
الثالث: أنها مكية إلا أربع آيات نزلن بالمدينة، أولها: قوله: {قُلْ لِمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى : ٢٣]، إلى آخر الأربع الآيات. وهذا قول ابن عباس-أيضا^(١٢)، وقتادة^(١٣).

الرابع: أنها مكية إلا خمس آيات، من قوله: {ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا} [الشورى : ٢٣]، إلى قوله: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الشورى : ٢٤]، ومن قوله: تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} [الشورى : ٣٩]، إلى قوله: {مَّا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى : ٤١]. قاله مقاتل^(١٤).

قال ابن قتيبة: السورة: "مكية كلها"^(١٥).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية إجماعا"^(١٦).

قال ابن عاشور: "هي مكية كلها عند الجمهور"^(١٧).

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٢٤٩/٢.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٣٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٣٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(٨) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٩٠.

(٩) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٩٠.

(١٠) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٢٤/٢٥.

(١١) رواه الواحدي في أسباب النزول: ٣٩٠، وأخرجه ابن المبارك في الزهد وقال ابن صاعد عقب روايته: عمرو هذا من

أهل مصر ليست له صحبة وهو غير المخزومي [الإصابة ٢ / ٥٣١- ترجمة عمرو بن حريث].

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٤ / ٧) وعزاه للطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وله شاهد من حديث علي أخرجه الحاكم (٤٤٥ / ٢) وصححه ووافقه الذهبي قلت في إسناده عند الحاكم: الأعمش وقد عنعنه وهو مدلس.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٥٨/٤، حكاه بدون سند، وانظر: والتحرير والتنوير: ٢٣/٢٥.

(١٣) انظر: زاد المسير: ٥٨/٤، حكاه بدون سند، وانظر: والتحرير والتنوير: ٢٣/٢٥.

(١٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٣/٣. قال المحقق: "في نسخة «ل، ف» وفيها من المدني...» وذكر الآيات.

(١٥) غريب القرآن: ٣٣٨.

(١٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤١٨/١.

(١٧) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- اشتمال كل منهما على ذكر القرآن، ودفع مطاعن الكفار فيه، وتسليية النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

إن المتأمل في سور «الحواميم» السبع -وهذه السورة منهم- يظهر له أنها ذات هدف رئيس، وهو الحديث عن القرآن، وموقف الكافرين إبان نزوله منه، والحديث عن مُنَزَّل القرآن، وموقف الكافرين منه، والحديث عن الرسول مُبَلِّغ القرآن، وموقف مكذبيه منه، والحديث عن الجزاء المعجل في الدنيا، والمؤجل إلى يوم الدين، والإنذار بهما، وعرض مشاهد من يوم الدين، وترغيب المؤمنين بالثواب العظيم، والحديث عن الإنسان وصفات معظم أفرادها، واقتران كل ذلك بذكر آيات الله الكونية، وبيان حكمة الله في شؤون عباده.

ويمكن تفصيل مقاصد السورة ومراميتها وفق التالي:

- ١- الإشارة إلى تحدي الطاعنين في أن القرآن وحي من الله بأن يأتوا بكلام مثله، فهذا التحدي لا تخلو عنه السور المُفْتَتحة بالحروف الهجائية المقطعة، وهذه السورة منهم؛ حيث تضمنت فاتحتها خمسة حروف مقطعة .
- ٢- بيان أن الوحي إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ما هو إلا كالوحي إلى الرسل من قبله؛ لينذر أهل مكة ومن حولها بيوم الحساب .
- ٣- بيان أن الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض لا تُعَارَضُ قدرته، ولا يُشك في حكمته، وقد خضعت له العوالم العليا ومن فيها، وهو فاطر المخلوقات؛ فهو يجتبي من يشاء لرسالته، فلا يدع أن يشرع للأمة المحمدية من الدين مثل ما شرع لمن قبله من الرسل، وما أرسل الله الرسل إلا من البشر يوحي إليهم، فلم يسبق أن أرسل ملائكة لمخاطبة عموم الناس مباشرة .
- ٤- بيان وحدة الرسالات الربانية في أصولها الاعتقادية، والأخلاقية، وفي أصول وقواعد المعاملات. ومطالبة الناس بأن يقيموا الدين، ولا يتفرقوا فيه .
- ٥- أن المشركين بالله لا حجة لهم إلا تقليد أئمة الكفر، الذين شرعوا لهم الإشراك، وألقوا إليهم الشبهات. والتحذير من اقتراب الساعة ويوم الجزاء، وما سيلقى المشركون يوم الحساب من العذاب، وقرن ذلك بالترغيب فيما سيلقاه المؤمنون من الكرامة، وأنهم لو تدبروا لعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يأتي عن الله من تلقاء نفسه؛ لأن الله لا يقره على أن يقول عليه ما لم يقله .
- ٦- ذكّر دلائل الوحداية، وما هو من تلك الآيات نعمة على الناس، مثل دليل السير في البحر، وما أوتيته الناس من نعم الدنيا .
- ٧- تسليية الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله هو متولي جزاء المكذبين، وما على الرسول صلى الله عليه وسلم من حسابهم من شيء، فما عليه إلا الاستمرار على دعوتهم إلى الحق القويم.
- ٨- التنبيه على أنه صلى الله عليه وسلم لا يبتغي من وراء دعوته ونصحه إياهم جزاء ولا شكوراً، وإنما يبتغي هدايتهم إلى الحق المبين، ودلالتهم إلى الصراط المستقيم .
- ٩- بيان حكمة الله سبحانه في عدم بسط الرزق لعباده، وأنه هو الذي يهيئ للناس أسباب أرزاقهم، على وفق حكمته، وأن سبحانه هو وحده الذي يتولى أمور عباده، ويتدبر شؤونهم .
- ١٠- التزهيد بمتاعات الحياة الدنيا وزخرفها، والترغيب بما عند الله في الآخرة من النعيم المقيم. وتوجيه الناس إلى الاستجابة لربهم، وتحذيرهم من يوم الدين الذي لا مرد له، ولا ملجأ فيه يلجأ إليه من لم يجب داعي الله، ويلزم هديه، ويعمل بشرعه .

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٣/٢٥.

- ١١- تذكير المشركين والمعرضين بنعم الله عليهم، وتحذيرهم من التسبب في قطعها بسوء أعمالهم، وتحريضهم على السعي في أسباب الفوز في الآخرة، والمبادرة إلى ذلك قبل فوات الأوان .
- ١٢- التنويه بفوز المؤمنين المتوكلين، والتذكير بجلال أعمالهم، وتجنبهم التعرض لغضب الله عليهم .
- ١٣- التنبيه على آيات كثيرة من آيات انفراده تعالى بالخلق، والتصرف المقتضي انفراده بالإلهية؛ إبطالاً للشرك .
- ١٤- ألمعت السورة إلى المعجزة الأمية؛ بأن الرسول صلى الله عليه وسلم جاءهم بهدي عظيم من الدين، وقد علموا أنه لم يكن ممن تصدى لذلك في سابق عمره، وذلك أكبر دليل على أن ما جاء به أمر قد أوحى إليه به، فعليهم أن يهتدوا بهديه، فمن اهتدى بهديه فقد وافق مراد الله .
- ١٥- ختم السورة بكلمة جامعة تتضمن تفويض الأمور كلها إلى الله سبحانه، وانتظار حكمه فيما يمضيه من أمور، وهي كلمة: {أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى : ٥٣] (١).

الناسخ والمنسوخ:

السورة فيها من المنسوخ تسع آيات:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} [الشورى : ٥]، نسختها الآية التي في المؤمن وهي: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [غافر : ٧].
- الآية الثانية: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ} [الشورى : ٦]، هذا محكم، {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الشورى : ٦] نسختها آية السيف.
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} [الشورى : ١٥] هذا محكم، وكذلك قوله تعالى: {وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ} [الشورى : ١٥]، وباقي الآية منسوخ إلى قوله تعالى: {اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا} [الشورى : ١٥]، نسخ بآية السيف.
- الآية الرابعة قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى : ٢٠]، نسخت الآية التي في بني إسرائيل وهي قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} [الإسراء : ١٨].
- الآية الخامسة: قوله تعالى: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى : ٢٣]، اختلف المفسرون في هذه الآية، فبعض يجعلها محكمة، وهو قول أبي صالح مولى ام هانيء، وآخرون يجعلونها منسوخة، وهو قول الجماعة، فمن جعلها محكمة روي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قدم المدينة أحسن الأنصار جواره وجوار أصحابه حتى واسوهم بالأموال والأنفس وقال بعض الأنصار لبعض قد واسيتم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقدم عليه الوفود وليس عنده شيء فلو جمعتم له ما لا فاذا قدم عليه الوفود أنفقه عليهم فقالوا لا نفعل حتى نستأذنه فاستأذنه في ذلك فنزلت: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} [الشورى : ٢٣]، يعني: على إبلاغ الرسالة، أي: جعلاً، المودة في القربى: أن تودوني في قرابتي: هذا قول من زعم أنها محكمة، وقال آخرون بل هي منسوخة وناسخها عندهم: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ} [سبأ : ٤٧].
- الآية السادسة قوله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى : ٤٠]، نسخت بقوله عز وجل: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى : ٤٠].
- الآية السابعة: قوله تعالى: {وَلَمَنْ اتَّبَعَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى : ٤١]، نسخت بقوله: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى : ٤٠].

(١) في ظلال القرآن: ٣١٠٥/٥.

- الآية الثامنة: الآية التي تليها نسخنا بقوله: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى : ٤٣].

- الآية التاسعة: قوله تعالى: {وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى : ٤٦]، الى قوله: {قَاتِنِ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} [الشورى : ٤٨]، نسخت بأية السيف^(١).

فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين^(٢).

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني السبع مكان التوراة وأعطاني الرأت إلى الطواسين مكان الإنجيل وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي»^(٣).

- عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - مرفوعاً: "الحواميم روضة من رياض الجنة"^(٤).

- عن الخليل بن مرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني"^(٥).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن الحواميم"^(٦).

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: "الحواميم ديباج القرآن"^(٧). ورواه أنس بن مالك مرفوعاً^(٨).

- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»^(٩).

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٥٤-١٥٧.

(٢) "مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والذخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبِّحْ وَيُسَبِّحْ وَسَبِّحْ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى الديلمي وابن مردويه.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد في فضائله.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٢٦٩/٧.

(٩) مسند ابن أبي شيبعة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، وسنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤.

إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

- عن أبي الدرداء -رضي الله عنه: "أنه بنى مسجدا ف قيل له: ما هذا؟ فقال: لآل حم"^(١).
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب. فقيل له: إن مثل الغيث الأول كمثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل: «آل حم»^(٢) في القرآن"^(٣).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة «حم. عسق»، كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له»^(٤).

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر والحاكم.
(٢) قال ابن عاشور: "السور المفتحة بكلمة حم سبع سور مرتبة في المصحف على ترتيبها في النزول ويدعى مجموعها «آل حم» جعلوا لها اسم (آل) لتأخيها في فواتحها. فكانها أسرة واحدة وكلمة (آل) تضاف إلى ذي شرف (ويقال لغير المقصود تشريفه أهل فلان) قال الكميت:
قرأنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا فقيه ومعرب
يريد قول الله تعالى في سورة «حم عسق» قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى [الشورى: ٢٣] على تأويل غير ابن عباس فلذلك عززه بقوله: تأولها منا فقيه ومعرب". [التحرير والتنوير: ٧٦/٢٤].
والبيت هو ٢٩ من يائته في الهاشميات وهو في الكتاب ٢٨ / ٢ والطبري ٢٤ / ٢٤ والشنتمري ٣٠ / ٢ والقرطبي ٢٨٨ / ١.
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧-٢٦٩، وعزاه إلى محمد بن نصر وحמיד بن زنجويه.
(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٠١/٨. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

سورة «الزخرف»

سورة «الزخرف»: هي السورة «الثالثة والأربعون» بحسب الرّسم القرآني، نزلت بعد «سورة الشورى»^(١)، عدد آياتها ثمان وثمانون عند الشاميين، وتسع عند الباقيين. وكلماتها ثمانمائة وثلاث وثلاثون. وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة. الآيات المختلف فيها اثنتان: {حم (١)} [الزخرف : ١]، {مَهِينٌ} [الزخرف : ٥٢]. مجموع فواصل آياتها: «ملن»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الزخرف»

سميت في المصاحف العتيقة والحديثة «سورة الزخرف»، وبذلك ترجم لها الترمذي في كتاب التفسير من «جامعه»، وسميت كذلك في كتب التفسير.

قال ابن عاشور: "وكذلك وجدتها في جزء عتيق من مصحف كوفي الخط مما كتب في أواخر القرن الخامس"^(٣).

ووجه التسمية أن كلمة {وَزُخْرُقًا} [الزخرف : ٣٥]، وقعت فيها ولم تقع في غيرها من سور القرآن فعرفوها بهذه الكلمة.

قال المهامي: "سميت به لدلالة آيته على أن الدنيا في غاية الخسة في نفسها، وغاية العداوة مع ربها بحيث لا تليق بالأصالة إلا لأعدائه. وهذا من أعظم مقاصد القرآن"^(٤).

■ ثانياً:- اسمها الاجتهادي: «سورة حم الزخرف»

سميت هذه السورة بإضافة كلمة «حم» إلى «الزخرف» على نحو ما بيناه في تسمية سورة «حم المؤمن»، وروى الطبرسي عن الباقر أنه سماها كذلك^(٥).

وبذلك ترجم لها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»^(٦)، كما وردت هذه التسمية عند مقاتل^(٧)، والواحدي^(٨)، والزرکشي^(٩)، وغيرهم.

■ مكة السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس^(١٠).

الثاني: أنها مكة إلا قوله: {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مَنْ رُسُلْنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف : ٤٥]. نزلت في بيت المقدس، قاله ابن زيد^(١١)، ومقاتل^(١٢).

(١) انظر: تفسير المراعي: ٦٧/٢٥، والتفسير الوسيط للطنطاوي: ٥٥/١٣. وقال ابن عاشور: "نزلت بعد سورة فصلت".

انظر: التحرير والتنوير: ١٥٧/٢٥

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٤٢١.

(٣) التحرير والتنوير: ١٥٧/٢٥.

(٤) نقلا عن: محاسن التأويل للقاسمي: ٣٧٨/٨.

(٥) نقلا عن: التحرير والتنوير: ١٥٧/٢٥. ولم أجد في تفسيره.

(٦) انظر: صحيح البخاري: ١٣٠/٦.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩/٢، ١١٢، ١٦٨، ٢٨١، ٣٥٣/٣.

(٨) انظر: التفسير الوسيط: ٦٣/٤، و عنوان لها بهذه التسمية.

(٩) انظر: البرهان في علوم القرآن: ١٩٣/١.

(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٦٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦١٢/٢١، والدر المنثور: ٣٨٢/٧.

(١٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشف: ٢٣٥/٤، وابن الجوزي في زاد المسير: ٧٢/٤، القرطبي في التفسير: ٦١/١٦، ولم أجد في تفسير مقاتل.

قال الزجاج: " جاء في التفسير أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة أسري به جمع له الأنبياء في بيت المقدس فأمرهم وصلّى بهم، وقيل له: سلّمهم فلم يشكك عليه السلام ولم يسئل" (١).

قال ابن زيد: " جمعوا له ليلة أسري به ببيت المقدس، فأمرهم، وصلّى بهم، فقال الله له: سلّمهم، قال: فكان أشدّ إيماناً وبقينا بالله وبما جاء من الله أن يسألهم، وقرأ: ﴿إِن كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، قال: فلم يكن في شكّ، ولم يسأل الأنبياء، ولا الذين يقرءون الكتاب. قال: ونادى جبرائيل صلّى الله عليه وسلّم، فقلت في نفسي: "الآن يؤمنا أبونا إبراهيم"; قال: "فدفع جبرائيل في ظهري"، قال: تقدم يا محمد فصلّ، وقرأ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ... حتى بلغ: ﴿لِتُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾" (٢).

وقال ابن جريج: " بلغنا أنه ليلة أسري به أرى الأنبياء فأرى آدم فسلم عليه: وأرى مالكا خازن النار وأرى الكذاب الدجال" (٣).

وروي عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾، قال: "لقي الرسل صلى الله عليهم ليلة اسري به" (٤).

قال النحاس: "ومعناه: أنه سيسرى إذا بك وتلقى الرسل فاسألهم" (٥).

قال ابن عاشور: " هي مكية.. وأما ما روي ... أن آية: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف : ٤٥]، نزلت بالمسجد الأقصى، فإذا صح لم يكن منافيا لهذا، لأن المراد بالمكي ما أنزل قبل الهجرة" (٦).

قال الألوسي: "وفي الإتقان: نزلت بالسماء، وقيل: بالمدينة" (٧).

قال ابن قتيبة: السورة: "مكية كلها" (٨).

قال ابن الجوزي: " هي مكية بإجماعهم" (٩).

قال ابن عطية: " هذه السورة مكية بإجماع من أهل العلم" (١٠).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من آل حم من وجهين:

أحدهما: تشابه مطلع هذه السورة مع مطلع وخاتمة السورة المتقدمة في وصف القرآن الكريم، وبيان مصدره: وهو الوحي الإلهي.

الثاني: التشابه في إيراد الأدلة القاطعة على وجود الله عز وجل ووحدانيته، ووصف أحوال الآخرة ومخاوفها وأهوال النار التي يتعرض لها الكفار، ومقارنته بنعيم الجنة وإعداده للمؤمنين المتقين (١١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

(١) معاني القرآن: ٤١٣/٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢١.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٨١/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٤) رواه النحاس في معاني القرآن: ٣٦٥/٦، وانظر: الدر المنثور: ٣٨١/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) معاني القرآن: ٣٦٥/٦.

(٦) المحرر الوجيز: ١٥٧/٢٥.

(٧) روح المعاني: ٦٣/١٣.

(٨) غريب القرآن: ٣٩٥.

(٩) زاد المسير: ٧٢/٤.

(١٠) المحرر الوجيز: ٤٥/٥.

(١١) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١١٢/٢٥.

اشتملت السورة الكريمة على المقاصد الآتية:

- ١- أبانت السورة كون القرآن الكريم موصى به من عند الله - تعالى - وأنه نزل بلسان عربى مبين ليفهمه العرب وليندبروا آياته عساهم يعقلون ما اشتمل عليه من الأحكام ومكارم الأخلاق فيحملهم بذلك ويدفعهم إلى الإيمان به، وإيثار العرب بتحمل مسؤولية الرسالة المحمدية العالمية؛ لأن لهم أخلاقاً كريمة وصلابة في الدين، وشجاعة في الحق، وصدقاً في الوعد، وهمة في الوفاء.
- ٢- أن السورة جاءت بتهديد المشركين بإهلاكهم كما فعل بمن قبلهم، وذلك إذا استمروا على كفرهم وعنادهم {فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأُولَى} [الزخرف: ٨].
- ٣- وضحت هذه السورة الكريمة بعض الآيات الكونية التي تظهر قدرة الله وتفرد بالجلال وأنه - سبحانه - حقيق بالوحدانية، وذلك عن طريق لفت نظر المخاطبين إلى ما هو واضح وبيّن في ملكه من أرض مهدها وبسطها لهم إلى سماء أنزل منها ماء بمقدار معلوم فأحيا به الأرض بعد موتها وأنبت فيها الزرع والزيتون والنخيل ومن كل الثمرات، وأنه - سبحانه - سيخرج الناس ويبعثهم من قبورهم يوم القيامة، كما يحيى الأرض وينبت فيها النبات، وأنه - جل شأنه - خلق للناس جميع الأصناف التي تنفعهم في معاشهم، وسخر لهم السفن والأنعام ليركبوها ويستقروا على ظهورها {وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ} [الزخرف: ١٢].
- ٤- تناولت السورة ما كان عليه المجتمع الجاهلي من معتقدات قبيحة، كنسبه الولد إلى الله {وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا} [الزخرف: ١٥] كما نعت عليهم سفهمهم في دعواهم أن الله جعل لنفسه البنات وأثرهم واصطفاهم بالبنين، كما عابت عليهم أنهم جعلوا الملائكة إناثا وتوعدتهم {أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَخِطَبُ شَهَادَتِهِمْ وَيَسْأَلُونَ} [الزخرف: ١٩].
- ٥- أثبتت السورة وأكدت أن إبراهيم - عليه السلام - الذي كان المشركون يدعون أنهم في شركهم على دينه وطريقته - أثبتت - أنه برئ مما يعبدون {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ} [الزخرف: ٢٦].
- ٦- أبانت السورة أن المشركين يقيمون أمر اختيار الرسول - صلى الله عليه وسلم - على مقاييس فاسدة ومعايير خاطئة باطلة {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ} [الزخرف: ٣١] فرد الله عليهم مسفها رأيهم وموبخا لهم على سوء فهمهم {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ} [الزخرف: ٣٢].
- ٧- وضح الله لهؤلاء المشركين أن الاستعلاء في الأرض لا ينجي من عذاب الله، فقد أهلك الله فرعون ومن معه لتسلطهم وكفرهم واغترارهم بما لديهم من الدنيا وزخرفها {فَلَمَّا أَسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} [الزخرف: ٥٥].
- ٨- أنهى - سبحانه - هذه السورة الكريمة بعرض بعض مشاهد يوم القيامة، كالنعيم الذي يسعد به المؤمنون {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهيهِ النَّفْسُ وَتَلذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف: ٧١] كما أبانت ما يناله المجرمون من نكال وعذاب أليم {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف: ٧٤-٧٥] وفي آخر آياتها يسلى الله - تعالى - رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويأمره بالإعراض عن الكافرين، كما يهددهم ويتوعددهم {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: ٨٩] (١).

الناسخ والمنسوخ:

ذكر أهل العلم أن سورة الزخرف جميعها محكم غير آيتين:

(١) انظر: التفسير الوسيط مجمع البحوث: ٧٨١/٩-٧٨٢.

- أولاهما: قوله تعالى: {قَدَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} [الزخرف : ٨٣]. ذكر دعوى النسخ مجموعة من أهل العلم^(١).

قال ابن الجوزي: " زعم بعضهم: أنها منسوخة بآية السيف، وقد عرف مذهبنا في نظائرها وأنها واردة للوعيد والتهديد، فلا نسخ إذن"^(٢).

- الثانية: قوله تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الزخرف : ٨٩]. يروي الضحاك عن ابن عباس، قال: "نسخ هذا بآية السيف"^(٣).

قال قتادة: " نسختها براءة : {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٣٥]"^(٤). وفي رواية قال قتادة: " اصفح عنهم، ثم أمره بقتالهم"^(٥).

فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أفرنتي يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أفرنتي سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"^(٦).

(١) تجد أن هذه الآية معدودة في المنسوخة بلا دليل وحجة، في كتاب ابن حزم، في معرفة الناسخ والمنسوخ ص: ٣٦٥؛ والناسخ والمنسوخ لابن سلامة (٨١) والإيجاز في الناسخ والمنسوخ (٣١) لابن هلال ولكن الإمام الطبري والإمام ابن كثير لم يتعرضا لدعوى النسخ بل فسرا الآية بما يؤيد أحكامها كما أثبت إحكامها المؤلف في مختصر عمدة الراسخ ورقة (١٢). انظر: تفسير الطبري: ٦٥٢/٢١-٦٥٣؛ وتفسير ابن كثير: ٢٤١/٧-٢٤٢.

(٢) نواسخ القرآن: ٥٧٠/٢.

(٣) نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٧٠/٢.

(٤) رواه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٥٧١/٢.

وذكر هذا القول الطبري عن قتادة بطريقتين صحيحين إليه ونسبه النحاس إلى ابن عباس بسند ضعيف، وبإسناد آخر إلى قتادة، وأما مكي بن أبي طالب فقد عزا دعوى النسخ إليهما بدون إسناد، ولم يناقشوا قضية النسخ ولم يتعرضوا إليها.

انظر: تفسير الطبري: ٦٥٧/٢١، الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢١٨)؛ والإيضاح (٣٥٤)؛ وزاد المسير ٧ / ٣٣٥؛ وتفسير ابن كثير ٤ / ١٣٧؛ والنسخ في القرآن الكريم ٢ / ٥٣٨ - ٥٣٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢١.

(٦) "مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاتية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحَ وَيُسَبِّحُ وَسَبَّحَ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني السبع مكان التوراة وأعطاني الرأت إلى الطواسين مكان الإنجيل وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي»^(١).
- عن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- مرفوعاً: "الحواميم روضة من رياض الجنة"^(٢).
- عن الخليل بن مرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني"^(٣).
- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن الحواميم"^(٤).
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "الحواميم ديباج القرآن"^(٥). ورواه أنس بن مالك مرفوعاً^(٦).
- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»^(٧).
- عن أبي الدرداء -رضي الله عنه-: "أنه بنى مسجداً فقيل له: ما هذا؟ فقال: لآل حم"^(٨).
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب. فقيل له: إن مثل الغيث الأول كمثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل: «آل حم»^(٩) في القرآن"^(١٠).
- عن أبي بن كعب. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة: يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب»^(١١).

- (١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
- (٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى الديلمي وابن مردويه.
- (٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان.
- (٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد في فضائله.
- (٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان.
- (٦) انظر: الدر المنثور: ٢٦٩/٧.
- (٧) مسند ابن أبي شيبه (٣٠٢٨٤): ص ١٥٣/٦، وسنن الدارمي (٣٤٦٥): ص ٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان (٢٢٥٣): ص ١٠٦/٤. إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقف عليه.
- (٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر والحاكم.
- (٩) قال ابن عاشور: "السور المفتحة بكلمة حم سبع سور مرتبة في المصحف على ترتيبها في النزول ويدعى مجموعها «آل حم» جعلوا لها اسم (آل) لتأخيها في فواتحها. فكانها أسرة واحدة وكلمة (آل) تضاف إلى ذي شرف (ويقال لغير المقصود تشريفه أهل فلان) قال الكميت:
- قرأنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا فقيه ومعرب
- يريد قول الله تعالى في سورة «حم عسق» قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى [الشورى: ٢٣] على تأويل غير ابن عباس فلذلك عززه بقوله: تأولها منا فقيه ومعرب". [التحرير والتنوير: ٧٦/٢٤].
- والبيت هو ٢٩ من يائته في الهاشميات وهو في الكتاب ٢٨ / ٢ والطبري ٢٤ / ٢٤ والشنتمري ٣٠ / ٢ والقرطبي ٢٨٨ / ١.
- (١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧-٢٦٩، وعزاه إلى محمد بن نصر وحميد بن زنجويه.
- (١١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٢٧/٨. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

سورة «الدخان»

سورة «الدخان»: هي «السورة الرابعة والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الرابعة والستون» بحسب ترتيب النزول، وهي السورة «الخامسة» من «الحواميم» السبع. نزلت بعد سورة «الزخرف»، وقبل سورة «الجاثية» في مكانها هذا^(١).
آياتها تسع وخمسون في عد الكوفة، وسبع في عد البصرة، وست للباقيين. كلماتها ثلاثمائة وست وأربعون. وحروفها ألف وأربعمائة وأحد وثلاثون. المختلف فيها من الآي أربع: {حم (١)} [الدخان : ١]، {إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ} [الدخان : ٣٤] ، {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ} [الدخان : ٤٣] ، {فِي الْبُطُونِ} [الدخان : ٤٥]. فواصل آياتها كلها: «من»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أسماؤها التوقيفية:

■ الاسم الأول: «سورة الدخان»:

سميت في المصاحف وفي كتب السنة «سورة الدخان»، ووجه تسميتها بذلك، وقوع لفظ «الدخان» في قوله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} [الدخان : ١٠]، وهي آية من آيات الله أيد بها رسوله صلى الله عليه وسلم، وجعلها آية لتخويف الكفار بسبب تكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أصيبوا بالفحط والمجاعة التي تجعل الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان المنتشر في الفضاء، ولذلك سميت به اهتماما بشأنه، وقد وردت لفظة: «الدخان» بمعنى آخر في سورة فصلت، قال تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت : ١١]^(٣).

روي عن مسروق، قال: "دخلت على عبد الله ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قريشا كذبوه واستعصوا عليه، فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأصابتهم سنة حصت، يعني كل شيء، حتى كانوا يأكلون الميتة، فكان يقوم أحدهم فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجهد والجوع، ثم قرأ: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان : ١١]، حتى بلغ: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان : ١٥]، قال: عبد الله أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة؟ قال: والبطشة الكبرى يوم بدر"^(٤).

قال المهامي: "سميت به لدلالة آيته على أنه جزاء غشيان أدخنة النفوس الخبيثة، بصائر قلوب أهلها وأرواحهم. ولذلك رأوا الدلائل شبهات الشياطين، وجعلوا المميز بينهما مجنونا، وإن القرآن كاشف عنه، ككشف الدخان المحسوس عنهم"^(٥).

■ الاسم الثاني: «سورة حم الدخان»:

تسمى «حم الدخان»، وبذلك رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٦)، وعن الصحابة - رضوان الله عليهم-^(٧).

ويرى ابن عاشور ان اللفظين بمنزلة اسم واحد، لأن كلمة «حم» غير خاصة بهذه السورة، فلا تعد علما لها، واستدل بأن السيوطي^(٨) لم يعدها من عداد الاسماء ذوات الأكثر من اسم^(٩).

(١) انظر: الكشاف: ٢٦٩/٤، والتحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٥.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٤٢٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٥.

(٤) صحيح البخاري (٤٨٢٣): ص ١٣٢/٦.

(٥) تفسير المهامي "تبصير الرحمن وتيسير المنان": ٢٣٦/٣.

(٦) سوف تأتي الروايات في فضائل السورة إن شاء الله.

(٧) قال ابن عباس: "نزلت بمكة سورة حم الدخان". ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) انظر: الإتيان: ١٧٤/١.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:
أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس^(٢)، وعبد الله بن الزبير^(٣).
الثاني: أنها مكية إلا قوله: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان : ١٥]. ذكره الزمخشري ولم يعزه إلى قائل^(٤).

قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(٥).
قال الفيروزآبادي: "السورة مكية إجماعاً"^(٦).
قال ابن عطية: "هذه السورة مكية لا أحفظ خلافاً في شيء منها"^(٧).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

من وجه اتصال «سورة الدخان» لما قبلها:

- ١- إنه تعالى ختم ما قبلها بالوعيد والتهديد، وافتتح هذه بالإندار الشديد.
- ٢- إنه تعالى حكى فيما قبلها قول رسوله صلى الله عليه وسلم: {يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ} [الزخرف : ٨٨] ، وحكى هنا عن أخيه موسى: {فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ} [الدخان : ٢٢].
- ٣- إنه قال فيما سلف {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ} [الزخرف : ٨٩] ، وحكى هنا عن موسى: {وَأَنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَزَلُونِ (٢١)} [الدخان : ٢٠ - ٢١] ، وهو قريب من ذلك^(٨).

■ أغراض السورة ومقاصدها

يمكن تفصيل مقاصد هذه السورة وفق التالي:

- ١- تبدأ السورة بالحديث عن القرآن وتنزيله في ليلة مباركة، فيها يفرق كل أمر حكيم، رحمة من الله بالعباد، وإنذاراً لهم وتحذيراً. وقد جاء هذا الحديث مقروناً ببيان بعض صفات الله الجليلة وأسمائه الحسنى، التي هي من أمهات القاعدة الإيمانية.
- ٢- تعريف للناس بربهم، رب السماوات والأرض وما بينهما، وإثبات لوحديته، وهو المحيي المميت رب الأولين والآخرين.
- ٣- بيان فضل الليلة التي أنزل فيها القرآن، أي ابتدئ إنزاله، وهي ليلة القدر. وذكر جملة من دلائل الوحداية، وتأيد الله من آمنوا بالرسول.
- ٤- الحديث عن القرآن وموقف الكافرين منه إبان التنزيل، وإصرارهم على الشك في القرآن، وتلهيهم لاعبين بأمر دنياهم، وتحذيرهم من عقوبات تلجنهم إلى الوعد بالإيمان، إذا كشف الله عنهم العذاب، لكنهم لا يَفُونَ بوعدهم، بل ينقضونه، ويتمادون في غيهم، وأخيراً ينذرهم الله بأن يببطش بهم بطشة كبرى منتقماً منهم.

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٥/٢٧٥.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٩٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٩٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) انظر: الكشاف: ٤/٢٦٩.

(٥) زاد المسير: ٤/٨٧.

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/٤٢٤.

(٧) المحرر الوجيز: ٥/٦٨.

(٨) انظر: تفسير المراغي: ٢٥/١١٨.

- ٥- بيان أن المعرضين عن تدبر القرآن ألهاهم الاستهزاء واللمز عن التدبر، فحق عليهم دعاء الرسول بعذاب الجوع؛ إيقاظاً لبصائرهم بالأدلة الحسية حين لم تتجع فيهم الدلائل العقلية؛ ليعلموا أن إجابة الله دعاء رسوله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه أرسله ليلبغ عنه مراده.
- ٦- ضَرْبُ المثل بأمم قد خلت، عصوا رسل الله إليهم، فحلَّ بهم من العقاب ما من شأنه أن يكون عظة لمن بعدهم؛ تفصيلاً بقوم فرعون مع موسى ومؤمني قومه، ودون التفصيل بقوم نُبُع، وإجمالاً وتعميماً بالذين من قبل هؤلاء .
- ٧- بيان موجز عن بني إسرائيل بعد أن أنجاهم الله من العذاب المهين، الذي كانوا يعانونه في مصر مستعبدين .
- ٨- بيان موقف مشركي مكة إبان التنزيل من إنكار الآخرة والبعث، ومجادلتهم بالإقناع وبالإنذار بيوم الدين.
- ٩- تضمنت السورة حديثاً عن شجرة الزقوم في الجحيم، التي يكون منها طعام الأثيم، وعرض مشهدين من مشاهد يوم القيامة:
- الأول: يتضمن بيان صنف من أصناف عذاب الكافرين المجرمين في الجحيم .
- الثاني: يتضمن بيان بعض نعيم المتقين في جنات النعيم في مقابل بيان بعض عذاب الكافرين الجاحدين.
- ١٠- خطاب من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بشأن القرآن الكريم، وتيسيره بلسانه العربي المبين، وإلماح ببشارته بأنه منصور بنصر الله له، وبأن المشركين المعاندين مخذولون، وبأن الله سينتقم منهم يوم الدين {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)} [الشعراء : ٨٨ - ٨٩] (١).
- وقد لخص سيد قطب -رحمه الله- مقاصد هذه السورة بقوله: "إنها سورة تهجم على القلب البشري من مطلعها إلى ختامها، في إيقاع سريع متواصل؛ تهجم عليه بإيقاعها، كما تهجم عليه بصورها وظلالها المتنوعة المتحدة في سمة العنف والتتابع، وتطوف به في عوالم شتى بين السماء والأرض، والدنيا والآخرة، والجحيم والجنة، والماضي والحاضر، والغيب والشهادة، والموت والحياة، وسنن الخلق ونواميس الوجود... فهي -على قصرها نسبياً- رحلة ضخمة في عالم الغيب وعالم الشهود" (٢).
- قال الفيروز آبادي: "معظم مقصود السورة: نزول القرآن في ليلة القدر، وآيات التوحيد، والشكاية من الكفار، وحديث موسى وبني إسرائيل وفرعون، والرد على منكري البعث، وذل الكفار في العقوبة، وعز المؤمنين في الجنة، والمنة على الرسول بتيسير القرآن على لسانه في قوله: {فَأَيُّهَا يَسِّرْنَا لَهُ لِبَاسَاتِكَ} [الدخان : ٥٨]" (٣).
- **الناسخ والمنسوخ:**
 - فيها آية منسوخة: {فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ} [الدخان : ٥٩]، منسوخة بآية السيف (٤).
 - **فضائل السورة:**
- ومما وردت في فضائل هذه السورة:
- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك (٥).

(١) انظر: اسلام ويب.[موقع إلكتروني]

(٢) في ظلال القرآن: ٢٧٥٩/٥.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٥) أخرجه الترمذي في "السنن" (٢٨٨٨):ص١٣/٥، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٢٤٧٥).

قال الترمذي: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث".

- وعن الحسن، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له"^(١).
- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ ليلة الجمعة {حم} الدخان و {يس} أصبح مغفورا له"^(٢).
- عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ {حم} الدخان في ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتا في الجنة"^(٣).
- عن أبي رافع قال: من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوج من الحور العين"^(٤).
- عن عبد الله بن عيسى قال: "أخبرت أنه من قرأ {حم} الدخان ليلة الجمعة إيمانا وتصديقا بها أصبح مغفورا له"^(٥).
- عن الأسود بن يزيد وعنيسة: "أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال: قرأت المفصل في ركعة فقال عبد الله: بل هذت كهذ الشعر وكنثر الدقل ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ النظائر في ركعة فذكر عشر ركعات بعشرين سورة عن تأليف عبد الله آخرهن إذا الشمس كورت والدخان"^(٦).
- عن ابن مسعود قال: "لقد علمت النظائر التي كان يصلي بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذاريات والطور والنجم واقتربت والرحمن والواقعة ونون والحاقة والمزمل ولا أقسم بيوم القيامة وهل أتى على الإنسان والمرسلات وعم يتساءلون والنازعات وعيس وويل للمطففين وإذا الشمس كورت والدخان"^(٧).
- عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في المغرب {حم} التي يذكر فيها الدخان"^(٨).
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرنتي يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرنتي سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض

وانظر: الموضوعات (١ / ١٨٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٦٦): "موضوع".

(١) أخرجه الترمذي في "السنن" رقم (٢٨٨٩): ١٣/٥، وقال: "هذا حديث، لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهشام أبو المقدم يضعف، ولم يسمع الحسن من أبي هريرة، هكذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد".

قال ابن حجر في "التقريب" (٢ / ٣١٨ رقم ٧٩): "هشام بن زياد بن أبي يزيد، وهو هشام بن أبي هشام وأبو المقدم، ويقال له أيضا: هشام بن أبي الوليد المدني، متروك من السادسة".

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حاء، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاتية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحَ وَسَبَّحَ وَسَبَّحَ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن الضريس والبيهقي.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى الدارمي ومحمد بن نصر.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى الدارمي.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى الطبراني.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى الطبراني.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى ابن أبي عمر في مسنده.

حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويحل» مرتين^(١).
- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»^(٢).

(١) "مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصديقي، وصححه الحاكم والذهبي.
وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاتية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحُ وَيُسَبَّحُ وَسَبَّحُ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٢) مسند ابن أبي شيبة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، وسنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤.
وللاستزادة في فضائل «الحواميم» راجع فضائل السورة «غافر».
إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

سورة «الجاثية»

هي السورة «الخامسة والأربعون» بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة «الخامسة والستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة الدخان» وقبل «الأحقاف»، على ما هو معروف من نزول سور الحواميم -التي هي لباب القرآن، وعرائس آيات- جملة مرتبة متتابعة، وترتيبها بينها السادس^(١). وعدد آياتها سبع وثلاثون في الكوفة، وست في الباقين، وكلماتها أربعمائة وثمانون. وحروفها ألفان ومائة وتسعون. مجموع فواصل آياتها: «من»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولاً: أسمها التوقيفي: «سورة الجاثية»:

سميت هذه السورة في كثير من المصاحف وكتب التفسير: «سورة الجاثية»؛ لقوله: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَآئِيَةً} [الجاثية: ٢٨].

وغلب هذا الاسم على هذه السورة؛ إذ الأصل أن تسمى السورة باسم أمر ذي بال مذكور فيها؛ لما جاء فيها من الأهوال التي يلقاها الناس يوم الحساب، حيث تجثو الخلائق على الركب في انتظار الحساب، ويغشاهم من الفزع ما لا يخطر على بال.

قال القاسمي: "سميت بها لتضمن أيها بيان سبب تأخير البعث إلى يوم القيامة، لأجل اجتماع الأمم محاكمة إلى الله تعالى، وفصله بينهم يوم القيامة، وهي من المطالب الشريفة في القرآن"^(٣).

قال ابن عاشور: "واقتران لفظ «الجاثية» بـ«لام التعريف» في اسم السورة مع أن اللفظ المذكور فيها خُلِّيَ عن لام التعريف؛ لقصد تحسين الإضافة، والتقدير: سورة هذه الكلمة، أي: السورة التي تُذكر فيها هذه الكلمة، وليس لهذا التعريف فائدة غير هذه"^(٤).

■ ثانياً: أسماؤها الإجتهدية:

■ الاسم الأول: «سورة حم الجاثية»:

تسمى «حم الجاثية»، كما جاءت في كلام الصحابة -رضوان الله عليهم-^(٥).

■ الاسم الثاني: «سورة الشريعة»:

وتسمى «سورة الشريعة» -كما وردت عند السلف^(٦)-، لوقوع لفظ «شريعة» فيها، وذلك في قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ} [الجاثية: ١٨]، ولم يقع في موضع آخر من القرآن.

قال القاسمي: سميت بذلك "لتضمن أيها وجه نسخ هذه الشريعة، سائر الشرائع، وفضلها عليها. وهو أيضا من المطالب العزيزة فيه"^(٧).

■ الاسم الثالث: «سورة الدهر»:

وتسمى «سورة الدهر»، لوقوع لفظ «الدهر» فيها، وذلك في قوله تعالى: {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: ٢٤]، ولم يقع هذا اللفظ في ذوات «حم»^(٨) الأخر^(٩).

(١) انظر: الكشاف: ٢٨٤/٤، والتحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٥.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٢٦ / ١.

(٣) انظر: محاسن التأويل: ٤٢٥/٨.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٢٣/٢٥.

(٥) قال ابن عباس: "انزلت بمكة سورة «حم الجاثية»". ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦) قال ابن الزبير: "انزلت «سورة الشريعة»، بمكة". ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) محاسن التأويل: ٤٢٥/٨.

(٨) وقد وقع هذا اللفظ في سورة «الإنسان»، قال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا} [الإنسان: ١].

(٩) انظر: هذه التسمية في العجائب للكرماني: ١٠٨٣/٢، والإتقان: ١٧٤/١.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس^(١)، وعبد الله بن الزبير^(٢)، والحسن^(٣)، وجابر^(٤)، وعكرمة^(٥)، ومجاهد^(٦)، وقتادة^(٧).

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الجاثية: ١٤]. نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس^(٨)، وقتادة^(٩).

وروي عن ابن عباس، {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الجاثية: ١٤]: "نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فأراد أن يبطش به فأنزل الله تعالى {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الجاثية: ١٤]، يعني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.."^(١٠).

قال ابن أبي زمنين: "هي مكية كلها"^(١١).

قال ابن عطية: "هذه السورة مكية لا خلاف في ذلك"^(١٢).

قال الفيروز آبادي: "السورة مكية بالإجماع"^(١٣).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها: أن أول هذه مشاكل لآخر سابقتها في الأغراض والمقاصد^(١٤).

■ أغراض السورة ومقاصدها

إن هذه السورة تصور جانباً من استقبال المشركين للدعوة الإسلامية، وطريقتهم في مواجهة حججها وآياتها، وتعنتهم في مواجهة حقائقها وقضاياها، واتباعهم للهوى اتباعاً كاملاً في غير ما تخرج من حق واضح، أو برهان قاطع. كذلك تصور كيف كان القرآن يعالج قلوبهم الجامحة الشاردة مع الهوى، المغلقة دون الهدى، وهو يواجهها بآيات الله القاطعة العميقة التأثير والدلالة، ويذكرهم عذابه، ويصور لهم ثوابه، ويقرر لهم سننه، ويعرفهم بنواميسه الماضية في هذا الوجود.

كما تناولت السورة العقيدة الإسلامية، وأفاضت في الحديث عنها، والتوسع في تحقيقها؛ فتكلمت عن الإيمان، والوحدانية، والرسالة المحمدية، والقرآن، والبعث، والجزاء.

قال الطنطاوي: "المتدبر في هذه السورة الكريمة، يراها تدعو الناس إلى التفكير فيما اشتمل عليه هذا الكون من آيات دالة على وحدانية الله -تعالى- وكمال قدرته، كما أنه يراها تحكى بشيء من التفصيل أقوال المشركين وترد عليها، وتبين سوء عاقبتهم كما يراها تسوق ألواناً من نعم الله على خلقه، وتدعو

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.

(٤) حكاه القرطبي في التفسير: ١٥٧/١٦. بدون سند.

(٥) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.

(٦) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤. بدون سند.

(٧) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤. بدون سند.

(٨) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.

(٩) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.

(١٠) معاني القرآن: ٦٦١-٦٦٢.

(١١) تفسير ابن أبي زمنين: ٢٠٩/٤.

(١٢) المحرر الوجيز: ٧٩/٥.

(١٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٦/١.

(١٤) انظر: تفسير المراغي: ١٤٠/٢٥.

المؤمنين إلى التمسك بكتاب ربهم، وتبشرهم بأنهم متى فعلوا ذلك ظفروا برضوان الله تعالى وثوابه، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته، ذلك هو الفوز المبين، كما يراها تهتم بتفصيل الحديث عن أهوال يوم القيامة، لكي يفىء الناس إلى رشدهم، ويستعدوا لاستقبال هذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح"^(١).

هذا ما تضمنته السورة من مقاصد من حيث الجملة، أما حيث التفصيل، فقد تضمنت السورة المقاصد التالية:

- ١- ابتدأت السورة التحدي بإعجاز القرآن، وأن القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم، فهو كتاب عظيم معجز، جاء بالحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
- ٢- إقامة الأدلة على ربوبيته سبحانه وعظم سلطانه، وإثبات انفراده تعالى بالإلهية بدلائل ما في السماوات والأرض من آثار خلقه وقدرته وما فيها من نعم، يحق على الناس شكرها لا كفرها.
- ٣- تعليم للرسول صلى الله عليه وسلم أن يرشد المؤمنين إلى أن يغفروا للذين لا يؤمنون بالجزاء الرباني إيداءاتهم؛ فضائل أخلاق المؤمن، ومنها المغفرة جزء من الدعوة المجدية المؤثرة في جذب الكافرين إلى الإيمان والإسلام، وأن يبين لهم ثواب الله العظيم، الذي أعده للدعاة الصابرين، الذين يغفرون ولا يحقدون، ويتجاوزون عن إساءات من أساء إليهم ولا يثأرون.
- ٤- بيان أن الله عز وجل أتى بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة، وأنعم عليهم نعماً كثيرة؛ ليحملوا رسالة الله للناس، لكنهم لم يكونوا صالحين لحمل الرسالة الربانية، فاصطفى سبحانه رسوله محمداً، وجعل أمته هي الأمة المختارة لحمل خاتمة رسالات الله للعالمين. وفي هذا تحذير ضمنى للأمة المحمدية أن تفعل مثلما فعل بنو إسرائيل من قبل.
- ٥- وعيد الذين كذبوا على الله والتزموا الآثام بالإصرار على الكفر والإعراض عن النظر في آيات القرآن والاستهزاء بها.
- ٦- التنديد على المشركين جراء اتخاذهم آلهة وفق أهوائهم، وجحودهم البعث، وتهديدهم بالخسران يوم البعث، ووصف أهوال ذلك، وما أعد فيه من العذاب للمشركين ومن رحمة للمؤمنين.
- ٧- تضمنت السورة تحذيراً شديداً من اتباع الهوى والضلال على علم؛ إذ إن هذا الاتباع يختم على السمع والقلب، ويغشي النظر؛ فلا يكون لصاحبه هداية، ويندفع في ضلاله وطغيانه، فينكر البعث والجزاء.
- ٨- وصفت السورة الذين يُعرضون عن آيات الله بالاستكبار والإعراض عن الاعتاظ والاعتبار؛ خلوداً إلى الدنيا، وغروراً بها، وكفراً بالله الذي خلقهم، وأحياهم، ثم يميتهم، ويجمعهم إلى يوم القيامة لا ريب فيه.
- ٩- وصف بعض أحوال يوم الجزاء؛ حيث تُدعى كل أمة إلى كتابها؛ لتلقى جزاءها؛ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الجاثية : ٣٠]، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الجاثية : ٣١]، فالיום جزاؤهم جهنم، لا يخرجون منها، ولا هم يستعتبون.
- ١٠- تشبيه الذين أهملوا النظر في آيات الله مع تبيانها، وخالفوا على رسولهم صلى الله عليه وسلم فيما فيه صلاحهم بحال بني إسرائيل في اختلافهم في كتابهم، بعد أن جاءهم العلم، وبعد أن اتبعوه، فما الظن بمن خالف آيات الله من أول وهلة؟ تحذيراً للعباد من أن يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل من تسليط الأمم عليهم، وذلك تحذير بليغ.

(١) التفسير الوسيط: ١٣٩/١٣.

١١- تثبیت الرسول صلى الله عليه وسلم بأن شأن شرعه مع قومه كشأن شريعة موسى، لا تسلم من مخالف، وأن ذلك لا يقدح فيها، ولا في الذي جاء بها، وأن لا يعبأ بالمعاندين ولا بكثرتهم؛ إذ لا وزن لهم عند الله.

١٢- تنتهي آيات السورة بإثبات الحمد والكبرياء لله رب السماوات والأرض العزيز الحكيم^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

المنسوخ فيها آية واحدة: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الجاثية : ١٤]، نسختها آية السيف: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة: ٥]. قاله قتادة^(٢).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب»^(٣).
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين^(٤).
- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»^(٥).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٢) رواه عنه النحاس في الناسخ والمنسوخ: ٦٦١-٦٦٢.

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥٨/٨، والواحي في التفسير الوسيط (٨٣١): ص ٩٤/٤. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

قال الترمذي: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث".

وانظر: الموضوعات (١/ ١٨٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٦٦): "موضوع".

(٤) "مسند أحمد" (٦٥٧٥)، وسنن أبي داود (١٣٩٩): ص ٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤)، وصحيح ابن حبان (٧٧٣): ٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصديقي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حاء، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحُ وَيُسَبِّحُ وَسَبَّحُ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٥) مسند ابن أبي شيبة (٣٠٢٨٤): ص ١٥٣/٦، وسنن الدارمي (٣٤٦٥): ص ٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان (٢٢٥٣): ص ١٠٦/٤. وللاستزادة في فضائل «الحواميم» راجع فضائل السورة «غافر».

إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

سورة «الأحقاف»

سورة «الأحقاف» هي السورة «السادسة والأربعون» بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة «الخامسة والستون» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة الجاثية»، وقبل «سورة الذاريات»، وهي السورة السابعة من الحواميم السبع^(١). وعدد آياتها خمس وثلاثون في الكوفيين، وأربع في الباقين، وكلماتها ثلاثمائة وأربع وأربعون. وحروفها ألفان وخمسمائة وخمس وتسعون، المختلف فيها آية واحدة: {حم (١)} [الأحقاف : ١]. فواصل آياتها «من»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولاً: أسمها التوقيفي: «سورة الأحقاف»:

سميت هذه السورة «سورة الأحقاف» في جميع المصاحف وكتب السنة، ووردت تسميتها بهذا الاسم في كلام عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه^(٣)، وعبد الله بن عباس-رضي الله عنهما^(٤). عن ابن مسعود قال: «أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الأحقاف، وأقرأها رجلاً آخر، فخالفتني في آية، فقلت له: من أقرأكها؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته وهو في نفر، فقلت: يا رسول الله، ألم تقرئني آية كذا وكذا؟ فقال: " بلى "، قال: قلت: فإن هذا يزعم أنك أقرأتها إياه كذا وكذا؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الرجل الذي عنده: ليقراً كل رجل منكم كما سمع، فإنما هلك من كان قبلكم بالاختلاف قال: " فوالله ما أدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك أم هو قاله؟ »^(٥).

وجه تسميتها «الأحقاف» ورود لفظ: «الأحقاف» فيها ولم يرد في غيرها من سور القرآن، قال تعالى: {وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأحقاف : ٢١].

■ ثانياً: اسمها الإجتهادي: «سورة حم الأحقاف»:

تسمى «حم الأحقاف»، كما جاءت في كلام الصحابة -رضوان الله عليهم-^(٦)، وقد وردت هذه التسمية عند الحسن^(٧)، وعكرمة^(٨)، وابن وهب^(٩)، وبذلك عنون لها الواحدي^(١٠)، والنيسابوري^(١١) في تفسيرهما.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، أقوال:

- (١) انظر: التحرير والتنوير: ٦/٢٦.
- (٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٤٢٨.
- (٣) انظر: مسند احمد(٣٩٩٢)ص١٠٠/٧. [إسناده حسن]
- (٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.
- (٥) مسند احمد(٣٩٩٢)ص١٠٠/٧. [إسناده حسن]
- (٦) قال ابن عباس: " نزلت بمكة سورة {حم} الأحقاف " . ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه، وقال: " وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله " .
- (٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٢.
- (٨) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٢.
- (٩) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب: ٨٠/٣.
- (١٠) انظر: التفسير الوسيط: ١٠٢/٤.
- (١١) انظر: غرائب القرآن ورجائب الفرقان: ٣٦٨/٦.

أحدها: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس^(١)، وعبد الله بن الزبير^(٢)، والحسن^(٣)، وعكرمة^(٤)، ومجاهد^(٥)، وقتادة^(٦). وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور^(٧).

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ} [الأحقاف: ١٠] ^(٨). نزلت بالمدينة. وهذا القول منسوب الى ابن عباس^(٩)، وقتادة^(١٠).

الثالث: أنها مكية إلا آيتين: قوله {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ} [الأحقاف: ١٠]، وقوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥]. قاله مقاتل^(١١).

قال ابن عطية: "هذه السورة مكية لم يختلف منها إلا في آيتين، وهي قوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ} وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم} [الأحقاف: ١٠]، وقوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥] الآية، فقال بعض المفسرين: هاتان آيتان مدنيتان وضعتا في سورة مكية"^(١٢).

الرابع: انها مكية إلا قوله: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} [الأحقاف: ١٥]، الآيات الأربع وقوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥]. ذكره السيوطي، وقال: "حكاه في جمال القراء"^(١٣).

قلت: وهذا خطأ في النقل، فإن السخاوي لم ينص على استثناء قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ} .. الآيات وتابع السيوطي في ذلك الألويسي^(١٤)، فنسب هذا الاستثناء إلى «جمال القراء» فليتأمل. قال القرطبي: "سورة الأحقاف مكية في قول جميعهم"^(١٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها- أنه تعالى ختم السورة السالفة بالتوحيد، ودم أهل الشرك وتوعدهم عليه، وافتتح هذه بالتوحيد وتوبيخ المشركين على شركهم أيضا^(١).

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٤) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٥) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٦) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٧) انظر: زاد المسير: ١٠٢/٤.

(٨) قال في الاتقان: ٦٥/١: "أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي أنها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبد الله بن سلام، وله طرق أخرى لكن أخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال أنزلت هذه الآية بمكة إنما كان إسلام ابن سلام بالمدينة وإنما كانت خصومة خاصم بها محمدا صلى الله عليه وسلم. وأخرج عن الشعبي قال ليس بعبد الله بن سلام وهذه الآية مكية".

والظاهر- والله أعلم- أن الآية مدنية نزلت في عبد الله بن سلام عند ما أسلم بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، وعلى هذا أكثر العلماء، وفي مقدمتهم الإمام الطبري حيث قال:- بعد كلام- غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام. وعليه أكثر أهل التأويل وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به". [تفسير الطبري: ١٢/٢٦].

(٩) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(١٠) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(١١) حكاه عنه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. ولم اقف عليه في تفسير مقاتل.

(١٢) المحرر الوجيز: ٩١/٥.

(١٣) انظر: الاتقان: ٦٥/١.

(١٤) في تفسيره ٤/١٦.

(١٥) تفسير القرطبي: ١٧٨/١٦.

■ أغراض السورة ومقاصدها

إن هذه السورة المكية تعالج قضية العقيدة...قضية الإيمان بوحداية الله وربوبيته المطلقة لهذا الوجود ومن فيه وما فيه، والإيمان بالوحي والرسالة، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول سبقته الرسل، أوحى إليه بالقرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب. والإيمان بالبعث وما وراءه من حساب وجزاء على ما كان في الحياة الدنيا من عمل وكسب ومن إحسان وإساءة.

تلك هي مقاصد السورة من حيث الجملة، أما من حيث التفصيل، فقد تضمنت السورة المقاصد التالية:

- ١- أنها -كشأن السور المكية- تدعو إلى العقيدة الصحيحة من توحيد الله تعالى إلى تصديق رسالة الرسل عليهم السلام إلى الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب.
- ٢- أنها تؤكد صحة رسالة رسولنا صلى الله عليه وسلم، وصدق ما جاء به عن ربه سبحانه.
- ٣- بيان أن استمرار نظام الحياة الدنيا للسموات والأرض محدد بأجل مسمى، وأن الله خلق السموات والأرض بالحق.
- ٤- بيان أن الذين كفروا معرضون غير عابئين بما أنذروا به من إنذارات.
- ٥- بيان الموقف الاستكباري، الذي وقفه أئمة الكفر والشرك في مكة إبان التنزيل من ضعفاء المؤمنين.
- ٦- أوضحت السورة ضلال الكفار وبهتانهم وخطأهم في عبادة الأوثان والأصنام، التي لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، ولا تغني من الحق شيئاً.
- ٧- ردت على المشركين مزاعمهم، وسفهتهم في زعمهم أن القرآن سحر مبين، قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ} [الأحقاف : ١٠]

٨- أنها جاءت بمثاليين:

- أحدهما: للولد الصالح البار بوالديه، وقد بلغ كمال عقله ورشده، قال سبحانه: {رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} [الأحقاف : ١٥].
- وثاني المثاليين: جاءت به للولد الفاجر العاق لوالديه، الذي يقابل نصحهما له وحرصهما عليه بالسخرية والاستهزاء، وذلك عندما يدعوانه إلى الإيمان بالله، فيقول { :أَفْ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ} [الأحقاف : ١٧] إلى أن يقول: {مَا هَذَا إِلَّا أسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [الأحقاف : ١٧].
- ٩- تضمنت السورة إنذاراً للمصريين على كفرهم من مشركي مكة، بأنهم إذا تماروا في غيهم، أهلكتهم الله كما أهلكت كفار أهل القرى من حولهم، فما نصرتهم آلهتهم التي كانوا اتخذوها من دون الله.
 - ١٠- تضمنت السورة بياناً إقناعياً موجهاً من الله سبحانه لمنكري البعث، مصحوباً بإنذار بعذاب النار يوم الدين.

- ١١- عرضت السورة لأولئك النفوس من الجن الذين صرفهم الله ووجههم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسماع القرآن الكريم، فأنصتوا إليه عند سماعه، ثم ذهبوا إلى قومهم منذرين ومخوفين لهم من أن يخافوه؛ لأن القرآن مصدق لما جاء به موسى عليه السلام؛ ولأنه يهدي إلى الحق الثابت والصراط المستقيم، وأمريين لهم باتباع ما جاء فيه ليغفر الله لهم ذنوبهم وينجيهم من عذاب أليم، وذلك تنبيه وتوبيخ للمشركين، حيث آمن به الجن، وكفر به المشركون وعاندوا.
- ١٢- بينت السورة أن الله الذي خلق السموات والأرض، ولم يصبه إعياء، أو ضعف، أو تعب، هو سبحانه وحده القادر على إحيائهم بعد موتهم، وحسابهم على ما اقترفوا من كفر ومعاص في الدنيا، وهذا تهديد لهم.

- ١٣- عرضت السورة صورة من مصرع قوم هود وفي مصارع القرى حول مكة. وتجعل من السماوات والأرض كتاباً ينطق بالحق كما ينطق هذا القرآن بالحق على السواء.
- ١٤- الثناء على الذين آمنوا بالقرآن، وذكر بعض خصالهم الحميدة، وما يضادها من خصال أهل الكفر، وحسداهم الذي بعثهم على تكذيبه.
- ١٥- بيان أن الله أخذ أهل الضلال بكفرهم، وأهلك أمماً أخرى، فجعلهم عظة للمكذبين، وأن جميعهم لم تغن عنهم أربابهم المكذوبة، التي كانوا يدعون من دون الله من شيء.
- ١٦- خُتمت السورة بتثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمر من الله لرسوله أن يصبر على تكذيب قومه، وإيذائهم له كما صبر أصحاب العزائم العالية من الرسل عليهم السلام، ونهاه جل شأنه أن يستعجل لهم العذاب؛ فإنه أتيتهم لا محالة: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} [الأحقاف: ٣٥] (١).

■ الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آيتان:

- إحداهما: {وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف: ٩]، نسختها قوله: {لِيَعْرِكَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: ٢] وقوله: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ [الفتح: ٥]}. قاله ابن عباس (٢)، وأنس (٣)، وعكرمة (٤)، وقتادة (٥).

وعن ابن عباس، قال: "نسختها: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا الْآيَةَ} [الفتح: ١]" (٦).

الثانية: قوله تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥]، نسخت بآية السيف (٧).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الأحقاف أعطي من الأجر بعدد كل نمل في الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ويرفع له عشر درجات» (٨).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب» (٩).
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٢) رواه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٥.

(٣) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٥. بدون سند.

(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٥. بدون سند.

(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٥. بدون سند.

(٦) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٩٥.

(٧) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٩٦.

(٨) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٥/٩. [ضعيف]

(٩) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥٨/٨، والواحي في التفسير الوسيط (٨٣١): ص ٩٤/٤. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

قال الترمذي: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث".

وانظر: الموضوعات (١/ ١٨٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٦٦): "موضوع".

حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين^(١).
- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»^(٢).
وهذه الأحاديث التي تدل على فضل الحواميم بصفة عامة، فإنها تدل على فضل كل سورة منها ضمنا.

(١) "مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، و سنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصديقي، وصححه الحاكم والذهبي.
وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاتية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحُ وَيُسَبِّحُ وَسَبَّحُ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.
(٢) مسند ابن أبي شيبة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، و سنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤.

وللاستزادة في فضائل «الحواميم» راجع فضائل السورة «غافر».
إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

سورة «محمد»

سورة «محمد» هي السورة «السابعة والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «السادسة والتسعون» بحسب نزول سور القرآن، نزلت بعد «سورة الحديد»، وقبل «سورة الرعد». وعدد آياتها أربعون في البصرة، وثمان في الكوفة وتسع وثلاثون عند الباقيين. وكلماتها خمسمائة وتسع وثلاثون. وحروفها ألفان وثلثمائة وتسع وأربعون. المختلف فيها آيتان: {أَوْزَارَهَا} [محمد : ٤]، {لِلشَّارِبِينَ} [محمد : ١٥]. فواصل آياتها: «ما»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً: أسمها التوقيفي: «سورة محمد»:

سميت هذه السورة في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-^(٢)، وفي كتب السنّة «سورة محمد» وكذلك تُرجمت في «صحيح البخاري»^(٣)، وكذلك في كتب التفسير.

ووجه أنها ذُكر فيها اسم النبي صلى الله عليه وسلم في الآية الثانية منها، فعُرفت به قبل سورة آل عمران التي فيها: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ} [آل عمران : ١٤٤].

قال المهامي: "سميت به، لما فيها من أن الإيمان بما نزل على محمد متفرقا، أعظم من الإيمان بما نزل مجموعا على سائر الأنبياء عليهم السلام. وهو من أعظم مقاصد القرآن"^(٤).

■ ثانياً: اسمها الإجتهادية:

الاسم الأول: «سورة الذين كفروا»:

تسمى «سورة الذين كفروا»، كما جاءت في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-^(٥).

الاسم الثاني: «سورة القتال»:

سميت هذه السورة في كلام بعض الصحابة-رضوان الله عليهم- بـ«سورة القتال»، كما روي عن قال ابن عباس، قال: "أنزلت سورة القتال بالمدينة"^(٦).

وبهذا الاسم عنونها بعض كتب التفسير، ووجه تسميتها بهذا؛ لأنها ذكرت فيها مشروعية القتال؛ ولأنها ذكر فيها لفظه في قوله تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ} [محمد : ٢٠]، فالمراد بـ«السورة» في هذه الآية هذه السورة، فتكون تسميتها «سورة القتال» تسمية قرآنية^(٧).

قال سيد قطب رحمه الله: "وهو اسم حقيقي لها. فالقتال هو موضوعها. والقتال هو العنصر البارز فيها"^(٨).

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٤٣٠.

(٢) أخرج ابن مردويه عن علي-رضي الله عنه- قال: "سورة محمد آية فينا وآية في بني أمية". [الدر المنثور: ٤٥٦/٧].

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٣٤/٦.

(٤) نقلا عن: محاسن التأويل: ٤٦٣/٨.

(٥) فعن ابن عمر، "أن النبي-صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ بهم في المغرب: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [محمد : ١]. رواه الطبراني في الكبير(١٣٣٨٠):ص٣٧٢/١٢، وفي الاوسط(١٢٦١):ص١٣٩/٢، و(١٧٦٣):ص٤٤١/٢، والصغير(١١٧):ص١٠، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٧١/٢: "رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح".

وعن ابن الزبير، قال: "نزلت بالمدينة سورة«الذين كفروا»". اورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٦/٧، وعزاه لابن مردويه.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٧/٧. وعزاه إلى ابن ضريس.

(٧) انظر: التحرير والتنوير: ٧١/٢٦.

(٨) في ظلال القرآن: ٣٢٧٨/٦.

قال المهامي: "وتسمى سورة «القتال»، لدلالاتها على ارتفاع حرمة نفوس الكفار المانعة من قتالهم، وما يترتب على القتال وكثرة فوائده"^(١).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:
أحدها: أنها أنزلت بالمدينة. قاله ابن عباس^(٢)، وعبد الله بن الزبير^(٣)، ومجاهد^(٤)، ومقاتل^(٥)، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين^(٦).

الثاني: أنها مدنية إلا آية منها نزلت عليه بعد حجّه حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت، وهي قوله: {وَكَايْنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ} [محمد: ١٣]. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس^(٧)، وقتادة^(٨).

قال ابن عاشور: "ولعله وهم ناشيء عما روي عن ابن عباس أن قوله تعالى: {وَكَايْنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ} [محمد: ١٣]، الآية نزلت في طريق مكة قبل الوصول إلى حراء، أي في الهجرة. قيل: نزلت هذه السورة بعد يوم بدر وقيل نزلت في غزوة أحد"^(٩).

الثالث: أنها مكية. قاله الضحاك^(١٠)، وسعيد بن جبيرة^(١١)، والسدي^(١٢).

قال الفيروزآبادي: "السورة مدنية بالاتفاق"^(١٣).

قال ابن عطية: "هذه السورة مدنية بإجماع، غير أن بعض الناس قال في قوله تعالى: {وَكَايْنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ} [محمد: ١٣] إنها نزلت بمكة في وقت دخول النبي فيها عام الفتح أو سنة الحديبية، وما كان مثل هذا فهو معدود في المدني، لأن المراعى في ذلك إنما هو ما كان قبل الهجرة أو بعدها"^(١٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

فإن أولها متلاحم بآخر السورة السابقة، حتى لو أسقطت البسمة من البين لكان الكلام متصلاً بسابقه لا تتأخر فيه، وكان بعضه أخذاً بحجز بعض^(١٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها

معظم ما في هذه السورة التحريض على قتال المشركين، وترغيب المسلمين في ثواب الجهاد. وقد افتتحت بما يثير حنق المؤمنين على المشركين؛ لأنهم كفروا بالله، وصدوا عن سبيله، أي دينه. ف«القتال» هو موضوع السورة؛ فهي تبدأ ببيان حقيقة الذين كفروا، وحقيقة الذين آمنوا في صيغة هجوم

(١) نقلا عن: محاسن التأويل: ٤٦٣/٨.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٦/٧. وعزاه إلى ابن ضريس، والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٦/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١/٤.

(٦) انظر: زاد المسير: ١١٥/٤.

(٧) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(٨) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(٩) التحرير والتنوير: ٧١/٢٦.

(١٠) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(١١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ٣١٤/٤.

(١٢) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(١٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٠/١.

(١٤) المحرر الوجيز: ١٠٩/٥.

(١٥) انظر: تفسير المراعي: ٤٣/٢٦.

أدبي على الذين كفروا، وتمجيد كذلك للذين آمنوا، مع إحياء بأن الله عدو للأولين، ولي للآخرين، وأن هذه حقيقة ثابتة في تقدير الله سبحانه. فهو إذن إعلان حرب منه تعالى على أعدائه وأعداء دينه منذ اللفظ الأول في السورة.

وعلى الجملة، فإن مقاصد هذه السورة ينتظم وفق التالي:

- ١- بينت أن الله أبطل أعمال الكافرين لإعراضهم عن الحق واتباع الباطل، والوقوف في وجه الدعوة؛ ليصدوا الناس عن دين الله، وأنه سبحانه كَفَّرَ عن المؤمنين سيئاتهم؛ لأنهم نصرُوا الحق، وسلَكُوا طريقه، واتبَعُوا ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك كفالة للمؤمنين بالنصر على أعدائهم.
- ٢- بينت وجوب الدفاع عن الحق، وما يتطلبه ذلك عند لقاء الكفار في بدء المعركة ونهايتها، وذكرت جزاء من قُتِلَ في سبيل الله.
- ٣- وَعَدَّ المجاهدين بالجنة، وأمر المسلمين بمجاهدة الكفار، وأن لا يدعُوهم إلى السلم، وإنذار المشركين بأن يصيبهم ما أصاب الأمم المكذبين من قبلهم.
- ٤- حذرت كفار مكة سوء المصير، فضربت لهم الأمثال بالطغاة المتجبرين من الأمم السابقة، وبينت أن الله دَمَّرَ عليهم بسبب إجرامهم وطغيانهم: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [محمد : ١٠]، ثم ذكرت جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعاقبة الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم، وأشارت إلى أن سنة الله إهلاك القرى الظالمة التي هي أشد من قريتك التي أخرجتك {فَلَا تَصِرَ لَهُمْ} [محمد : ١٣].
- ٥- وصف الجنة ونعيمها، ووصف جهنم وعذابها.
- ٦- وصف المنافقين وحال اندهاشهم، إذا نزلت سورة فيها الحز على القتال، وقلة تدبرهم القرآن، وموالاتهم المشركين، وتهديدهم بأن الله ينبيء رسوله صلى الله عليه وسلم بسيماهم، وتحذير المسلمين من أن يروج عليهم نفاق المنافقين.
- ٧- أوضحت السورة أن الذين صدوا عن سبيل الله، وشاقوا الرسول من بعد ما وضح الحق وتبين الهدى لن يضرُوا الله شيئاً، وسيحبط أعمالهم، وأنهم إذا ماتوا وهم كفار، فلن يغفر الله لهم.
- ٨- ختمت السورة بالإشارة إلى وَعَدَّ المسلمين بنوال التمكين، والتحذير إن صار إليهم الأمر من الفساد في الأرض، وقطيعه الرحم، وذمت البخلاء في الإنفاق، وبينت استغناء الحق عن الخلق، وقَفَّرَ الخلق إلى الحق في قوله سبحانه: {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ} [محمد : ٣٨] (١).

■ الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آية واحدة: {قَائِمًا مَّا بَعْدُ} [محمد : ٤]، نسختها آية السيف.
قال قتادة: "رضي الله لهم أن يمنا على من شاءوا منهم ويأخذوا الفداء منهم إذا أئخنتموهم ثم نسخ ذلك في براءة فقال: {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [النساء : ٨٩]" (٢).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عمر: "أنه كان يقرأ في عشاء الآخرة بالذين كفروا والفتح" (٣).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة محمد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من أنهار الجنة» (١).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٢) الناسخ والمنسوخ لقتادة: ٤٧.

(٣) فضائل القرآن للمستغفري (٩١٢): ص ٦١٦/٢.

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥٨/٨، والواحي في التفسير الوسيط (٨٣١): ص ٩٤/٤. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].
قال الترمذي: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث".
وانظر: الموضوعات (١/ ١٨٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٦٦): "موضوع".

سورة «الفتح»

سورة «الفتح»: هي السورة الثامنة والأربعون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الثالثة عشرة بعد المائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة «سورة الصف» وقبل «سورة التوبة». عدد آياتها تسع وعشرون. وكلماتها خمسمائة وستون. وحروفها ألفان وأربعمائة وثمان وثلاثون. وفواصل آياتها على «الألف»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً: أسمها التوقيفي: «سورة الفتح»:

اشتهرت تسميتها بـ«سورة الفتح»، وجاءت في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-^(٢)، وبذلك كتبت في المصاحف وكتب التفسير والسنة.

ووجه التسمية أنها تضمنت حكاية فتح متجه الله للنبي صلى الله عليه وسلم، إذ افتتحت السورة ببشرى الفتح للمؤمنين، وتكرر فيها لفظ: «فتحا»، في قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا} [الفتح : ١]، {وَأَنبَأَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح : ١٨]، {فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح : ٢٧].

قال المهامي: "سميت لدلالاتها على فتح البلاد والنصر العزيز، وكل هذه أمور جليلة"^(٣).

■ ثانياً: اسمها الاجتهادي: «سورة إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ»:

تسمى «سورة إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ»، من باب تسمية السورة بأول جملة افتتحت بها، وقد وردت هذه التسمية عند يحيى بن سلام^(٤)، والفخر الرازي^(٥).

وهي تسمية اجتهادية أظنها جاءت للفرقة بينها وبين «سورة النصر»، إذ أن الأخيرة معنونة في «سنن الترمذي» بـ«سورة الفتح»^(٦)، لوقوع هذا اللفظ فيها، فيكون هذا الاسم مشتركاً بينها وبين سورة: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا»-والله أعلم-.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها نزلت بين مكة والمدينة في شأن الحديدية من أولها إلى آخرها. قاله المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم^(٧). [ضعيف]

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٣٢ / ١.

(٢) انظر: صحيح البخاري (٤٨٣٤): ص ١٣٥/٦، وفيه وردت هذه التسمية عند عبدالله بن مغفل، وانظر: المستدرک: ٤٥٩ / ٢، وأسباب النزول للواحدى: ٣٨٢. وفيه وردت هذه التسمية عند المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم. -رضوان الله عليهم-.

(٣) تفسير المهامي: ٢٨١/٢.

(٤) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماءه وتصرفت معانيه: ١٠٩.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٣٣/٢٩.

(٦) انظر: سنن الترمذي: ٤٥٠/٥.

(٧) أخرجه الحاكم (المستدرک: ٤٥٩ / ٢)، والواحدى في أسباب النزول: ٣٨٢، من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور به.

وأخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٤ / ١٥٩، ١٦٠) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور ومروان قالوا: ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - راجعاً، فلما أن كان بين مكة والمدينة؛ نزلت عليه سورة الفتح من أولها إلى آخرها: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١)} فكانت القضية في سورة الفتح، وما ذكر الله من بيعة رسول الله تحت الشجرة، فلما آمن الناس وتفاوضوا؛ لم يكلم أحد بالإسلام إلا دخل فيه، فقد دخل في تينك السنين في الإسلام أكثر مما كان فيه قبل ذلك، وكان صلح الحديدية فتحاً عظيماً.

وفيه عن عروة ابن إسحاق، وباقي رجاله ثقافت، ويتفق بشواهده الكثيرة في الصحيحين وغيرهما (فتح الباري: ٧ / ٤٤١، ٤٤٢) (٥٨٣/٨).

وعند الترمذي في التفسير (٣٢٦٣) من حديث أنس قال: نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله... مرجعه من

قال ابن عاشور: "وهي بهذا في حكم المدني"^(١).
 قال القرطبي: "سورة الفتح مدنية بإجماع، نزلت ليلا بين مكة والمدينة في شأن الحديدية"^(٢).
 قال الحافظ ابن حجر: "واختلف في المكان الذي نزلت فيه، فوقع عند محمد بن سعد: «بضجان»، وهي: بفتح المعجمة وسكون الجيم ونون خفيفة، وعند الحاكم في الإكليل «بكراع الغميم»، وعن أبي معشر: «بالجحفة».. والأماكن الثلاثة متقاربة"^(٣).
 وروى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وهو في بعض أسفاره- لعمر: لقد أنزلت علي الليلة سورة، لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس"^(٤).
 وأخرج أيضا عن عبد الله بن مغفل قال: "قرأ النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة سورة الفتح، فرجع فيها"^(٥).
 الثاني: أنها أنزلت بالمدينة. قاله ابن عباس^(٦)، وابن الزبير^(٧).
 قال ابن عطية: "الأول أصح، ويشبه أن منها بعضا نزل بالمدينة، وأما صدر السورة ومعظمها فكما قلنا، ويقضي بذلك قول النبي عليه السلام لعمر وهما في تلك السفرة: «لقد نزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها»"^(٨).
 قال الشوكاني-بعد أن ذكر القولين:- "وهذا لا ينافي الإجماع على كونها مدنية، لأن المراد بالسور المدنية النازلة بعد الهجرة من مكة"^(٩).
 قال ابن عاشور: "هي مدنية على المصطلح المشهور في أن المدني ما نزل بعد الهجرة ولو كان نزوله في مكان غير المدينة من أرضها أو من غيرها. وهذه السورة نزلت بموضع يقال له «كراع الغميم» بضم الكاف من: كراع، وبفتح الغين المعجمة وكسر الميم من: «الغميم»، موضع بين مكة والمدينة وهو واد

الحديبية". وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح، وفيه عن مجمع بن جارية".

(١) التحرير والتنوير: ١٤١/٢٦.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٥٩/١٦.

(٣) فتح الباري: ٥٨٣/٨.

(٤) صحيح البخاري(٤١٧٧):ص١٢٦/٥.

(٥) صحيح البخاري(٤٨٣٤):ص١٣٥/٦.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٠٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي، وانظر: معاني القرآن للنحاس: ٤٩١/٦، والمحرم الوجيز: ١٢٥/٥.

وذكر الواحدي عن وقال عطاء عن ابن عباس: إن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾. [أسباب النزول: ٣٩٨ بدون إسناد].

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٠٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

وذكر الواحدي عن وقال عطاء عن ابن عباس: إن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾. [أسباب النزول: ٣٩٨ بدون إسناد].

(٨) مسند أحمد(٢٠٩):ص٣٣٦/١. ونصه:

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، قال: فسألته عن شيء ثلاث مرات، فلم يرد علي، قال: فقلت لنفسي: تكلمت أمك يا ابن الخطاب نزلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فلم يرد عليك، قال: فركبت راحلتي، فتقدمت مخافة أن يكون نزل في شيء، قال: فإذا أنا بمناد ينادي: يا عمر، أين عمر؟ قال: فرجعت وأنا أظن أنه نزل في شيء، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " نزلت علي البارحة سورة، هي أحب إلي [ص:٣٣٧] من الدنيا وما فيها، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (١) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ" [الفتح: ١-٢].

(٩) فتح القدير: ٥٢/٥.

على مرحلتين من مكة وعلى ثلاثة أميال من عسفان، وهو من أرض مكة، وقيل نزلت: بـ«ضجنان»، وهو جبل قرب مكة ونزلت ليلا فهي من القرآن الليلي. ونزلها سنة ست بعد الهجرة منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وقبل غزوة خيبر^(١).

عن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال: "أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الحديبية حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كراع الغميم فإذا الناس يرسمون^(٢) نحو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال بعض الناس لبعض: ما للناس؟ قالوا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال لبعض الناس فركنا حتى وجدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند كراع الغميم واقفا فلما اجتمع عليه الناس قرأ عليهم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، فقال بعض الناس أوفتح؟ هو قال: "والذي نفسي بيده إنه لفتح"^(٣).

عن حبيب بن أبي ثابت قال: حدثني أبو وائل، قال: كنا بصفين، فقام سهل بن حنيف، فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، فإننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، ولو نرى قتالا لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: «بلى». فقال: أليس قتلنا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى»، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدا»، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدا، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال: «نعم»^(٤). وفي رواية: " فنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح، فأرسل إلى عمر، فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال: «نعم»، فطابت نفسه ورجع"^(٥).

قال ابن الجوزي: "هي مدنية كلها بإجماعهم"^(٦).

قال الفيروزآبادي: "السورة مدنية إجماعا"^(٧).

والظاهر - والله اعلم- أن السورة نزلت على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مرجعه من الحديبية، وكان موضوعها على تلك القضية يدور بما فيها من قصص وأحداث متفرقة وذلك لصحة أسانيد الأحاديث في ذلك، وصراحة ألفاظها، واتفاق المفسرين عليها.

■ مناسبة السورة لما قبلها:

وجه مناسبة هذه السورة لما قبلها:

- ١- إن الفتح المراد به النصر مرتب على القتال.
- ٢- إن في كل منهما ذكرا للمؤمنين والمخلصين والمنافقين المشركين.
- ٣- إن في السورة السالفة أمرا بالاستغفار، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُنْقَلَبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد : ١٩]، وفي هذه ذكر وقوع المغفرة، قال تعالى: ﴿لِيَعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُنِمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح : ٢]^(٨).

■ أغراض السورة ومقاصدها

(١) التحرير والتنوير: ١٤١/٢٦.

(٢) يرسمون: أي يذهبون إليه سراعا كما في النهاية.

(٣) [أخرجه ابن جرير ج ٢٦ ص ٧١، والحاكم ج ٢ ص ٤٥٩].

(٤) صحيح البخاري (٣١٨٢): ص ١٠٣/٤.

(٥) صحيح مسلم (١٧٨٥): ص ١٤١١/٢.

(٦) زاد المسير: ١٢٥/٤.

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٢/١.

(٨) انظر: روح المعاني: ٢٣٨/١٣، وتفسير المراعي: ٤٣/٢٦.

- تضمنت هذه السورة جملة من المقاصد، هي وفق الآتي:
- ١- بُدئَت السورة الكريمة بالبشارة بالفتح المبين، وبما أفاء الله به على رسوله والمؤمنين من نصر عزيز وتأييد مبين.
 - ٢- تضمنت السورة بشارة المؤمنين بحسن عاقبة صلح الحُدَيْبِيَّة، وأنه نصر وفتح، فنزلت به السكينة في قلوب المسلمين، وأزال حزنهم من صدهم عن الاعتمار بالبيت، وكان المسلمون عِدَّة لا تُغلب من قلة، فرأوا أنهم عادوا كالخائبين، فأعلمهم الله بأن العاقبة لهم، وأن دائرة السوء على المشركين والمنافقين.
 - ٣- بيان أن الله سبحانه أرسل رسوله محمداً للناس شاهداً ومبشراً ونذيراً؛ ليتحقق الإيمان بالله ورسوله، ويعم الخير والحق بين الناس بطاعته وتعظيمه.
 - ٤- التنويه بكرامة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه، ووعدته بفتح آخر، يعقبه فتح أعظم منه، وفتح مكة.
 - ٥- بيان أن الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وعاهدوه على نصرته، والاستشهاد في سبيل دعوته، أنهم بعملهم هذا ومبايعتهم له إنما يبايعون الله، ويد الله فوق أيديهم بالنصر والتأييد، فمن نقض منهم العهد بعد ميثاقه، فضرر ذلك عليه، ومن أوفى بالعهد، فسيؤتيه الله أجراً عظيماً.
 - ٦- ذكُرُ بيعة الحُدَيْبِيَّة، والتنويه بشأن من حضرها، وفضح الذين تخلفوا عنها من الأعراب، ووصفهم بالجبين والطمع وسوء الظن بالله وبالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنعهم من المشاركة في غزوة خيبر، وإنبائهم بأنهم سيدعون إلى جهاد آخر، فإن استجابوا غُفر لهم تخلفهم عن الحُدَيْبِيَّة.
 - ٧- تناولت الآيات أصحاب الأعدار الذين يباح لهم التخلف عن القتال؛ لعجزهم عن مباشرته، وأنهم لا إثم عليهم في ذلك.
 - ٨- ذكرت السورة مئةً الله في كف الكافرين عن المؤمنين، والمؤمنين عن الكافرين يوم فتح مكة، بعد أن نصرهم الله وأقدرهم عليهم.
 - ٩- بيان أن الله صدق رسوله الرؤيا بالحق، وكان الرسول قد رأى في منامه أنه يدخل هو ومن معه من المؤمنين المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون.
 - ١٠- الثناء على المؤمنين الذين بايعوا رسوله الأمين وأيدوه ونصروه، وأن الله قدم مثلهم في التوراة وفي الإنجيل.
 - ١١- خُتمت السورة ببيان خُلِقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح : ٢٩]، وبيان نعتهم وصفتهم في التوراة والإنجيل، وبذكر ما أعده الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من المغفرة والأجر العظيم^(١).
- وقد قال البقاعي: "ومن عجائب هذه السورة: أنها تسع وعشرون آية، وقد جمعت حروف المعجم وهي تسع وعشرون حرفاً، في آخر آية فيها، وهي: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} [الفتح : ٢٩] إلى آخرها، ولم تجتمع هذه الحروف في آية إلا في هذه السورة، وفي آية في أواخر سورة آل عمران، إشارة إلى علو التوحيد على كل كفر، كما أشارت إليه الآية التي قبلها"^(٢).
- **الناسخ والمنسوخ:**
السورة خالية عن المنسوخ^(٣).

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٩٧٨/٩-٩٧٩، ومقاصد سورة الفتح [إسلام ويب، موقع الكتروني].

(٢) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٩٣/٢.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٥٧. وقال: "فيها ناسخ وليس فيه منسوخ".

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، وقال عمر بن الخطاب: ثكثك أمك يا عمر، نزلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل في قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، وجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه، فقال: «لقد أنزلت علي الليلة سورة، لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»، ثم قرأ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح: ١]»^(١).
- عن قتادة، أن أنس بن مالك، حدثهم، قال: "لما نزلت: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ} [الفتح: ٢] إلى قوله: {فَوَرَّأَ عَظِيمًا} [النساء: ٧٣] مرجعه من الحديبية^(٢)، وهم يخالطهم الحزن والكآبة^(٣)، وقد نحر الهدي بالحديبية، فقال: «لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً»^(٤).
- عن يزيد بن هارون، قال: "سمعت المسعودي يذكر، قال: بلغني أنّ من قرأ في أول ليلة من رمضان: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}، في التطوّع، حفظ ذلك العام"^(٥).
- عن أبي برزة: «أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في الصباح {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}»^(٦).
- عن إبراهيم بن ميسرة قال: أخبرني صالح بن كيسان، أنه «سمع ابن عمر قرأ في المغرب: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}»^(٧).
- عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم:- «ومن قرأ سورة الفتح فكأنما كان مع من شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة»^(٨).

(١) صحيح البخاري(٤١٧٧):ص١٢٦/٥.

(٢) أي: زمان رجوعه منها.

(٣) في النهاية: «الكآبة»: تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن.

(٤) صحيح مسلم(١٧٨٦):ص١٤١٣/٣.

(٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٤٠/٩، وانظر: تفسير القرطبي: ٢٦٠/١٦.

(٦) مصنف عبدالرزاق(٢٧٣٢):ص١١٨/٢.

(٧) مصنف عبدالرزاق(٢٦٩٦):ص١٠٨/٢.

(٨) الخبر رواه الواحدي في التفسير الوسيط(٨٤٧):ص١٣٢/٤، بالإسناد إلى أبي بن كعب، وذكره المستغفري في فضائل القرآن (١٢١٥):ص٧٨٤/٢، وذكره أيضا الزمخشري في الكشاف: ٣٤٨/٤، والبيضاوي في التفسير: ١٣٢/٥، وفيه: "من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة".

والخبر أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣١٨/١٠، بالإسناد إلى أبي بن كعب، وذلك عند سورة «النصر». وقد ذكرنا سبب هذا الخلط في التسمية بين «سورة الفتح» و«سورة النصر». فارجع إليه إن أردت.

[وحدث أبي بن كعب من قرأ سورة كذا، أعطي من الأجر كذا فذكر فضل سور القرآن سورة سورة وثواب قارئها إلى آخر القرآن، هذا الحديث أخرجه بطوله ابن الشجري في الأمالي الشجرية (١/٧٩)، وابن عدي في الكامل (٧/٢٥٨٨)، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/٢٤٠)، وقال بعده: "قد فرّق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجت من أبي بكر بن أبي داود كيف فرّقه على كتابه الذي صنّفه في فضائل القرآن، وهو يعلم أنه حديث مُحال".

ثم قال: "حديث فضائل السور مصنوع بلا شك" وقال: "نفس الحديث يدل على أنه مصنوع؛ فإنه قد استنفذ السور، وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة، لا يناسب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم".

قلت: والحديث له طرق كلها تالفة:

الطريق الأولى: تفرد بها أبو الخليل بزيع بن حبان، قال الدارقطني: وهو متروك.

الطريق الثانية: تفرد بها مخلد بن عبد الواحد، قال ابن حبان في «المجروحين»: منكر الحديث جدا ينفرد بأشياء مناكير لا تشبه أحاديث الثقات، فبطل الاحتجاج به.

الطريق الثالثة: تفرد بها ميسرة بن عبد ربه، قال عبد الرحمن بن مهدي: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: «من قرأ كذا فله كذا»؟ قال: وضعته أرغب الناس فيه.

الطريق الرابعة: تفرد بها هارون بن كثير، قال ابن عدي: وهارون غير معروف، ولم يحدث به عن زيد بن أسلم غيره، وهذا الحديث غير محفوظ عن زيد.

وروى العقيلي في الضعفاء (١/ ١٧٥): عن عبد الله بن المبارك قال في حديث أبي بن كعب في فضائل السور: "أظن الزنادقة وضعته".

وقال العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤١٩): "فضيلة قراءة كل سورة، روي ذلك وأسنده إلى أبي بن كعب، ومجموع ذلك مفترى وموضوع بإجماع أهل الحديث".

سورة «الحجرات»

سورة «الحجرات»: هي السورة «التاسعة والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثامنة بعد المائة» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة المجادلة»، وقبل «سورة التحريم»، وكان نزولها سنة تسع للهجرة^(١). وآياتها ثمان عشرة، وكلماتها ثلاثمائة وثلاث وأربعون، وحروفها ألف وأربعمائة وأربع وسبعون، مجموع فواصل آياتها: «من»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أسمها التوقيفي: «سورة الحجرات»:

سميت في جميع المصاحف وكتب السنة والتفسير: «سورة الحجرات»، وليس لها اسم غيره، ووجه تسميتها: أنها ذكر فيها لفظ «الحجرات»، قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [الحجرات : ٤]: إذ نزلت في قصة نداء بني تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته، فعرفت بهذه الإضافة^(٣).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنهما أنزلت في المدينة. قاله ابن عباس^(٤)، وابن الزبير^(٥)، والحسن^(٦)، وقتادة^(٧)، وعكرمة^(٨). الثاني: أنها مدنية إلا آية، وهي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات : ١٣]. قاله ابن أبي مليكة^(٩)، مقاتل^(١٠)، وهذا القول منسوب لابن عباس^(١١).

وقد يكون هذا الاستثناء استنبط من خلال القول بأن «ما كان في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ}، فإنه

مكي».

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٦/٢١٣.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٤٣٥.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٢٦/٢١٣.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٧/٥٤٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

وذكر الواحدي عن وقال عطاء عن ابن عباس: إن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}. [أسباب النزول: ٣٩٨ بدون إسناد].

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٧/٥٠٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

وذكر الواحدي عن وقال عطاء عن ابن عباس: إن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}. [أسباب النزول: ٣٩٨ بدون إسناد].

(٦) حكاه عنه الألويسي في روح المعاني: ١٣/٢٨٤.

(٧) حكاه عنه الألويسي في روح المعاني: ١٣/٢٨٤.

(٨) حكاه عنه الألويسي في روح المعاني: ١٣/٢٨٤.

(٩) ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٤١١، وهو مرسل، وعزاه في الدر (٦/٩٧) لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(١٠) م بدون إسناد.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٩٧.

(١٢) ذكره في مجمع البيان، نقلا عن روح المعاني: ١٣/٢٨٤.

إذ روي عن ابن مسعود، قال: "ما كان {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} أنزل بالمدينة، وما كان: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ}، فبمكة"^(١).

وعن ابن مسعود قال: قرأنا المفصل ونحن بمكة حجيجا ليس فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}^(٢).
وعن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} و{يَا بَنِي آدَمَ}، فإنه مكي، وما كان: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فإنه مدني"^(٣).

وعن عروة قال: "ما كان: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} بمكة وما كان: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} بالمدينة"^(٤).
وعن علقمة قال: كل شيء في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} فهو مكي، وكل شيء في القرآن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فإنه مدني"^(٥).

قال الألويسي: "والحق أن هذا ليس بمطرد. وذكر الخفاجي أنها في قول شاذ مكية"^(٦).
قال ابن عاشور: "هي مدنية باتفاق أهل التأويل، أي: مما نزل بعد الهجرة، وحكى السيوطي في «الإتقان» قولاً شاذاً أنها مكية"^(٧)، ولا يعرف قائل هذا القول، وفي أسباب النزول للواحدي أن قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى} [الحجرات: ١٣]، الآية نزلت بمكة في يوم فتح مكة^(٨)، ولم يثبت أن تلك الآية نزلت بمكة كما سيأتي. ولم يعدها في «الإتقان» في عداد السور المستثنى بعض آياتها"^(٩).

قال ابن عطية: "هي مدنية بإجماع من أهل التأويل -رضي الله عنهم-"^(١٠).

قال ابن الجوزي: "هي مدنية بإجماعهم"^(١١).

قال ابن قتيبة: "مدنية كلها"^(١٢).

قال القرطبي: "مدنية بإجماعهم"^(١٣).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

وجه مناسبة هذه السورة لما قبلها:

- ١- ذكر في هذه قتال البغاة، وفي تلك قتال الكفار.
- ٢- إن السابقة ختمت بالذين آمنوا، وافتتحت هذه بهم.
- ٣- إن كلا منهما تضمن تشريفاً وتكريماً للرسول صلى الله عليه وسلم ولا سيما في مطلعيهما^(١٤).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تضمنت هذه السورة جملة من المقاصد، هي وفق الآتي:

- (١) الدر المنثور: ٨٤/١، وعزاه إلى البزار والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
- (٢) الدر المنثور: ٨٤/١، وعزاه إلى ابن أبي شيبه في المصنف وعبد بن حميد والطبراني في الأوسط والحاكم وصححه.
- (٣) الدر المنثور: ٨٤/١. وعزاه إلى أبي عبيد.
- (٤) الدر المنثور: ٨٤/١. وعزاه إلى ابن أبي شيبه وابن مردويه.
- (٥) الدر المنثور: ٨٤/١، وعزاه إلى أبي عبيد وابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن الضريس وابن المنذر وأبي الشيخ بن حبان في التفسير.

(٦) التحرير والتنوير: ٢٨٤/١٣.

(٧) قال السيوطي في الإتقان: ٤٩/١: «سورة الحجرات: حكي قول شاذ أنها مكية».

(٨) انظر: أسباب النزول: ٣٩٤.

(٩) التحرير والتنوير: ٢١٣/٢٦.

(١٠) المحرر الوجيز: ١٤٤/٥.

(١١) زاد المسير: ١٤١/٤.

(١٢) غريب القرآن: ٤١٥.

(١٣) تفسير القرطبي: ٣٠٠/١٦.

(١٤) انظر: روح المعاني: ٢٨٤/١٣، وتفسير المراغي: ١١٩/٢٦.

١- ابتدأت بالأدب الرفيع الذي أدب الله به المؤمنين، تجاه شريعة الله وأمر رسوله، وهو ألا ييرموا أمراً، أو يبدوا رأياً، أو يقضوا حكماً في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى يستشيره، ويستمسكوا بإرشاداته الحكيمة.

٢- ثم انتقلت إلى أدب آخر، وهو خفض الصوت إذا تحدثوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ تعظيماً لقدره الشريف، واحتراماً لمقامه السامي الرفيع، فإنه ليس كعامّة الناس، بل هو رسول الله، ومن واجب المؤمنين أن يتأدبوا معه في الخطاب مع التوقير والتعظيم والتبجيل.

٣- ثم انتقلت السورة إلى تقرير دعائم المجتمع الفاضل، فأمرت المؤمنين بعدم السماع للإشاعات، وأمرت بالثبوت من الأنبياء والأخبار، ولاسيما إن كان الخير صادراً عن شخص غير عدل، أو شخص متهم، فكم من كلمة نقلها فاجر فاسق، سببت كارثة من الكوارث، وكم من خير لم يثبت منه سامعه، جر وبالأعظيماً، وأحدث انقساماً كبيراً.

٤- وبيّنت السورة أن المجتمع المسلم ينبغي أن يكون مجتمعاً نظيف المشاعر، مكفول الحرمات مصون الغيبة والحضرة، لا يؤخذ أحد بظنة، ولا يُعاقب لمجرد تهمة، ولا تتبع فيه العورات، ولا يتعرض أمن الناس وكرامتهم فيه لأدنى مساس، فحذرت من السخرية، ونفرت من الغيبة، ونهت عن التجسس، وإساءة الظن بالمؤمنين، ودعت إلى مكارم الأخلاق.

٥- ودعت السورة إلى الإصلاح بين المتخاصمين، ودفع عدوان الباغين.

٦- وحذرت السورة من السخرية والهمز واللمز، ونفرت من الغيبة والتجسس، والظن السيء بالمؤمنين، ودعت إلى مكارم الأخلاق، والفضائل الاجتماعية، وحذرت من الغيبة بتعبير رائع عجيب، أبدعه القرآن غاية الإبداع، فجاء على صورة رجل يجلس إلى جنب أخ له ميت، ينهش منه، ويأكل لحمه!

٧- بيّنت السورة أن الله تعالى خلق عباده من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، لا ليتفاخروا بالأحساب والأنساب، فإن أكرمهم عند الله أتقاهم.

٨- وختمت السورة بالحديث عن الأعراب، الذين ظنوا الإيمان كلمة تقال باللسان، وجاءوا يمنون على الرسول إيمانهم، وقد وضحت حقيقة الإيمان، وحقيقة الإسلام، وشروط المؤمن الكامل، وهو الذي جمع الإيمان، والإخلاص والجهاد، والعمل الصالح^(١).

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: محافظة أمر الحق تعالى، ومراعاة حرمة الأكابر، والتؤدة في الأمور، والاجتناب عن التهور، والكون في إغاثة المظلوم، والاحتراز عن السخرية بالخلق، والحذر عن التجسس والغيبة، وترك الفخر بالأحساب والأنساب، والتحاشي عن المنة على الله بالطاعة، وإحالة علم الغيب إلى الله - تعالى -"^(٢).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة خالية عن الناسخ والمنسوخ^(٣).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٦/٢١٣، والتفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٠٢٢/٩، ومقاصد سورة الفتح [إسلام ويب، موقع التكروني].

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٥/١.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٥٧.

- عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أعطيت مكان التوراة «السبع الطول»، وأعطيت مكان الزبور «المئين»، وأعطيت مكان الإنجيل: «المثاني» وفضلت ب «المفصل»"^(١).

و «المفصل»-بتشديد الصاد- هو ما يلي المثاني من قصار السور، والتي تستحب القراءة ببعضها في بعض الصلوات الخمس على ما هو مبين في كتب الفقه^(٢).

وقد اختلف أهل العلم في «المفصل»، على ثلاثة أقوال^(٣):

أحدها: أنه من أول سورة «محمد» إلى آخر القرآن، حكاه الماوردي عن الأكثرين^(٤).

وقال السمعاني: "الأكثر على أن المفصل من سورة الحجرات"^(٥).

الثاني: من سورة «قاف» إلى آخره، حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة^(٦).

الثالث: من سورة «الضحى» إلى آخره، وكان يفصل في الضحى بين كل سورتين بالتكبير^(٧)، قاله ابن عباس^(١)، وهو رأي قراء مكة^(٢).

(١) أخرجه أحمد (١٠٧/٤، رقم ١٧٠٢٣). قال الهيثمي (٤٦/٧): فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقيته رجاله ثقات. وأخرجه الطبراني (٢٢/٧٥ رقم ١٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٦٥، رقم ٢٤١٥ مكرر). وأخرجه أيضا: الطيالسي (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/٢٧١٦ رقم ٦٤٨٥). وقال المناوي (١/٥٦٦): فيه عمرو بن مرزوق، وأورده الذهبي في الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.

(٢) أما السبع الطول فقد ذكرناها عند تفسير قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} [الحجر: ٨٧]. والمئين: كل سورة بلغت مائة فصاعدا. والمثاني: كل سورة دون المئين وفوق المفصل، والمفصل: هو ما يلي المثاني من قصار السور، وإنما سميت مفصلاً لقصرها وكثرة الفصول فيها بسطر: «بسم الله الرحمن الرحيم»..

(٣) النكت والعيون: ٢٦/١-٢٧.

(٤) النكت والعيون: ٢٦/١.

(٥) تفسير السمعاني: ٢١٢/٥.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٦/١.

واختاره الحافظ ابن حجر، انظر الفتح ٢/١٩٥، ٢٤٩، ٤٣/٩، والزركشي في البرهان ١/٢٤٦.

(٧) قال ابن الجزري: «اختلف في سبب ورود التكبير من المكان المعين فروى الحافظ أبو العلاء بإسناده عن أحمد بن فرح

عن البيهقي: أن الأصل في ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انقطع عنه الوحي، فقال المشركون:

قلبي محمدا ربّه، فنزلت سورة والضحى فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الله أكبر)، وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكبر إذا بلغ (والضحى) ... مع خاتمة كل سورة حتى يختم.

قلت- ابن الجزري- وهذا قول الجمهور من أئمتنا كابي الحسن بن غليون وأبي عمرو الداني، وأبي الحسن السخاوي، وغيرهم من متقدم ومتأخر» النشر ٢/٤٠٥.

وقال ابن كثير: «وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة (الضحى) أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفتر تلك المدة ثم جاء الملك، فأوحى إليه والضحى واللئيل إذا سجدت السورة بتمامها كبر فرحا وسرورا.

ولم يرد ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، فالله أعلم اه. تفسيره ٤/٥٢١.

ونقل بعض هذا عنه ابن الجزري وقال: يعني كون هذا سبب التكبير، وإلا فانقطاع الوحي مدة أو إبطاؤه مشهور .. اه. النشر

٢/٤٠٦. أما حكم التكبير فقد قال مكي بن أبي طالب: «أجمع القراء على ترك التكبير إلا البيهقي فإنه روى عن ابن كثير أنه

يكبر من خاتمة (والضحى) إلى آخر القرآن. من خاتمة كل سورة .. اه. التبصرة: ٥٦٤ ...

وساق الذهبي عند ترجمته للبيهقي- بإسناده إلى البيهقي- قال: «سمعت عكرمة بن سليمان يقول:

قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت (والضحى) قال: كبر عند خاتمة كل سورة فإني قرأت على عبد الله

بن كثير فلما بلغت (والضحى) قال كبر حتى تختم وأخبره ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أن ابن

عباس أمره بذلك وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك، وأخبره أبي- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم

أمره بذلك» اه.

ثم قال الذهبي: قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرج البخاري ولا مسلم اه معرفة القراء الكبار ١/١٧٥ وكان

الذهبي قد قال قبل ذلك: «روى البيهقي في التكبير خبرا غريبا، رواه عنه جماعة» وراجع الميزان في ترجمة البيهقي ١/١٤٤،

قال ابن حجر - بعد أن سرد الأقوال في ذلك وهي ما يقرب من اثني عشر قولاً- قال: «والراجح الحجرات ذكره النووي» (٣).

وقال في موضع آخر: «وبه جزم جماعة من الأئمة» (٤).

وقد سرد السيوطي في «الإتقان» اثني عشر قولاً، ولم يصرح بالترجيح (٥)، إلا أنه في «الدر المنثور» (٦) ساق الآثار في ذلك عند أول تفسيره لسورة «ق» وهذا يدل على الترجيح، وبه جزم ابن كثير في تفسيره (٧).

وأشهر الأقوال أن أول المفصل «الحجرات»، وأول وسط المفصل: «عبس» وأول قصار المفصل: «والضحى»، هذا أشهر أقوال المالكية، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة، ففي الصباح يستحب القراءة بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء بمتوسطه، وفي المغرب بقصاره.

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ الحجرات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومن عصاه»^(٨). [موضوع]

ثم ساق الذهبي بسند أبي عمرو الداني إلى البزي نحو ما تقدم قال: وبه قال موسى بن هارون، قال لي ابن أبي بزة: حدثت محمد بن ادريس الشافعي، فقال لي: إن تركت التكبير، فقد تركت سنة من سنن نبيك صلى الله عليه وآله وسلم اه وانظر النشر ٤١٥ / ٢.

وقال ابن كثير في تفسيره: ٥٢١ / ٤ «روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ قال: قرأت على عكرمة ... وذكره بالسند الذي ذكره الذهبي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال ابن كثير: «فهذه سنة تفرّد بها البزي، وكان إماماً في القراءات، فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث، لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة، فقال: أحسنت وأصبت السنة، وهذا يقتضي صحة هذا الحديث» اه.

وقال ابن الجزري في النشر ٤١٤ / ٢ «وقد تكلم بعض أهل الحديث في البزي، وأظن ذلك من قبل رفعه له» اه.
- وأما كيفية التكبير، فقال مكّي بن أبي طالب: «قال الحسن بن مخلد: سألت البزي عن التكبير، فقال: «لا إله إلا الله والله أكبر» التبصرة: ص ٥٦٥.

وكذلك ذكره الذهبي عن الحسن بن الحباب بن مخلد .. إلخ معرفة القراء الكبار ١ / ١٧٨.

ثم قال مكّي: «والذي قرأنا به، وهو المأخوذ به في الأمصار (الله أكبر). انتهى.

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤١٤ / ١.

حكاه الخطابي والماوردي كما في فتح الباري ٢ / ٢٤٩ دون ذكر لابن عباس.

وقال الزركشي: «عزاه الماوردي لابن عباس، حكاه الخطابي في غريبه ووجهه بأن القارئ يفصل بين هذه السور بالتكبير، قال: وهو مذهب ابن عباس وقراء مكة» البرهان ١ / ٢٤٦، وانظر الإتقان ١ / ١٨٠.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٧ / ١.

(٣) الفتح: ٢ / ٢٤٩.

(٤) الفتح: ٩ / ٤٣.

(٥) انظر: الإتقان: ١ / ١٨٠.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٧ / ٥٨٧.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٤ / ٢٢٠.

(٨) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٩ / ٩، وذكره المستغفري في فضائله (١٢١٦): ص ٧٨٤ / ٢، والزمخشري في التفسير: ٣٧٩ / ٤، والبيضاوي في التفسير: ١٣٨ / ٥، وقد مرّ بأنه حديث موضوع.

والحق أن الثعلبي قد وقع فيما فيه كثير من المفسرين من الاعتراض بالأحاديث الموضوعية في فضائل السور سورة سورة، فروى في نهاية كل سورة حديثاً في فضلها منسوباً إلى أبي بن كعب، كما اغترّ بكثير من الأحاديث الموضوعية على السنة الشيعية، فشوه بها كتابه دون أن يشير إلى وضعها واختلاقها، ومن هذا ما يدل على أن الثعلبي لم يكن له باع في معرفة صحيح الأخبار من سقيمها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير: ص ٣١ « والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع، والواحد صاحبه كان أبصر منه بالعربية، لكن هو أبعد

عن السلامة واتباع السلف، والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعية والآراء المبتدعة.

وقال الكتاني في كتابه «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: ص ٧٨-٧٩»: «الواحد النيسابوري واحد عصره في التفسير المتوفى: بنيسابور سنة ثمان وستين وأربعمائة وهو من تلاميذ أبي إسحاق الثعلبي لازمه وغيره وله التصانيف الثلاثة في التفسير البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول وغيرها من الكتب ولم يكن له ولا لشيوخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث بل في تفسيريهما وخصوصا الثعلبي أحاديث موضوعية وقصص باطلة».

قال الفيروزآبادي في فضائل سورة «الحجرات»: «فيه حديث أبي الضعيف جدا: «من قرأ سورة الحجرات أعطى من الأجر عشر حسنات، بعدد من أطاع الله وعصاه»، وحديث على: «يا على من قرأها كان في الجنة رفيق سليمان بن داود، وله بكل آية قرأها مثل ثواب المحسنين إلى عيالهم». [بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٦/١].

سورة «ق»

سورة «ق»: هي السورة الخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الرابعة والثلاثون بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة المرسلات»، وقبل «سورة البلد»، وعدد آياتها خمس وأربعون. وكلماتها ثلاثمائة وخمس وسبعون. وحروفها ألف وأربعمائة وأربع وسبعون. مجموع فواصل آياتها «صر جد ظب»^(١).

قال ابن كثير: وهذه السورة هي أول الحزب «المفصل» على الصحيح، وقيل: من الحجرات. وأما ما يقوله العامة: إنه من «عمّ» فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء المعتبرين فيما نعلم. والدليل على أن هذه السورة هي أول المفصل ما رواه أوس بن حذيفة، قال: سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده»^(٢). إذا علم هذا، فإذا عددت ثمانيا وأربعين سورة، فالتى بعدهن سورة «ق». والقصد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهذه السورة في المجمع الكبار، كالعيد والجمع، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب»^(٣).

■ أسماء السورة:

■ أسمها التوقيفي: «سورة ق»:

سميت في عصر الصحابة سورة «ق»، فقد روى مسلم عن قطبة بن مالك، قال: صليت وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ: {ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ}. حتى قرأ: وَالنَّحْلَ بَاسِقَاتٍ {ق: ١٠}. قال: فجعلت أرددها ولا أدري ما قال»^(٤).

عن أبي واقد الليثي، قال: «سألني عمر بن الخطاب: عما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم العيد؟ فقلت: «{بِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ}، و{ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ}»^(٥).

وهي من السور التي سميت بأسماء الحروف الواقعة في ابتدائها مثل: «طه» و«ص» و«ق» و«يس»، لانفراد كل سورة منها بعدد الحروف الواقعة في أوائلها بحيث إذا دعيت بها لا تلتبس بسورة أخرى»^(٦).

■ الثاني: اسمها الاجتهادي: «سورة الباسقات»

وفي بعض المصادر أنها تسمى سورة الباسقات^(٧)، هكذا بلام التعريف، ولم يعزه لقائل والوجه أن تكون تسميتها هذه على اعتبار وصف لموصوف محذوف، أي: سورة النخل الباسقات إشارة إلى قوله: {وَالنَّحْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ} {ق: ١٠}»^(٨).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها أنزلت في مكة. قاله ابن عباس^(١)، وابن الزبير^(٢)، وجابر^(٣)، والحسن^(٤)، ومجاهد^(٥)، وقتادة^(٦)، وعكرمة^(٧)، وعطاء^(٨). وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور^(٩).

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٤٣٧.

(٢) سنن أبي داود برقم (١٣٩٣) وسنن ابن ماجه برقم (١٣٤٥)، والمسند (٩/٤).

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٩٢/٧-٣٩٣. [باختصار]

(٤) صحيح مسلم (٤٥٧): ص ٣٣٦/١.

(٥) صحيح مسلم (٨٩١): ص ٦٠٧/٢.

(٦) انظر: التحرير والتنوير: ٢٦/٢٧٣.

(٧) وردت هذه التسمية في المصادر الآتية: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٤، والناسخ والمنسوخ للمقري: ١٦٧، وجمال القراء: ٩٢، وزاد المسير: ٤/١٥٦، ونظم الدرر: ٣٩٧/١٨، والإتقان في علوم القرآن: ١/١٩٤، وتفسير البيضاوي: ٨/٨٣.

(٨) انظر: التحرير والتنوير: ٢٦/٢٧٤.

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: "نزلت المفصل بمكة فمكثنا حججا نقرأه لا ينزل غيره"^(١٠).
 وأخرج ابن أبي داود وابن عساكر، عن عثمان بن عفان: "أنها لما ضربت يده، قال: والله إنها لأول يد خطت المفصل"^(١١).
 الثاني: أن فيها آية مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق : ٣٨]. حكى هذا القول عن ابن عباس^(١٢)، وقتادة^(١٣). وبه قال الزمخشري^(١٤).
 قال ابن عاشور: قيل: "أنها نزلت في اليهود، يعني: في الرد عليهم إذ قالوا: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت، يعني أن مقالة اليهود سمعت بالمدينة، يعني: وألحقت بهذه السورة لمناسبة موقعها. وهذا المعنى وإن كان معنى دقيقا في الآية فليس بالذي يقتضي أن يكون نزول الآية في المدينة فإن الله علم ذلك فأوحى به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم على أن بعض آراء اليهود كان مما يتحدث به أهل مكة قبل الإسلام يتلقونه تلقى القصص والأخبار. وكانوا بعد البعثة يسألون اليهود عن أمر النبوة والأنبياء، على أن إرادة الله إبطال أو هام اليهود لا تقتضي أن يؤخر إبطالها إلى سماعها بل قد يجيء ما يبطلها قبل فشوها في الناس كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر : ٦٧] فإنها نزلت بمكة. وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه بعض أحبار اليهود فقال: إن الله يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع والبحار على أصبع والجبال على أصبع ثم يقول «أنا الملك أين ملوك الأرض»^(١٥) فتلا النبي صلى الله عليه وسلم الآية، والمقصود من تلاوتها هو قوله: وما قدروا الله حق قدره. والإيماء إلى سوء فهم اليهود صفات الله"^(١٦).

(١) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤، بدون إسناد، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٨٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٨٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ١/١٧. بدون إسناد.

(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤. بدون إسناد.

(٥) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤، بدون إسناد.

(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤. بدون إسناد.

(٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤. بدون إسناد.

(٨) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ١/١٧. بدون إسناد.

(٩) انظر: زاد المسير: ١٥٦/٤.

(١٠) الدر المنثور: ٥٨٧/٧.

(١١) الدر المنثور: ٥٨٧/٧.

(١٢) انظر: زاد المسير: ١٥٦/٤، وتفسير القرطبي: ١/١٧. بدون إسناد.

(١٣) انظر: زاد المسير: ١٥٦/٤، وتفسير القرطبي: ١/١٧. بدون إسناد.

(١٤) انظر: الكشف: ٣٧٩/٤.

(١٥) نص الحديث « يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ». حديث أبي هريرة: البخاري (١٨١٢/٤، رقم ٤٥٣٤) ، ومسلم (٢١٤٨/٤، رقم ٢٧٨٧) ، والنسائي في الكبرى (٤٠١/٤، رقم ٧٦٩٢) ، وابن ماجه (٦٨/١، رقم ١٩٢) . وأخرجه أيضا: أحمد (٣٧٤/٢، رقم ٨٨٥٠) . حديث ابن عمر: أخرجه البخاري (٢٦٩٧/٦، رقم ٦٩٧٧).

(١٦) التحرير والتنوير: ٢٧٤/٢٦.

قال ابن عطية: " هي مكية بإجماع من المتأولين" (١).

قال السمعاني: " هي مكية" (٢).

قال البغوي: " سورة «ق» مكية" (٣).

قال القرطبي: " سورة ق مكية كلها" (٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه أشار في آخر السورة السابقة إلى أن إيمان أولئك الأعراب لم يكن إيمانا حقا، وذلك يقتضى إنكار النبوة وإنكار البعث، وافتتح هذه السورة بما يتعلق بذلك (٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تضمنت هذه السورة جملة من المقاصد، هي وفق الآتي:

- ١- التنويه بشأن القرآن.
- ٢- أنهم كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه من البشر.
- ٣- الاستدلال على إثبات البعث وأنه ليس بأعظم من ابتداء خلق السماوات وما فيها وخلق الأرض وما عليها، ونشأة النبات والثمار من ماء السماء وأن ذلك مثل للإحياء بعد الموت.
- ٤- تنظير المشركين في تكذيبهم بالرسالة والبعث ببعض الأمم الخالية المعلومة لديهم، ووعيد هؤلاء أن يحل بهم ما حل بأولئك.
- ٥- الوعيد بعذاب الآخرة ابتداء من وقت احتضار الواحد، وذكر هول يوم الحساب.
- ٦- وعد المؤمنين بنعيم الآخرة.
- ٧- تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم إياه وأمره بالإقبال على طاعة ربه وإرجاء أمر المكذبين إلى يوم القيامة وأن الله لو شاء لأخذهم من الآن ولكن حكمة الله قضت بإرجائهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكلف بأن يكرههم على الإسلام وإنما أمر بالتنكير بالقرآن.
- ٨- الثناء على المؤمنين بالبعث بأنهم الذين يتذكرون بالقرآن.
- ٩- إحاطة علم الله تعالى بخفيات الأشياء وخواطر النفوس (٦).

■ الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آيتان: {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ} [ق : ٣٩] {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} [ق : ٤٥] منسوختان بأية السيف (٧).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبيد الله بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب، سأل أبا واقد الليثي: ما كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأضحى والفطر؟ فقال: «كان يقرأ فيهما بـ {ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ}، {وَاقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَالنَّسْفُ الْقَمَرُ}» (٨).

(١) المحرر الوجيز: ١٥٥/٥.

(٢) انظر: تفسير السمعاني: ٢٣٤/٥.

(٣) تفسير البغوي: ٣٥٢/٧.

(٤) تفسير القرطبي: ١/١٧.

(٥) انظر: روح المعاني: ٣٢١/١٣، وتفسير المراغي: ١٥٠/٢٦.

(٦) انظر: التحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٦.

(٧) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٧/١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٩٨.

(٨) صحيح مسلم (٨٩١): ص ٦٠٧/٢.

- عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن أخت لعمره، قالت: "أخذت {ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ} من في رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، وهو يقرأ بها على المنبر في كل جمعة"^(١).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة ق، هون الله عليه تارات الموت، وسكراته"^(٢). [ضعيف]
- عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أعطيت مكان التوراة السبع الطول وأعطيت مكان الزبور المثني وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل"^(٣).
وقد اختلف أهل العلم في «المفصل»، على أقوال، أشهرها أن أول المفصل «الحجرات»، وأول وسط المفصل: «عيس» وأول قصار المفصل: «والضحى»، هذا أشهر أقوال المالكية، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة، ففي الصبح يستحب القراءة بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء بمتوسطه، وفي المغرب بقصاره^(٤).

(١) صحيح مسلم (٨٧٢):ص٥٩٥/٢.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٩٢/٩. [وقد اتفق العلماء بأن روايات الثعلبي عن أبي بن كعب في فضائل السور باطل موضوع كله].

(٣) أخرجه أحمد (١٠٧/٤)، رقم (١٧٠٢٣). قال الهيثمي (٤٦/٧): فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الطبراني (٧٥/٢٢) رقم (١٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٦٥)، رقم ٢٤١٥ مكرر). وأخرجه أيضا: الطيالسي (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/٢٧١٦ رقم ٦٤٨٥). وقال المناوي (١/٥٦٦): فيه عمرو بن مرزوق، أورده الذهبي في الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.

(٤) النكت والعيون: ٢٧-٢٦/١.

سورة «الذاريات»

«سورة الذاريات» هي السورة «الواحدة والخمسون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «السادسة والستون» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة الأحقاف»، وقبل «سورة الغاشية». وعدد آياتها ستون، وكلماتها ثلثمائة وستون، وحروفها ألف ومائتان وسبع وثمانون، مجموع فواصل آياتها: «قفاك معن»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أسمها التوقيفي: «سورة الذاريات»:

تسمى هذه السورة «الذاريات» بإثبات «الواو» تسمية لها بحكاية الكلمتين الواقعتين في أولها: {وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا} [الذاريات : ١]، وبهذا عنوانها البخاري في كتاب التفسير من "صحيحه"^(٢) والفراء في "معاني القرآن"^(٣)، وابن العربي في "أحكام القرآن"^(٤)، وابن أبي زمنين في "التفسير"^(٥)، والبيضاوي في "التفسير"^(٦)، والقرطبي في "التفسير"^(٧).

وتسمى أيضاً «سورة الذاريات» بدون «الواو» اقتصاراً على الكلمة التي لم تقع في غيرها من سور القرآن، وكذلك عنوانها الترمذي في "جامعه"^(٨)، والحاكم في "المستدرک"^(٩)، وجمهور المفسرين^(١٠)، وكذلك هي في المصاحف المشرقية والمغربية^(١١).

ووجه التسمية أن هذه الكلمة لم تقع بهذه الصيغة في غيرها من سور القرآن^(١٢).

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "نزلت سورة الذاريات بمكة"^(١٣). وروي عن ابن الزبير -رضي الله عنه- مثله^(١٤).

قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع من المفسرين"^(١٥).

قال ابن الجوزي: "مكية كلها بإجماعهم"^(١٦).

قال القرطبي: "سورة والذاريات مكية في قول الجميع"^(١٧).

قال ابن عاشور: "هي مكية بالاتفاق"^(١٨).

- (١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٤٣٩، والتحرير والتنوير: ٣٣٥/٢٦.
- (٢) انظر: صحيح البخاري: ١٣٩/٦.
- (٣) انظر: معاني القرآن: ٨٢/٣.
- (٤) انظر: أحكام القرآن: ٣٤٢/٢.
- (٥) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٢٨٢/٤.
- (٦) انظر: تفسير البيضاوي: ١٤٦/٥.
- (٧) انظر: تفسير القرطبي: ٢٩/١٧.
- (٨) سنن الترمذي: ٤٢/٥.
- (٩) انظر: المستدرک على الصحيحين: ٥٠٦/٢.
- (١٠) حكاة عن الجمهور ابن عاشور، انظر: التحرير والتنوير: ٣٣٥/٢٦.
- (١١) انظر: التحرير والتنوير: ٣٣٥/٢٦.
- (١٢) انظر: التحرير والتنوير: ٣٣٥/٢٦.
- (١٣) الدر المنثور: ٦١٣/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
- (١٤) انظر: الدر المنثور: ٦١٣/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
- (١٥) المحرر الوجيز: ١٥٥/٥.
- (١٦) زاد المسير: ١٦٧/٤.
- (١٧) تفسير القرطبي: ٢٩/١٧.
- (١٨) التحرير والتنوير: ٣٣٥/٢٦.

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها:

- ١- إنه قد ذكر في السورة السابقة البعث والجزاء والجنة والنار، وافتتح هذه بالقسم بأن ما وعدوا من ذلك صدق وأن الجزاء واقع.
- ٢- إنه ذكر هناك إهلاك كثير من القرون على وجه الإجمال، وهنا ذكر ذلك على وجه التفصيل^(١). قال السيوطي: "لما ختمت «ق» بذكر البعث، واشتملت على ذكر الجزاء، والجنة، والنار، وغير ذلك من أحوال القيامة، افتتح هذه السورة بالإقسام على أن ما توعدون من ذلك لصادق، وأن الدين -وهو الجزاء- لواقع. ونظير ذلك: افتتاح المرسلات بذلك، بعد ذكر الوعد والوعيد والجزاء في سورة الإنسان^(٢)«(٣)».

■ أغراض السورة ومقاصدها

- إن موضوع السورة يدور حول متابعة معالجة منكري البعث والجزاء يوم الدين إبان التنزيل؛ إذ يوجد فيهم من لم يصلوا بعدُ إلى مرحلة ميؤوس منهم معها. والسورة على الجملة تضمنت المقاصد التالية:
- ١- تحقيق وقوع البعث والجزاء، وإبطال مزاعم المكذبين به وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ورميهم بأنهم يقولون بغير تثبت، ووعيدهم بعذاب يفتنهم.
 - ٢- وعُدُّ المؤمنين بنعيم الخلد، وذكر ما استحقوا به تلك الدرجة من الإيمان والإحسان.
 - ٣- فسّم الله سبحانه بمخلوقات من مخلوقاته، لها آثارها الواضحة، وظواهرها الشاهدة، ومنافعها التي لا ينكرها أحد، ولا يجحد عقلٌ فضلها على الإنسان، والحيوان، والنبات؛ فإن الرياح تسوق الأمطار إلى جميع الأقطار، وتدفع السفن في البحار، تحمل الأمتعة والأثقال والمسافرين، وتمخر عياب البحار، فتسهل كل صعب، وتقرب كل بعيد، كل هذا مما يقع تحت العيان، ولا يستطيع أن ينكره إنسان، كما أن ما يتفاوت الناس فيه من أحوال، وما يجري عليهم من أحداث، وما يختلفون فيه من منازل وأرزاق، لا يكون إلا بتقدير العزيز العليم، وبتسخير من الحكيم الخبير.
 - ٤- عرّض مشهد ترغيبي من مشاهد يوم القيامة يتعلق بعباده المتقين، الذين بلغوا مرتبة الإحسان بأعمالهم في رحلة امتحانهم، وهم يُنعمون في جنات وعيون، آخذين ما آتاهم ربهم من فيوض عطاءاته.
 - ٥- حثّ على التفكير في آيات ربوبية الله وإلهيته في الأرض وفي الأنفس، موجّه من الله بالخطاب المباشر للذين لم يؤمنوا بعدُ، ويتوهمون أن آلهتهم من دون الله، هي التي ترزقهم من الأرض، فأبان الله لهم أن رزقهم في السماء بأوامر ربانية، وكذلك ما يوعدون من جزاء بأوامر ربانية، وأقسم سبحانه بربوبيته للسماء والأرض على أن هذا حق مماثل لما ينطقون بألسنتهم في حركة حياتهم.
 - ٦- اختصت السورة طائفة من الرسل اشتمت معاناتهم مع أممهم وأقوامهم، فذكرت إبراهيم، وموسى عليهما السلام، وعرضت للأمم، التي أوغلت في الطغيان، وأغرقت في التجبر من أمثال عاد، وثمود، وقوم نوح، فلاقت أشد النكال، وأسوأ المآل.
 - ٧- حديثٌ عن مظاهر القدرة ببناء السموات وامتدادها، وفرش الأرض، وبسطها، وتمهيدها، وتعدد المخلوقات وازدواجها، مما لا يتحقق إلا بقدرة لا يقادر قدرها، وحكمة لا يدرك كنهها، ويقين يدفعنا إلى صدق الإيمان، ويسوقنا إلى الفرار إلى الله، والاعتماد عليه دون سواه.

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٧٣/٢٦.

(٢) الوعد والوعيد في الإنسان: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا} [الإنسان: ٤]، وما بعدها، وأقسم على صحة ذلك في أول المرسلات: {إِنَّمَا تُوَعَّدُونَ لَوَاقِعٍ} [المرسلات: ٧].

(٣) أسرار ترتيب سور القرآن: ١٣٣.

٨- خُتِمت السورة ببيان الغرض الأسمى، والمقصد الأعلى، والغاية العليا من خلق الإنسان والجان، وهي توحيد الله وعبادته، ثم تهديد الكافرين بسوء العاقبة والمصير^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آيتان:

إحداهما: قوله تعالى: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} [الذاريات : ٥٤]، نسختها قوله: {وَدَكَّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات : ٥٥]، وقيل: آية السيف^(٢).

والثانية: قوله تعالى: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ} [الذاريات : ١٩]، نسختها آية الزكاة^(٣).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن البراء بن عازب قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي بنا الظهر، فنسمع منه الآية بعد الآيات، من «سورة لقمان والذاريات»»^(٤).

- عن أبي المتوكل الناجي، "أن عمر، قرأ في الظهر بـ«ق والذاريات»»^(٥).

- عن قتادة: "أن ابن عمر كان يقرأ في الركعة الأولى من الظهر «والذاريات»»^(٦).

- عن أبي إسحاق، عن علقمة، والأسود، قالوا: "أتى ابن مسعود رجلٌ فقال: إني أقرأ المُفَصَّلَ في ركعة، فقال: أهدأ كهذا الشعر ونثراً كنثر الدَّقْل؟ لكنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ النَّظَائِرَ السُّورَتَيْنِ في رَكْعَةٍ، «الرحمن، والنجم» في ركعة، و«اقتربت، والحاقة» في ركعة، و«الطور، والذاريات» في ركعة، و«إذا وَقَعْتَ، ونون» في ركعة، و«سأل سائل، والنازعات» في ركعة، و«وَيْلٌ للمطَّفِينِ، وعبس» في ركعة، و«المَدَّثَرُ، والمزمل» في ركعة، و«هل أتى، ولا أقسمُ بيوم القيامة» في ركعة، و«عم يتساءلون، والمرسلات» في ركعة، و«الدخان، وإذا الشمس كورت» في ركعة»^(٧).

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٦.

(٢) قال ابن الجوزي: "زعم قوم: أنها منسوخة، ثم اختلفوا في ناسخها: فقال بعضهم: آية السيف، وقال بعضهم: إن ناسخها: {وَدَكَّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}. وهذا قد يخيل أن معنى قوله: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} أعرض عن كلامهم، فلا تكلمهم، وفي هذا بعد. فلو قال: هذا إن المعنى أعرض عن قتالهم صلح نسخها بآية السيف، ويحتمل أن يكون معنى الآية أعرض عن مجادلتهم فقد أوضحت لهم الحجج، وهذا لا ينافي قتالهم". [نواسخ القرآن: ١٩٩].

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٩/١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٩٩. قال ابن الجوزي: "قوله تعالى: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [الذاريات: ١٩] الحق هاهنا النصيب وفيه قولان: الأول: أنه ما يصلون به رحماً، أو يقرون به ضيفاً، أو يحملون به كلاً، أو يغنون به محروماً، وليس بالزكاة. قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

والثاني: أنه الزكاة، قاله، قتادة وابن سيرين.

وقد زعم قوم: أن هذه الآية اقتضت وجوب إعطاء السائل والمحروم، فذلك منسوخ بالزكاة، والظاهر أنها حث على التطوع ولا يتوجه نسخ". [نواسخ القرآن: ١٩٩].

(٤) سنن ابن ماجة (٨٣٠): ص ٢١/٢، وسنن النسائي (٩٧١): ص ١٦٣/٢. [حكم الألباني] ضعيف.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٧٤): ص ٣١٣/١.

(٦) مصنف عبدالرزاق (٢٦٨٥): ص ١٠٦/٢.

(٧) صحيح أبي داود (١٣٩٦): ص ٥٦/٢. قال أبو داود: «هذا تأليف ابن مسعود رحمه الله». والحديث أخرجه البخاري (٧٧٥) و (٤٩٩٦) و (٥٠٤٣)، ومسلم (٨٢٢)، والترمذي (٦٠٨)، والنسائي في "الكبرى" (١٠٧٨ - ١٠٧٩) من طريق أبي وائل شقيق بن سلمة، والنسائي (١٠٨٠) من طريق مسروق بن الأجدع، كلاهما عن عبد الله بن مسعود، بهذا الإسناد. ولم يذكروا أسماء السور تفصيلاً. وهو في "مسند أحمد" (٣٩٥٨) و (٣٩٦٨)، و"صحيح ابن حبان" (١٨١٣).

[حكم الألباني]: صحيح دون سرد السور

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة والذاريات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كلِّ ريح هبت وجرت في الدنيا»^(١). [ضعيف]
- عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أعطيت مكان التوراة السبع الطول وأعطيت مكان الزبور المثني وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل"^(٢). وفي أشهر الأقوال: أن أول المفصل «الحجرات»، وأول وسط المفصل: «عبس» وأول قصار المفصل: «والضحى»، هذا أشهر أقوال المالكية، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة، ففي الصبح يستحب القراءة بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء بمتوسطه، وفي المغرب بقصاره^(٣).

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٠٩/٩. [وقد اتفق العلماء بأن روايات الثعلبي عن أبي بن كعب في فضائل السور باطل موضوع كله].

(٢) أخرجه أحمد (١٠٧/٤)، رقم (١٧٠٢٣). قال الهيثمي (٤٦/٧): فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الطبراني (٧٥/٢٢) رقم (١٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٦٥/٢)، رقم ٢٤١٥ مكرر). وأخرجه أيضا: الطيالسي (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/٢٧١٦ رقم ٦٤٨٥). وقال المناوي (٥٦٦/١): فيه عمرو بن مرزوق، أورده الذهبي في الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.

(٣) النكت والعيون: ٢٧-٢٦/١.

سورة «الطور»

«سورة الطور» هي السورة الثانية والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الخامسة والسبعون وفق ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة نوح»، وقيل «سورة المؤمنين». عدد آياتها تسع وأربعون في عد الكوفة والشأم، وثمان في البصرة، وسبع في الحجاز. كلماتها ثلاثمائة واثنان عشرة. وحروفها ألف وخمسمائة. الآيات المختلف فيها اثنتان: {وَالتُّورِ} [الطور : ١]، {دَعَا} [الطور : ١٣]، مجموع فواصل آياتها: «من رعا»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أسماها التوقيفي: «سورة الطور»:

سميت هذه السورة عند السلف «سورة الطور» دون «واو» قبل «الطور»^(٢)، وكذلك وقعت تسميتها في ترجمتها من «جامع الترمذي»^(٣)، و«سنن النسائي»^(٤)، وفي المصاحف التي رأيناها، وكثير من التفاسير^(٥). وهذا على التسمية بالإضافة، أي: سورة ذكر الطور كما يقال: سورة البقرة، وسورة الهدد، وسورة المؤمنين^(٦).

وفي ترجمة هذه السورة من تفسير «صحيح البخاري»: «سورة والطور»^(٧)، بالواو على حكاية اللفظ الواقع في أولها، كما يقال: «سورة قل هو الله أحد».

ولا يعرف لهذه السورة اسم غير اسمها المشهورة به.

ووجه تسميتها بسورة «الطور»، لافتتاحها بقسم الله تعالى بالطور، وذلك في قوله تعالى: {وَالتُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢)} [الطور : ١ - ٢]، وقد ورد هذا اللفظ في عدة سور من القرآن الكريم، مثل سورة البقرة^(٨)، والنساء^(٩)، ومريم^(١٠)، وطه^(١١)، والمؤمنون^(١٢)، والقصص^(١٣)، والتين^(١٤).

■ مكة السورة ومدنيتها:

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٤٤١.

(٢) كما سيأتي الروايات في فضائل السورة.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٢٤٥/٥.

(٤) انظر: سنن النسائي: ٢٧٢/١٠.

(٥) انظر: مثلاً: تفسير الطبري: ٤٥٠/٢٢، وتفسير السمعاني: ٢٦٦/٥، وتفسير البغوي: ٣٨٢/٧، وتفسير القرطبي: ٨/١٧، وغيرها.

(٦) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥/٢٧.

(٧) انظر: صحيح البخاري: ١٣٩/٦.

(٨) وذلك في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ٦٣]، وقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ٩٣].

(٩) وذلك في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ٩٣].

(١٠) وذلك في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ٩٣].

(١١) وذلك في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ٩٣].

(١٢) وذلك في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ٩٣].

(١٣) وذلك في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ٩٣].

(١٤) وذلك في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ٩٣].

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "نزلت سُورَةُ الطُّورِ بِمَكَّةَ"^(١). وروي عن ابن الزبير -رضي الله عنه- مثله^(٢).

قال ابن عطية: "هي مكة بإجماع من المفسرين والرواة"^(٣).

قال ابن الجوزي: "هي مكّة كلها بإجماعهم"^(٤).

قال القرطبي: "سورة «الطور» مكة كلها في قول الجميع"^(٥).

قال ابن عاشور: "هي مكة جميعها بالاتفاق"^(٦).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها:

- ١- إن في ابتداء كل منهما وصف حال المتقين.
- ٢- إن في نهاية كل منهما وعيد للكافرين.
- ٣- إن كلا منهما بدئت بقسم بأية من آياته تعالى الكونية التي تتعلق بالمعاش أو المعاد، ففي الأولى أقسم بالرياح الذاريات التي تنفع الإنسان في معاشه، وهنا أقسم بالطور الذي أنزل فيه التوراة النافعة للناس في معادهم.
- ٤- في كل منهما أمر النبي بالتذكير والإعراض عما يقول الجاحدون من قول مختلف.
- ٥- تضمنت كلتاها الحجاج على التوحيد والبعث، إلى نحو ذلك من المعاني المتشابهة في السورتين^(٧).
- ٦- ومن المناسبة بين «الطور» و«الذاريات» أنه تعالى ذكر تكذيب الكافرين، ورد عليهم في إجاز في الذاريات بقوله: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} [الذاريات: ٥٢]، وما بعدها، ثم فصل ذلك في الطور من قوله: {فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ} [الطور: ٢٩] إلى آخر السورة.

قال السيوطي: "وجه وضعها بعد «الذاريات»: تشابهها في المطلع والمقطع؛ فإن في مطلع كل منهما صفة حال المتقين بقوله: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ} [الذاريات: ١٥]، [الطور: ١٧]، الآيات، وفي مقطع كل منهما صفة حال الكفار، بقوله في تلك: {فَقَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [الذاريات: ٦٠]، وفي هذه: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا} [الطور: ٤٢]"^(٨).

■ أغراض السورة ومقاصدها

يدور موضوع سورة «الطور» حول معالجة الجاحدين بيوم الدين، والمكذبين برسالة سيد المرسلين، والمعرضين عن القرآن المبين، ومعالجة جاحدي ربوبيته جلّ وعلا، ومُدّعي أكاذيب اعتقادية، تناقض ما يجب أن يؤمنوا به، ومعالجة مريدي تدبير الكيد؛ للتخلص من الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن الذين آمنوا به واتبعوه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، ومعالجة المشركين بالإندار والإهلاك.

والسورة في جملتها تضمنت المقاصد التالية:

(١) الدر المنثور: ٦٢٦/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٦٢٦/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) المحرر الوجيز: ١٨٥/٥.

(٤) زاد المسير: ١٧٥/٤.

(٥) تفسير القرطبي: ٥٨/١٧.

(٦) التحرير والتنوير: ٣٥/٢٧.

(٧) انظر: تفسير المراغي: ١٦/٢٧.

(٨) أسرار ترتيب القرآن: ١٣٣.

- ١- قَسَمَهُ سبحانه في أول سورة الطور بخمسة أشياء، لها شأن عظيم على وقوع العذاب يوم القيامة بالمكذبين، وبيان ألوانه وضروبه، مع ذكر بعض التغييرات الكونية والآيات الإلهية التي تقع في ذلك اليوم.
- ٢- ذَكَرُ ما أعدّه الله للمتقين من جنات ونعيم، وما يتلذذون به ويلقونه من صنوف التَّكْرِيم، حيث يُلْحَقُ الله بهم ذريتهم المؤمنة، ويرفعهم إلى درجاتهم؛ لتقرّ بذلك عيونهم، ويتم سرورهم.
- ٣- دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المداومة على تبليغ رسالته، فهو -بفضل ما أنعم الله به عليه من النبوة ورجاحة العقل- ليس بكاهن، ولا مجنون، ولا شاعر، كما تدعوه إلى عدم الالتفات إلى ما يتقولّه عليه المتقولون، وعدم المبالاة بما يصفون به القرآن، الذي عجزوا عن الإتيان بمثله.
- ٤- توبيخ الكافرين والمشركين، وتقبیح آرائهم الضالّة، وتسفيه معتقداتهم الفاسدة، وبيان ضلالهم، وإعلان سوء تقديرهم.
- ٥- إبطال خليط من أكاذيب الكافرين الجاحدين، بإعادة الخلق، وبيعته رسول صلى الله عليه وسلم ليس من كبارائهم، ويكون الملائكة بنات الله.
- ٦- إبطال تعدد الآلهة، وذكر استهزائهم بالوعيد.
- ٧- توكيد حقيقة البعث والقيامة ويوم الدين، مع تقديم بعض مشاهد من يوم الدين للكافرين الجاحدين، وبعض مشاهد للمؤمنين المتقين.
- ٨- توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم لأن يتابع تذكيره من لم يصلوا إلى دركة ميؤوس معها من استجابتهم عن طريق إرادتهم الحرة، مع معالجة الكافرين بشأن هذه القضايا.
- ٩- توصية الرسول صلى الله عليه وسلم بما ينبغي أن يتصرفه، تجاه الكافرين، الذين وصلوا إلى دركة ميؤوس معها من استجابتهم عن طريق إرادتهم الحرة، مع بيان الدواء الديني الذي عليه صلى الله عليه وسلم أن يداوي نفسه به.
- ١٠- في ختام السورة توصية من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم؛ بالتصرف الحكيم الذي ينبغي له أن يتصرفه مع الكفرة المجرمين المعاندين في مواجهة المواقف التي كانوا عليها إبان تنزيل السورة وقبلها، وهو تركهم يمعنون في كفرهم، والاشتغال بغيرهم من الذين لم يبلغوا دركة الميؤوس من استجابتهم عن طريق إرادتهم الحرة^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

- ذكر أهل التفسير ثلاثة آيات من اللواتي ادعى عليهن النسخ في هذه السورة:
 إحداها: قوله تعالى: {قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ} [الطور: ٣١].
 قال ابن الجوزي: "قال المفسرون: معناها: انتظروا في ريب المنون فإنني منتظر عذابكم، فعدّوا يوم بدر بالسيف، وزعم بعضهم أنها منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح؛ إذ لا تضاد بين الآيتين"^(٢)..
 الثانية: قوله تعالى: {قَدَرُهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ} [الطور: ٤٥]
 قال ابن الجوزي: "زعم بعضهم: أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وإذا كان معنى ذرهم الوعيد لم يقع نسخ"^(٣).
- الثالث: قوله تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور: ٤٨].

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٣٦/٢٧.

(٢) نواسخ القرآن: ٢٠٠.

(٣) نواسخ القرآن: ٢٠٠.

قال ابن الجوزي: " زعم بعض المفسرين: أن معنى الصبر منسوخ بأية السيف وليس بصحيح، لأنه يجوز أن يصبر لحكم ربه ويقاتلهم، ولا تضاد بين الآيتين"^(١).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنني أشتكى فقال: " طوفي من وراء الناس وأنت راكبة، قالت: فطفت راكبة بعيري ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ يصلي إلى جانب البيت وهو يقرأ بالطور وكتاب مسطور"^(٢).
- أي: يقرأ بسورة الطور ولم ترد يقرأ بالآية لأن الآية فيها والطور بالواو وهي لم تذكر الواو.
- وعن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «قرأ بالطور في المغرب»^(٣).
- عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه رضي الله عنه، قال: " سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ}، " قال: كاد قلبي أن يطير"^(٤).
- وكان جبير بن مطعم مشركا قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في فداء أسرى بدر وأسلم يومئذ.

(١) نواسخ القرآن: ٢٠٠.

(٢) موطأ مالك (١٢٣): ص ٣٧٠. تح: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) موطأ مالك (٢٣): ص ٨٧.

(٤) صحيح البخاري (٤٨٥٤): ص ١٤٠/٦.

سورة «النجم»

«سورة النجم»: هي السورة الثالثة والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الثالثة والعشرون بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الإخلاص، وقبل سورة عبس، آياتها اثنتان وستون في عد الكوفيين، وواحدة في عد الباقيين. وكلماتها ثلاثمائة وستون، وحروفها ألف وأربعمائة وخمسون. والآيات المختلف فيها ثلاث: {مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} [النجم : ٢٨]، {عَنْ مَنْ تَوَلَّى} [النجم : ٢٩]، {الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [النجم : ٢٩]. مجموع فواصل آياتها: «واه»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أسمها التوقيفي: «سورة النجم»:

سميت «سورة النجم» لافتتاحها بقسم الله تعالى بالنجم في قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١)} [النجم : ١]، وقد ورد لفظ «النجم» منفردا في بعض سور القرآن كسورة النحل^(٢)، والرحمن^(٣)، والطلاق^(٤).

وقد سميت بـ«سورة النجم» بغير «واو» في عهد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ففي «الصحيحين» عن عبد الله رضي الله عنه: " أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم، فسجد بها فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفا من حصى - أو تراب - فرفعه إلى وجهه، وقال: يكفيني هذا "، قال عبد الله: فلقد رأيته بعد قتل كافر^(٥).

عن ابن عباس رضي الله عنهما: " أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس"^(٦). فهذه تسمية؛ لأنها ذُكر فيها «النجم».

وسموها: «سورة والنجم» بـ«واو» بحكاية لفظ القرآن الواقع في أولها، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من "صحيحه"^(٧)، والترمذي في «جامعه»^(٨).

ووقعت في المصاحف والتفاسير بالوجهين، وهو من تسمية السورة بلفظ وقع في أولها، وهو لفظ «النجم» أو حكاية لفظ «والنجم».

وسموها : {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ} [النجم : ١]، كما في حديث زيد بن ثابت في الصحيح : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ}، فلم يسجد^(٩)، أي: في زمن آخر غير الوقت الذي ذكره ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما.

وعن الأعرج؛ أن عمر بن الخطاب، قرأ ب: {والنجم (١) إذا هوى} [النجم ٥٣ : ١] فسجد فيها. [تس: ٥٧] ثم قام، فقرأ بسورة أخرى^(١٠).

قال ابن عاشور: "وهذا كله اسم واحد مُتَوَسِّع فيه، فلا تُعَدُّ هذه السورة بين السور ذوات أكثر من اسم"^(١١).

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٤٣ / ١.

(٢) وذلك في قوله تعالى: {وَعَلَّمَاتِ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل : ١٦].

(٣) وذلك في قوله تعالى: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ} [الرحمن : ٦].

(٤) وذلك في قوله تعالى: {النَّجْمِ الثَّاقِبِ} [الطارق : ٣].

(٥) صحيح البخاري (١٠٧٠): ص ٤١/٢، وصحيح مسلم (٥٧٦): ص ٤٠٥/١.

(٦) صحيح البخاري (١٠٧١): ص ٤١/٢.

(٧) انظر: صحيح البخاري: ١٤٠/٦.

(٨) انظر: سنن الترمذي: ٢٤٦/٥.

(٩) صحيح مسلم (٥٧٧): ص ٤٠٦/١.

(١٠) موطأ مالك (٧٠٠): ص ٢٨٨/٢، وأخرجه أبو مصعب الزهري، ٢٦١ في النداء والصلاة؛ والحدثاني، ٩٧ في الصلاة؛ والشيباني، ٢٦٨ في الصلاة؛ والشافعي، ١٠٣٢، كلهم عن مالك به.

(١١) التحرير والتنوير: ٨٧/٢٧.

■ مكية السورة ومدنيتها:

- في مكان نزول السورة، قولان:
أحدهما: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس^(١)، وابن الزبير^(٢).
الثاني: أنها مكية إلا آية منها، وهي {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ} [النجم : ٣٢]، الآية. قاله ابن عباس^(٣)، وقتادة^(٤)، ومقاتل^(٥).
قال ابن عاشور: "ونسب إلى الحسن البصري: أن السورة كلها مدنية، وهو شذوذ"^(٦).
قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالاتفاق"^(٧).
قال ابن الجوزي: "هي مكية بإجماعهم"^(٨).
قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع من المتأولين، وهي أول سورة أعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون"^(٩).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

- ومناسبتها لما قبلها:
١- إن في ابتداء كل منهما وصف حال المتقين.
٢- إن في نهاية كل منهما وعيد للكافرين.
٣- إن كلا منهما بدئت بقسم بآية من آياته تعالى الكونية التي تتعلق بالمعاش أو المعاد، ففي الأولى أقسم بالرياح الذاريات التي تنفع الإنسان في معاشه، وهنا أقسم بالطور الذي أنزل فيه التوراة النافعة للناس في معادهم.
٤- في كل منهما أمر النبي بالتذكير والإعراض عما يقول الجاحدون من قول مختلف.
٥- تضمنت كلتاها الحجاج على التوحيد والبعث، إلى نحو ذلك من المعاني المتشابهة في السورتين^(١٠).

■ أغراض السورة ومقاصدها

- تضمنت سورة «النجم» جملة من المقاصد، نجملها في التالي:
١- أنها -شأن السور المكية- عُنيت بالرسالة وتوكيدها، وتحقيق أن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق فيما يبلغه عن الله تعالى، وأنه منزّه عما ادعوه. وإثبات أن القرآن وحي من عند الله بواسطة جبريل عليه السلام.
٢- تحدثت عن المعراج الذي كان تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عام الحزن على وفاة زوجته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وعمه أبي طالب، وما رآه عليه الصلاة والسلام من آيات ربه الكبرى، وعجائبه العظمى في الملكوت الأعلى، عند سدرة المنتهى، التي عندها جنة المأوى.

(١) الدر المنثور: ٦٣٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) الدر المنثور: ٦٣٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) انظر: زاد المسير: ١٨٣/٤. حكاه بدون سند.

(٤) انظر: زاد المسير: ١٨٣/٤. حكاه بدون سند.

(٥) نقلا عن: زاد المسير: ١٨٣/٤.

(٦) التحرير والتنوير: ٨٧/٢٧.

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٣/١.

(٨) زاد المسير: ١٨٣/٤.

(٩) المحرر الوجيز: ١٩٥/٥.

(١٠) انظر: تفسير المراغي: ١٦/٢٧.

- ٣- نعت السورة على المشركين عبادة غير الله من الأوثان والأصنام وغيرها من المخلوقات، التي لا تضر ولا تنفع، ولا تسمع ولا تبصر، بل إن بعضها قد صنعه بأيديهم، وسفهتهم على أن آثروا أنفسهم بالبنين، وجعلوا الله ما يكرهونه ويأنفون منه، وهو البنات.
- ٤- أبطلت قياسهم عالم الغيب على عالم الشهادة، وأن ذلك ضلال في الرأي، قد جاءهم بضده الهدى من الله.
- ٥- توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم للإعراض عن الذين تولوا مدبرين عن دعوته من المشركين الضالين، وإشعاره بحدود وظيفته، وأنه ليس مسؤولاً عن تحويلهم من الكفر إلى الإيمان، فالحكمة في الابتلاء من ظروف الحياة الدنيا كشف ما في صدور الممّتحين؛ لتحقيق الجزاء يوم الدين.
- ٦- أخبرت عن الحساب والجزاء يوم القيامة، وبيّنت أن الإنسان لا يحمل وزر غيره: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْوَاقِفَى (٤١)} [النجم: ٣٩ - ٤١].
- ٧- تحدثت عن أن الله هو الذي يحيى ويميت، وأنه إليه المنتهى والمصير، وأنه وحده هو الذي خلق الزوجين الذكر والأنثى.
- ٨- بيّنت أن مذهب الشرك مذهب باطل ساقط، وأن الدعوة الإسلامية استمرار لما جاء به المرسلون السابقون، إيماناً بالله، ومسؤولية في الحياة الدنيا، وجزاء يوم الدين، وتحذيراً من مُعجَل العقاب، كما حصل للمكذّبين الأولين.
- ٩- ذكرت خاتمة السورة أصنافاً من العذاب لأمم خالفت أنبياءها وآذنتهم، فأنزل الله بهم ما يستحقون؛ وذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ووعده له وللمؤمنين بنصر الله، كما أن فيها وعيداً وتهديداً للمشركين أن يحل بهم ما نزل بغيرهم ممن هم على شاكلتهم^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

ذكر أهل التفسير آيتين من اللواتي ادعى عليهن النسخ في هذه السورة:
إحداها: قوله تعالى: {فَأَعْرَضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [النجم: ٢٩]. فالمراد بالذكر -هاهنا-: القرآن، وقد زعموا أن هذه الآية منسوخة بآية السيف. حكاها ابن الجوزي^(٢).
الثانية: قوله تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم: ٣٩].
عن ابن عباس رضي الله عنهما: " {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}، قال: فأنزل الله تعالى بعد هذا: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ} [الطور: ٢١]، فأدخل الله الأبناء بصلاح الآباء الجنة"^(٣).
قال ابن الجوزي: " قول من قال: إن هذا نسخ غلط؛ لأن الآيتين خبر، والأخبار لا يدخلها النسخ، ثم إن إلحاق الأبناء بالآباء إدخالهم في حكم الآباء بسبب إيمان الآباء فهم كالبعض تبع الجملة، ذاك ليس لهم إنما فعله الله سبحانه بفضلته وهذه الآية تثبت ما للإنسان إلا ما يتفضل به عليه"^(٤).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-، قال: " أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم، قال: فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه "، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف"^(١).

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٨٩-٨٨/٢٧.

(٢) انظر: نواسخ القرآن: ٢٠٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٢-٥٤٧، والنحاس في الناسخ والمنسوخ: ٦٨٨-٦٩٨، وابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٢٠١. وإسناده ضعيف.

(٤) نواسخ القرآن: ٢٠١.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما: " «أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»^(١).
- عن زيد بن ثابت، قال: «قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم «والنجم»، فلم يسجد فيها»^(٢).
- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة النجم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ومن جحد به»^(٤). [ضعيف]

(١) صحيح البخاري(٤٨٦٣):ص٤٢/٦. قال ابن كثير في "التفسير": ٤٤٢/٧: "وقوله في الممتنع : إنه أمية بن خلف في هذه الرواية مشكل، فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة".
(٢) صحيح البخاري(١٠٧١):ص٤١/٢.
(٣) صحيح البخاري(١٠٧٣):ص٤١/٢.
(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٣٤/٩، [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

سورة «القمر»

«سورة القمر»: هي السورة الرابعة والخمسون بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة السابعة والثلاثون وفق ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة «الطارق»، وقبل سورة (ص). وآياتها خمس وخمسون. وكلماتها ثلاثمائة واثنان وأربعون. وحروفها ألف وأربعمائة وثلاث وعشرون. فواصل آياتها كلها على حرف «راء»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة القمر»:

عرفت السورة باسم «سورة القمر»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وبذلك ترجمها الإمام الترمذي في "جامعه"^(٢).

ووردت عند ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "نزلت سورة القمر بمكة"^(٣).

ووجه تسميته بـ«سورة القمر»، لافتتاحها بذكر انشقاق القمر، وهو معجزة نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١].

■ ثانياً:- اسمها الاجتهادي: «سورة اقتربت الساعة»:

اسمها بين السلف «سورة اقتربت الساعة»، ففي حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان يقرأ بقاف والقرآن المجيد، واقتربت الساعة وانشق القمر»^(٤). في الفطر، والأضحى.

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "نزلت بمكة سورة {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ}"^(٥). وروي عن ابن الزبير مثله^(٦).

وبهذا الاسم عنون لها الإمام البخاري في كتاب التفسير من "صحيحه"^(٧).

ووجه تسميتها بهذا الاسم، لافتتاحها بهذين اللفظين في قوله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١].

ويجدر القول بأن هذا الاسم اجتهادي وليس توقيفي من النبي-صلى الله عليه وسلم-، إذ لم يثبت عنه حديث في هذه التسمية.

كما كتبت في بعض الكتب باسم: «سورة الساعة»^(٨).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس^(٩)، وابن الزبير^(١).

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٤٥ / ١.

(٢) انظر: كتاب التفسير: ٣٩٧/٥.

(٣) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى النحاس.

(٤) موطأ مالك (٢٣٦): ص ٨٩، ومسند الإمام الشافعي (٤٦١): ١٥٨/٢.

(٥) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) انظر: كتاب التفسير: ٣٥٧/٦.

(٨) من تلك الكتب:

- جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم، أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان الأزدي الدوري الفارسي (المتوفى: ٢٤٦هـ): ص ١٥٥.

التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)

حقيقه وعلق عليه: محمد الحجار: ١٧٨.

(٩) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى النحاس.

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-؛ قال: «سأل أهل مكة النبي - صلى الله عليه وسلم - آية؛ فانشق القمر بمكة مرتين؛ فنزلت: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)}، يقول: ذاهب (٤)»^(١). [صحيح]

الثاني: أنها مكية إلا ثلاث آيات، أولها: {أَمْ يَفُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ} [القمر: ٤٤]، إلى قوله: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ} [القمر: ٤٦]، نزلت يوم بدر، قاله مقاتل^(٢).

قال القرطبي: وهذا "ولا يصح"^(٤).

الثالث: أنها مكية إلا آية منها، وهي قوله تعالى: {سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ} [القمر: ٤٥]، حكاه ابن عطية^(٥)، وحكاه ابن الجوزي عن مقاتل^(٦). وبه قال الزمخشري^(٧).

وقال السمعاني: وهي مكية إلا قوله تعالى: {سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ} [القمر: ٤٥]، والآية التي بعدها^(٨).

- (١) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى وابن مردويه.
- (٢) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢٥٧/٢) -ومن طريقه مسلم في "صحيحه" (٢١٥٩/٤) - لكن لم يسق لفظه، وأحمد (١٦٥/٣)، وعبد بن حميد في "المسند" (٩٢/٣ رقم ١١٨٢)، والترمذي في "الجامع" (٣٩٧/٥ رقم ٣٢٨٦)، والأصبهاني في "دلائل النبوة" (٢٦٢/١ رقم ٦)، وأبو يعلى في "المسند" (٤٦٣/٥ رقم ٣١٨٧)، والحاكم في "المستدرک" (٤٧٢/٢)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢٦٣/٢) - عن معمر عن قتادة عن أنس به. قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".
- وقال الحاكم: "قد اتفق الشيخان على حديث شعبة عن قتادة عن أنس: انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يخرجاه بسياقة حديث معمر، وهو صحيح على شرطهما".
- قلنا: وهو كما قال، وقد توسع أخونا الفاضل مساعد الراشد - حفظه الله- في تخريج رواياته في تعليقه على "دلائل النبوة" للأصبهاني؛ فانظرها غير مأمور.
- وأخرج أبو داود الطيالسي في "مسنده" (١٢٣/٢ رقم ٢٤٤٧ - منحة)، والطبري في "جامع البيان" (٥٠/٢٧)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٦٨)، وأبو نعيم في "الدلائل النبوة" (ص ٢٣٥، ٢٣٦)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/٢٦٦) من طريق أبي عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود؛ قال: انشق القمر على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، فقالوا: انتظروا ما يأتيكم به السفار؛ فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فجاء السفار فسألوهم؛ فقالوا: نعم قد رأينا؛ فأنزل الله -تعالى-: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)}.
- قلنا: وسنده صحيح.
- وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٦٧٠/٧) وزاد نسبه لابن المنذر وابن مردويه.
- وأخرج عبد الرزاق في "تفسيره" (٢٥٧/٢) -ومن طريقه الحاكم في "المستدرک" (٤٧١/٢)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/٢٦٥) - عن ابن عيينة ومحمد بن مسلم عن ابن أبي نجيج عن مجاهد عن عبد الله بن مسعود؛ قال: رأيت القمر منشقاً شفتين مرتين بمكة قبل مخرج النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ شقة على أبي قبيس، وشقة على السويداء، فقالوا: سحر القمر؛ فنزلت: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)} يقول: كما رأيتم القمر منشقاً؛ فإن الذي أخبركم عن اقتراب الساعة حق.
- قلنا: وسنده صحيح.
- قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، إنما اتفقا على حديث أبي معمر عن عبد الله مختصراً، وهذا حديث لا نستغني فيه عن متابعة الصحابة بعض لبعض"، ووافقه الذهبي.
- وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٦٧٠/٧) وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن مردويه.
- (٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤، وزاد المسير: ١٩٦/٤.
- (٤) تفسير القرطبي: ١٢٥/١٧.
- (٥) انظر: المحرر الوجيز: ٢١١/٥.
- (٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤، وزاد المسير: ١٩٦/٤.
- (٧) انظر: الكشاف: ٤٣٠/٤.
- (٨) تفسير السمعاني: ٣٠٦/٥.

قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع إلا آية واحدة اختلف فيها، فقال جمهور الناس هي مكية، وقال قوم هي مما نزل ببدر، وقيل بالمدينة وهي: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ} [القمر: ٤٥] الآية"^(١).
 قال ابن أبي زمنين: "هي مكية كلها"^(٢).
 قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالاتفاق"^(٣).
 قال ابن الجوزي: "هي مكية بإجماعهم"^(٤).
 قال القرطبي: "سورة القمر مكية كلها في قول الجمهور"^(٥).
 قال ابن عاشور: "هي مكية كلها عند الجمهور"^(٦).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

- ١- مشاكلة آخر السورة السابقة لأول هذه فقد قال هناك: {أزفت الأزفة} [النجم : ٥٧]، وقال هنا: {اقتربت الساعة} [القمر : ١].
- ٢- حسن التناسق بين النجم والقمر.
- ٣- إن هذه قد فصلت ما جاء في سابقتها، ففيها إيضاح أحوال الأمم التي كذبت رسلها، وتفصيل هلاكهم الذي أشار إليه في السابقة بقوله: {وأنه أهلك عاداً الأولى (٥٠) وتموداً فما أبقي (٥١) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى (٥٢)} [النجم : ٥٠ - ٥٢].
 فما أشبهها مع سابقتها بالأعراف بعد الأنعام، والشعراء بعد الفرقان^(٧).

■ أغراض السورة ومقاصدها

يدور موضوع سورة «القمر» حول بيان الموقف العنادي المكابر الذي وقفه كفار قريش من آية انشقاق القمر العظيمة، بعد أن طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم آية مادية كبرى، تثبت صحة نبوته، وصدق رسالته، وبيان موقفهم العنادي من الأنبياء الزاجرة، التي سبق للقرآن أن وجهها لهم. وبيان الموقف الذي يوصي الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يتخذهم معهم، بعد أن وصلوا إلى حالة ميؤوس منها غالباً، وهو التولي عنهم، بإدارة ظهره إليهم، والاشتغال بأخرين لم يبلغوا بعد ما بلغ إليه هؤلاء من عناد ومكابرة واستكبار ومعاداة لدعوة الحق الربانية.

وعلى الجملة، فقد تجلت مقاصد سورة القمر في الأمور التالية:

- ١- تسجيل مكابرة المشركين في الآيات البينة، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن مكابرتهم.
- ٢- إنذارهم باقتراب القيامة وبما يلقونه حين البعث من الشدائد.
- ٣- تذكيرهم بما لقينته الأمم أمثالهم من عذاب الدنيا؛ لتكذيبهم رسل الله، وأنهم سيلقون المصير نفسه الذي لقيه أولئك؛ إذ ليسوا خيراً من كفار الأمم الماضية.
- ٤- إنذارهم بقتال يهزمون فيه، ثم لهم عذاب الآخرة، وهو أشد.
- ٥- إعلامهم بإحاطة الله علماً بأفعالهم، وأنه مجازيهم شر الجزاء، ومجاز المتقين خير الجزاء. وإثبات البعث، ووصف بعض أحواله.
- ٦- تكرير التنويه بهدي القرآن وحكمته.

(١) المحرر الوجيز: ٢١١/٥.

(٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٣١٥/٤.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٥/١.

(٤) زاد المسير: ١٩٦/٤.

(٥) تفسير القرطبي: ١٢٥/١٧.

(٦) التحرير والتنوير: ١٦٥/٢٧.

(٧) انظر: تفسير المراغي: ٧٤/٢٧.

- ٧- بينت السورة أن كل شيء خلقه الله بقدر، وما أمره سبحانه في الإتيان بالساعة إلا كلمح بالبصر، وأن كل شيء فعلوه مثبت في كتب أعمالهم، يكتبها ملائكة جعلهم الله لكتابة أعمال العباد.
- ٨- خُتِمَت السورة بترغيب الذين آمنوا واتقوا بأنهم سيكونون يوم الدين: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥)} [القمر : ٥٤ - ٥٥] (١).

■ الناسخ والمنسوخ:

ذكر أهل التفسير آية واحدة، من اللواتي ادعى عليهن النسخ، وهي قوله تعالى: {قَتَلْنَا عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ} [القمر : ٦] (٢).

قال الزجاج: وقف التمام: {قَتَلْنَا عَنْهُمْ}، وقوله: {إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ} إلى ما كانوا يَنْكِرُونَهُ من البعث، فتول عنهم يوم كذا في الآية، و{يَوْمٌ} منصوب بقوله: {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ} (٣).

وقال مقاتل: يعني فأعرض عن كفار مكة إلى يوم يدع الداع، وهو إسرأفيل ينفخ الثانية قائماً على صخرة بيت المقدس (٤).

قال الجوزي: "وليس هذا بشيء" (٥).

قال ابن الجوزي: "وقد زعم قوم أن هذا التولي منسوخ بآية السيف" (٦)، وقد تكلمنا على نظائره وبيننا أنه ليس بمنسوخ (٧).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثي: «ماذا كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأضحى، والفطر»؟ قال: «كان يقرأ بقاف القرآن المجيد، واقتربت الساعة وانشق القمر» (٨).

قال الزحيلي: "وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار كالجمع والعيد، لاشتمالها على ذكر الوعد والوعيد، وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد وإثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة" (٩).

- عن ابن عباس قال: "قارىء اقتربت تدعى في التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تبيض الوجوه" (١٠).

- وأخرج الديلمي عن عائشة مرفوعاً: "من قرأ بـ«الم تنزيل» و«يس» و«اقتربت الساعة»، و«تبارك الذي بيده الملك»، كن له نورا وحرزا من الشيطان والشرك، ورفع له في الدرجات يوم القيامة" (١١).

(١) انظر: التحرير والتنوير: ١٦٦/٢٧.

(٢) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٩٥/٢، وذكره أيضا هبة الله في ناسخه ص: ٨٨ وابن هلال في ناسخه المخطوط ورقة ٣٣.

(٣) معاني القرآن: ٨٦/٥.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٧/٤.

(٥) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٩٥/٢.

(٦) ذكره هبة الله في ناسخه ص: ٨٨ وابن هلال في ناسخه المخطوط ورقة ٣٣.

(٧) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٩٥/٢.

(٨) موطأ مالك (٢٣٦) ص: ٨٩، ومسند الإمام الشافعي (٤٦١): ١٥٨/٢.

(٩) التفسير المنير: ١٤٤/٢٧.

(١٠) الدر المنثور: ٦٧٠/٧. قال البيهقي: "منكر"

(١١) الدر المنثور: ٦٧٠/٧. قال البيهقي: "منكر"

- وأخرج ابن الضريس عن إسحق بن عبد الله بن أبي فروة رفعه: "من قرأ : {اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١] في كل ليلتين بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر"^(١).
- وأخرج ابن الضريس عن ليث عن معن عن شيخ من همدان رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ : {اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ} غبا ليلة وليلة حتى يموت لقي الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر"^(٢).
- وأخرج أحمد عن بريدة: " أن معاذ بن جبل صلى بأصحابه صلاة العشاء فقرأ فيها {اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ}، فقام رجل من قبل أن يفرغ فصلى وذهب، فقال له معاذ قولا شديدا، فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر إليه، فقال: إني كنت أعمل في نخل وخفت على الماء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلي بالشمس وضحاها ونحوها من السور»"^(٣).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ في كل غداة بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ومن قرأها كل ليلة كان أفضل وجاء يوم القيامة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق»^(٤). [ضعيف]

(١) الدر المنثور: ٦٦٩/٧.

(٢) الدر المنثور: ٦٧٠/٧. قال البيهقي: "منكر"

(٣) الدر المنثور: ٦٧٠/٧.

(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٦٠/٩، [وقد مرَّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

سورة «الرحمن»

«سورة الرحمن»: هي السورة «الخامسة والخمسون» بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة «السابعة والتسعون» وفق ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة «الرعد»، وآياتها ثمان وسبعون في عد الكوفة والشام، وسبع في الحجاز، وست في البصرة. وكلماتها ثلاثمائة وإحدى وخمسون. وحروفها ألف وثلاثمائة وست وثلاثون. المختلف فيها خمس آيات: {الرَّحْمَنُ} [الرحمن : ١]، {خَلَقَ الْإِنْسَانَ} [الرحمن : ٣]، {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} [الرحمن : ١٠]، {الْمُجْرِمُونَ} [الرحمن : ٤٣]، {شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ} [الرحمن : ٣٥]. مجموع فواصل آياتها: «مرن»، وقيل هذه الحروف الألف إلا {الْمَعْرَبِينَ} [الرحمن : ١٧]، و{الْمُجْرِمُونَ} [الرحمن : ٤٣] (١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الرحمن»:

وردت تسميتها بـ«سورة الرحمن» في أحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم- (٢)، وكذلك سميت في كتب السنة وفي المصاحف.

وجه تسمية هذه السورة بـ«سورة الرحمن»، أنها ابتدأت باسمه تعالى: {الرَّحْمَنُ} [الرحمن : ١]. قال البقاعي: "فمقصودها بالذات: إثبات الاتصاف بعموم الرحمة، ترغيباً في إتمامه، بمزيد امتنانه وترهيباً من انتقامه، بقطع إحسانه، وعلى ذلك دل اسمها «الرحمن»، لأنه العام الامتنان" (٣).

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: «سورة عروس القرآن»:

ذكره البقاعي (٤)، والسيوطي (٥)، وروي البيهقي عن علي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لكل شيء عروس، وعروس القرآن الرحمن" (٦).

وهذا لا يدعو أن يكون ثناء على هذه السورة وليس هو من التسمية في شيء كما روي أن سورة البقرة فسطاط القرآن (٧)، فالظاهر أن معنى: «لكل شيء عروس»، أي: لكل جنس أو نوع واحد من جنسه يزينه تقول العرب: عرائس الإبل لكرائمها فإن العروس تكون مكرمة مزينة مرعية من جمع الأهل بالخدمة والكرامة، ووصف سورة الرحمان بالعروس تشبيهه ما تحتوي عليه من ذكر الحبرة والنعيم في الجنة بالعروس في المسرة والبذخ، تشبيهه معقول بمحسوس ومن أمثال العرب: لا عطر بعد عروس -على أحد تفسيرين للمثل- أو تشبيهه ما كثر فيها من تكرير فبأي آلاء ربكما تكذبان بما يكثر على العروس من الحلي في كل ما تلبسه.

قال البقاعي: " واسمها «عروس القرآن» واضح البيان في ذلك، لأنها الحاوية لما فيه من حلى وحل وجواهر وكلل، والعروس مجمع النعم، والجمال والبهجة، في نوعها والكمال" (٨).

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٤٤٧.

(٢) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٣) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٥/٣.

(٤) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٤/٣.

(٥) انظر: الإتيان في علوم القرآن: ١/ ١٩٥، ومعتزك الأقران في إعجاز القرآن: ٣/ ١٩٩.

(٦) شعب الإيمان (٢٢٦٥): ص٤/ ١١٦، فيه أحمد بن الحسن، عده الذهبي في الضعفاء والمتروكين، قال الدارقطني: "ليس بثقة".

(٧) روى الدارمي عن خالد بن معدان قال: "سورة البقرة تعليمها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة وهي فسطاط القرآن". [سنن الدارمي رقم الحديث (٣٣٧١)]

(٨) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٦/٣.

قال الطيبي: "أعرس الرجل يعرس فهو معرس إذا دخل بامرأته عند بنائها، والعروس -ها هنا- يحتمل وجهين:

أحدهما: الزينة، ومنه قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ} [يونس : ٢٤]، شبهها بالعروس إذا تزينت بالحلي والثياب الفاخرة. وثانيهما: الزلفي إلي المحبوب والوصول إلي المطلوب، وذلك أنه كلما كرر قوله: {قَبَائِيَّ آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ١٦]، كأنه يجلو نعمة السابعة علي الثقلين، ويزينها ويمن عليهم بها"^(١).

■ الاسم الثاني: «سورة الرفرف»:

ذكره البقاعي^(٢)، وقال: "وكذا سميت: «الرفرف» بما في آيته من جليل الإنعام، البالغ إلى أنهى غايته"^(٣).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله عائشة^(٤)، وابن عباس^(٥)، وابن الزبير^(٦)، وبه قال الحسن^(٧)، وعطاء^(٨)، وعكرمة^(٩)، وجابر^(١٠)، ومقاتل^(١١)، والجمهور^(١٢).

قال ابن عاشور: "الأصح أنها مكية كلها، وهي في مصحف ابن مسعود أول المفصل"^(١٣).

عن يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه قال: "كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود قال: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ قال عبد الله بن مسعود: «أنا»، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: «دعوني فإن الله عز وجل سيمنعني» قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها فقام عند المقام، ثم قال: "بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته: {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ١ - ٢]، قال: ثم استقبلها يقرأ فيها " قال: وتأملوا فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك قال: «ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها»، قالوا: حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون"^(١٤).

قال القرطبي: "وفي هذا دليل على أنها مكية"^(١٥).

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): ١٦٧٧/٥.

(٢) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٤/٣.

(٣) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٦/٣.

(٤) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى النحاس.

(٦) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) حكاة ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(٨) حكاة ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(٩) حكاة عنه القرطبي في "التفسير": ١٥١/١٧.

(١٠) حكاة عنه القرطبي في "التفسير": ١٥١/١٧.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٣/٤.

(١٢) حكاة ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤.

(١٣) التحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٧.

(١٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١٥٣٥): ص ٨٣٧/٢.

(١٥) تفسير القرطبي: ١٥١/١٧.

الثاني : أنها مدنية نزلت في صلح القضية عندما أبى سهيل بن عمرو أن يكتب في رسم الصلح «بسم الله الرحمن الرحيم»^(١). وهذا القول منسوب إلى ابن مسعود^(٢)، وابن عباس^(٣).

الثالث : أنها مكية إلا آية منها، وهي قوله تعالى: {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن : ٢٩]، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس-أيضاً-^(٤).

قال ابن عطية:" هي مكية فيما قال الجمهور من الصحابة والتابعين. وقال نافع بن أبي نعيم وعطاء وقتادة وكريب وعطاء الخراساني عن ابن عباس: هي مدنية، نزلت عند إباية سهيل بن عمرو وغيره أن يكتب في الصلح بسم الله الرحمن الرحيم، والأول أصح، وإنما نزلت حين قالت قريش بمكة: وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنا؟ وفي السيرة أن ابن مسعود جهر بقراءتها في المسجد حتى قامت إليه أندية قريش فضربوه، وذلك قبل الهجرة"^(٥).

قال هبة الله:" هي من السبع عشرة سورة المختلف فيها فقالت طائفة نزلت بمكة وقالت طائفة نزلت بالمدينة، وهي إلى تنزيل مكة أشبه لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لقد كانت الجن أحسن ردا منكم على ربهم تعالى حين قالوا: ولا بنعمة من نعمك ربنا نكذب»^(٦). وحديث عبد الله بن مسعود: «أنه قرأها في الحجر..». فهذا دليل على نزولها بمكة"^(٧).

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"^(٨).

قال ابن الجوزي:" هي مكية بإجماعهم"^(٩).

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول جمهور الصحابة والتابعين"^(١٠).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

- ١- إن فيها تفصيل أحوال المجرمين والمتقين التي أشير إليها في السورة السابقة إجمالاً في قوله: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر : ٤٧]، وقوله: « {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ} [القمر : ٥٤].
- ٢- إنه عدد في السورة السابقة ما نزل بالأمر التي قد خلت من ضروب النقم وبين عقب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لتذكر الناس وإيقاظهم، ثم نعى عليهم إعراضهم- وهنا عدد ما أفاض الله على عباده من ضروب النعم الدينية والدنيوية في الأنفس والأفانق، وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بموجب شكرها.

(١) الحديث ف الإمام أحمد في «زوائده على فضائل الصحابة» (٥٥٨) :ص ١ / ٣٧٣ ، وابن أبي شيبة (٣٦٨٣٩) :ص ٧ / ٣٨١ ، والبيز (١٤٨) :ص ١ / ٢٥٣ ، والطبراني في «الكبير» (٨٢) :ص ١ / ٧٢ ، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٢١٧) :ص ١٩٢ ، والقطيعي في «جزء الألف دينار» (٣٠٣) :ص ٤٥٠ ، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٢٠٨) :ص ١ / ١٢٥ ، ومحمد بن عبدالسلام الخشني، كما في «إعلام الموقعين» لابن القيم: (١٠٣ / ٢) من طريق يونس العميري، به.

(٢) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(٣) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل، وحكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(٤) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(٥) المحرر الوجيز: ٢٢٣/٥.

(٦) سوف يأتي تخرجه في فضائل السورة.

(٧) الناسخ والمنسوخ: ١٧١.

(٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٧/١.

(٩) زاد المسير: ١٩٦/٤.

(١٠) التحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٧.

٣- إن قوله: {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ١ - ٢]، كأنه جواب سائل يقول: ماذا صنع الملك المقتدر، وما أفاد برحمته أهل الأرض؟^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تناولت سورة الرحمن عدّة موضوعات، وكانت لها مقاصد مُتعدّدة، منها ما يأتي:

١- دلت سورة الرحمن من اسمها على مقصودها؛ فالرحمن هو الذي تعمّ رحمته، ويعمّ امتنانه على الخلائق، ممّا يجعلهم يطمعون في نعمائه، ويخافون من انتقامه، وانقطاع إحسانه.

٢- بيّنت سورة الرحمن من خلال عدّها لنعم الله -تعالى- أعظم نعمة منّ الله بها على البشر؛ وهي نعمة تعلم الدّين، وفي مُقدّمها تنزيل القرآن الكريم، وتعليمه، ثمّ ذكرت خلق الإنسان، وتمييزه بالعقل تبعاً لذلك.

٣- دمجت سورة الرحمن بين تعداد نعم الله -تعالى- على الناس، وقدرته -سبحانه وتعالى-، وإتقان صنّعه، وتناولت خلق الجنّ، وإثبات الجزاء لهم.

٤- نوّهت سورة الرحمن إلى موضوع العدل؛ وذلك بإعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم؛ بما أعدّه الله -سبحانه وتعالى- للمُتّقين من الثواب والنعيم، وبما أعدّه لغير المؤمنين من العقاب، وذكرت منّ الله -تعالى- على الإنسان بنعمتي العقل، والعلم.

٥- وصفت سورة الرحمن الجنّة وصفاً دقيقاً، وبيّنت أنّ هناك مرتبتين في الجنان؛ إحداهما أعلى من الثانية؛ ليتناسب العلوّ في الجنّة مع حال المؤمن في رفعة إيمانه.

٦- أبرزت سورة الرحمن أنّ الله -تعالى- هو وحده الدائم الباقي ذو الجلال والإكرام، وكلّ ما على الأرض إلى زوالٍ، وفناءٍ.

٧- بيّنت سورة الرحمن أنّ كلّ من في السموات والأرض يتوجّهون إلى الله -تعالى- في طلب ما يحتاجون إليه، والله في كلّ يوم له شؤون كثيرة في خلقه.

٨- صوّرت سورة الرحمن موقف الحساب يوم القيامة، وأنه سيكون بيدّ الله -تعالى- وحده؛ فهو الملك والحكمّ الواحد القهار الذي لا يستطيع أحد أن يهرب من عقابه؛ لأنّه لا سلطان إلّا إليه في ذلك الموقف العظيم، قال -تعالى-: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَعْظَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَآ تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن ٣٣].

٩- وعظمت سورة الرحمن الناس؛ بتذكيرهم بفنائهم، وأنهم مُحاسبون، وسيُجزون على أعمالهم، ثمّ ختمت السورة بالثناء على الله -تعالى-، وتعظيمه، وذلك بقوله -تعالى-: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن : ٧٨]^(٢).

قال البقاعي: "اشتملت هذه السورة على جميع نعم الدنيا والآخرة، من ذكر الخلق والرزق، بالأقوات والفواكه، والحلى وغيرها، والفهم والعلم، والجنة وتفصيل ما فيها، والنار وأهوالها، فإنها نعمة من حيث إنها -بالخوف منها- سبب لنيل الجنة وما فيها، ومن حيث إنها سارة لمن ينجو منها بالنجاة منها، ويأن من عاداه الله عذب بها، وسجن فيها. وعلى ذلك كله، دل افتتاحها بـ {الرَّحْمَنُ (١)} [الرحمن : ١]"^(٣).

■ الناسخ والمنسوخ:

قال هبة الله: "وليس فيها ناسخ ولا منسوخ"^(٤).

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٠٤/٢٧.

(٢) انظر: مقاصد سورة الرحمن، إسلام ويب [موقع الكتروني].

(٣) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٦/٣.

(٤) الناسخ والمنسوخ: ١٧١.

قال ابن حزم: "«سورة الرحمن»: مكية، وجميعها محكم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ"^(١).
قال الفيروزآبادي: "السورة محكمة خالية عن الناسخ والمنسوخ"^(٢).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن علي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لكل شيء عروس، وعروس القرآن الرحمن"^(٣).
- عن جابر قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: {قَبَائِلُ آلَاءِ رَبِّكَمَا يُكَدِّبَانُ}، قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»"^(٤).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الرحمن رحِم الله ضعفه، وأدى شكر ما أنعم الله عليه»^(٥). [ضعيف]

(١) الناسخ والمنسوخ: ٥٨.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٨/١.

(٣) شعب الإيمان (٢٢٦٥): ص ١١٦/٤، فيه أحمد بن الحسن، عده الذهبي في الضعفاء والمتروكين، قال الدارقطني: "ليس بثقة".

(٤) سنن الترمذي (٣٢٩١): ص ٢٥٢/٥، وقال: "هذا حديث غريب". وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣٧٦٦). [حكم الألباني]: حسن.

(٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٦/٩، وذكره المستغفري في "فضائل القرآن" (١٢٢٢): ص ٧٨٥/٢، والزمخشري في "الكشاف": ٤٥٤/٤، والبيضاوي في "التفسير": ١٧٦/٥، وانظر: تفسير: مجمع البيان: ٣٢٦ / ٩. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

قال الفيروزآبادي: "فيه أحاديث منكرة، منها:

- حديث أبي: «لكل شيء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره».
- وقال: «من قرأ سورة الرحمن رحِم الله ضعفه، وأدى شكر ما أنعم الله عليه».
- وقال: «يا على، من قرأها فكأنما أعتق بكل آية في القرآن رقبة، وله بكل آية قرأها مثل ثواب امرأة تموت في نفاسها».

[بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٩/١]

سورة «الواقعة»

«سورة الواقعة»: هي السورة السادسة والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة السادسة والأربعون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة طه»، وقيل «سورة الشعراء». آياتها تسع وتسعون في عد الحجاز والشام، وسبع في البصرة، وست في الكوفة. وكلماتها ثلاثمائة وثمان وسبعون. وحروفها ألف وسبعمائة وثلاث. المختلف فيها أربع عشرة آية: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} [الواقعة : ٨]، {وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} [الواقعة : ٩]، {وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ} [الواقعة : ٤١]، {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ} [الواقعة : ٢٧]، {إِنشَاءً} [الواقعة : ٣٥]، {فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ} [الواقعة : ٤٢]، {وَكَاثِرًا يَفُوقُونَ} [الواقعة : ٤٧]، {وَأَبَارِيقَ} [الواقعة : ١٨]، {مَوْضُوعَةٍ} [الواقعة : ١٥]، {وَحُورٌ عِينٌ} [الواقعة : ٢٢]، {تَأْتِيَمًا} [الواقعة : ٢٥]، {وَالْآخِرِينَ} [الواقعة : ٤٩]، {لَمَجْمُوعُونَ} [الواقعة : ٥٠]، {فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ} [الواقعة : ٨٩]. مجموع فواصل آياتها: «لا بد منه»، على الباء منها آية واحدة: {وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ} [الواقعة : ٣١]^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة الواقعة»:

سميت هذه السورة «الواقعة» بتسمية النبي صلى الله عليه وسلم؛ روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: شيبنتي هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، و {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}^(٢).

وكذلك سميت في عصر الصحابة رضي الله عنهم، روى الإمام أحمد عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور"^(٣). سميت بسورة الواقعة، لافتتاحها بلفظ: «الواقعة»، وهي القيامة، قال تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١)}

[الواقعة : ١].

قال المهامي: " سميت بها، لأنها مملوءة بوقائع القيامة التي هي الواقعة العظمى لوقوعها في أشد الأهوال"^(٤).

وهكذا سميت في المصاحف، وكتب السنة، فلا يُعرف لها اسم غير هذا.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قالتها، وابن عباس^(٥)، وابن الزبير^(٦)، والحسن^(٧)، وعطاء^(٨)، وعكرمة^(٩)، وقتادة^(١٠)، وجابر^(١١)، ومقاتل^(١)، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين^(٢).

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٤٥٠.

(٢) سنن الترمذي (٣٢٩٧): ص ٢٥٥/٥. وقال "هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه".

[حكم الألباني]: صحيح

(٣) المسند (٢٠٩٩٥): ص ٥٠٤/٣٤، و"مصنف عبد الرزاق" (٢٧٢٠)، ومن طريقه أخرجه الطبراني (١٩١٤) و (١٩٢٩)، وأخرجه ابن خزيمة (٥٣١)، وعنه ابن حبان (١٨١٣).

(٤) تفسير المهامي: ٣١٥/٢.

(٥) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

(٨) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

(٩) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

(١١) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

الثاني : أنها مكية إلا آية، نزلت في مدنيّة، وهي قوله: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ} [الواقعة : ٨٢].
حكى ذلك عن ابن عباس^(٣).

الثالث: أنها مدنيّة، رواه عطية عن ابن عباس^(٤).
قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع ممن يعتد بقوله من المفسرين. وقيل إن فيها آيات مدنيّة، أو مما نزل في السفر، وهذا كله غير ثابت"^(٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- أن في كل منهما وصف القيامة والجنة والنار.
٢- أنه ذكر في السورة السابقة عذاب المجرمين ونعيم المتقين، وفاضل بين جنتي بعض المؤمنين وجمعتي بعض آخر منهم، وبين هنا انقسام المكلفين إذ ذاك إلى أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة وسابقين.

٣- أنه ذكر في سورة الرحمن انشقاق السماء، وذكر هنا رج الأرض، فكان السورتين لتلازمهما واتحادهما موضوعا سورة واحدة مع عكس في الترتيب، فقد ذكر في أول هذه ما في آخر تلك، وفي آخر هذه ما في أول تلك^(٦).

■ أغراض السورة ومقاصدها

يدور موضوع «سورة الواقعة» حول تقسيم الناس يوم القيامة؛ لمجازاة العباد الموضوعين في الحياة الدنيا موضع الامتحان، إلى ثلاثة أصناف:
الصف الأول: المؤمنون المسلمون أصحاب اليمين، وهم أهل الجنة بوجه عام، على درجاتهم المنخفضة والمتوسطة.

الصف الثاني: الكافرون المجرمون أصحاب الشمال، وهم أهل النار بوجه عام، على دركاتهم الأولى فالمتوسطة.

الصف الثالث: السابقون المقربون من المحسنين والأبرار، وهم أصحاب الدرجات العليا في جنات النعيم. ويُفهم من التقابل والتناظر «صنف رابع» وهم الموغلون في الكفر، وارتكاب الجرائم الكبرى، ونشر شرهم في الأرض، ودعوتهم إلى الكفر، وهم أصحاب الدركات السفلى من النار، ومنهم المنافقون، الذي هم في الدرك الأسفل من النار.

قال ابن عطية: "فيها ذكر القيامة، وحظوظ النفس في الآخرة، وفهم ذلك غنى لا فقر معه، ومن فهمه شغل بالاستعداد"^(٧).

وعلى الجملة، تتجلى مقاصد هذه السورة من خلال الأمور التالي:

- ١- التذكير بيوم القيامة وتحقيق وقوعه.
- ٢- تقديم بيانات إقناعية، وأدلة برهانية للمكذّبين بالبعث وبيوم الدين على صدق الأخبار القرآنية المتعلقة بيوم الدين، وأنها حق يقين.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٣/٤.

(٢) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤.

(٣) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤.

(٥) المحرر الوجيز: ٢٣٨/٥.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ١٣٠/٢٧.

(٧) المحرر الوجيز: ٢٣٨/٥.

- ٣- توجيه العقول المستقيمة لاستبصار المكانة الرفيعة التي يتحلى بها القرآن، المشتمل على أخبار يوم الدين، وما فيه من الجزاء والحساب.
- ٤- الترغيب والترهيب بما في يوم الدين من ثواب وعقاب.
- ٥- وصف ما يعرض في هذا العالم الأرضي عند ساعة القيامة.
- ٦- بيان صفة أهل الجنة وبعض نعيمهم.
- ٧- بيان صفة أهل النار وما هم فيه من العذاب، وأن ذلك لتكذيبهم بالبعث.
- ٨- إثبات الحشر والجزاء، والاستدلال على إمكان الخلق الثاني بما أبدعه الله من الموجودات بعد أن لم تكن.

٩- تتحدث السورة عن بعض آلاء الله ونعمه، وآثار قدرته فيما خلق وأبدع في الزرع والماء والنار، وأن ذلك يستوجب تسبيح الله وتقديسه على نعمه الغامرة، وشكره على آياته الظاهرة الباهرة، وتوضح أن من خلق هذا وأوجده قادر على البعث، وإعادة الناس إلى الحياة مرة ثانية للحساب والجزاء؛ لأن الإعادة أسهل من البداء عادة.

- ١٠- تذكر السورة أن الله سبحانه قضى بين الناس بالموت، وجعل لموتهم وقتاً معيناً، وهو جلّ وعلا ليس بعاجز على أن يبديل صورهم بغيرها، وينشئهم خلقاً آخر في صور أخرى لا يعرفونها.
- ١١- الاستدلال بنزع الله الأرواح من الأجساد والناس كارهون، لا يستطيع أحد منعها من الخروج، على أن الذي قدر على نزعها دون مدافع قادر على إرجاعها متى أراد.
- ١٢- في السورة قَسَمَ على مكانة القرآن وعلو شأنه، وتقريع للكافرين على قبح صنعهم، وعجيب شأنهم؛ حيث وضعوا التكذيب موضع الشكر، وقابلوا النعمة بالحدود والكفر.
- ١٣- أكدت السورة أن القرآن منزل من عند الله، وأنه نعمة أنعم الله بها عليهم، فلم يشكروها وكذبوا بما فيه.

- ١٤- في آخر السورة إجمال ما فصلته أولاً عن أحوال الأصناف الثلاثة، وما ينتظر كل صنف من ثواب أو عقاب.
- ١٥- تُختم السورة بأمر كل مُتَلَق لديه الاستعداد لأن يؤمن ويُسلم؛ لما في قلبه من خير، بأن يسبح باسم ربه العظيم، المهيمن عليه دوماً بصفات ربوبيته^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

قال هبة الله: "قد أجمع المفسرون كلهم على أن لا ناسخ فيها ولا منسوخ إلا مقاتل بن سليمان فإنه يقال فيها من المنسوخ آية واحدة وهو قوله تعالى: {ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤)} [الواقعة : ١٣ - ١٤]، نسخها قوله تعالى: {ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)} [الواقعة : ٣٩ - ٤٠]"^(٢).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: شيبنتي هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، و{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}"^(٣).

(١) انظر: مقاصد صورة "الواقعة"، مقال منشور في موقع إسلام ويب.

(٢) الناسخ والمنسوخ: ١٧٢.

(٣) سنن الترمذي (٣٢٩٧): ص ٢٥٥/٥. وقال "هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه".

[حكم الألباني]: صحيح

- عن ابن عباس قال: "ألظ رسول الله صلى الله عليه وسلم الواقعة والحاقة وعم يتساءلون والنازعات وإذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت فاستطار فيه الفقر فقال له أبو بكر: قد أسرع فيك الفقر قال: شيبنتني هود وصواحباتها هذه"^(١).
- عن عبد الله بن مسعود، قال: " إني قد أمرت بناتي أن يقرأن سورة كل ليلة، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة»"^(٢).
- عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سورة الواقعة سورة الغنى فاقرواؤها وعلموها أولادكم"^(٣).
- عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: علموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى"^(٤).
- عن سليمان التيمي قال: "قالت عائشة للنساء: لا تعجز إحداكن أن تقرأ سورة الواقعة"^(٥).
- عن مسروق قال: "من أراد أن يتعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار، ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة"^(٦).

(١) الدر المنثور: ٤/٨، وعزاه إلى ابن عساكر.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائله بسنده إلى ابن مسعود ص ١٨٩، وابن السني في عمل اليوم والليلة باب ما يستحب أن يقرأ في اليوم والليلة: ص ٢٥٢. ونسبه السيوطي إلى أبي عبيد وابن الضريس والحارث بن أسامة وأبي يعلى وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان كلهم عن ابن مسعود يرفعه. الدر المنثور ٣/٨، وانظر روح المعاني للألوسي ١٢٨/٢٧ والإتقان ٤/١٤٢، وقد ذكر ابن كثير ٤/٢٨١ والعجلوني في كشف الخفاء ١/٤٥٨ هذا الحديث ولم يتعرض له بتصحيح أو تضعيف. وفي سننه شجاع عن أبي ظبية عن ابن مسعود. قال الذهبي: قال أحمد بن حنبل: لا أعرفهما. ثم قال الذهبي: وهو صاحب حديث (من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة). الميزان ٢/٢٦٥.

وقال الشوكاني في إسناده كذاب اه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣١١.

(٣) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى الديلمي.

(٥) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى أبي عبيد.

(٦) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٩٩/٩.

—

سورة «الحديد»

«سورة الحديد»: هي السورة السابعة والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الخامسة والتسعون وفق ترتيب نزول سور القرآن الكريم، جرياً على قول الجمهور: إنها مدنية، قالوا: نزلت بعد سورة الزلزلة، وقبل سورة القتال «محمد». آياتها تسع وعشرون في عد الكوفة والبصرة، وثمان في عد الباقين. وكلماتها خمسمائة وأربع وأربعون. وحروفها ألفان وأربعمائة وست وسبعون. المختلف فيها آيتان: {مَنْ قَبْلَهُ الْعَذَابُ} [الحديد : ١٣]، و{الْإِنْجِيلَ} [الحديد : ٢٧] مجموع فواصل آياتها: «من بز رد»، على «الزء» {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد : ٢٥]، وعلى «الدال»: {هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ} [الحديد : ٢٤]^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة الحديد»:

هذه السورة تسمى من عهد الصحابة «سورة الحديد» فقد وقع في حديث إسلام عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: أن عمر دخل على أخته قبل أن يُسلم، فإذا صحيفة فيها أول سورة الحديد، فقرأه حتى بلغ: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْفِلِينَ فِيهِ} [الحديد : ٧]، فأسلم^(٢)، وكذلك سميت في المصاحف وفي كتب السنة.

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٥٣ / ١.

(٢) انظر: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٣٧٦): ص ٢٨٥/١، ومسند البزاز (٢٧٩): ص ٤٠٠/١.

ونص الحديث:

عن أسامة بن زيد، عن أبيه، عن جده قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " أتحبون أن أعلمكم، أول إسلامي؟ قال: قلنا: نعم، قال: كنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما أنا في يوم شديد الحر في بعض طرق مكة إذ رأي رجل من قريش فقال: أين تذهب يا ابن الخطاب؟ قلت: أريد هذا الرجل، فقال: يا ابن الخطاب قد دخل عليك هذا الأمر في منزلك وأنت تقول هكذا، فقلت: وما ذاك؟ فقال: إن أختك قد ذهبت إليه، قال: فرجعت مغتصبا حتى قرعت عليها الباب، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسلم [ص: ٤٠١] بعض من لا شيء له ضم الرجل والرجلين إلى الرجل ينفق عليه قال: وكان ضم رجلين من أصحابه إلى زوج أختي، قال: فقرعت الباب، فقيل لي: من هذا؟ قلت: أنا عمر بن الخطاب، وقد كانوا يقرءون كتابا في أيديهم، فلما سمعوا صوتي قاموا حتى اختبئوا في مكان وتركوا الكتاب، فلما فتحت لي أختي الباب قلت: أيا عدوة نفسها أصبوت؟ قال: وأرفع شيئا فأضرب به على رأسها، فبكت المرأة وقالت لي: يا ابن الخطاب، اصنع ما كنت صانعا فقد أسلمت، فذهبت فجلست على السرير فإذا بصحيفة وسط الباب، فقلت: ما هذه الصحيفة ها هنا؟ فقالت لي: دعنا عنك يا ابن الخطاب فإنك لا تغتسل من الجنابة، ولا تتطهر، وهذا لا يمسه إلا المطهرون، فما زلت بها حتى أعطتنيها فإذا فيها: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة : ١]، فلما قرأت: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة : ٣]- تذكرت من أين اشتق، ثم رجعت إلى نفسي فقرأت في الصحيفة: {سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحديد : ١]، فكلما مررت باسم من أسماء الله ذكرت الله، فألقيت الصحيفة من يدي، قال: ثم أرجع إلى نفسي فأقرأ فيها: {سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحديد : ١]، حتى بلغ: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْفِلِينَ فِيهِ} [الحديد : ٧]، قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فخرج القوم مبادرين فكبروا استبشارا بذلك، ثم قالوا لي: أبشر يا ابن الخطاب فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال: " اللهم أعز الدين بأحب هذين الرجلين إليك، إما عمر بن [ص: ٤٠٢] الخطاب وإما أبو جهل بن هشام، وأنا أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك، فقلت: دلوني على رسول الله صلى الله عليه وسلم أين هو؟ فلما عرفوا الصدق مني دلوني عليه في المنزل الذي هو فيه، فجننت حتى قرعت الباب فقال: من هذا؟ فقلت: عمر بن الخطاب - وقد علموا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا بإسلامي - فما اجتراً أحد منهم أن يفتح لي حتى قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افتحوا له فإن يرد الله به خيرا يده» قال: ففتح لي الباب، فأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسلوه» فأرسلوني، فجلست بين يديه فأخذ بمجامع قميصي ثم قال: «أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهده» فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، قال: فكبر المسلمون تكبيرة سمعت في طرق مكة، قال: وقد كانوا سبعين قبل ذلك وكان الرجل إذا أسلم فعلم به الناس يضربونه ويضربهم، قال: فجننت إلى رجل فقرعت عليه الباب فقال: من هذا؟ قلت: عمر بن الخطاب، فخرج إلي فقلت له: أعلمت أني قد صبوت؟ قال: أو فعلت؟ قلت: نعم، فقال: لا تفعل، قال: ودخل البيت فأجاف الباب دوني، قال: فذهبت إلى رجل آخر من قريش فناديته فخرج فقلت له: أعلمت أني قد صبوت، فقال: أو فعلت؟ قلت: نعم، قال: لا تفعل

وسميت بسورة «الحديد» لوقوع لفظ «الحديد» فيها في قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} [الحديد: ٢٥].

قال ابن عاشور: "وهذا اللفظ وإن ذكر في سورة الكهف في قوله تعالى: {أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ} [الكهف: ٩٦]، وهي سابقة في النزول على سورة الحديد على المختار، فلم تسم به؛ لأنها سميت باسم الكهف؛ للاعتناء بقصة أهل الكهف؛ ولأن الحديد الذي دُكر هنا مراد به حديد السلاح من سيوف ودروع وخوذ، تنويهاً به، إذ هو أثر من آثار حكمة الله في خلق مادته، وإلهام الناس صنعه؛ لتحصل به منافع لتأييد الدين ودفع المعتدين، كما قال تعالى: {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ} [الحديد: ٢٥]"^(١).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها مدنية. قاله ابن عباس^(٢)، وابن الزبير^(٣)، والحسن^(٤)، ومجاهد^(٥)، وعكرمة^(٦)، وجابر بن زيد^(٧)، وقتادة^(٨)، ومقاتل^(٩).

الثاني: أنها مكية. قاله ابن السائب الكلبي^(١٠).

وفي كون هذه السورة مدنية أو مكية اختلاف قوي لم يختلف مثله في غيرها، فقال الجمهور: مدنية^(١١). وحكى ابن عطية عن النفاش: "أن ذلك إجماع المفسرين"^(١٢).

وقد قيل: إن صدرها مكي، لما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [الحديد: ١٦] إلا أربع سنين"^(١٣).
وعبد الله بن مسعود من أول الناس إسلاماً، فتكون هذه الآية مكية^(١٤).

ودخل البيت وأجاف الباب دوني، فقلت: ما هذا بشيء، قال: فإذا أنا لا أضرب ولا يقال لي شيء، فقال الرجل أتحب أن يعلم إسلامك؟ قال: قلت: نعم، قال: إذا جلس الناس في الحجر فأت فلانا فقل له فيما بينك وبينه: أشعرت أني قد صبوت فإنه قل ما يكتم الشيء، فجننت إليه وقد اجتمع الناس في الحجر فقلت له فيما بيني وبينه: أشعرت أني قد صبوت؟ قال: فقال: أفعلت؟ قال: قلت: نعم، قال: فنادى بأعلى صوته: ألا إن عمر قد صبا، قال: فثار إلي أولئك الناس فما زالوا يضربوني وأضربهم حتى أتى خالي فقيل له: إن عمر قد صبا، فقام على الحجر فنادى بأعلى صوته: ألا إنني قد أجزت ابن أختي فلا يمسه أحد، قال: فانكشفوا عني فكنت لا أشاء أن أرى أحداً من المسلمين يضرب إلا رأيته فقلت: ما هذا بشيء، إن الناس يضربون وأنا لا أضرب، ولا يقال لي شيء فلما جلس الناس في الحجر جئت إلى خالي فقلت: اسمع، جوارك عليك رد، قال: لا تفعل، قال: فأبيت فما زلت أضرب وأضرب حتى أظهر الله الإسلام".

(١) التحرير والتنوير: ٣٥٣/٢٧.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي، وزاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٤٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه والبيهقي.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٥) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٦) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٧) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٨) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٩) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٦٨/٥، وزاد المسير: ٢٣٢/٤.

(١١) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٤/٢٧. وحكاه عن الجمهور.

(١٢) المحرر الوجيز: ٢٥٦/٥.

(١٣) صحيح مسلم (٣٠٢٧): ص ٢٣١٩/٤، والسنن الكبرى للنسائي (١١٥٠٤): ص ٢٨٩/١٠.

(١٤) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٤/٢٧.

وهذا يعارضه ما رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: "إن الله استبطن قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاثا عشرة سنة من نزول القرآن فقال: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا} الآية"^(١).
ورواية مسلم وغيره عن ابن مسعود أصح سنداً، وكلام ابن مسعود يرجح على ما روي عن أنس وابن عباس، لأنه أقدم إسلاماً وأعلم بنزول القرآن، وقد علمت أنفاً أن صدر هذه السورة كان مقروءاً قبل إسلام عمر بن الخطاب^(٢).

قال ابن عطية: "ولا خلاف أن فيها قرآناً مدنياً، لكن يشبه صدرها أن يكون مكياً والله أعلم"^(٣).
عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نزلت سورة الحديد يوم الثلاثاء، وخلق الله الحديد يوم الثلاثاء، وقتل ابن آدم أخاه يوم الثلاثاء»، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم الثلاثاء"^(٤).

وأخرج الديلمي عن جابر مرفوعاً: "لا تحتجموا يوم الثلاثاء، فإن سورة الحديد أنزلت علي يوم الثلاثاء"^(٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

- ١- إن هذه بدئت بالتسبيح، وتلك ختمت به.
- ٢- إن أول هذه واقع موقع العلة لآخر ما قبلها من الأمر بالتسبيح فكانه قيل: «سبح باسم ربك العظيم»، لأنه سبح له ما في السموات والأرض^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

من خلال التأمل في آيات هذه السورة الكريمة تتجلى لنا مقاصدها الرئيسية وفق التالي:

- ١- تحدثت السورة في أولها عن أن الله تعالى تدين له المخلوقات جميعاً، وتسبح بحمده، وتنطق بلسان الحال أو بلسان المقال بعظمته وجلاله.
- ٢- ذكرت السورة بعضاً من أسمائه تعالى، التي تدل على تفرده وتوحده، فهو الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، وأنه الظاهر بقدرته وأثاره، الباطن الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وأنه له ملك السموات والأرض خالقاً وإبداعاً، وأنه العليم بكل ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرّج فيها، وأن الأمور كلها راجعة إليه وحده سبحانه.

(١) الدر المنثور: ٥٨/٨.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٤/٢٧.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٥٦/٥.

(٤) المعجم الكبير للطبراني (١٤١٠٦): ص٣١٤/١٣، ونقله ابن كثير في "جامع المسانيد" (١١٢٤/مسند ابن عمر) والسيوطي في "اللآلئ المصنوعة" (٤١٢/٢)، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩٣/٥) و (١٢٠/٧)، وقال: «رواه الطبراني، وفيه مسلمة بن علي الخثني؛ وهو ضعيف». ورواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٩٠/٢٦).

وانظر: الدر المنثور: ٤٥/٨، وزاد نسبه إلى ابن مردويه بسند ضعيف.

وفي سنن أبي داود (٣٨٦٢): ص٥/٤ عن كبشة بنت أبي بكر، وقال: غير موسى كيسة بنت أبي بكر: "أن أباه، كان ينهى أهله عن الحجامة، يوم الثلاثاء، ويزعم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن يوم الثلاثاء يوم الدم، وفيه ساعة لا يرقأ»". [حكم الألباني]: ضعيف.

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير (٤٩٩): ص٢١٥/٢٠ عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر دواء لداء سنة».

(٥) الدر المنثور: ٤٥/٨.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ١٣٠/٢٧.

٣- التذكير بجلال الله تعالى، وصفاته العظيمة، وسعة قدرته وملكوته، وعموم تصرفه، ووجوب وجوده، وسعة علمه، والأمر بالإيمان بوجوده، وبما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم، وما أنزل عليه من الآيات البينات.

٤- التنبيه لما في القرآن من الهدى وسبيل النجاة، والتذكير برحمة الله ورأفته بخلقه.

٥- التحريض على الإنفاق في سبيل الله، وأن المال عَرَضٌ زائل، لا يبقى منه لصاحبه إلا ثواب ما أنفق منه في مرضاة الله.

٦- تعرضت السورة لذكر فريقين: فريق الجنة، وفريق السعير؛ فأما الفريق الأول: وهو فريق المؤمنين والمؤمنات، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، ليهدىهم الصراط، فيدخلون الجنة. وأما الفريق الثاني: وهو فريق المنافقين والمنافقات، فإنه لا نور لهم، ويحال بينهم وبين نور المؤمنين، فلا يستطيعون اللحاق بهم، ويُسخر منهم، فيقال لهم: {ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} [الحديد: ١٣]، فلا يستطيعون الرجوع إلى الدنيا ليعملوا بعمل المؤمنين حتى يلحقوا بهم.

٧- تحذير المسلمين من الوقوع في مهواة قساوة القلوب، التي وقع فيها أهل الكتاب من قبلهم من إهمال ما جاءهم من الهدى حتى قست قلوبهم، وجر ذلك إلى الفسوق كثيراً منهم.

٨- مثلت السورة الكريمة الدنيا وما فيها من متاع زائل ولهو ولعب وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد، مثلتها بالزرع الذي سقاه المطر الوابل، حتى نُضِرَ، وأينع، وأُعجِبَ به الزراع، ثم يصيبه الذبول والضمور، حتى يصير هشيماً تذروه الرياح، وكذلك أمر الدنيا، تتزين وتأخذ زخرفها، حتى يظن أهلها أنهم قادرون عليها فيأتيها، أمر الله ليلاً أو نهاراً بالفناء، فتصير كالزرع المحصود الذي لم يكن موجوداً بالأمس.

٩- الإيماء إلى فضل الجهاد في سبيل الله.

١٠- تشابه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم برسالة نوح وإبراهيم عليهما السلام على أن في ذريتهما مهتدين وفاسقين. وأن الله أتبعهما برسول آخرين، منهم عيسى عليه السلام، الذي كان آخر رسول أرسل بشرع قبل الإسلام، وأن أتباعه كانوا على سُنَّةٍ من سبقهم، منهم مؤمن ومنهم كافر .

١١- حثُّ المسلمين على أن يخلصوا الإيمان لله سبحانه، وأن يتبعوا ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعريضاً بالمنافقين، ووعدهم بحسن العاقبة، وأن الله فضلهم على الأمم؛ لأن الفضل بيده يؤتية من يشاء، والله ذو الفضل العظيم^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

قال الفيروزآبادي: "السورة محكمة: ليس فيها ناسخ ولا منسوخ"^(٢).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عباس: "إن اسم الله الأعظم هو في ست آيات من أول سورة الحديد"^(٣).
- قال سهل بن عبدالله: "اسم الله الأعظم مكنى عنه في ست آيات من أول سورة الحديد، من قوله: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد: ٣]"^(٤).
- عن سعيد بن جبیر أنه قال: "اسم الله الأعظم في ست آيات من أول سورة الحديد"^(٥).

(١) انظر: مقاصد صورة "الواقعة"، مقال منشور في موقع إسلام ويب.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٥٣/١.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٥٦/٥، والشعالبي في "الجواهر الحسان في تفسير القرآن": ٣٧٧/٥.

(٤) تفسير التستري: ١٦١.

(٥) حكاة عنه السمعاني في "التفسير": ٣٦٤/٥.

- عن أبي التياح أنه قال: "من أراد أن يعرف كيف وصف الجبار نفسه، فليقرأ ست آيات من أول سورة الحديد"^(١).
- عن البراء بن عازب قال: "قلت لعلي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أسألك بالله ورسوله إلا خصصتني بأعظم ما خصك به رسول الله صلى الله عليه وسلم واختصه به جبريل وأرسله به الرحمن فقال: إذا أردت أن تدعو الله باسمه الأعظم فاقرأ من أول سورة الحديد إلى آخر ست آيات منها: {عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الحديد : ٦]، وآخر سورة الحشر، يعني أربع آيات، ثم ارفع يديك فقل: يا من هو هكذا أسألك بحق هذه الأسماء أن تصلي على محمد وأن تفعل بي كذا وكذا مما تريد، فوالله الذي لا إله غيره لتنتقلين بحاجتك إن شاء الله"^(٢).
- عن عرباض بن سارية: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، وقال: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية»"^(٣).
- عن يحيى بن أبي كثير قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات وكان يقول: إن فيهن آية هي أفضل من ألف آية قال يحيى: فنراها الآية التي في آخر الحشر"^(٤).
- عن أبي الأسود قال: "قال رأس الجالوت: إنما التوراة الحلال والحرام إلا أن في كتابكم جامعاً: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الحديد : ١]، وفي التوراة: «يسبح لله الطير والسباع»"^(٥).

(١) حكاه عنه السمعاني في "التفسير": ٣٦٤/٥.
 (٢) الدر المنثور: ٤٩/٨، عزاه إلى ابن النجار في تاريخ بغداد بسند ضعيف.
 (٣) الدر المنثور: ٤٦/٨. وعزاه إلى أحمد وأبي داود والترمذي، وحسنه النسائي وابن مردويه والبيهقي في "شعب الإيمان".
 (٤) الدر المنثور: ٤٦/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.
 (٥) الدر المنثور: ٤٦/٨، وعزاه إلى أبي الشيخ في "العظمة".

سورة «المجادلة»

«سورة المجادلة»: هي السورة الثامنة والخمسون بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة المائة وثلاث وفق تعداد نزول سور القرآن، نزلت بعد «سورة المنافقين»^(١)، وقبل «سورة التحريم».

قال ابن عاشور: "والذي يظهر أن سورة المجادلة نزلت قبل «سورة الأحزاب»؛ لأن الله تعالى قال في «سورة الأحزاب»: {وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ} [الأحزاب : ٤]، وذلك يقتضي أن تكون هذه الآية نزلت بعد إبطال حكم الظهار بما في «سورة المجادلة»؛ لأن قوله: {وَمَا جَعَلَ} يقتضي إبطال التحريم بالمظاهرة، وإنما أبطل بآية «سورة المجادلة»^(٢).

وقال السخاوي: "نزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقين، وقبل سورة الحجرات"^(٣). وآياتها اثنتان وعشرون عند الجمهور، وإحدى وعشرون عند المكيين. وكلماتها أربعمائة وثلاث وسبعون. وحروفها ألف وسبعمائة واثنتان وتسعون. المختلف فيها آية واحدة: {فِي الدُّلَيْنِ} [المجادلة : ٢٠]، مجموع فواصل آياتها «من زرد»، وعلى حرف «الزاء» آية واحدة: {عَزِيزٌ} [المجادلة : ٢١] فحسب^(٤).

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة المجادلة»:

سميت هذه السورة في كتب التفسير وفي المصاحف وكتب السنة «سورة المجادلة»، لأنها افتتحت بقضية مجادلة امرأة أوس بن الصامت^(٥) لدى النبي صلى الله عليه وسلم في شأن مظاهرة زوجها في قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة : ١].

ولم يذكر المفسرون ولا شارحو كتب السنة ضبط كلمة «المجادلة» بكسر الدال، أو فتحها. وذكر الخفاجي في «حاشية البيضاوي» أن كسر الدال هو المعروف^(٦).

قال ابن عاشور: "كسر الدال أظهر؛ لأن السورة أفتتحت بذكر التي تجادل في زوجها، فحقيقة أن تضاف إلى صاحبة الجدل، وهي التي ذكرها الله بقوله: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة : ١]"^(٧).

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: «سورة قد سمع»:

أورد هذه التسمية الخفاجي في حاشيته^(٨)، والأوسي في تفسيره^(٩)، قال ابن عاشور: "إن هذا الاسم هو الاسم المشتهر في الكتابات في تونس"^(١٠).

(١) ونزلت سورة «المنافقون» بعد غزوة بني المصطلق، في السنة الخامسة من الهجرة فيكون نزول سورة «المجادلة»، فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك.

(٢) التحرير والتنوير: ٦/٢٨.

(٣) نقلا عن: التحرير والتنوير: ٦/٢٨.

(٤) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٤٥٦.

(٥) أوس بن الصامت الأنصاري الخزرجي، شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مات في خلافة عثمان وله خمس وثمانون. انظر: "الطبقات الكبرى" ٣/ ٥٤٧، و"الإصابة" ١/ ٢٢٠، و"التقريب" ١/ ٨٥.

(٦) انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسمَّاة: عناية القاضى وكفاية الرضى على تفسير البيضاوي: ١٦٤/٨.

(٧) التحرير والتنوير: ٥/٢٨.

(٨) انظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسمَّاة: عناية القاضى وكفاية الرضى على تفسير البيضاوي: ١٦٤/٨.

(٩) انظر: روح المعاني: ٢/٢٨.

(١٠) التحرير والتنوير: ٥/٢٨.

- وإن صحت هذه التسمية فإن وجه تسميتها أنها افتتحت بهذا اللفظ: «قد سمع»، ولم تفتتح غيرها من سور القرآن بهذا اللفظ.
- **الاسم الثاني: «سورة الظهر»:**
سميت في مصحف أبي بن كعب: «سورة الظهر»^(١). ووجه تسميتها لما ذكر فيها من أحكام ظهر الزوج من زوجته وما يترتب عليه.
- وهذان الاسمان «قد سمع، والظهر»، هما من اجتهاد الصحابة-رضي الله عنهم- والعلماء، ولم يرد فيهما من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نص صريح.
- **مكية السورة ومدنيتها:**
في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:
أحدها: أنها مدنية. قاله ابن عباس^(٢)، وابن الزبير^(٣)، والحسن^(٤)، ومجاهد^(٥)، وعكرمة^(٦)، وقتادة^(٧). والجمهور^(٨).
- الثاني: أن العشر الأول منها مدني، والباقي مكّي. قاه عطاء^(٩).
- الثالث: أنها مدنية سوى آية، وهي قوله عزّ وجلّ: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ} [المجادلة: ٧]. قاله ابن السائب الكلبى^(١٠)، والنقاش^(١١).
- قال ابن عطية: "هي مدنية بإجماع"^(١٢).
- **مناسبة السورة لما قبلها:**
ومناسبتها لما قبلها من وجوه:
١- أن الأولى ختمت بفضل الله، وافتتحت هذه بما هو من هذا الوادي.
٢- أنه ذكر في مطلع الأولى صفاته الجليّة ومنها الظاهر والباطن- وذكر في مطلع هذه أنه سمع قول المجادلة التي شكت إليه تعالى^(١٣).
- **أغراض السورة ومقاصدها**
تتمثل مقاصد سورة المجادلة في التالي:
١- الحكم في قضية مظاهرة أوس بن الصامت من زوجه خولة، وبيان حكم ظهار الرجل من امرأته، بأن يقول لها -مثلاً-: أنت عليّ كظهر أمي.
٢- إبطال ما كان في الجاهلية من تحريم المرأة إذا ظاهر منها زوجها، وأن عملهم مخالف لما أَرَادَهُ اللهُ سبحانه، وأنه من أوهامهم وزورهم التي كَبَتَهُمُ اللهُ بإبطالها.

(١) ذكره السيوطي في "الإتقان: ١/١٧٤، ومعتك الأقران: ٣/١٩٩.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٦٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي، وانظر: زاد المسير: ٤/٢٣٢.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٦٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) انظر: زاد المسير: ٤/٢٤١. حكاه بدون إسناد.

(٥) انظر: زاد المسير: ٤/٢٤١. حكاه بدون إسناد.

(٦) انظر: زاد المسير: ٤/٢٤١. حكاه بدون إسناد.

(٧) انظر: زاد المسير: ٤/٢٤١. حكاه بدون إسناد.

(٨) انظر: زاد المسير: ٤/٢٤١. وحكاه عن الجمهور.

(٩) انظر: زاد المسير: ٤/٢٤١. حكاه بدون إسناد.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤/٢٤١. حكاه بدون إسناد.

(١١) انظر: المحرر الوجيز: ٥/٢٧٢.

(١٢) المحرر الوجيز: ٥/٢٧٢.

(١٣) انظر: تفسير المراغي: ٢٨/٣.

- ٣- الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي أشارت إليه سورة الحديد بمن حاد الله ورسوله؛ لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال.
- ٤- أن الله تعالى يعلم جميع ما في السماوات والأرض، ومن ذلك أنه يعلم السر والنجوى، وبيان مصير الذين يتتاجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ٥- بيان ضلالات المنافقين ومنها مناجاتهم بمرأى المؤمنين ليغيظوهم ويحزنوهم، ومنها موالاتهم اليهود، وحلفهم على الكذب.
- ٦- بيان آداب مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم. وشرع التصديق قبل مناجاته صلى الله عليه وسلم، وأن على المؤمنين إذا قيل لهم: تفسحوا في المجالس أن يتفسحوا.
- ٧- الثناء على المؤمنين في مجافاتهم اليهود والمشركين، وأن الذين يتولون قوماً معادين الإسلام أعد الله لهم عذاباً مهيناً.
- ٨- أن الله تعالى قضى بأن يغلب هو ورسله جميع أعداء الدين، وأن الله ورسوله وحزبهما هم الغالبون.
- ٩- أن من يتركون مودة من يحدون الله ورسوله -ولو كانوا أقاربهم- أولئك كتب الله في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، وأنهم سيدخلون جنات تجري من تحتها الأنهار.^(١)

■ الناسخ والمنسوخ:

قال هبة الله بن سلامة: "فيها آية منسوخة وهي إحدى فضائل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لأنه روى عنه أنه قال: «إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي إلى يوم القيامة. فقيل: وما هي. قال: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما كثرت عليه المسائل تبرم خيفة أن يفرض على أمته ما يشق عليها فتندم فعلم الله ذلك منه فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجَئْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المجادلة: ١٢]، فأمسكوا عن السؤال فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولم أملك إذ ذاك إلا دينارا فصرفته بعشرة دراهم وكنت كلما أردت أن أسأله عن مسألة تصدقت بدرهم حتى لم يبق معي غير درهم واحد فتصدقت به وسألته فنسخت الآية ونزلت ناسختها: {أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المجادلة: ١٣]»^(٢)، فصارت ناسخة لها واختص علي بفضلها"^(٣).

عن علي بن أبي طالب، قال: لما نزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجَئْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ}، قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى؟ دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار؟ قلت: لا يطيقونه. قال: فكم؟ قلت: شعيرة^(٤). قال: إنك لزهد. قال: فنزلت: {أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ}، الآية. قال: فبي خفف الله عن هذه الأمة"^(٥).

(١) انظر: مقاصد صورة "الواقعة"، مقال منشور في موقع إسلام ويب.

(٢) سوف يأتي تخريجه بعد هذا النص.

(٣) الناسخ والمنسوخ: ١٧٤.

(٤) شعيرة: يعني: وزن شعيرة من ذهب.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣٠٠) والنسائي في «خصائص علي» (١٥٢) وابن أبي شيبة (١٢/ ٨١) وأبو يعلى في «مسنده» (١/ ٣٢٢/ ٤٠٠) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٩٠) وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣٩٠ - ٣٩١/ ٦٩٤١، ٦٩٤٢) وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٨/ ٢١) وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٤٧ - ١٨٤٨) والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٤٣) والحسكاني في «شواهد التنزيل» (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥/ ٩٥٤، ٩٥٥) وابن المغازلي في «مناقب علي» (٣٧٢) والنحاس في «ناسخه» (ص ٢٣٣).

من طريق: عثمان بن المغيرة الأشجعي به.

قال علي بن أبي طالب: "آية في كتاب الله عزّ وجلّ ما عمل بها أحد من الناس غيري آية النجوى، كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أناجي رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدّقت بدرهم، فما عمل بها أحد قبلي ولا بعدي" (١).

روي عن ابن عباس في قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ} [المجادلة: ١٢] الآية، قال: نسختها: {أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا} [المجادلة: ١٣] الآية" (٢).

■ فضائل السورة:

لم يصح شيء في فضل سورة «المجادلة» سوى كونها من سور «المفصل»، المذكور فضله في بداية فضل سورة «ق».

- عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أعطيت مكان التوراة «السبع الطول»، وأعطيت مكان الزبور «المئين»، وأعطيت مكان الإنجيل: «المثاني» وفضلت بـ «المفصل»" (٣).

و«المفصل»-بتشديد الصاد-: هو ما يلي المثاني من قصار السور، والتي تستحب القراءة ببعضها في بعض الصلوات الخمس على ما هو مبين في كتب الفقه (٤)، وأشهر الأقوال أن أول المفصل «الحجرات»، وأول وسط المفصل: «عبس» وأول قصار المفصل: «والضحى»، هذا أشهر أقوال المالكية، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة. ففي الصبح يستحب القراءة بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء بمتوسطه، وفي المغرب بقصاره.

- ومما انفردت به هذه السورة تكرير الاسم الأعظم الجامع في قصة «المجادلة»، وجميع السورة، تكريراً لم يكن في سواها، بحيث لم تخل منه آية، وأما الآيات التي تكرر في كل منها مرتين أو أكثر، فكثيرة .

وقد ورد في «فضل السورة»، حديثان ضعيفان:

- أحدهما: روى الثعلبي في تفسيره عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة» (٥).

وإسناده ضعيف لأجل علي بن علقمة؛ قال فيه البخاري: «في حديثه نظر» وقال عنه الحافظ في «التقريب»: «مقبول»! قلت: بل هو مجهول؛ تفرد بالرواية عنه سالم بن أبي الجعد، وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٠٩): «منكر الحديث؛ ينفرد عن علي بما لا يشبه حديثه. ثم قال: والذي عندي ترك حديثه». وقال الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٦٥٢): «ضعيف الإسناد».

(١) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن" (٢١٤): ص ٢٠٢-٢٠٣، وأبو عبيد في «ناسخه» (٤٧٣). من طريق: ليث، عن مجاهد به. وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٨١ - ٤٨٢) وابن أبي شيبة (١٢/ ٨١ / ١٢١٧٤) والجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٥٢٦) والمغازلي في «مناقب علي» (٣٧٣). وصحّحه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه القاسم بن سلام في "الناسخ والمنسوخ" (٤٧٠): ص ٢٥٨.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧، رقم ١٧٠٢٣). قال الهيثمي (٧/ ٤٦): فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقيته رجاله ثقات. وأخرجه الطبراني (٢٢/ ٧٥ رقم ١٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٦٥، رقم ٢٤١٥ مكرر). وأخرجه أيضاً: الطيالسي (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/ ٢٧١٦ رقم ٦٤٨٥). وقال المناوي (١/ ٥٦٦): فيه عمرو بن مرزوق، وأورده الذهبي في الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.

(٤) أما السبع الطول فقد ذكرناها عند تفسير قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} [الحجر: ٨٧]. والمئين: كل سورة بلغت مائة فصاعداً. والمثاني: كل سورة دون المئين وفوق المفصل، والمفصل: هو ما يلي المثاني من قصار السور، وإنما سميت مفصلاً لقصورها وكثرة الفصول فيها بسطر: «بسم الله الرحمن الرحيم»..

(٥) الكشف والبيان: ٢٥٣/٩، [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

- الثاني: حديث علي: «يا علي من قرأها قضى الله له ألف حاجة أدناها أن يعتقه من النار، ونزلت عليه ألف ملك يستغفرون له بالليل، ويكتبون له الحسنات، وله بكل آية قرأها مثل ثواب من يطلب قوته من الحلال»^(١).

(١) نقلا عن: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٥٧/١.

سورة «الحشر»

هي السورة التاسعة والخمسون بحسب الرّسم القرآني، نزلت بعد «سورة البينة» وقبل «سورة النصر»، أي: أنها من أواخر السور التي نزلت على الرسول -صلى الله عليه وسلم- من السور القرآنية؛ حيث تُعدّ السورة الثامنة والتسعون في ترتيب النزول، ويبلغ عدد آياتها أربع وعشرون، كلماتها أربعمائة وخمس وأربعون. حروفها ألف وتسعمائة وثلاث عشرة. فواصل آياتها «من بر» على الباء آيتان: {العقاب} [الحشر : ٤، ٧] في موضعين^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الحشر»:

سمّيت «سورة الحشر» بهذا الاسم للحديث عن الحشر وورود هذا اللفظ فيها، ولأنه ورد فيها ذكر حشر بني النضير، إذ إن هذه السورة نزلت عقب إخراج بني النضير من المدينة إلى الشام في السنة الرابعة من الهجرة، فاشتهرت هذه السورة باسم «سورة الحشر»، لقوله -تعالى- فيها: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر : ٢]، والمراد بالحشر حشران؛ الحشر الأول: هو جمع بني النضير وإخراجهم من المدينة المنورة إلى الشام في عهد النبوة، والحشر الثاني: المراد فيه إجلاؤهم من خيبر إلى الشام في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-^(٢).

■ ثانياً:- اسمها الاجتهادي: «سورة بني النضير»:

وتُسمّى سورة الحشر أيضاً باسم آخر وهو: سورة بني النضير، وهو الاسم الذي أطلقه ابن عباس -رضي الله عنه- لنا لما يُظنّ أنّ المقصود بالحشر يوم القيامة؛ ويظهر هذا في قوله -تعالى- فيها: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر : ٢]، أي: إنّ المقصود بالحشر هو إخراج بني النضير، وقد ورد في الأثر عن سعيد بن جبيرة قال: "قلت لابن عباس سورة الحشر قال: قال: سورة النضير"^(٣)، وفي رواية: "نزلت في بني النضير"^(٤).

■ مكية السورة ومدنيتها:

روي عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة الحشر بالمدينة"^(٥). وروي عن ابن الزبير^(٦)، مثل ذلك.

قال ابن عطية: "هذه السورة مدنية باتفاق من أهل العلم، وهي سورة بني النضير"^(٧).

قال ابن الجوزي: "هي مدنية كلها بإجماعهم، وذكر المفسرون أنّ جميعها نزل في بني النضير"^(٨).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- إن في آخر السالفة قال: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} [المجادلة : ٢١]، وفي أول هذه قال: {قَاتَاهُمْ

اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} [الحشر : ٢].

٢- إن في السابقة ذكر من حاد الله ورسوله، وفي أول هذه ذكر من شاق الله ورسوله.

٣- إن في السالفة ذكر حال المنافقين واليهود وتولى بعضهم بعضاً، وفي هذه ذكر ما حل باليهود، وعدم غناء تولى المنافقين إياهم^(٩).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٥٨/١.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧٥/٤.

(٣) الدر المنثور: ٨٨/٨. وعزاه إلى عبد بن حميد والبخاري ومسلم وابن المنذر وابن مردويه.

(٤) الدر المنثور: ٨٨/٨. وعزاه إلى سعيد بن منصور والبخاري وابن مردويه.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٨٨/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٨٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) المحرر الوجيز: ٢٨٣/٥. وسوف يأتي الخبر عن بني نضير في سبب نزول الآية رقم (٢) من السورة.

(٨) زاد المسير: ٢٥٣/٤.

■ أغراض السورة ومقاصدها

تتمثل مقاصد سورة الحشر في التالي:

١- افتتاحية السورة واختتامها بالتسبيح والتعظيم لله تعالى وإظهار عزته وحكمته في تصريف الأمور، وتأمل كيف ختمت الآية الأولى والأخيرة بقوله {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر : ١]، إشارة للغرض الذي بنيت عليه السورة ولذلك جاءت الآية الثانية مباشرة في بيان صورة من قدرته في قوله {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر : ٢].

٢- ذكر حال اليهود وأنصارهم المنافقين : فذكر أولاً حادثة يهود بني النضير وما كان من شأنهم في توهين أمرهم وخزيهم في قوله {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} [الحشر : ٢]، وقوله {وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} [الحشر : ٥]، وذكر أيضاً حال قوم سابقين من اليهود وهم بنو قينقاع في قوله: {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا وِبَالَ أَمْرِهِمْ} [الحشر : ١٥]، وذكر أيضاً قبل ذلك بيان حال المنافقين المناصرين لليهود وبيان جبنهم: {لَئِنْ أَخْرَجُوا لَّا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوَّتُوا لَّا يُنصِرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأُذُنُ ثُمَّ لَّا يُنصِرُونَ} [الحشر : ١٢].

٣- استعراض حال المهاجرين والأنصار ومن بعدهم، وبيان عظم شأنهم في نصره الدين وصدقهم وقوة ترابطهم، مقابل ذكر حال اليهود وأنصارهم المنافقين. في قوله: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ} [الحشر : ٨]... {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ} [الحشر : ٩]، {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} [الحشر : ١٠] ...، إشارة لأسباب تأييد الله لهم وتحفيزاً للمؤمنين في الاقتداء بهم.

٤- تذكير المؤمنين ووعظهم باليوم الآخر، تحذيراً من الغفلة ومشابهة أهل الكتاب والمنافقين الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

٥- إبراز الفرق بين الفريقين، فلايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة وهي كالنتيجة للفريقين، ولذلك قال في ختامها: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الحشر : ٢٠].

٦- التأكيد على عظمة القرآن في كونه سبباً لتصدع الجبال من خشية الله، وهو إشعار للمؤمنين والكافرين بأن هذا القرآن الذي بين لهم قدرة الله تعالى وأظهر عاقبة الفريقين حري بأن يكون موقظاً لهم ومحركاً لقلوبهم.

٧- وختمت السورة بأسماء الله تعالى، التي تضاعف قوة الإيمان بالله في النفوس وتوثق اليقين به تعالى. وهو المقصود من السورة. والله تعالى أعلم.

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة ليس فيها منسوخ، وفيها ناسخ وهو قوله تعالى: {مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} [الحشر : ٧]، نسخ الله تعالى بها آية الأنفال: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} [الأنفال : ١] (٢).

■ فضائل السورة:

■ عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض

(١) انظر: تفسير المراغي: ٣٠/٢٨.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٧٠٤، والناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة: ١٧٥، والناسخ والمنسوخ لابن حزم:

- حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين^(١).
- عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أعطيت مكان التوراة «السبع الطول»، وأعطيت مكان الزبور «المئين»، وأعطيت مكان الإنجيل: «المثاني» وفضلت بـ «المفصل»^(٢).
- و«المفصل»-بتشديد الصاد-: هو ما يلي المثاني من قصار السور، والتي تستحب القراءة ببعضها في بعض الصلوات الخمس على ما هو مبين في كتب الفقه^(٣)، وأشهر الأقوال أن أول المفصل «الحجرات»، وأول وسط المفصل: «عيس» وأول قصار المفصل: «والضحى»، هذا أشهر أقوال المالكية، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة. ففي الصبح يستحب القراءة بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء بمتوسطه، وفي المغرب بقصاره.
- عن عرياض بن سارية: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، وقال: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية»^(٤).
- عن معقل بن يسار، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، إن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يمسي كان بنتلك المنزلة^(٥).

(١) "مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصديقي، وصححه الحاكم والذهبي. وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حاء، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والذخرف، والدخان، والجاتية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحٌ وَيُسَبِّحُ وَسَبَّحٌ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٧/٤) ، رقم (١٧٠٢٣). قال الهيثمي (٤٦/٧): فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الطبراني (٢٢/٧٥ رقم ١٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٦٥) ، رقم ٢٤١٥ مكرر). وأخرجه أيضاً: الطيالسي (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/٢٧١٦ رقم ٦٤٨٥). وقال المناوي (١/٥٦٦): فيه عمرو بن مرزوق، وأورده الذهبي في الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.

(٣) أما السبع الطول فقد ذكرناها عند تفسير قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} [الحجر: ٨٧] . والمئين: كل سورة بلغت مائة فصاعداً. والمثاني: كل سورة دون المئين وفوق المفصل، والمفصل: هو ما يلي المثاني من قصار السور، وإنما سميت مفصلاً لقصورها وكثرة الفصول فيها بسطر: «بسم الله الرحمن الرحيم»..

(٤) الدر المنثور: ٤٦/٨. وعزاه إلى أحمد وأبي داود والترمذي، وحسنه النسائي وابن مردويه والبيهقي في "شعب الإيمان".

(٥) أخرجه أحمد في المسند(٢٠٣٠٦):ص٤٢١/٣٣، وأخرجه الدارمي (٣٤٢٥) ، والترمذي (٢٩٢٢)، والطبراني في "الكبير" ٢٠/ (٥٣٧) ، وفي "الدعاء" (٣٠٨) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٨٠) من طريق أبي أحمد الزبيرى محمد بن عبد الله، بهذا الإسناد. قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وأورده الذهبي في "الميزان" ٦٣١/١ من هذا الطريق، وقال: لم يحسنه الترمذي، وهو حديث غريب جداً. والحديث ضعيف، فيه خالد بن طهمان ضعفه ابن معين، وقال: خلط قبل موته بعشر سنين، وكان قبل ذلك ثقة، وكان في تخليطه كل ما جاؤوا به يقرؤه، وحسن الرأي فيه أبو داود وأبو حاتم، وأما نافع بن أبي نافع الراوي عن معقل، فإن كان هو نافع بن الحارث أبا دواد الأعمى فيما قاله أبو داود، فهو متروك الحديث وإن كان غيره فهو لا يعرف كما قاله الذهبي في "الميزان" ٢٤٢/٤، وانظر ترجمة نافع هذا في "تهذيب التهذيب" لابن حجر.

- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(١).
- عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ آخر سورة الحشر ثم مات من يومه وليته كفر عنه كل خطيئة عملها"^(٢).
- عن أنس: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا إذا أوى إلى فراشه أن يقرأ آخر سورة الحشر، وقال: إن مت مت شهيدا"^(٣).
- عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم -عليه السلام-: «من قرأ سورة «الحشر» لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا السماوات السبع والأرضون السبع والهوام والريح والطير والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة إلّا صلوا عليه، واستغفروا له، فإن مات من يومه أو ليلته مات شهيدا»^(٤).
- عن محمد بن الحنفية: "أن البراء بن عازب قال لعلي بن أبي طالب: سألتك بالله إلا ما خصصتني بأفضل ما خصك به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما خصه به جبريل مما بعث به إليه الرحمن، قال: يا براء إذا أردت أن تدعو الله باسمه الأعظم فاقرا من أول الحديد عشر آيات وآخر سورة الحشر، ثم قل: يا من هو هكذا وليس شيء هكذا غيره أسألك أن تفعل بي كذا وكذا، فوالله يا براء لو دعوت علي لخسف بي"^(٥).
- عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات ثم قرأ آخر سورة الحشر، بعث الله إليه سبعين ألف ملك يطردون عنه شياطين الإنس والجن، إن كان ليلا حتى يصبح وإن كان نهارا حتى يمسي"^(٦).
- عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات في يومه أو ليلته، فقد أوجب له الجنة"^(٧).
- عن عتيبة قال: "حدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من قرأ خواتيم الحشر حين يصبح أدرك ما فاتته من ليلته وكان محفوظا إلى أن يمسي، ومن قرأها حين يمسي أدرك ما فاتته من يومه وكان محفوظا إلى أن يصبح، وإن مات أوجب"^(٨).
- عن الحسن قال: "من قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر إذا أصبح فمات من يومه ذلك طبع بطابع الشهداء وإن قرأ إذا مسى فمات من ليلته طبع بطابع الشهداء"^(٩).
- عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اسم الله الأعظم في سنة آيات من آخر سورة الحشر"^(١٠).

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٦/٩.

(٢) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى ابن السني في عمل يوم وليلة وابن مردويه.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٦/٩.

(٥) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى علي بن عبد الرحمن بن محمد النيسابوري في فوائده.

(٦) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى بن عدي وابن مردويه والخطيب والبيهقي في شعب الإيمان.

(٨) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.

(٩) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى الدارمي وابن الضريس.

(١٠) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى الديلمي.

سورة «المتحنة»

سورة «المتحنة» هي السورة الستون في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فكان بعد «سورة الأحزاب»، وقبل «سورة النساء»، واتفق أهل العدد على عد آياتها ثلاث عشرة آية. وآياتها طوال، وكلماتها ثلاثمائة وأربعون. وحروفها ألف وخمسمائة وعشر. مجموع فواصل آياتها «لم نرد»، على اللام منها آية: {السَّبِيلُ} [المتحنة : ١]. وعلى الدال آية: {الْحَمِيدُ} [المتحنة : ٦]^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة المتحنة»:

عرفت هذه السورة في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف بـ«سورة المتحنة»، و«المتحنة» - بكسر الحاء-، أي: المختبرة، بإضافة الفعل إلى المرأة مجازاً، كما سميت سورة «براءة»: المبعثرة والفاضحة، لما كشفت عيوب المنافقين. ويقال: «المتحنة» -بفتح الحاء- وهو المشهور، بإضافة الفعل حقيقة إلى المرأة التي نزلت فيها، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، قال الله تعالى: {فَأَمَّا حُوثُوهِنَّ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ} [المتحنة : ١٠]. وهي امرأة عبد الرحمن بن عوف، ولدت له إبراهيم بن عبد الرحمن^(٢).

■ أسماؤها الاجتهادية:

الاسم الأول: «سورة الامتحان»:

وتسمى «سورة الامتحان»، لقوله تعالى: {فَأَمَّا حُوثُوهِنَّ} [المتحنة : ١٠]^(٣)، وبهذه التسمية قال مقاتل^(٤)، وابن قتيبة^(٥)، والأزهري^(٦)، وهبة الله بن سلامة^(٧)، والثعلبي^(٨)، والسخاوي^(٩)، وآخرون.

الاسم الثاني: «سورة المودة»:

وتسمى «سورة المودة»، لقوله تعالى: {تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} [المتحنة : ١]، وقوله تعالى: {تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} [المتحنة : ١]، وقوه تعالى: {عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً} [المتحنة : ٧]^(١٠).

وذكر هذه التسمية أبو بكر النيسابوري^(١١)، وأبو زرعة^(١٢)، والسخاوي^(١٣)، والفيروزآبادي^(١٤).

■ مكية السورة ومدنيتها:

روي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة المتحنة بالمدينة"^(١٥). وروي عن ابن الزبير^(١٦)، مثل ذلك. قال ابن عطية: "هي مدنية بإجماع المفسرين"^(١).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١، والتحرير والتنوير: ١٣٠/٢٨.

(٢) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١١٥/٢٨.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٩٥/٤.

(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٢١١.

(٦) انظر: معاني القراءات: ٦٥/٣.

(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ: ٢٤.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٢/٨، ٢٦٤/٩.

(٩) انظر: جمال القراء: ٤٨٢، ٦٩١.

(١٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١.

(١١) انظر: المبسوط في القراءات العشر: ١٣٦، ٤٣٤.

(١٢) انظر: حجة القراءات: ١١٣.

(١٣) انظر: جمال القراء: ٩٢.

(١٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١.

(١٥) انظر: الدر المنثور: ١٢٤/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٦) انظر: الدر المنثور: ١٢٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

قال ابن الجوزي: "هي مدنيّة كلها بإجماعهم"^(٢).

قال ابن عاشور: "هذه السورة مدنية بالاتفاق"^(٣).

قال هبة الله بن سلامة: "نزلت بالمدينة بإجماعهم في شأن حاطب بن أبي بلتعة وقصته في ذلك وفي شأن سبيعة بنت الحارث"^(٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها -وهي «سورة الحشر»- من وجهين:

١- ذكر في الحشر موالاته المؤمنين بعضهم بعضاً، ثم موالاته الذين نافقوا للكفار من أهل الكتاب، وافتتحت هذه السورة بنهي المؤمنين عن اتخاذ الكافر أولياء، لئلا يشابهوا المنافقين في ذلك، وكرر النهي في السورة، ثم ختمت به.

٢- كانت سورة الحشر في المعاهدين من أهل الكتاب، وهذه السورة للمعاهدين من المشركين، لأنها نزلت في صلح الحديبية، فالسورتان تشتركان في بيان علاقات المسلمين مع غيرهم^(٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها

إن موضوع هذه السورة كغالب السور المدنية في بيان الأحكام التشريعية، وهي هنا أحكام المتعاهدين من المشركين، والذين لم يقاتلوا المسلمين، والمؤمنات المهاجرات وامتحانهن. ويمكن تلخيص مقاصد السورة على النحو الآتي:

١- ابتدأت السورة بالنهي عن موالاته المشركين وأسباب ذلك وهي إيذاء المؤمنين وعداوتهم لله ولمن آمنوا، وإلجاؤهم إلى الهجرة وترك الديار والأوطان.

٢- أن القرابة أو الصداقة غير نافعة يوم القيامة، وإنما النافع للإنسان هو الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: {لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [المتحنة : ٣].

٣- ضرب الأمثال بقصة إبراهيم ومن معه من المؤمنين، وتبرؤهم من قومهم المشركين، ليتخذ المؤمن أباً الأنبياء إبراهيم خليل الرحمن قدوة وأسوة طيبة: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِنْ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَكَلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [المتحنة : ٤].. الآيات.

٤- وضعت أصول العلاقات بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب في حالتها السلم والحرب، والمودة والعداوة: {لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (٨) {إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المتحنة : ٨-٩]، الآيات.

٥- بيان حكم العلاقات مع المشركين فيما يتعلق بالنساء المؤمنات، وضرورة امتحانهن عند الهجرة لدار الإسلام، وعدم ردهن إلى الكفار في دار الكفر وإيتاء أزواجهن مهورهن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ} [المتحنة : ١٠].. الآيات.

(١) المحرر الوجيز: ٢٩٣/٥.

(٢) زاد المسير: ٢٦٦/٤.

(٣) التحرير والتنوير: ١٣٠/٢٨.

(٤) الناسخ والمنسوخ: ١٧٦.

(٥) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١١٥/٢٨.

٦- بيان حكم مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم لهن، وشروط البيعة وبنودها، وأصولها في الإسلام وداره.

٧- وختمت السورة بتأكيد النهي عن موالاتة أعداء المؤمنين من المشركين والكفار، حرصاً على وحدة الأمة والملة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة: ١٣] (١).

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: النهي عن موالاتة الخارجين عن ملة الإسلام، والاقتراء بالسلف الصالح في طريق الطاعة والعبادة، وانتظار المودة بعد العداوة، وامتحان المدعين بمطالبة الحقيقة، وأمر الرسول بكيفية البيعة مع أهل الستر والعفة، والتجنب من أهل الزيغ والضلالة" (٢).

قال الطنطاوي: "هذا والمتأمل في هذه السورة الكريمة، يراها قد ساقته للمؤمنين ألواناً من التريبة التي تغرس العقيدة السليمة في قلوبهم، وتجعلهم يضحون من أجلها بكل شيء، ويقدمونها في تصرفاتهم على محبة الآباء والأبناء والعشيرة والأموال، وتكشف لهم عن سوء نيات الكافرين نحوهم، وعن حرصهم على إنزال الضرر بهم، كما ضربت لهم الأمثال بإبراهيم- عليه السلام- لكي يقتدوا به في قوة إيمانه، وفي إخلاصه لدينه، كما بينت لهم من يجوز لهم مودتهم من الكافرين، ومن لا يجوز لهم ذلك منهم.. ثم ختمت ببيان بعض الأحكام التي تتعلق بالنساء المؤمنات المتزوجات من الكافرين، وبالنساء اللاتي جنن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لكي يبايعنه على الإيمان والطاعة" (٣).

■ الناسخ والمنسوخ:

وفيها من المنسوخ ثلاث آيات:

أولاهن: قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]، نسخت بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة: ٩]. وهذا مما نسخ فيه العموم بتفسير الخصوص.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [المتحنة: ١٠]، الآية، فنسخت بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [المتحنة: ١٠]، وقيل نسخت بقوله تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١]، الآية.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المتحنة: ١١]، نسخت بآية السيف (٤).

■ فضائل السورة:

- عن أبي ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة المتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفعا يوم القيامة» (٥). [ضعيف]

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١١٦/٢٨-١١٧.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١.

(٣) التفسير الوسيط: ٣١٨/١٤-٣١٩.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٥٩-٦٠، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: ٢٠٦-٢٠٨.

(٥) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان: ٢٩٠/٩، وذكره المستغفري في "فضائل القرآن": ٥٢١/٢، و الزمخشري في "الكشاف": ٧٨٦/٤، والبيضاوي في "أنوار التنزيل": ٢٠٧/٥. [وهو حديث موضوع، وقد نبه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث وانقطاعها عن رسول الله]

سورة «الصف»

«سورة الصف» هي السورة الواحدة والستون من سور القرآن الكريم، تليها سورة «الجمعة» وتسبقها «سورة الممتحنة» في ترتيب سور المصحف، آياتها أربع عشرة. وكلماتها مائتان وإحدى وعشرون. وحروفها تسعمائة. مجموع فواصل آياتها: «صمن»، وعلى «الصاد» آية واحدة: {مَرْصُوصٌ} [الصف: ٤] (١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً: اسمها التوقيفي: «سورة الصف»:

اشتهرت هذه السورة باسم «سورة الصف» وكذلك سميت في عصر الصحابة. أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الله بن سلام: " أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: لو أرسلنا إلى رسول الله نساله عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل؟ فلم يذهب إليه أحد منا، وهبنا أن نساله عن ذلك، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر رجلاً رجلاً حتى جمعهم، ونزلت فيهم هذه السورة: «سيح»، الصف. قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها. قال أبو سلمة: وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها، قال يحيى بن أبي كثير وقرأها علينا أبو سلمة كلها. قال الأوزاعي: وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير كلها. قال أبي: وقرأها علينا الأوزاعي كلها" (٢).

وبذلك عنونت في «صحيح البخاري» (٣)، وفي «جامع الترمذي» (٤)، وكذلك كتب اسمها في المصاحف وفي كتب التفسير، ووجه التسمية وقوع لفظ {صَفًّا} [الصف: ٤] فيها، وهو صف القتال، فالتعريف باللام تعريف العهد (٥).

■ ثانياً: اسمها الاجتهادي: «سورة الحواريين»:

ذكر السيوطي في «الإتقان»: أنها تسمى «سورة الحواريين» ولم يسنده، فتسميتها «سورة الحواريين» لذكر الحواريين فيها. ولعلها أول سورة نزلت ذكر فيها لفظ الحواريين (٦). وقال الألويسي: تسمى «سورة عيسى» (٧)، ولم أقف على نسبه لقائل. وأصله للطبرسي فلعنه أخذ من حديث رواه في فضلها عن أبي بن كعب بلفظ: «من قرأ سورة عيسى (عليه السلام) كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له مادام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه» (٨). وهو حديث موسوم بأنه موضوع. والطبرسي يكثر من تخريج الأحاديث الموضوعية.

وإذا ثبت تسميتها «سورة عيسى» فلما فيها من ذكر عيسى [الصف: ٦ و ١٤] مرتين (٩).

■ مكية السورة ومدنيتها:

وفيها قولان:

أحدهما: أنها مدنيّة، قاله ابن عباس (١)، والحسن (٢)، ومجاهد (٣)، وعكرمة (٤)، وقتادة (٥)، وهو قول الجمهور (٦).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٢/١، والتحرير والتنوير: ١٧١/٢٨.

(٢) كما في تفسير ابن كثير: ١٠٤/٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٥١/٦.

(٤) انظر: سنن الترمذي: ٤١٢/٥.

(٥) انظر: التحرير والتنوير: ١٧١/٢٨.

(٦) انظر: التحرير والتنوير: ١٧١/٢٨.

(٧) انظر: روح المعاني: ٢٧٧/١٤.

(٨) الكشف والبيان: ٣٠١/٩.

(٩) انظر: التحرير والتنوير: ١٧١/٢٨.

الثاني: أنها مكّية، قاله مكي عن ابن عباس^(٧)، والمهدوي عن عطاء ومجاهد^(٨)، وحكاه ابن الجوزي عن ابن يسار^(٩).

قال ابن عطية: القول "الأول أصح، لأن معاني السورة تعضده ويشبه أن يكون فيها المكي والمدني"^(١٠).

قال ابن الجوزي: "هي مدنيّة كلها بإجماعهم"^(١١).

قال ابن عاشور: "هي مدنية عند الجمهور كما يشهد لذلك حديث عبد الله بن سلام"^(١٢).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجهين:

١- نهت السورة السابقة في مطلعها وأثنائها وختامها عن موالاة الكفار من دون المؤمنين، وأمّرت هذه السورة بوحدة الأمة ووقوفها صفا واحدا تجاه الأعداء.

٢- ذكرت السورة المتقدمة أحكام العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم داخل الدولة الإسلامية وخارجها، وقت السلم، وحرّضت هذه السورة على الجهاد ورغبت فيه بسبب العدوان، وأثبت التاركين للقتال وشبهتهم ببني إسرائيل الذين عصوا موسى عليه السلام حين ندبهم للقتال، ثم عصوا عيسى عليه السلام حين أمرهم باتباعه بعد إتيانه بالبينات والمعجزات، واتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي بشر به^(١٣).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تعنى «سورة الصف» بالأحكام التشريعية، وتتحدث عن موضوع اتحاد المسلمين لمجاهدة أعداء الله، وعن التجارة الرابحة التي بها سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة، وقد جاءت مقاصد سورة الصف تفصيلاً كالتالي:

١- الإقرار بأن الله سبحانه وتعالى منزّه من كل عيب عزيز لا يحتاج لمخلوقاته حكيم في خلقه وأمره ونهيه أمر الناس بما يسعدهم ويحقق لهم صلاح دنياهم وآخرتهم، وهو قادر على أن يجبرهم على فعل أمره ونهيه لكن لحكمة هو يعلمها، جعل الناس مختارون لأفعالهم فيريح من يريح بإرادته ويخسر من يخسر بشهوته وطول أمانيه.

٢- الإنكار على المؤمنين الذين يقولون مالا يفعلون، لأن الإيمان هو قول يصدّقه الفعل وجهاد بالأموال والأنفس، وهو التزام بالهدى ودين الحق. والأمر بالإخلاص في العمل لأجل نصرّة الدّين بالأفعال لا

(١) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٢) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٣) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٥) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠١/٥، وزاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠١/٥.

(٨) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠١/٥.

(٩) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤. ابن يسار: هو محمد بن إسحاق بن يسار، المُطَّلبي بالولاء، من أهل المدينة، سكن العراق، إمام في المغازي والسيرة النبوية، رُمي بالتشيع والقدر، صدوق يُدلس، مات ببغداد سنة (١٥١ هـ)، وقيل بعدها. انظر: "وفيات الأعيان" ٢٧٦/٤، "تذكرة الحفاظ" ١/١٧٢، "تهذيب التهذيب" ٣/٥٠٤.

(١٠) المحرر الوجيز: ٣٠١/٥.

(١١) زاد المسير: ٢٦٦/٤.

(١٢) التحرير والتنوير: ١٧٢/٢٨.

(١٣) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١٥٧/٢٨.

بالأقوال، وبالعمل الجماعي الذي يحبه الله، باذلين أموالهم وأرواحهم في سبيل الدين الواحد الذي أراد الله أن يتمه ويظهره على الدين كله.

٣- تحذير المسلمين بأن لا يكونوا مثل بني إسرائيل الذين آذوا نبيهم موسى بالقول والفعل، آمنوا ابتداء ثم اتهموه بالكذب، ثم عنادهم عيسى حين جاءهم بما سبق وأن جاءهم به موسى من التوراة والتي بشرت برسالته، ثم تكذيبهم للحق حين جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم وبما سبق وأن بشر به عيسى عليه السلام.

٤- باقتراء الكافرين الكذب، واختلاقه على الله، وقولهم عن كلامه سحر، ورسوله ساحر، لن يهديهم الله وقد ظلموا أنفسهم بكفرهم بما أنزل من الحق.

٥- التأكيد على أن اليهود والنصارى والمنافقين ومن والاهم لن يطفئوا نور الله بما يقولون من الكذب، ولو بذلوا كل الأسباب لإطفاء نور الله فإنهم مغلوبون، وقد تكفل الله بنصر دينه وإتمام الحق الذي أرسل به رسوله وإظهاره على سائر الأديان.

٦- إرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين إلى أعظم تجارة يحصل بها الفوز في الدنيا والآخرة والنجاة من العذاب الأليم: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} [الصف: ١١].

٧- أمر الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، أن يكونوا أنصار الله ودعاة دينه، فينصرهم الله كما نصر من قبلهم عيسى عليه السلام وأصحابه المخلصين، ويظهرهم على عدوهم.

قال الزحيلي: "إن محور السورة وموضوعها هو القتال وجهاد الأعداء، والتضحية في سبيل الله تعالى، وبيان ثواب المجاهدين العظيم، وذلك من الأحكام التشريعية التي تعنى بها السور المدنية عادة"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة، خالية عن الناسخ والمنسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

عن عبد الله بن سلام قال: "تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فلم يقر أحد منا، " فأرسل إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة، يعني: سورة الصف كلها"^(٣).

(١) التفسير المنير: ١٥٨/٢٨.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٢/١.

(٣) المسند(٢٣٧٨٨):ص٢٠٥/٣٩، وأخرجه أبو إسحاق في "السير" (٥٤٦)، والدارمي (٢٣٩٠)، والترمذي (٣٣٠٩)، وأبو يعلى (٧٤٩٩)، وابن حبان (٤٥٩٤)، والطبراني في "الكبير - قطعة من ج١٣" (٤٠٦)، والحاكم ٦٩/٢ و٢٢٨-٢٢٩ و٤٨٦-٤٨٧، والبيهقي ١٥٩/٩-١٦٠، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" ٤٢٤/٢.

سورة «الجمعة»

«سورة الجمعة» هي السورة الثانية والستون من سور القرآن الكريم، وهي رابعة السور «المُسَبِّحات» التي تبدأ بتسبيح الله، نزلت بعد «سورة الصف»، وآياتها: إحدى عشرة. وكلماتها: مائة وثمانون. وحروفها سبعمائة وعشرون. فواصل آياتها: «من»^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة الجمعة»:

تسمى «سورة الجمعة»، لقوله: {إِذَا تُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ} [الجمعة : ٩].

قال ابن عاشور: "سميت هذه السورة عند الصحابة وفي كتب السنة والتفاسير «سورة الجمعة» ولا يعرف لها اسم غير ذلك"^(٢).

■ مكية السورة ومدنيتها:

روي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الجمعة بالمدينة"^(٣). وروي عن عبد الله بن الزبير مثله^(٤).

قال ابن الجوزي: "هي مدنية كلها بإجماعهم"^(٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجهين:

١- إنه ذكر في السورة قبلها حال موسى مع قومه وأذاه لهم، ناعيا عليهم ذلك، وذكر في هذه حال

الرسول صلى الله عليه وسلم وفضل أمته، تشريفا لهم، ليعلم الفرق بين الاثنين.

٢- إنه حكى في السورة قبلها قول عيسى: «ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» وذكر هنا:

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ} [الجمعة : ٢] إشارة إلى أنه هو الذي بشر به عيسى.

٣- لما ختم السورة قبلها بالأمر بالجهاد وسماه تجارة، ختم هذه السورة بالأمر بالجمعة، وأخبر أن ذلك

خير من التجارة الدنيوية^(٦).

■ أغراض السورة ومقاصدها

١- تناولت بعثة خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم وبيّنت أنه الرحمة المهداة لإنقاذ البشرية من الضلال

، من قوله تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الجمعة

: ١] إلى قوله تعالى: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الجمعة : ٤]

٢- تحدثت عن اليهود وانحرافهم عن شرع الله ومثلت لهم بالحمار الذي يحمل كتبا نافعة ولا يناله منها

سوى التعب ، من قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [

الجمعة: ٥]، إلى قوله تعالى: {ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجمعة

: ٨].

٣- تناولت أحكام صلاة الجمعة ، ودعت المسلمين للمسارعة إليها ، وحرمت البيع وقت الأذان والنداء

لها وختمت بالتحذير من الانشغال عن الصلاة بالتجارة واللغو ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا

تُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٤/١.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٠٤/٢٨.

(٣) الدر المنثور: ١٥١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٤) الدر المنثور: ١٥١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) زد المسير: ٢٨٠/٤.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ٩٣/٢٨.

[الجمعة : ٩] إلى قوله تعالى : {قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [الجمعة : ١١].

قال ابن عاشور: " أول أغراضها ما نزلت لأجله وهو التحذير من التخلف عن صلاة الجمعة والأمر بترك ما يشغل عنها في وقت أدائها. وقدم لذلك: التنويه بجلال الله تعالى. والتنويه بالرسول صلى الله عليه وسلم. وأنه رسول إلى العرب ومن سيلحق بهم. وأن رسالته لهم فضل من الله. وفي هذا توطئة لزم اليهود لأنهم حسدوا المسلمين على تشريفهم بهذا الدين. ومن جملة ما حسدوهم عليه ونقموه أن جعل يوم الجمعة اليوم الفاضل في الأسبوع بعد أن كان يوم السبت وهو المعروف في تلك البلاد. وإبطال زعمهم أنهم أولياء الله. وتوبيخ قوم انصرفوا عنها لمجيء غير تجارة من الشام"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة خالية عن الناسخ والمنسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن ابن عباس، وأبي هريرة : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين"^(٣).
- عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة {قل يا أيها الكافرون} و {قل هو الله أحد}، وكان يقرأ في صلاة العشاء الأخيرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين"^(٤).
- عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الجمعة كتب له عشر حسنات بعدد من ذهب إلى الجمعة من مصر من أمصار المسلمين ومن لم يذهب»^(٥).

(١) التحرير والتنوير: ٢٠٥/٢٨-٢٠٦.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٤/١.

(٣) صحيح مسلم برقم (٨٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ويرقم (٨٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) الدر المنثور وعزاه إلى ابن حبان والبيهقي في سننه.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠٥/٩. [ضعيف]

سورة «المنافقون»

«سورة المنافقون» هي السورة الثالثة والستون بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثالثة والأخيرة من المجموعة الرابعة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة الحج» وقبل «سورة المجادلة»، وآياتها: إحدى عشرة. كلماتها: مائة وثمانون. حروفها: سبعمائة وست وسبعون. فواصل آياتها «نون»^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة المنافقون»:

سميت هذه السورة في كتب السنة وكتب التفسير «سورة المنافقين» اعتبارا بذكر أحوالهم وصفاتهم فيها، ووقع هذا الاسم في حديث زيد بن أرقم: قوله: «فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين»^(٢). ووقع في «صحيح البخاري» وبعض كتب التفسير تسميتها «سورة المنافقون»^(٣)، على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وكذلك ثبت في كثير من المصاحف المغربية والمشرقية^(٤).

■ مكة السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: «نزلت سورة المنافقين بالمدينة»^(٥). وروي عن ابن الزبير مثله^(٦).

قال الفيروز آبادي: «السورة مدنية بالاتفاق»^(٧).

قال ابن الجوزي: «وهي مدنية بإجماعهم، وذكر أهل التفسير أنها نزلت في عبد الله بن أبي ونظرائه»^(٨).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.

(٢) مسند ابن أبي شيبه (٥٢١): ص ٣٥٦/١، وسنن الترمذي (٣٣١٣): ص ٤١٥/٥، والمعجم الكبير للطبراني (٥٠٤١): ص ١٨٦/٥، والمستدرک للحاكم (٣٨١٢): ص ٥٣١/٢. [التعليق - من تلخيص الذهبي] ٣٨١٢ - صحيح وأخرجا منه.

ونص الحديث: زيد بن أرقم، قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء، وكان الأعراب يسبقونا فسبق الأعرابي أصحابه يملأ الحوض ويجعل حوله حجارة، ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، فأتى رجل من الأنصار أعرابيا، فأرعى زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه، فانتزع حجرا فغاض الماء، فرفع الأعرابي خشبة فضرب بها رأس الأنصاري فشجه، فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره، وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي، ثم قال: لا تتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله - يعني الأعراب - وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام، فقال عبد الله [ص: ٣٥٧] لأصحابه: إذا انفضوا من عند محمد انتوا محمدا بالطعام، فليأكل هو ومن عنده، ثم قال لأصحابه: إذا رجعت إلى المدينة، فليخرج الأعز منكم الأذل، قال زيد: وأنا رديف عمي رضي الله عنه، قال: فسمعت عبد الله بن أبي - وكنا أحواله - فأخبرت عمي، فانطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحلف ووجد، فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني، فجاء عمي، فقال: ما أردت إلا أن مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك المسلمون، فوقع علي من الهم ما لم يقع على أحد قط، " فبينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قد خفقت برأسي من الهم، وإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا، ثم إن أبا بكر لحقني، فقال: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: ما قال لي شيئا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي، قال: «أبشر»، ثم لحقني عمر، فقلت له مثل قولي لأبي بكر، فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين".

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٥٢/٦.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٣١/٢٨.

(٥) الدر المنثور: ١٧٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) الدر المنثور: ١٧٠/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.

(٨) زد المسير: ٢٨٠/٤.

قال ابن عاشور: "الصحيح أنها نزلت في غزوة بني المصطلق ووقع في «جامع الترمذي» عن محمد بن كعب القرظي «أنها نزلت في غزوة تبوك»^(١). ووقع فيه أيضا عن سفيان: أن ذلك في غزوة بني المصطلق»^(٢) وغزوة بني المصطلق سنة خمس، وغزوة تبوك سنة تسع. ورجح أهل المغازي^(٣) وابن العربي في «العارضة»^(٤)، وابن كثير: أنها نزلت في غزوة بني المصطلق^(٥) وهو الأظهر. لأن قول عبد الله بن أبي ابن سلول: «ليخرجن الأعز منها الأذل»^(٦)، يناسب الوقت الذي لم يضعف فيه شأن المنافقين وكان أمرهم كل يوم في ضعف وكانت غزوة تبوك في آخر سني النبوة وقد ضعف أمر المنافقين»^(٧).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها: أنه ذكر في «سورة الجمعة» حال المؤمنين الذين بعث إليهم النبي الأمي يتلو عليهم كتابه ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وأمرهم بالصلاة وترك البيع حين أدائها، وفي هذه ذكر أصدادهم وهم المنافقون الذين يشهدون كذبا بأن محمدا رسول الله ويحلفون الأيمان المحرجة على ذلك، ومن

(١) سنن الترمذي (٣٣١٤): ص ١٧/٥.

نص الحديث: ن الحكم بن عتيبة، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي، منذ أربعين سنة يحدث عن زيد بن أرقم: "أن عبد الله بن أبي، قال في غزوة تبوك: {لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل} [المنافقون: ٨] قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له، فحلف ما قاله، فلامني قومي وقالوا: ما أردت إلى هذه، فأتيت البيت ونمت كئيبا حزينا، فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم أو أتيت، فقال: «إن الله قد صدقك» قال: فنزلت هذه الآية: {هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا} [المنافقون: ٧]". «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) سنن الترمذي (٣٣١٥): ص ١٧/٥.

نص الحديث:

عن عمرو بن دينار، سمع جابر بن عبد الله يقول: "كنا في غزاة - قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال المهاجري: يا للمهاجرين وقال الأنصاري: يا للأنصار، فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوا فإنها منتنة»، فسمع ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال: أوقد فعلوها؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه» وقال غير عمرو، فقال: له ابنه عبد الله بن عبد الله: والله لا تنقلب حتى تقرأ أنك الذليل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز، ففعل". «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ١٠٥/٢.

(٤) نقلا عن: التحرير والتنوير: ٢٣١/٢٨.

(٥) قال ابن كثير: "وقوله: إن ذلك كان في غزوة تبوك، فيه نظر، بل ليس بجيد؛ فإن عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفة من الجيش. وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق". [تفسير ابن كثير: ١٢٧/٨]

(٦) مسند أحمد (١٥٢٢٣): ص ٣٨٨/٢٣-٣٨٩، ومصنف عبدالرزاق (١٨٠٤١): ص ٦٨/٩، ومسند ابن أبي شيبه (٣٦٨٣٧): ص ٣٨٠/٧.

ونص الحديث: عن عمرو، قال: سمعت جابر بن عبد الله، يقول: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة - قال: يرون أنها غزوة بني المصطلق - فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، (١) فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال دعوى الجاهلية" فقيل: رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوا، فإنها منتنة"

قال جابر: وكان المهاجرون حين قدموا المدينة أقل من الأنصار، ثم إن المهاجرين كثروا، فبلغ ذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فسمع ذلك عمر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا عمر، دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه".

(٧) التحرير والتنوير: ٢٣١/٢٨-٢٣٢.

ثم كان النبي يقرأ في صلاة الجمعة في الركعة الأولى بـ«سورة الجمعة»، فيحرض بها المؤمنين على العبادة، وفي الركعة الثانية بـ«سورة المنافقين»، فيقرع بها المنافقين^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

١- بيان صفات المنافقين نفاقاً اعتقاديًا، وهم كما وصفهم النبي في حديث حذيفة:
عن زيد بن سلام، عن أبي سلام، قال: قال حذيفة بن اليمان: قلت: يا رسول الله، إنا كنا بشر، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: «نعم»، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: كيف؟ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع»^(٢).

٢- أن المنافقين يتحدّثون باسم الإسلام، ويموهون كذبهم بالأيمان الكاذبة فيعترّ بهم من لا يعرف حقيقة أمرهم، ولهذا قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [المنافقون : ٢]، فصدوا البعض عن دين الله، وسنة رسول الله.

٣- بيان أن أشكال المنافقين حسنة، {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ} [المنافقون : ٤] إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم، وقلوبهم في غاية الضعف، قال تعالى: {يَحْسَبُونَ كُلَّ صِدْقَةٍ عَلَيْهِمْ}، ولاؤهم لأهل الكتاب، قال تعالى: {الَّذِينَ نَاقَفُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ بَشِيرٌ غَلِيظٌ}، وهذه السورة تحدّثت عن صفات المنافقين، وأساليبهم، ولم تُعَنِّ بذكر أسماء المنافقين، وكذلك السنة، لأن ذكرهم بصفاتهم أشدّ وقعًا عليهم من الصواعق.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: تقرّيع المنافقين وتبكيّتهم، وبيان ذلهم وكذبهم، وذكر تشريف المؤمنين وتبجيلهم، وبيان عزهم وشرفهم، والنهي عن نسيان ذكر الحق تعالى، والغفلة عنه، والإخبار عن ندامة الكفار بعد الموت، وبيان أنه لا تأخير ولا إمهال بعد حلول الأجل، في قوله: {وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا} [المنافقون : ١١]، الآية"^(٣).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ^(٤).

■ فضائل السورة:

- أخرج سعيد بن منصور والطبراني في الأوسط -بسند حسن- عن أبي هريرة قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الجمعة فيحرض بها المؤمنين وفي الثانية سورة المنافقين فيقرع بها المنافقين"^(٥).
- أخرج البزار والطبراني عن أبي عبيدة الخولاني عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والسورة التي يذكر فيها المنافقون"^(٦).

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٠٥/٢٨.

(٢) صحيح مسلم (١٨٤٧): ص ١٤٧٦/٣.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.

(٥) الدر المنثور: ١٧٠/٨.

(٦) الدر المنثور: ١٧٠/٨.

- عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة {قل يا أيها الكافرون} و {قل هو الله أحد}، وكان يقرأ في صلاة العشاء الأخيرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين^(١).

(١) الدر المنثور وعزاه إلى ابن حبان والبيهقي في سننه.

سورة «التغابن»

«سورة التغابن» هي السورة الرابعة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي معدودة من السابعة والمائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة الجمعة»، وقبل «سورة الصف» بناء على أنها مدنية، وآياتها: ثمان عشرة. وكلماتها: مائتان وإحدى وأربعون. وحروفها ألف وسبعون. فواصل آياتها «من در»، وعلى «الدال» آية واحدة: {حَمِيدٌ} [التغابن : ٦] ^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة التغابن»:

سميت هذه السورة «سورة التغابن»، ولا تعرف بغير هذا الاسم ولم ترد تسميتها بذلك في خبر مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى ما ذكره الثعلبي عن ابن عمر من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مولود يولد إلا وفي تشابيك رأسه مكتوب خمس آيات من فاتحة سورة التغابن» ^(٢).

والظاهر أن منتهى هذه الآيات قوله تعالى: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [التغابن : ٤]، فتأمل. ورواه القرطبي ^(٣) عن ابن عمر ولم ينسبه إلى التعليق فلعله أخذه من تفسير ابن عطية.

ووجه التسمية وقوع لفظ: {التَّغَابُنُ} [التغابن : ٩] فيها ولم يقع في غيرها من القرآن ^(٤).

■ مكية السورة ومدنيتها:

وفي مكان نزول السورة، أقوال:

أحدها: أنها مدنية. قاله ابن عباس ^(٥)، وابن الزبير ^(٦)، والحسن ^(٧)، ومجاهد ^(٨)، وعكرمة ^(٩)، وقتادة ^(١٠). وهو قول الجمهور ^(١١).

الثاني: أنها مكية. قاله الضحاك ^(١٢).

الثالث: أنها مكية، إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ} [التغابن : ١٤]، والثلاث بعدها. حكاه ابن الجوزي عن عطاء بن يسار ^(١٣).

وأخرج ابن إسحق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال: "نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ} [التغابن : ١٤]، نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد فكان إذا أراد الغزو بكوا عليه ورققوه فقالوا: إلى من تدعنا فيرق ويقم هذه الآيات فيه بالمدينة" ^(١٤).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١، والتحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨.

(٢) الكشف والبيان: ٣٢٥/٩.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١٣١/١٨.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨.

(٥) انظر: الدر المنثور: ١٨١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) انظر: الدر المنثور: ١٨١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(٨) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(٩) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(١١) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤، وتفسير القرطبي: ١٣١/٨.

(١٣) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(١٤) الدر المنثور: ١٨١/٨.

الرابع: أنها مكية، إلا خمسة آيات منها نزلت بالمدينة، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ﴾ [التغابن : ١٤]، إلى آخر السورة. قاله ابن عباس^(١).
أخرج النحاس عن ابن عباس قال: "نزلت سورة التغابن بمكة إلا آيات من آخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي شكاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم جفاء أهله وولده فأُنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن : ١٤]، إلى آخر السورة"^(٢).
قال الفيروزآبادي: "السورة مكية، إلا آخرها: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ﴾ [التغابن : ١٤]، إلى آخر السورة"^(٣).

قال القرطبي: "سورة التغابن مدنية في قول الأكثرين"^(٤).

قال ابن عاشور: "هي مدنية في قول الجمهور"^(٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

١- إنه في السورة قبلها ذكر حال المنافقين، وخاطب بعد ذلك المؤمنين، وهنا قسم الناس قسمين مؤمن وكافر.

٢- نهى هناك عن الاشتغال بالأولاد عن ذكر الله، وهنا ذكر أن الأموال والأولاد فتنة.

٣- في السورة السابقة حث على الإنفاق في سبيل الله، وفي ذكر التغابن حث عليه أيضاً^(٦).

■ أغراض السورة ومقاصدها

١- تبدأ سورة التغابن مثل بقية السور المسبحات بالثناء على الله -عز وجل- وتسبحه وتمجده، وتبين أن الخلائق جميعهم في الأرض وفي السماوات يسبحون له -تبارك وتعالى- ويمجّدونه، وجاءت صيغة التسييح بفعل المضارع يسبح والتي تدل على عظمة الله تعالى وتوحي باستمرارية وديمومية هذا الفعل العظيم، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن : ١]، ويعد هذا الأمر من أعظم مقاصد سورة التغابن.

٢- التوجه بتحذير شديد للكافرين والمشركين من تماديهم في الطغيان والكفر والغي، وتذكر كيف كانت عاقبة الأمم السابقة التي كفرت وحادت عن طريق الصواب، وكيف أذاقهم الله عذاباً أليماً، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التغابن : ٥]، وتؤكد أن الله جعلهم عبرة للعالمين -تبارك وتعالى-.

٣- الإشارة إلى إنكار الكفار ليوم الحساب والبعث، وينكرون أن الله تعالى سيجمع الخلائق إليه جميعاً في يوم الحساب، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعْتَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ثُمَّ لِلنَّبِيِّنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨)﴾ [التغابن : ٦ - ٨].

٤- ومن مقاصد سورة التغابن أنها تؤكد على أن كل ما يصيب الشخص ما كان ليصيبه لولا إرادة الله تعالى وكل ذلك بقضائه وقدره، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن : ١١].

(١) انظر: الدر المنثور: ١٨١/٨، وعزاه إلى النحاس.

(٢) الدر المنثور: ١٨١/٨.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١.

(٤) تفسير القرطبي: ١٣١/١٨.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ١١٨/٢٨.

٥- تحذير المؤمنين من فتنة المال والولد على دين المرء وإيمانه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن : ١٥].

٦- وتختتم مقاصد سورة التغابن بالحديث عن تقوى الله تعالى وطاعته، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وتحض المسلمون على إنفاق المال في جميع وجوه الخير والإحسان ابتغاء مرضاة الله تعالى وعفوه.

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة خالية عن المنسوخ، وفيها الناسخ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن : ١٦] (١).

■ فضائل السورة:

- عن علي بن زيد عن زر عن أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة» (٢).

- عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن" (٣).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١.

(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٢٥/٩. [موضوع]، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٧ / ١٠.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٢٩٠) عن أحمد، عن أيوب بن محمد الوزان، عن الوليد بن الوليد به، وقال: "لم يروه عن ابن ثوبان إلا الوليد القلانسي" والوليد ضعيف.

قال ابن كثير ١٣٥/٨: "أورده ابن عساكر في ترجمة "الوليد بن صالح" وهو غريب جداً، بل منكر". وانظر: تاريخ دمشق (٨٣١/١٧) المخطوط".

سورة «الطلاق»

«سورة الطلاق» هي السورة الخامسة والستون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الإنسان»، وآياتها خمس عشرة في عد البصرة، واثننا عشرة عند الباقيين. وكلماتها مائتان وأربعون. وحروفها ألف وستون. والمختلف فيها ثلاث آيات: {مَخْرَجًا} [الطلاق : ٢]، و {وَالْيَوْمَ الْآخِرُ} [الطلاق : ٢]، {يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [الطلاق : ١٠]، فواصل آياتها على «الألف»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الطلاق»:

شاعت تسميتها في المصاحف وفي كتب التفسير وكتب السنة: سورة الطلاق ولم ترد تسميتها بهذا في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم موسوم بالقبول.

وسميت سورة الطلاق، لأنها بيّنت احكام الطلاق والعدة فيها، وافتتحت بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} [الطلاق : ١]، قال المهامي: سميت به لبيانها كيفية الطلاق السني وما يترتب عليه من العدة والنفقة والسكنى^(٢).

■ ثانياً:- اسمها الاجتهادي: «سورة النساء الصغرى»:

ذكر السيوطي في «الإتقان»^(٣) أن عبد الله بن مسعود سماها سورة «النساء القصرى» أخذاً مما أخرجه البخاري وغيره عن محمد بن سيرين، قال: "كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى، وكان أصحابه يعظمونه، فذكروا له فذكر آخر الأجلين، فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث، عن عبد الله بن عتبة، قال: فضم لي بعض أصحابه، قال محمد: ففطنت له فقلت: إنني إذا لجريء إن كذبت على عبد الله بن عتبة وهو في ناحية الكوفة، فاستحيا وقال: لكن عمه لم يقل ذلك، فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته فذهب يحدثني حديث سبيعة، فقلت: هل سمعت عن عبد الله فيها شيئاً؟ فقال: كنا عند عبد الله فقال: أتجعلون عليها التخليط، ولا تجعلون عليها الرخصة، لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق : ٤]"^(٤).

وفي «الإتقان»^(٥) أن الداودي^(٦) أنكر أن تدعى هذه السورة بالقصرى للتنزه عن وصف القرآن بصفة نقص، وتعبه ابن حجر بأنه ردٌ للأخبار الثابتة بلا مستند، والقصر والطول أمر نسبي، أي: ليس مشعرا بنقص على الإطلاق^(٧).

قال ابن عاشور: "وابن مسعود وصفها بالقصرى احترازاً عن السورة المشهورة باسم سورة النساء التي هي السورة الرابعة في المصحف التي أولها: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء : ١]. وأما قوله «الطولى» فهو صفة لموصوف محذوف، أي: بعد السورة الطولى، يعني: سورة البقرة، لأنها أطول سور القرآن، ويتعين أن ذلك مراده لأن سورة البقرة هي التي ذكرت فيها عدة المتوفى عنها. وقد

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١، والتحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨

(٢) تفسير المهامي: ٣٤٧/٣.

(٣) انظر الإتقان: ١٩٥/١. وذكر هذه التسمية مقاتل بن سليمان في "التفسير": ١: ٥١٣، ويحيى بن سلام في "التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه": ٢٣٣، والفراء في "معاني القرآن": ١٦٢/٣، وابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٩٥/٤

(٤) صحيح البخاري(٤٩١٠):ص١٥٦/٦.

(٥) انظر الإتقان: ١٩٥/١.

(٦) الداودي: احمد بن سعيد الداودي، أبو جعفر، وهو ممن ينقل عنه ابن التين، انظر: مقدمة القسطلاني: ٧١/١، وكشف الظنون: ٥٤٥/١.

(٧) انظر: فتح الباري: ٦٥٦/٨.

يتوهم أن سورة البقرة تسمى سورة النساء الطولى من مقابلتها بسورة النساء القصرى في كلام ابن مسعود. وليس كذلك كما تقدم في سورة النساء^(١).

ووجه تسميتها بسورة النساء القصرى، لأنها بيّنت بعض الأحكام الخاصة بالنساء وهي أحكام الطلاق وما يتعلق بها، وخصت بالقصرى تمييزاً لها عن سورة النساء، وهذا الاسم من اجتهاد الصحابي ابن مسعود-رضي الله عنه- إذ وصفها بالقصرى احترازاً عن السورة المشهورة باسم النساء، وليس توقيفياً من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

■ مكية السورة ومدنيتها:

نزلت «سورة الطلاق» على النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد الهجرة إلى المدينة المنورة فهي من السور المدنية.

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الطلاق بالمدينة"^(٢).

قال الفيروزآبادي: "السورة مدنية بالاتفاق"^(٣).

قال ابن عاشور: "هي مدنية بالاتفاق"^(٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه قال في السورة السابقة: {إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ} [التغابن : ١٤]، وكانت هذه العداوة قد تفضى إلى الطلاق- أرشد هنا إلى أحكام الطلاق والانفصال عن الأزواج على أجمل وجه، فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)} [الطلاق : ١]^(٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها

جاءت مقاصد سورة الطلاق تفصيلاً كالتالي:

١- الحديث عن الطلاق كموضوع يصعب جداً فيه اجتناب تعدي حدود الله، إلا إذا التزم الأطراف بتقوى الله ومراقبته، لأن في الطلاق تراكم عداوات وإشاعات وأمور نفسية ومادية ومعنوية ومصالح دنيوية ومسؤوليات جسام تتطلب تضحيات مالية وتحتاج إلى صبر وروية وتقوى دائمة لله وتوكل ومراقبة.

٢- استخدام موضوع الطلاق من أجل تسهيل فهم مقصدها المتعلقة بالإيمان والتقوى واتباع أوامر الله عن طريق ربطه مع خلق السماوات والأرض وتنزيل الأمر بينهما من أجل أن يعلموا أن الله هو الخالق القدير المحيط بكل شيء علماً فيتقوه ويطيعوا أمره.

٣- التأكيد على ضرورة تقوى الله والتوكل عليه في العبادة والإنفاق، هي لمصلحة المؤمن كفرد والمجتمع كجماعة فالكل مستفيد بعكس التعدي والشح فهما يضران بالمؤمن كفرد وبالمجتمع كجماعة.

٤- بيان أن الله تعالى حد حدوداً وقدر مقادير وأحدث أموراً يجب الالتزام بها، وتقوى الله في تطبيقها، لتكون دليلاً على الإيمان، وبأن الله على كل شيء قدير وأنه قد أحاط بكل شيء علماً.

(١) التحرير والتنوير: ٢٨/٢٩٢.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٨/١٨٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/٤٦٩.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٨/٢٩٢.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٨/١١٨.

٥- تقرير الحكمة من بعث الله لنبيه محمد لكي يخرج الناس من الظلمات إلى النور: بأن يتلوا عليهم ماضيهم من أنباء القرى، ويأمرهم في حاضرهم بالإيمان والعمل الصالح، وينبئهم عن مستقبلهم وبما هم مقبلون عليه من الابتلاء بالأعمال والحساب والجزاء.
قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان طلاق السنة، وأحكام العدة، والتوكل على الله تعالى في الأمور، وبيان نفقة النساء حال الحمل والرضاع، وبيان عقوبة المتعدين وعذابهم، وأن التكليف على قدر الطاقة، وللصالحين الثواب والكرامة، وبيان إحاطة العلم، والقدرة، في قوله: {لَتَعْلَمُوا} [الطلاق : ١٢] الآية"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة خالية عن المنسوخ. وفيها الناسخ: {وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ} [الطلاق : ٢]^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن طاووس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في الجمعة بسورة الجمعة و {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ}^(٣).
- عن علي بن زيد عن زر عن أبي قال: «من قرأ سورة {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٤).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٩/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٩/١.

(٣) الدر المنثور: ١٨٨/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق في المصنف وسعيد بن منصور.

(٤) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣١/٩. [موضوع]، وانظر: فضائل القرآن للمستغفري (١٢٣٢): ص ٧٨٦/٢، والكشاف: ٥٦١/٤، وتفسير البيضاوي: ٢٧٢٢٣/٥.

سورة «التحريم»

«سورة التحريم» هي السورة السادسة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي معدودة الخامسة بعد المائة في عداد نزول سور القرآن نزلت بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة، وعدد آياتها اثنتا عشرة. وكلماتها مانتان وأربعون. وحروفها ألف وستون. وفواصل آياتها: «منار»، على الألف آية فحسب: {أُبْكَرًا} [التحريم : ٥] ^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة التحريم»:

سميت «سورة التحريم» في كتب السنة وكتب التفسير وأكثر المصاحف، ووجه تسميتها لتحريم النبي- صلى الله عليه وسلم- شيئاً على نفسه، وافتتاح السورة بعتابه بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)} [التحريم : ١].

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول والثاني والثالث: «سورة المتحرم، سورة لم تحرم، سورة التحريم»:

وقع تسمية السورة بالاسمين الأول والثاني في الإتيان ^(٢)، وذكرها ابن الجوزي في تفسيره ^(٣)، وكذلك الألوسي ^(٤).

ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بهذا اللفظ: {لِمَ تُحَرِّمُ} [التحريم : ١]، وهو النبي-صلى الله عليه وسلم-.

وقد وقع الاسم الثالث في "الدر المنثور"، إذ أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة التحريم بالمدينة" ^(٥). قال السيوطي: "لفظ ابن مردويه: «سورة التحريم»" ^(٦).

■ الاسم الرابع: «سورة النبي»:

أورده بعض المفسرين كالزمخشري ^(٧)، وابن الجوزي ^(٨)، والقرطبي ^(٩)، وغيرهم، كما عدها السخاوي ^(١٠)، والبقاعي ^(١١)، اسماً آخر للسورة.

ووجه تسميتها بـ«سورة النبي»، لأنها ذكرت لفظ «النبي» في أول آية من آياتها في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التحريم : ١]، وحديثها كان عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وذكر ابن الجوزي ^(١٢)، والألوسي ^(١٣)، أن هذه السورة تسمى «سورة النساء»، وقال الألوسي: "إن ابن الزبير سماها «سورة النساء»" ^(١٤).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧١/١، والتحرير والتنوير: ٣٤٣/٢٨

(٢) انظر: الإتيان في علوم القرآن: ٤١/١.

(٣) انظر: زاد المسير: ٣٠٢/٨.

(٤) انظر: روح المعاني: ٣٤١/١٤.

(٥) الدر المنثور: ٢١٣/٨.

(٦) الدر المنثور: ٢١٣/٨.

(٧) انظر: الكشاف: ٥٦٢/٤.

(٨) .

(٩) انظر "تفسير القرطبي: ١٧٧/١٨.

(١٠) انظر: جمال القراء: ٩٢.

(١١) انظر: مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٩٩/٣.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٣٠٢/٨.

(١٣) انظر: روح المعاني: ٣٤١/١٤.

ولم أفق عليه عند أحد من المفسرين غيرهما، وهذه الأسماء الثلاثة هي اجتهادية من المفسرين ولم يثبت فيها نص من النبي -صلى الله عليه وسلم-.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمدينة. قاله ابن عباس^(٢).

عن ابن عباس قال: نزلت سورة التحريم بالمدينة^(٣).

الثاني: أن أولها إلى تمام عشر آيات مدنية، وما بعدها أنزلت بمكة. حكى ذلك عن قتادة^(٤).

قال ابن عاشور: "ولعله أراد إلى عشر آيات، أي: أن الآية العاشرة من المكي إذ من البعيد أن تكون الآية العاشرة مدنية والحادية عشرة مكية"^(٥).

قال القرطبي: "سورة التحريم مدنية في قول الجميع"^(٦).

قال ابن الجوزي: "هي مدنية كلها بإجماعهم"^(٧).

قال الفيروزآبادي: "السورة مدنية بالاتفاق"^(٨).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

١- أن سورة الطلاق في حسن معاشرته النساء والقيام بحقوقهن، وهذه السورة فيما حصل منهن مع

النبي صلى الله عليه وسلم تعليماً لأُمَّته أن يحذروا أمر النساء، وأن يعاملوهن بسياسة اللين كما عاملهن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وأن ينصحوهن نصحاً مؤثراً.

٢- أن كليهما افتتحا بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- أن تلك في خصام نساء الأمة، وهذه في خصومة نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أفرذن بالذكر

تعظيماً لمكانتهن^(٩).

■ أغراض السورة ومقاصدها

لقد تتناول موضوعات ومضامين سورة التحريم الشؤون التشريعية، وتعالج قضايا وأحكاماً تتعلق ببيت النبوة وبأمهات المؤمنين الطاهرات في إطار تهيئة البيت المسلم والنموذج الأكمل للأسر السعيدة، وقد احتوت السورة على ثلاثة موضوعات رئيسية، كما يأتي:

١- وجه الله تعالى المؤمنين في سورة التحريم بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار، وأمر الرسول صلى الله

عليه وسلم بالتشديد والإغلاظ على الكفار والمنافقين، وذكر الله تعالى أيضاً أمثلة للنساء اللواتي لم

يكن قربهن من العباد الصالحين عاملاً لتغييرهن إلى الأفضل، وكل ذلك زيادةً في التهديد والوعيد

للتأمر الذي كان بين المتظاهرتين وإفشاء سر الزوجية، وبيان خطورة ذلك وما يترتب عليه، كما ورد

(١) انظر: روح المعاني: ٣٤١/١٤.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢١٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٢١٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٤) انظر: الإتيان في علوم القرآن: ٤٤/١، قال السيوطي: "وقال أبو بكر بن الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي

حدثنا حجاج ابن منهال نبأنا هشام عن قتادة قال: "نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة

والرعد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والحديد والرحمن والمجادلة والحشر والتمتحة والصف

والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق ويأبها النبي صلى الله عليه وسلم لم تحرم إلى رأس العشر وإذا زلزلت وإذا جاء نصر

الله وسائر القرآن نزل بمكة".

(٥) التحرير والتنوير: ٣٤٣/٢٨.

(٦) تفسير القرطبي: ١٧٧/١٨.

(٧) زاد المسير: ٣٠٤/٤.

(٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٩/١.

(٩) انظر: تفسير المراغي: ١٥٤/٢٨.

في سورة التحريم تلميح بطلاق الرسول عليه الصلاة والسلام لجميع زوجاته، حيث قال الله تعالى: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّنْ} [التحريم : ٥].

٢- الإشارة إلى حادثة حقيقية حصلت مع النبي صلى الله عليه وسلم، كان فيها قد حرم على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له. فعاتبه الله بأنه لا ينبغي المجاملة في الدين، ولا تحريم ما أحله الله، أو تحليل ما حرمه الله لأجل أي مخلوق كان، ولا ينبغي المجاملة في اتباع الحلال واجتناب الحرام، لأن الله هو مولاكم وشرع لكم الحلال والحرام بعلمه وحكمته.

٣- أكدت السورة على أن أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريره تعدّ من مصادر التشريع للأمة، لذلك بيّنت الآيات أن الامتناع عن المباح دون الاستناد إلى مصلحة معتبرة سابقة تشريعية قد يكون من الأمور التي تؤدي بالأمة إلى الوقوع في الحرج، لذا أمر الرسول بالرجوع عما حرم على نفسه.

٤- مخاطبة كل فئات الناس وأمرهم بالعمل للأخرة: ذلك بأن كل مؤمن مسؤول عن وقاية نفسه أولاً ثم وقاية وحفظ أهله بما يحفظ به نفسه ومن نار وقودها الناس والحجارة. وأن الكافرون قد خسروا بكفرهم وبما كانوا يعملون ولن ينفعمهم أن يعتذروا يوم الحساب. وأن يتوب المؤمنون توبة نصوحة لكي يغفر لهم ويفوزوا بالجنة. وأن يجاهد النبي -وهو القائد- الكفار والمنافقين والغلظة عليهم فهؤلاء مصيرهم إلى النار.

٥- ضرب الله الأمثال بالقصص عن امرأتين مؤمنتين هما امرأة فرعون ومريم ابنة عمران حافظتا على إيمانها تحت أصعب الظروف، وأخريان كافرتين امرأة نوح وامرأة لوط لم يؤمنا في أحسن الظروف الإيمانية وهن زوجات أنبياء مرسلين

٦- بدأت سورة التحريم بالإشارة إلى أمرين مهمين، وانتهت بالإشارة لكلا الأمرين أيضاً؛ الأول منهما ما ذكره الله تعالى في بداية السورة من أمثال الآداب المتمثلة بالثيبات والأبكار الأخيار، ثم عطف في آخر السورة عليها، وزاد أيضاً على ذلك أن الحسن يكون في الذوات والأعيان، فذكر آسيا امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وبيّن أنّهما في الجنة التي تعدّ دار القرار.

قال الفيروزآبادي: "عظم مقصود السورة: عتاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في التحريم والتحليل قبل ورود وحى سماوي، وتعيين الأزواج الطاهرات على إيدائه وإظهار سره، والأمر بالتحرز والتجنب من جهنم، والأمر بالتوبة النصوح، والوعد بإتمام النور في القيامة، والأمر بجهد الكفار بطريق السياسة، ومع المنافقين بالبرهان والحجة، وبيان أن القرابة غير نافعة بدون الإيمان والمعرفة، وأن قرب المفسدين لا يضر مع وجود الصدق والإخلاص، والخبر عن الفتوة، وتصديق مريم بقوله: {وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا} [التحريم : ٢]".^(١)

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة، لا ناسخ فيها ولا منسوخ.^(٢)

■ فضائل السورة:

عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة يا أيها النبي لم تُحرّم ما أحلّ الله لك أعطاه الله توبةً نصوحاً»^(٣).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧١/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧١/١.

(٣) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٤٣/٩. وقد مرّ أنه حديث موضوع.

سورة «الملك»

«سورة الملك» هي السورة السابعة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الرابعة من المجموعة الخامسة من قسم المفصل، نزلت بعد سورة الطور، وآياتها ثلاثون عند الجمهور، وإحدى وثلاثون عند المكيين. وكلماتها ثلاثمائة وثلاثون. وحروفها ألف وثلاثمائة وثلاث عشرة. والمختلف فيها آية: {قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ} [الملك : ٩]، مجموع فواصل آياتها: «تمر»، على «الميم» اثنان: {أَلِيمٌ} [الملك : ٢٨]، و{مُسْتَقِيمٌ} [الملك : ٢٢]^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولا:- أسماؤها التوقيفية:

■ الاسم الأول: «سورة الملك»:

اشتهرت تسميتها بـ«سورة التحريم» وبذلك سميت في أكثر المصاحف وكتب التفسير، كما ترجم لها الترمذي في جامع، باب «ما جاء في فضل سورة الملك»^(٢)، والحاكم في المستدرک، باب «تفسير سورة الملك»^(٣).

ولم أفق على خبر مأثور عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- صرح فيه تسميتها بهذا اللفظ، وإنما وقعت تسميتها بذلك في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-.

عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: " يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقوم يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه، فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك، قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر وهي في التوراة سورة الملك، ومن قرأها في ليلة فقد أكثر وأظن"^(٤).

وعن عبد الله بن مسعود، قال: «كنا نسميها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المانعة، وإنما لفي كتاب الله سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب»^(٥).

ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بتقديس وتعظيم الله نفسه الذي بيده الملك وهو في قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١) [الملك : ١].

فسميت بـ«سورة الملك»، لاشتمالها على كثير من آثار الملك، من كثرة الخيرات وعموم القدرة والإحياء والإماتة، واختبار أعمال الناس، والغلبة، والغفران، وعدم التفاوت في رعاياه، وتزيين بلاده، والقهر على الأعداء، والترحم على الأولياء، والأمن ورخص الأسعار، وألا يقدر أحد على نصر من عاداه، فهذه كلها من آثار الملك، وهذه المعاني في عامتها مما تناولته هذه السورة الكريمة؛ فمن ثم سميت سورة الملك^(٦).

■ الاسم الثاني: «سورة تبارك»:

سميت «سورة تبارك»، لافتتاحها بهذا اللفظ في قوله تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك : ١]، ولم تنفرد هذه السورة بافتتاحها بهذا اللفظ، إذ افتتحت سورة «الفرقان» أيضا بلفظ «تبارك»، ولكن غلب هذا الاسم على سورة «الملك»، واشتهرت به كما ورد في كلام الرسول-صلى الله عليه وسلم-.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٣/١.

(٢) انظر "كتاب فضائل القرآن: ١٦٤/٥.

(٣) انظر: كتاب التفسير: ٥٤٠/٢.

(٤) المستدرک على الصحيحين (٣٨٣٩): ص ٥٤٠/٢، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٥) المعجم الكبير للطبراني (١٠٢٥٤): ص ١٤٢/١٠، والدر المنثور: ٢٣٢/٨، وزاد نسبه إلى ابن مردويه.

(٦) انظر: تفسير المهامي: ٣٥٣/٢، وتفسير القرآن الكريم، المقدم: ٢/١٧٧ [دروس صوتية مرقم أليا].

ورد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر"^(١)، وعنه - صلى الله عليه وسلم- أيضا قال: «أنزلت سورة تبارك وهي ثلاثون آية جملة واحدة»^(٢).

■ الاسم الثالث: «سورة تبارك الذي بيده الملك»:

سميت هذه السورة بسورة «تبارك الذي بيده الملك» بمسمع من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، فيما رواه ابن عباس، قال: "ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك : ١]، حتى ختمها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر»^(٣).

وروي أبو هريرة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: "إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}"^(٤).

عن جابر بن عبد الله: "أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان لا ينام حتى يقرأ «آلم تنزيل»، و «تبارك الذي بيده الملك»^(٥).

وعن ابن عباس أنه قال لرجل: "ألا أتحنك بحديث تفرح به قال: بلى قال اقرأ: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}، وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن تنجيه من عذاب النار وينجو بها صاحبها من عذاب القبر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي"^(٦).

■ الاسم الرابع: «سورة المنجية»:

وردت هذه التسمية عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وأصحابه-رضوان الله عليهم-، كما في الحديث الذي رواه ابن عباس-رضي الله عنهما- في قصة الرجل الذي ضرب خباءه على قبر فسمعه يقرأ سورة الملك...إلى أن قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر»^(٧).

وفي "الإتقان" عن تاريخ ابن عساكر من حديث أنس-رضي الله عنه-: «أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سماها المنجية»^(٨)، وذكر ابن عطية في تفسيره عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه- مرفوعا: «إنها لتنجي من عذاب القبر وتجادل عن حافظها حتى لا يعذب»^(٩).
وعلى المفسرون تسميتها بهذا الاسم، لأنها تنجي قارئها من عذاب القبر:.

(١) الدر المنثور: ٢٣١/٨، وعزاه لابن مردويه.

(٢) الدر المنثور: ٢٣١/٨، وعزاه لابن مردويه.

(٣) سنن الترمذي (٢٨٩٠):ص١٦٤/٥. [حكم الألباني]: ضعيف، وإنما يصح منه قوله: «هي المانعة».

(٤) أخرجه احمد في المسند(٧٩٧٥):ص٣٥٣/١٣، والترمذي (٢٨٩١)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٢٦٠-٢٦١،

وأبو داود (١٤٠٠)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٢٣٧)، والفريابي أيضا

في "فضائل القرآن" (٣٣)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٧١٠)، وفي "الكبرى" (١١٦١٢)، وابن حبان (٧٨٧) و

(٧٨٨)، والحاكم ٥٦١/٥، والبيهقي في "الشعب" (٢٥٠٦)، وابن عبد البر في "التمهيد" ٢٦٢/٧ من طرق عن شعبة، به،

وأخرجه بنحوه عبد بن حميد (١٤٤٥)، والحاكم ٤٩٧/٢-٤٩٨ من طريق عمران القطان، عن قتادة، به. وصحح الحاكم

إسناده ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه (٢٨٩٧): ص ١٦٥ /٥.

(٦) الدر المنثور: ٢٣١/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد في مسنده -واللفظ له- والطبراني والحاكم وابن مردويه.

(٧) سنن الترمذي (٢٨٩٠):ص١٦٤/٥. [حكم الألباني]: ضعيف، وإنما يصح منه قوله: «هي المانعة».

(٨) الإتقان: ١٧٦/١.

(٩) المحرر الوجيز: ٣٣٧/٥.

- **ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول «سورة تبارك الملك»:**
ورد عن ابن عباس، قال: «نزلت بمكة تبارك الملك»^(١).
وردت هذه التسمية عند مقاتل بن سليمان في تفسيره^(٢)، وفي فضائل القرآن لابن الضريس^(٣)، كما ذكرها الفيروزآبادي في "البصائر"^(٤)، والسيوطي في "الإتقان"^(٥).
- **الاسم الثاني «سورة الواقعة»:**
ذكر هذه التسمية عند جماعة من المفسرين مثل أبو الليث السمرقندي^(٦)، والماوردي^(٧)، والواحدي^(٨)، والزمخشري^(٩)، والقرطبي^(١٠)، والبيضاوي^(١١)، وغيرهم.
وقد وردت هذه التسمية عن الطبرسي في تفسيره مستنداً بحديث روي عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: «إنها الواقعة من عذاب القبر»^(١٢).
ووجه تسميتها بذلك لأنها تقي صاحبها من عذاب القبر كما قال المفسرون.
- **الاسم الثالث «سورة المانعة»:**
سميت بسورة المانعة أخذاً من حديث ابن عباس السابق وهو قول الرسول-صلى الله عليه وسلم- «هي المانعة»^(١٣)، كما اخرج الطبراني عن ابن مسعود، قال: "كنا نسميه في عهد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: المانعة"^(١٤).
وجاء في "جمال القراء" تسميتها بـ«المانعة» بصيغة المبالغة، ونقل عنه السيوطي في الإتقان وهي قريبة من معنى هذا الاسم^(١٥).
ووجه تسميتها بهذا الاسم، أنها تمنع قارئها من العذاب، وهذا الاسم في التوراة، وقد شمل البقاعي تسميتها بهذه الأسماء الثلاثة: «الواقية، المنجية، المانعة»، يقول: "لأن من لزمها نجا مما يخاف ويمنع من كل هول ووقى كل محذور"^(١٦).
- **الاسم الرابع «سورة المجادلة»:**
سماها بذلك ابن عباس في اثر أنه قال لرجل: "عن ابن عباس أنه قال لرجل: ألا أتحنك بحديث تفرح به قال: بلى قال اقرأ {تبارك الذي بيده الملك} وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة يوم القيامة عند ربها لقارئها..."^(١).

(١) الدر المنثور: ٢٣٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢/٥٢٩/٣ / ٢٣٥/٣.

(٣) انظر: فضائل القرآن: ٣٣.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٩٩/١.

(٥) انظر الإتقان في علوم القرآن: ٣٢٣/١.

(٦) انظر: بحر العلوم: ٤٧٣/٣.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٥٨/٦.

(٨) انظر: التفسير البسيط: ٤٧٩/٢.

(٩) انظر: الكشاف: ٥٧٤/٤.

(١٠) انظر: تفسير القرطبي: ٢٠٥/١٨.

(١١) انظر: تفسير البيضاوي: ٢٢٨/٥.

(١٢) انظر: تفسير الطبرسي: ٤/٢٩. ولك أجد الحديث

(١٣) سنن الترمذي (٢٨٩٠): ص ١٦٤/٥. [حكم الألباني]: ضعيف، وإنما يصح منه قوله: «هي المانعة».

(١٤) المعجم الكبير للطبراني (١٠٢٥٤): ص ١٠٤٢/١، والدر المنثور: ٢٣٢/٨، وزاد نسبه إلى ابن مردويه.

(١٥) نقلاً عن: التحرير والتنوير: ٦/٢٩.

(١٦) جمال القراء: ٢١٦/٢٠.

ووجه تسميتها بهذا الاسم، لأنها تجادل عن قارئها يوم القيامة، كما روي جابر بن عبد الله-رضي الله عنه:-

وذكر الرازي أن ابن عباس: "كان يسميها المجادلة، لأنها تجادل عن قارئها في القبر، وهي ثلاثون آية مكية"^(٢). ولم أره لغير الفخر.

ويجدر القول بأن هذه الأسماء الأربعة: «تبارك الملك، الواقية، المانعة، المجادلة»، هي أوصاف وصف بها رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كما جاء في الأحاديث والآثار عن الصحابة-رضوان الله عليهم-، ولم يصرح فيها بأنها أسماء للسورة.

وقد ذكر الفيروزآبادي أسماء آخر لهذه السورة منها:

- **الدافعة:** وعلل تسميتها، بأنها تدفع بلاء الدنيا وعذاب الآخرة عن قارئها.
- **الشافعة:** لأنها تشفع في القيامة لقارئها.
- **المخلصة:** لأنها تخاصم زبانية جهنم، لئلا يكون لهم يد على قارئها، وتفرد الفيروزآبادي بذكر هذه الأسماء ولم يذكر مستندا صحيحا يدل عليه^(٣).

■ **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: نزلت بمكة: تبارك الملك^(٤).
وروي الضحاك عن ابن عباس، قال: "أنزلت تبارك الملك في أهل مكة إلا ثلاث آيات"^(٥).

قال ابن عاشور: "فيحتمل أن الضحاك عنى استثناء ثلاث آيات نزلت في المدينة. وهذا الاحتمال هو الذي يقتضيه إخراج صاحب «الإتقان» هذا النقل في عداد السور المختلف في بعض آياتها، ويحتمل أن يريد أن ثلاث آيات منها غير مخاطب بها أهل مكة، وعلى كلا الاحتمالين فهو لم يعين هذه الآيات الثلاث وليس في آيات السورة ثلاث آيات لا تتعلق بالمشركين خاصة بل نجد الخمس الآيات الأوائل يجوز أن يكون القصد منها الفريقين من أول السورة إلى قوله: عذاب السعير [الملك: ٥]"^(٦).

قال الألوسي: "هي مكية على الأصح. وقيل غير ثلاث آيات منها وأخرج ابن جويبر في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس، وفي قول غريب إنها مدنية"^(٧).
قال القرطبي: "سورة الملك مكية في قول الجميع"^(٨).

■ **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه لما ضرب مثلا للكفار بتينك المرأتين اللتين قدر لهما الشقاء وإن كانتا تحت عبيد صالحين، ومثلا للمؤمنين بأسية ومريم وقد كتب لهما السعادة وإن كان أكثر قومهما كفارا- افتتح هذه السورة بما يدل على إحاطة علمه عز وجل وقهره وتصرفه في ملكه على ما سبق به قضاؤه^(٩).

■ **أغراض السورة ومقاصدها**

(١) الدر المنثور: ٢٣١/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد في مسنده -واللفظ له- والطبراني والحاكم وابن مردويه.

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي: ٥٧٧/٣٠.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٣/١.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٢٣٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٢٣٠/٨، وعزاه إلى ابن جرير.

(٦) التحرير والتنوير: ٧/٢٩.

(٧) روح المعاني: ٣/١٥.

(٨) تفسير القرطبي: ٢٠٥/١٨.

(٩) انظر: تفسير المراغي: ٣/٢٩.

إن الأغراض التي في هذه السورة جارية على سنن الأغراض في السور المكية، فهي تدور حول معنى واحد هو: «اعرف قدر الله» والآيات في السورة كلها تتحدث عن قدرة الله تعالى والملك بيد الله.

١- سورة المُلْك من السور المكية، شأنها شأن سائر السور المكية، التي تعالج موضوع العقيدة في أصولها الكبرى، وقد تناولت هذه السورة أهدافاً رئيسية ثلاثة وهي إثبات عظمة الله وقدرته على الإحياء والإماتة .. وإقامة الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين .. ثم بيان عاقبة المكذابين الجاحدين للبعث والنشور.

٢- ابتدأت السورة الكريمة بتوضيح الهدف الأول، فذكرت أن الله جل وعلا بيده المُلْك والسلطان، وهو المهيم على الأكوان، الذي تخضع لعظمته الرقاب وتعنو له الجباه، وهو المتصرف في الكائنات بالخلق والإيجاد، والإحياء والإماتة: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك : ١].

٣- ثم تحدثت عن خلق السماوات السبع، وما زين الله به السماء الدنيا من الكواكب الساطعة، والنجوم اللامعة، وكلها أدلة على قدرة الله ووحديته: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ} [الملك : ٣].

٤- ثم تناولت الحديث عن المجرمين بشيءٍ من الإسهاب، وهم يرون جهنم تتلظى وتكاد تنقطع من شدة الغضب والغيط على أعداء الله، وقارنت بين مآل الكافرين والمؤمنين، على طريقة القرآن في الجمع بين الترهيب والترغيب: {إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ} [الملك : ٧].

٥- وبعد أن ساققت بعض الأدلة والشواهد على عظمة الله وقدرته، حذرت من عذابه وسخطه أن يحل بأولئك الكفرة الجاحدين: {الْمِثْمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ} [الملك : ١٦].

٦- وبخهم على استعجالهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ليستريحوا من دعوته، وأوعدهم بأنهم سيعلمون ضلالهم حين لا ينفعم العلم، وأنذرهم بما قد يحل بهم من قحط وغيره.

٧- وختمت السورة الكريمة بالإنذار والتحذير للمكذابين بدعوة الرسول، من حلول العذاب بهم في الوقت الذي كانوا يتمنون فيه موت الرسول وهلاك المؤمنين: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الملك : ٢٨]؟ ويا له من وعيد شديد، ترتعد له الفرائص!!

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان استحقاق الله الملك، وخلق الحياة والموت للتجربة، والنظر إلى السماوات للعبارة، واشتعال النجوم والكواكب للزينة، وما أعد للمنكرين: من العذاب، والعقوبة، وما وعد به المتقون: من الثواب، والكرامة، وتأخير العذاب عن المستحقين بالفضل والرحمة، وحفظ الطيور في الهواء بكمال القدرة، واتصال الرزق إلى الخليفة، بالنوال والمنة، وبيان حال أهل الضلالة، والهداية، وتعجل الكفار بمجيء القيامة، وتهديد المشركين بزوال النعمة بقوله: {فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} [الملك : ٣٠]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة، لا ناسخ فيها ولا منسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن ابن عباس، قال: "ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك : ١]، حتى ختمها، فأتى

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٣/١-٤٧٤.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٤/١.

- النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر»^(١).
- وروي أبو هريرة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: "إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾"^(٢).
- عن جابر بن عبد الله: "أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان لا ينام حتى يقرأ «آلم تنزيل»، و «تبارك الذي بيده الملك»"^(٣).

(١) سنن الترمذي (٢٨٩٠):ص١٦٤/٥. [حكم الألباني]: ضعيف، وإنما يصح منه قوله: «هي المانعة».

(٢) أخرجه احمد في المسند(٧٩٧٥):ص٣٥٣/١٣، والترمذي (٢٨٩١)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٢٦٠-٢٦١، وأبو داود (١٤٠٠)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٢٣٧)، والفريابي أيضا في "فضائل القرآن" (٣٣)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٧١٠)، وفي "الكبرى" (١١٦١٢)، وابن حبان (٧٨٧) و (٧٨٨)، والحاكم ٥٦١/٥، والبيهقي في "الشعب" (٢٥٠٦)، وابن عبد البر في "التمهيد" ٢٦٢/٧ من طرق عن شعبة، به، وأخرجه بنحوه عبد بن حميد (١٤٤٥)، والحاكم ٤٩٧/٢-٤٩٨ من طريق عمران القطان، عن قتادة، به. وصحح الحاكم إسناده ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه (٢٨٩٧): ص ١٦٥ /٥.

سورة «القلم»

«سورة القلم» هي السورة الثامنة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الخامسة والأخيرة من المجموعة الخامسة من قسم المفصل، نزلت بعد سورة العلق، عدد آياتها اثنتان وخمسون. وكلماتها ثلاثمائة. وحروفها ألف ومائتان وست وخمسون. فواصل آياتها: «من»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة القلم»:

سميت «سورة القلم» في كتب السنة وكتب التفسير والمصاحف، ووجه تسميتها لافتتاحها بما أقسم الله تعالى به وهو قوله تعالى: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)} [القلم : ١]، وقد ورد لفظ«القلم» في سورة العلق ، قال تعالى: {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٤]، وجاءت بلفظ الجمع في سورة آل عمران في قوله: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُفُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} [آل عمران : ٤٤] ، وفي سورة لقمان، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِذْتَ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان : ٢٧] .

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: «سورة "ن"»:

سميت سورة«ن»، وعنونت بها في بعض المصاحف وبعض كتب التفسير، فسميت هذه السورة بالحرف المفرد الذي افتتحت به مثل ما سميت سورة«ص»، وسورة«ق».

■ الاسم الثاني: «سورة "ن والقلم"»:

وردت هذه التسمية في كلام ابن عباس-رضي الله عنهما^(٢)، كما عنون لها بعض المفسرين في كتبهم^(٣)، وترجم لها البخاري في صحيحه^(٤)، وكذلك الحاكم في مستدركه^(٥). وهذان الاسمان(سورة «ن»، وسورة«ن والقلم» هما اسمان اجتهاديان، لم يردا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس^(٦)، والحسن^(٧)، وعكرمة^(٨)، وعطاء^(٩)، وجابر^(١٠).

عن ابن عباس قال: نزلت سورة {ن والقلم} بمكة^(١١).

الثاني : أنها مكية إلا قوله عز وجل: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ} [القلم : ١٧] إلى قوله عز وجل: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم : ٣٣]، نزلت بالمدينة. حكى هذا القول عن ابن عباس^(١٢)، وقتادة^(١).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٦/١.

(٢) الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه والبيهقي. كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٣، وتأويلات أهل السنة: ١٣٤/١٠، والمحرم الوجيز: ٣٥٥/٥، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٥٩/٦.

(٥) انظر: المستدرک: ٥٤٠/٢.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(١١) الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٣١٨/٤.

وذكر الماوردي عن ابن عباس: "من أولها إلى قوله سبحانه: {سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرطومِ} [القلم : ١٦] مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم : ٣٣]، مدني، ومن بعد ذلك إلى قوله: {يَكْتُمُونَ} [القلم : ٤٧] مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله: {مِنَ الصَّالِحِينَ} [القلم : ٥٠] مدني، وباقي السورة مكي^(١).

قال السمعاني: "هي مكية في قول الأكثرين"^(٢).

قال ابن عطية: "هي مكية، ولا خلاف فيها بين أحد من أهل التأويل"^(٣).

فهذه السورة من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، فقد نزلت: «اقرأ باسم ربك» ثم هذه، ثم المزمّل، ثم المدثر كما روى عن ابن عباس^(٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

- ١- إنه ذكر في آخر «الملك» تهديد المشركين بتغيير الأرض، وذكر هنا ما هو كالدليل على ذلك وهو ثمر البستان الذي طاف عليه طائف فأهلكه وأهلك أهله وهم نائمون.
- ٢- إنه ذكر فيما قبل أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع، وأنه لو شاء لخسف بهم الأرض أو أرسل عليهم حاصبا، وكان ما أخبر به هو ما أوحى به إلى رسوله، وكان المشركون ينسبون في ذلك مرة إلى الشعر وأخرى إلى السحر وثالثة إلى الجنون- فبرأه الله في هذه السورة مما نسبوه إليه، وأعظم أجره على صبره على أذاهم وأثنى على خلقه^(٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها

من مقاصد السورة الكريمة:

- ١- الدفاع عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وصدّ الكفار والمشركين وردّ أذاهم عنه .
- ٢- تبرئة رسول الله من التهم المزعومة والباطلة التي كان الكفار يوجهونها إليه ويطعنوه بها، حيث يقول تعالى: {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥)} [القلم : ٢ - ٥].
- ٣- الحديث عن عقوبة مانعي الزكاة الذين لا ينفقون زكاة أموالهم كما أمرهم الله تعالى، والإشارة إلى عذاب الله الذي ينتظرهم .
- ٤- تهديد المجرمين والمكذابين برسالة الإسلام ودعوة رسول الله بعاقبة السوء وبعذاب الله تعالى يوم القيامة .
- ٥- دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الصبر مشيرةً السورة إلى تسرع النبي يونس وتخليه عن صبره كما أشار إلى ذلك سبحانه وتعالى .
- ٦- فضح الكافرين في إعراضهم عن دعوة الحق وكلام النبي أملاً منهم في الوصول إلى اتفاق يجمع بين عقيدتهم والعقيدة الإسلامية، قال تعالى: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم : ٩].
- ٧- إظهار ملامح العرب في ذلك العصر الذي بزغت في شمس الدعوة الإسلامية .
- ٨- الحديث عن أصحاب الجنة الذين ضرب الله تعالى قصّتهم مثلاً للمؤمنين وقد أدرج تلك القصة في ١٧ آية لأخذ العبرة منها .

(١) انظر: زاد المسير: ٣١٨/٤.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨، والتحرير والتنوير: ٥٨-٥٧/٢٩.

(٣) تفسير السمعاني: ١٦/٦.

(٤) المحرر الوجيز: ٣٤٥/٥.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ٢٦/٢٩.

٩- فضح أساليب الكفار في الرد على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ يقول تعالى: {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزِلُّوكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ} [القلم : ٥١]، وهذا من ضعفهم وإفلاسهم وعدم امتلاكهم الحجة.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: الذب عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعذاب ما نعى الزكاة، وتخويف الكفار بالقيامة، وتهديد المجرمين بالاستدراج، وأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالصبر، والإشارة إلى حال يونس عليه السلام في قلة الصبر، وقصد الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوه بالعين في: {لِيُزِلُّوكَ بِأَبْصَارِهِمْ} [القلم : ٥١]، الآية"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آيتان: {فَدْرَيْي} [القلم : ٤٤] م، {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} [القلم : ٤٨] م آية السيف^(٢).

■ فضائل السورة:

عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة ن وَالْقَلَمِ أعطاه الله تعالى ثواب الذين حسن الله أخلاقهم»^(٣).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٦/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٦/١.

(٣) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٥/١٠، وانظر: مجمع البيان: ١٠ / ٨٢، [حديث موضوع].

سورة «الحاقة»

«سورة القلم» هي السورة التاسعة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي إحدى سور المُفصل، وقد نزلت بعد «سورة الملك»، وآياتها إحدى وخمسون في عد البصرة والشام، واثنان في عد الباقيين. وكلماتها مائتان وخمس وخمسون. وحروفها ألف وأربعمائة وثمانون. والمختلف فيها آيتان: {الحاقة} الأولى {بشماله} [الحاقة : ٢٥]. مجموع فواصل آياتها: «نم له»، على اللام منها آية واحدة: {بعض الأفاويل} [الحاقة : ٤٤] (١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الحاقة»:

الحاقة من أسماء الساعة والقيامة، سميت «الحاقة»، لأنها تحق كل إنسان بعمله من خير وشر، وقيل سميت حاقة لأنه فيها حواق الأمور والثواب (٢).

وعرفت هذه السورة باسم «سورة الحاقة»، وعنون بها في المصاحف وكتب السنة والتفسير، وقد وقعت تسميتها في عهد النبي-صلى الله عليه وسلم-، فيما أخرجه الإمام أحمد أن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، قال: "خرجت أتعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، ففقت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرا (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ} قال: قلت: كاهن، قال: لو كآ بقول كاهن قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيل ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع" (٣).

ووجه تسميتها «سورة الحاقة»، لافتتاحها بها وتكرارها فيها، قال تعالى: {الحاقة (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣)} [الحاقة : ١ - ٣]، إذ وقعت هذه الكلمة في أولها ولم تقع في غيرها من سور القرآن.

■ ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: «السلسلة»:

وردت هذه التسمية عند الفيروز آبادي، معللا تسميتها بذلك لوقوع الكلمة: «سلسلة» في قوله تعالى: {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة : ٣٢] (٤)، ولم يرد عن هذا الاسم أثر صحيح.

■ الاسم الثاني: «سورة الواعية»:

ذكر ابن عاشور أن الجعبري سماها في منظومته في ترتيب نزول السور «الواعية»، قال ابن عاشور: "ولعله أخذه من وقوع قوله: {وَتَعْبَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} [الحاقة : ١٢]، ولم أر له سلفا في هذه التسمية" (٥).

وهذان الاسمان «السلسلة، والواعية» من اجتهاد بعض العلماء استنبطوها من ألفاظ وقعت في السورة، ولم تثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الحاقة بمكة" (٦)، وروي عن ابن الزبير مثله (١).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٨/١.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٧٩/٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٢١٣/٥.

(٣) المسند(١٠٧):ص٢١١-٢١٢. قال المحقق السيد أحمد شاکر: "إسناده ضعيف لانقطاعه وستأتي لشريح رواية مرسلة عن علي أيضا بهذا الإسناد ٨٩٦، شريح بن عبيد الحمصي: تابعي متأخر، لم يدرك عمر. في ح "ابن عبيدة" وهو خطأ".

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٨/١.

(٥) التحرير والتنوير: ١١٠/٢٩.

(٦) الدر المنثور: ٢٦٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

قال ابن عطية: "هي مكية بالإجماع"^(٢).

قال ابن الجوزي: "هي مكّية كلها بإجماعهم"^(٣).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

- ١- إنه وقع في سورة «ن» ذكر يوم القيامة مجملاً، وهنا فصل نبأه وذكر شأنه العظيم.
- ٢- إنه ذكر فيما قبلها من كذب بالقرآن وما توعد به، وهنا ذكر أحوال أمم كذبوا الرسل وما جرى عليهم، ليزدجر المكذبون المعاصرون له عليه الصلاة والسلام^(٤).

■ أغراض السورة ومقاصدها

من مقاصد السورة الكريمة:

١- الإخبار عن أهوال يوم القيامة العظيمة التي ستحلّ بالسموات والأرض في ذلك اليوم المشهود، وتحدثت عن أحوال الكفار الذين لم يؤمنوا بالرسالات التي أنزلها الله تعالى على رسله وأنبيائه وتبين العذاب والعقاب الذي سيحقيق بهم، قال -سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥)﴾ [الحاقة : ١٣ - ١٥]، كما تشير إلى التغيرات التي ستضرب الكون بأكمله وتغيّر من معالمه.

٢- بيان أحوال الكافرين والمؤمنين يوم القيامة عند الحساب، فتصور المؤمنين في نعيم دائم وسعادة بالغة لا حصر لها، والكافرين في شقاء وعذاب مخيف لا يخفف عنهم ولا هم عنه يُصرفون، فقال تعالى واصفاً أحوال المؤمنين: ﴿قَامًا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّ (٢٠) فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١)﴾ [الحاقة : ١٩ - ٢١]، وفي وصف أحوال الكافرين يقول تعالى: ﴿خُدُوعَهُمْ فَعَلُوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)﴾ [الحاقة : ٣٠ - ٣٢].

١- التأكيد على صدق دعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصدق الرسالة التي يحملها إلى البشر، وتوجّه رداً قاسياً إلى الكافرين الذين يدعون أنّ القرآن كلام شعر أو كهانة، وتثبت الآيات الكريمة في سورة الحاقة كذبهم وبطلان اتهاماتهم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾ [الحاقة : ٤٨ - ٥٢]، وتعظم من شأن ومكانة القرآن الكريم في النهاية.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: الخبر عن صعوبة القيامة، والإشارة بإهلاك القرون الماضية، وذكر نفخة الصور، وانشقاق السموات، وحال السعداء والأشقياء وقت قراءة الكتب، وذل الكفار مقهورين في أيدي الزبانية، ووصف الكفار القرآن بأنه كهانة وشعر، وبيان أن القرآن تذكرة للمؤمن، وحسرة للكافر، والأمر بتسبيح الركوع في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة : ٥٢]"^(٥).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة، خالية عن الناسخ والمنسوخ^(٦).

■ فضائل السورة:

- عن أبي برزة: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر بالحاقة ونحوها"^(٧).

(١) انظر: الدر المنثور: ٢٦٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) المحرر الوجيز: ٣٥٦/٥.

(٣) زاد المسير: ٣٢٨/٤.

(٤) انظر: تفسير المراغي: ٤٩/٢٩.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٨/١.

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٨/١.

(٧) الدر المنثور: ٢٦٣/٨، وعزاه إلى الطبراني.

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حساباً يسيراً»^(١). [ضعيف]
- عن فضالة بن شريك عن أبي الزاهرية، قال: سمعته يقول: "من قرأ إحدى عشرة آية من سورة الحاقة أجزى من فتنة الدجال، ومن قرأها كان له نورا من فوق رأسه إلى قدمه"^(٢). [ضعيف]

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٥/١٠.

(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٥/١٠.

سورة «المعارج»

«سورة المعارج» هي السورة السبعون في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فهي السورة الثامنة والسبعون، وكان نزولها بعد سورة «الحاقة» وقبل سورة «النبأ»، وآياتها ثلاث وأربعون في عد الشام، وأربع في عد الباقين. كلماتها مائتان وثلاث عشرة. وحروفها سبعمائة وسبع وخمسون. المختلف فيها آية: {أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج : ٤]، فواصل آياتها: «جعلناهم»، على الميم: {مَعْلُومٌ} [المعارج : ٢٤]، و{وَالْمَحْرُومُ} [المعارج : ٢٥]، وعلى الجيم: {الْمَعَارِجُ} [المعارج : ٣]، وعلى اللام: {كَالْمُهْلِ} [المعارج : ٨]^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة المعارج»:

اشتهرت تسميتها بسورة «المعارج»، وسميت بها في معظم المصاحف وكتب التفسير، ووجه تسميتها لقوله تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج : ٤]، أي: تصعد إليه الملائكة وجبريل الأمين الذي خصه الله بنقل الوحي إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام، وخصه بالذكر لشرفه وفضل منزلته، وهو المسمى بالروح في قوله تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء: ١٩٣]^(٢). وقد ورد لفظ: «المعارج»، أيضا في سورة «الزخرف»، قال تعالى: {وَلَوْ لَأَنَّ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} [الزخرف : ٣٣].

■ ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: سورة «سال سائل» أو «سأل»:

عرفت تسمية السورة بهذا الاسم في عهد الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم-، وعنونت بذلك في بعض كتب التفسير^(٣)، والسنة، ووجه تسميتها بذلك لأنها افتتحت بها السورة في قوله تعالى: {سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} [المعارج : ١]، ولم يرد مثلها في غيرها من سور القرآن.

■ الاسم الثاني: سورة «الواقع»:

وردت هذه التسمية في بعض كتب علوم القرآن، وعلل الفيروزآبادي تسميتها بذلك لوقوع هذا اللفظ في {بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} [المعارج : ١]^(٤).

وذكرها الألوسي في تفسيره بلفظ: «المواقع»^(٥).

■ الاسم الثالث: سورة «ذي المعارج»:

ذكر هذه التسمية الفيروزآبادي^(٦)، ولعل وجه تسميتها بذلك يعود لقوله تعالى: {مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ} [المعارج : ٣].

وهذه التسميات مقتبسة من كلمات وقعت في الآيتين الأولى والثانية من السورة، وبذلك هي أسماء اجتهادية، وليست توقيفية، إذ يلزم من ذلك أن تسمى أي سورة من سور القرآن الكريم بكثير من بعض الكلمات التي جاءت فيها، أضف إلى ذلك عدم ورود احاديث تعزز مثل هذه الأسماء.

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: نزلت سورة سأل بمكة^(١)، وروي عن ابن الزبير مثله^(٢).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

(٢) انظر: التفسير المنير: ١٠٩/٢٩.

(٣) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٣، وتفسير ابن أبي زمين: ٣٤/٥، والكشف والبيان: ٣٤/١٠، وتفسير ابن كثير: ٢٢٠/٨.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

(٥) انظر: روح المعاني: ٦٢/١٥.

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

قال ابن عطية: "هي مكية لا خلاف بين الرواة في ذلك" (٣).

قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم" (٤).

قال القرطبي: "هي مكية باتفاق" (٥).

وقال الألوسي: "وفي مجمع البيان عند الحسن إلا قوله تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ} [المعارج: ٢٤] (٦).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

نزلت هذه السورة بعد «الحاقة»، وهي كالنتمة لها في بيان أوصاف يوم القيامة والنار، وأحوال المؤمنين والمجرمين في الآخرة (٧).

■ أغراض السورة ومقاصدها

١- تدور مقاصد سورة المعارج في بداية السورة حول عصيان أهل مكة المكرمة واستهزائهم بالعذاب الذي توعد الله تعالى به الكافرين والمشركين، إضافة إلى معاندتهم ومكابرتهم وعلى رأسهم النضر بن الحارث الذي دعا على نفسه وعلى أهله وقومه بالهلاك، قال تعالى في محكم التنزيل: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَتَرَاهُ قَرِيبًا (٧)} [المعارج: ٦ - ٧].

٢- ومن مقاصد سورة المعارج أيضًا أنها تبيّن مصير المجرمين والكفار والعذاب الذي أعده الله تعالى لهم، وذلك وعيد من الله، قال تعالى: {يُبْصِرُ وَهُمْ يُؤَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ (١١) وَصَاحِبِيَّتِهِ وَأَخِيهِ (١٢)} [المعارج: ١١ - ١٢]، وتصف بعد ذلك النار التي أعدّها لهم الله تعالى، قال تعالى: {كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى (١٥) نَزَّاعَةٌ لِّلشَّوَى (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨)} [المعارج: ١٥ - ١٨]، وهذه النار ستنادي على الكافر ليأتي وينال جزاءه يوم القيامة.

٣- ومن مقاصد السورة أنها توضح طبيعة الإنسان وتذكر صفاته الطبيعية من جزع عند المصيبة، وعدم شكر الله تعالى على نعمه، إلا من رحم الله، وهم المؤمنون الحقيقيون الذين ذكر الله صفاتهم بعد ذلك، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رَّهِيمٍ مُّشْفِقُونَ (٢٧)} [المعارج: ٢٤ - ٢٧].

٤- ثم ختمت مقاصد سورة المعارج الحديث بالإشارة إلى الطمع الموجود عند الكفار والمجرمين لدخول الجنة رغم كفرهم وتكذيبهم للرسول والأنبياء، وفي النهاية تتوعدهم بعذاب أليم في ذلك اليوم الموعود، قال تعالى: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذَّلَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)} [المعارج: ٤٣ - ٤٤].

قال الفيروزآبادي: "مقصود السورة: بيان جرأة الكافر في استعجال العذاب، وطول القيامة وهولها، وشغل الخلائق في ذلك اليوم المهيب، واختلاف حال الناس في الخير والشر ومحافظة المؤمنين على خصال الخير، وطمع الكفار في غير مطمع، وذل الكافرين في يوم القيامة في قوله: {تَرْهُفُهُمْ ذَّلَّةُ} [المعارج: ٤٤] (٨)".

■ الناسخ والمنسوخ:

(١) الدر المنثور: ٢٧٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢٧٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) المحرر الوجيز: ٣٦٤/٥.

(٤) زاد المسير: ٣٣٥/٤.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٧٨/١٨.

(٦) روح المعاني: ٦٢/١٥.

(٧) انظر: تفسير المراغي: ٦٥/٢٩، والتفسير المنير للزحيلي: ١٠٩/٢٩.

(٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

فيها من المنسوخ آيتان: م {فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا} [المعارج : ٥]، م {فَدَرُّهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} [المعارج : ٤٢] نسختا بآية السيف^(١).
■ فضائل السورة:

- عن الماجشون، قال: سمعت أبا ن عثمان بن عثمان: "قرأ في كسوف: {سَأَلَ سَائِلٌ} [المعارج: ١] " الآية"^(٢).
- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة سَأَلَ سَائِلٌ أعطاه الله ثواب: «الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ»"^(٣). [موضوع]

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٨٣٢٦): ص ٢٢٠/٢.

(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٥/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٠ / ١١٦. [موضوع]

سورة «نوح»

«سورة نوح» هي السورة الحادية والسبعون في القرآن الكريم، وقد نزلت بعد «سورة النحل»، وآياتها ثمان وعشرون في عد الكوفة، وتسع في عد البصرة والشام، وثلاثون عند الباقيين. وكلماتها مائتان وأربع وعشرون. وحروفها تسعمائة وتسع وخمسون. والمختلف فيها أربع: {سُوَاعًا} [نوح : ٢٣]، {وَنَسْرًا} [نوح : ٢٣]، {وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا} [نوح : ٢٤]، {فَادْخُلُوا نَارًا} [نوح : ٢٥]. فواصل آياتها: «منا»، على الميم آية: {الْيَمِّ} [نوح : ١] (١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة نوح»:

بهذا الاسم اشتهرت هذه السورة، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير والسنة، ووجه تسميتها بذلك لذكره-عليه الصلاة والسلام- وقصته مع قومه في مفتتح السورة ومختتمها، كما قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [نوح : ١].
قال المهايمي: "سميت به لاشتمالها على تفاصيل دعوته وأدعيته" (٢).
وقد ورد اسم النبي نوح-عليه الصلاة والسلام- في كثير من سور القرآن الكريم (٣).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٢/١.

(٢) تفسير المهايمي: ٣٦٦/٢.

(٣) مثل قوله تعالى:

- {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران : ٣٣]
- {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} [النساء : ١٦٣]
- {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام : ٨٤]
- {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأعراف : ٥٩]

- {أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ} [الأعراف : ٦٩]
- {أَلَمْ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنْتُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [التوبة : ٧٠]
- {وَاتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ} [يونس : ٧١]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [هود : ٢٥]
- {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [هود : ٣٢]
- {وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [هود : ٣٦]
- {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} [هود : ٤٢]

- {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} [هود : ٤٥]
- {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود : ٤٦]

- {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [هود : ٤٨]
- {وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٌ} [هود : ٨٩]

- {أَلَمْ يَأْتِيَكُمُ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ} [إبراهيم : ٩]

■ **ثانياً:- أسمها الاجتهادي: سورة «إنا أرسلنا نوحاً»:**

ترجم لها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه، «إنا أرسلنا»، ولعله كان الشائع في كلام السلف تسميتها بأول آية بها، كما ورد عن ابن الزبير-رضي الله عنه-، قال: "نزلت سورة «إنا أرسلنا نوحاً» بمكة"^(١).

ولم يثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم- هذه التسمية، فهو اجتهادي.

■ **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: نزلت سورة نوح بمكة"^(٢)، وروي عن ابن الزبير مثله"^(٣).

قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع من المتأولين"^(٤).

قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(٥).

- {ذُرِّيَّةٍ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء : ٣]
 - {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء : ١٧]
 - {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسُكُوتًا} [مريم : ٥٨]
 - {وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} [الأنبياء : ٧٦]
 - {وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَتَمُودٌ} [الحج : ٤٢]
 - {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون : ٢٣]
 - {وَقَوْمِ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفرقان : ٣٧]
 - {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء : ١٠٥]
 - {إِذْ قَالَ لَهُم أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء : ١٠٦]
 - {قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ} [الشعراء : ١١٦]
 - {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [العنكبوت : ١٤]
 - {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب : ٧]
 - {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ} [الصافات : ٧٥]
 - {سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} [الصافات : ٧٩]
 - {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ} [ص : ١٢]
 - {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [غافر : ٥]
 - {مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ} [غافر : ٣١]
 - {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} [الشورى : ١٣]
 - {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَتَمُودُ} [ق : ١٢]
 - {وَقَوْمِ نُوحٍ مِن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الذاريات : ٤٦]
 - {وَقَوْمِ نُوحٍ مِن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى} [النجم : ٥٢]
 - {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرُ} [القمر : ٩]
 - {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد : ٢٦]
 - {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَاتِ نُوحٍ وَأَمْرَأَاتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ} [التحريم : ١٠].
- (١) الدر المنثور: ٢٨٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
- (٢) الدر المنثور: ٢٨٨/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
- (٣) انظر: الدر المنثور: ٢٨٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
- (٤) المحرر الوجيز: ٣٧٢/٥.
- (٥) زاد المسير: ٣٤١/٤.

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها:

١- أنه قال في السورة السابقة: {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)} [المعارج : ٤٠ - ٤١]، وذكر هنا قصة نوح المشتملة على إغراقهم إلا من قد آمن، وإبدالهم بمن هم خير منهم، فكأنها وقعت موقع الاستدلال على تلك الدعوى.

٢- تشابه مطلع السورتين في ذكر العذاب الذي وعد به الكفار: قوم محمد صلى الله عليه وسلم في سورة المعارج، وقوم نوح عليه السلام في هذه السورة^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تكشف مقاصد سورة نوح تجليات المراحل الدعوية التي مر بها نبي الله نوح -عليه السلام-، وتسوق آيات السورة مشاهد من صبره وتحمله في سبيل نشر الدعوة، وتصف بشكل مباشر أبرز التحديات التي واجهته في تحقيق دعوته؛ فقد مثل قومه الفئة الضالة الجاحدة لأي هداية ونور، والمنغمسة في الضلال والشرور، ومع ذلك لم يدع نبي الله نوح -عليه السلام- بابا إلا وجاهد في فتحه؛ راجيا لقومه الهداية، ولكنهم لم أصروا على العناد، حل بهم العقاب الإلهي.

وتتمثل مقاصد سورة نوح التفصيلية في:

١- التأكيد على وحدة الأديان واتفاق الأنبياء -عليهم السلام- جميعهم من نوح، وصولا إلى محمد في دعوتهم إلى توحيد الله -تعالى- وعبادته وعدم الإشراك به.

٢- التوجيه إلى ضرورة تجنب اتباع كل من يقود إلى الضلال، حتى إن كان ذا سلطة ومكانة؛ إذ لا ينجي من العذاب إلا اتباع الحق.

٣- الحرص على تقوى الله -عز وجل- وكثرة استغفاره؛ إذ إنهما من الأسباب الموجبة لسعة الرزق، ونيل البركة فيه.

٤- التأمل والتفكير في قدرة الله -تعالى-؛ من مراحل خلقه للإنسان، وكيفية خلق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر، وتسخيرها للبشرية.

٥- الأدب في الدعوة؛ فقد لجأ النبي نوح -عليه السلام- إلى جميع الأساليب في دعوته لقومه؛ فدعاهم في كل وقت؛ ليلا، ونهارا، متخذا كل الأسباب في دعوتهم؛ حيث صبر عليهم، وحاورهم بالرفق واللين، ورجبهم في سعة الأرزاق، وكثرة الأولاد والأموال، ودلل على ذلك بالآيات، وأقام لهم الحجج والبراهين، وحذرهم من عدم الإيمان برسالته.

٦- الصبر في الدعوة؛ فقد صبر نوح -عليه السلام- في دعوته لقومه؛ إذ استمر يدعوهم تسعمتة وخمسين عاما، ومما يلزم الصبر عدم استعجال النتائج، وعدم اليأس، أو القنوط من الدعوة.

٧- وجوب التوكل على الله واللجوء إليه في كافة الأحوال.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: أمر نوح بالدعوة، وشكاية نوح من قومه، والاستغفار لسعة النعمة، وتحويل حال الخلق من حال إلى حال، وإظهار العجائب على سقف السماء، وظهور دلائل القدرة على بساط الأرض، وغرق قوم نوح، ودعاؤه عليهم بالهلاك، وللمؤمنين بالرحمة، وللظالمين بالتبار والخسارة، في قوله: {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا} [نوح : ٢٨]"^(٢).

■ الناسخ والمنسوخ:

(١) انظر: تفسير المراغي: ٧٨/٢٩، والتفسير المنير للزحيلي: ١٣٣/٢٩.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٢/١.

السورة محكمة: لا ناسخ فيها ولا منسوخ^(١).

■ فضائل السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدرّكهم دعوة نوح»^(٢). [موضوع]

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٣/١.

(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤٣/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٣/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواية هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «الجن»

«سورة الجن» هي السورة الثانية والسبعون في القرآن الكريم، وقد نزلت بعد «سورة الأعراف»، آياتها ثمان وعشرون عند الكل، إلا مكة؛ فإنها في عدهم سبع. عدوا {لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ} [الجن : ٢٢]، وأسقطوا {مُلْتَحِدًا} [الجن : ٢٢] في غير رواية البرزي. وفي رواية البرزي: لم يعد {لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ} [الجن : ٢٢]، ولم يعد {مُلْتَحِدًا} [الجن : ٢٢]، فصار في روايته سبعا وعشرين. وفي الرواية الأخرى: ثمانين وعشرين. وكلماتها مائتان وخمس وثمانون. وحروفها تسعمائة وتسع وخمسون. فواصل آياتها على: «الألف»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الجن»:

سميت هذه السورة «الجن» وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وترجم لها الترمذي في جامعه من كتاب التفسير^(٢)، ووجه تسميتها سورة «الجن»، لاشتغالها على ذكر أحوالهم وأقوالهم، وعلاقتهم بالإنس ورميهم بالشهب لاستراقهم السمع إلى غير ذلك من حديث الجن العجيب، قال تعالى: {قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١)} [الجن : ١] ، كما تكرر لفظ «الجن» في قوله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن : ٦]. قال المهامي: "سميت بها لاشتغالها على تفاصيل أقوالهم في تحسين الإيمان وتقبيح الكفر، مع كون أقوالهم أشد تأثيراً في قلوب العامة لتعظيمهم إياهم"^(٣). وقد ورد اسم النبي نوح-عليه الصلاة والسلام- في كثير من سور القرآن الكريم^(٤).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٤/١.

(٢) انظر: الترمذي في جامعه من كتاب التفسير: ٤٢٦/٥.

(٣) تفسير المهامي: ٣٦٦/٢.

(٤) مثل قوله تعالى:

- {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران : ٣٣]
- {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} [النساء : ١٦٣]
- {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مَا نَدَّبْنَا إِلَيْهِ غَيْرَهُ وَآتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ أَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام : ٨٤]
- {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأعراف : ٥٩]
- {أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأعراف : ٦٩]
- {أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [التوبة : ٧٠]
- {وَأَتَتْهُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عَمَةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ وَكَلَّا تُنظِرُونَ} [يونس : ٧١]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [هود : ٢٥]
- {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [هود : ٣٢]
- {وَأُوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [هود : ٣٦]
- {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} [هود : ٤٢]
- {وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} [هود : ٤٥]
- {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تُسْأَلَنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}

■ ثانياً:- أسمها الاجتهادي: سورة «قل أوحى»:

جاءت هذه التسمية عن أمنا عائشة-رضي الله عنها-، فيما أخرجه ابن مردويه عنها أنها قالت: «نزلت سورة {قل أوحى}، بمكة»^(١). وترجم لها البخاري في كتاب التفسير^(٢). قال ابن عاشور: «واشتهرت على السنة المكتبين والمتعلمين في الكتابات القرآنية باسم {قل أوحى}»^(٣).

- [هود : ٤٦]
- {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَمِعَتْهُمِ ثُمَّ يَمَسُّهُمِ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [هود : ٤٨]
- {وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْ طُغِيَ مِنْكُمْ بِنِعْمِي} [هود : ٨٩]
- {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} [إبراهيم : ٩]
- {ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء : ٣]
- {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء : ١٧]
- {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَكَبَّرُوا} [مريم : ٥٨]
- {وَتُوحَاً إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} [الأنبياء : ٧٦]
- {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ} [الحج : ٤٢]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون : ٢٣]
- {وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ سُلَّةً لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفرقان : ٣٧]
- {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء : ١٠٥]
- {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء : ١٠٦]
- {قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ} [الشعراء : ١١٦]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [العنكبوت : ١٤]
- {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب : ٧]
- {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ} [الصافات : ٧٥]
- {سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} [الصافات : ٧٩]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ} [ص : ١٢]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [غافر : ٥]
- {مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِّلْعِبَادِ} [غافر : ٣١]
- {وَشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى : ١٣]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ} [ق : ١٢]
- {وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الذاريات : ٤٦]
- {وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى} [النجم : ٥٢]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرْ} [القمر : ٩]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِئْتُهُمْ مَهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد : ٢٦]
- {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَاتِ نُوحٍ وَأَمْرَاتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَمَهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ} [التحريم : ١٠].

(١) الدر المنثور: ٢٩٦/٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير: ٣٨٢/٦.

(٣) التحرير والتنوير: ٢١٦/٢٩.

كما تفرد السخاوي بتسميتها: «سورة الوحي»، ولم يذكر سندا لقوله^(١).

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة الجن بمكة"^(٢)، وروي عن ابن الزبير مثله^(٣).

قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع من المفسرين"^(٤).

قال ابن الجوزي: "كلها مكية بإجماعهم"^(٥).

قال ابن عاشور: "هي مكية بالاتفاق، ويظهر أنها نزلت في حدود سنة عشر من البعثة"^(٦).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها:

١- أنه جاء في السورة السابقة: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ} [نوح : ١٠]، وجاء في هذه السورة: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا

عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا} [الجن : ١٦].

٢- أنه ذكر في هذه السورة شيء يتعلق بالسماء كالسورة التي قبلها.

٣- أنه ذكر عذاب من يعصى الله في قوله: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا} [الجن : ٢٣]، وذكر هناك مثله في قوله: {أَعْرِفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا} [نوح : ٢٥]^(٧).

■ أغراض السورة ومقاصدها

١- تقرير سهولة كلام الله وقربه من العباد، وبساطة دينه الهادي إلى الرشد الناهي عن الباطل، وأن من أراد الهدى يؤمن بأسهل الأسباب، كما آمن ذلك النفر من الجن، ليكون فيه درس وموعظة للإنسان فهو المخاطب بالقرآن الكريم.

٢- بيان أن الجن مثل الإنسان مكلفين ويملكون القوة والإرادة على الاختيار ما بين الطاعة والعصيان، والكفر والإيمان. وأنهم مكلفون مأمورون ومكلفون منهيون، مجازون بأعمالهم. وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول إلى الجن كما هو رسول إلى الإنس. وأن ليس للجن شيء من أمر النبوة والكتاب فهم مأمورون ومنهيون، مبشرون ومنذرون كالإنس تماماً.

٣- بعث موعظة للإنسان مفادها بأنه: كما فعل النفر من الجن حين لاحظوا الآيات والإشارات الربانية، فهم لما منعوا فجأة من الوصول إلى خبر السماء على غير ما اعتادوا من قبل، عرفوا بفطنتهم أن هذا الأمر يريد الله، ولا يدرون هل هو خير أم شر، فانطلقوا يبحثون عن السبب، حتى إذا سمعوا القرآن كلام الحق والرشاد آمنوا به واتبعوه من فورهم.

٤- التأكيد على أن استعانة الإنسان بالجن لا تسمن ولا تُغني من جوع ولا تجلب النفع للإنسان أبداً، قال تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن : ٦].

٥- إدراك الجن وعلمهم بجد الله وعظمته بعد أن كانوا مغترين بأكاذيب من سبقهم من الجن والإنس الذين أنكروا البعث وأقدموا على الشرك.

٦- انقسام الجن إلى طائفة مؤمنة وطائفة كافرة وقد حددت الآيات مصير كل منهم، قال تعالى: {وَأَنَّا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)} [الجن : ١٤ - ١٥].

(١) انظر: جمال القراء: ٤٨٣/١.

(٢) الدر المنثور: ٢٩٦/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٢٩٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) المحرر الوجيز: ٣٧٨/٥.

(٥) زاد المسير: ٣٤٦/٤.

(٦) التحرير والتنوير: ٢٩٦/٢٩.

(٧) انظر: تفسير المراغي: ٩٢/٢٩.

٧- إيمان الجن بالهدى طمعاً بالخير والرزق والأمان من الله، وإنكاراً للتشنت الذي كانوا عليه، وظن الكثير منهم بأنهم خارجون عن قدرة الله. فلا يتردد الإنسان ولا يتبع الأمانى ولا كذب وضلالات الشيطان. فإنه باتباع الهدى والاستقامة على طريق الحق تتحقق مصالح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

٨- الحديث عن دعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكيف أن قومه كانوا يحاولون أن يبعده عن دعوة الحق والتوحيد، ثم تختم الآيات بأحد مقاصد سورة الجن العظيمة وهو أن يسلم رسول الله أمره كله لله تعالى ويخضع له بكل جوارحه لأنه وحده فقط الذي يضر وينفع ولا يملك ذلك إلا هو وبالتأكيد هذا الكلام له ولغيره ممن آمنوا معه لتثبتهم.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: عجائب علوم القرآن، وعظمة سلطان الملك الديان، وتعدى الجن على الإنسان، ومنعهم عن الوصول إلى السماء بالطيران، والرشد والصلاح لأهل الإيمان، وتهديد الكفار بالجحيم والنيران، وعلم الله تعالى بالإسرار والإعلان، وكيفية تبليغ الوحي من الملائكة إلى الأنبياء بالإتقان، وحصر المعلومات في علم خالق الخلق في قوله: {وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} [الجن : ٢٨]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة: لا ناسخ فيها ولا منسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الجن أعطي بعدد كل جني وشيطان صدق بمحمد وكذب به عتق رقبة»^(٣). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٤/١-٤٨٥.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٥/١.

(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤٩/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٤٠/١٠. [حديث موضوع، وقد نبه ابن حجر على ضعف رواية هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «المزمل»

«سورة المزمل» هي السورة الثالثة والسبعون في القرآن الكريم، نزلت بعد «سورة القلم»، وهي من سور المفصل، وآياتها ثمان عشرة في عد الكوفة، وتسعة عشر في البصرة، وعشرون في الباقين. وكلماتها مائتان وخمس وثمانون. وحروفها ثمانمائة وست وثلاثون. المختلف فيها ثلاث آيات: {المزمل} [المزمل : ١]، {شيبًا} [المزمل : ١٧]، {إليكم رسولًا} [المزمل : ١٥]. فواصل آياتها على الألف، إلا الآية الأولى؛ فإنه باللام، والأخيرة؛ فإنها «بالراء». مجموعها «رال»^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة المزمل»:

عُرفت «سورة المزمل» بهذا الاسم ولم يرد لها أي تسميات أخرى، ويُراد بـ«المزمل» إما الصفة التي نادى بها الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، أو يُراد بها حكاية اللفظ^(٢).

قال الزحيلي: "سميت «سورة المزمل»، أي: المتلف بثيابه، لأنها تتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في بدء الوحي، ولأنها بدئت بأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك التزمل: وهو التغطي في الليل، وينهض إلى تبليغ رسالة ربه عز وجل"^(٣).

قال المهامي: "سميت له لدلالته على عظم أمر الوحي، لأنه أقوى الخلائق كان يرتعد عنده فيتزمل"^(٤).

وليست لهذه السورة سوى هذا الاسم الذي اشتهرت به.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس^(٥)، وابن الزبير^(٦)، والحسن^(٧)، وعكرمة^(٨)، وعطاء^(٩)، وجابر^(١٠)، وحكاه ابن الجوزي عن إجماع المفسرين^(١١).

عن ابن عباس، قال: "نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ بمكة"^(١٢)، وروي عن ابن الزبير مثله^(١٣).
الثاني: أنها مكية إلا قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى﴾ [المزمل : ٢٠] إلى آخر السورة، فإن ذلك نزل بالمدينة. وهذا مروى عن ابن عباس -أيضا-^(١٤)، وبه قال ابن يسار^(١٥)، ومقاتل^(١٦)، وحكاه ابن عطية عن الجمهور^(١).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٦/١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٢٥٢/٢٩.

(٣) التفسير المنير: ١٨٧/٢٩.

(٤) تفسير المهامي: ٣٧١/٢.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٣١١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٣١٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.

(٨) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.

(٩) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.

(١١) انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.

(١٢) الدر المنثور: ٣١١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٣١٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٤) الدر المنثور: ٣١١/٨، وعزاه إلى النحاس.

(١٥) انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.

(١٦) انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.

قال السيوطي: " إن استثناء قوله: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ} [المزمل : ٢٠]، إلى آخر السورة يرده ما أخرجه الحاكم عن عائشة «نزل بعد نزول صدر السورة بسنة وذلك حين فرض قيام الليل في أول الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس»^(٢).

قال ابن عاشور: "الظاهر أن الأصح أن نزول: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ} [المزمل : ٢٠] إلى آخر السورة نزل بالمدينة لقوله تعالى: {وَأَخْرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [المزمل : ٢٠]، إن لم يكن ذلك إنباء بمغيب على وجه المعجزة.. والروايات عن عائشة مضطربة"^(٣).

الثالث: أنهما مكية سوى آيتين منها، قوله عزّ وجلّ: {وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَفُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل : ١٠]، والتي بعدها^(٤). حكى ذلك عن ابن عباس^(٥)، وقتادة^(٦).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

- ١- أنه سبحانه ختم سورة الجن بذكر الرسل عليهم السلام، وافتتح هذه بما يتعلق بخاتمهم عليه السلام.
- ٢- أنه قال في السورة السالفة: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ} [الجن : ١٩]، وقال في هذه: {قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل : ٢]^(٧).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تتمثل مقاصد سورة المزمل الإجمالية في الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوجال، وتخفف الأحمال الثقيل، ولاسيما الوقوف بين يدي الملك المتعال، والتجرد في خدمته في ظلمات الليل، فإنه نعم الإله لقبول الأفعال والأقوال، ومحو ظلال الضلال، والمعين الأعظم على الصبر والاحتمال، لما يرد من الكدورات في دار الزوال، والقلعة والارتحال، واسمها المزمل أدل ما فيها على هذا المقال.

وقد جاءت مقاصد سورة المزمل التفصيلية بمثابة دروس وتوجيهات لإفادة المسلم في حياته بحيث يكون أقرب ما يكون تطبيقاً للمنهج القرآني، ومنها:

- ١- التأكيد على أن قيام الليل كان واجبا في حق النبي عليه الصلاة والسلام، وفي حق أمته نافلة، فيحرص المسلم على الإتيان بهذه النافلة قدر ما استطاع.
- ٢- التوجيه إلى الصبر على الأذى وهجر المكذبين هو أمر رباني لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فيأخذ المسلم بهذا الأمر ويحرص على هجر المكذبين والعصاة من الناس.
- ٣- العبادات هي زاد للمسلم في حياته وبالأخص تلك العبادات الداعية إلى الله تعالى، فكل عبادة يؤديها هي زاد له في طريق الدعوة مما يلاقيه من الناس.
- ٤- قيام الليل يعد علامة ظاهرة على درجة الإيمان في قلب المسلم، فيراقب المسلم درجة إيمانه بقيامه لليل.
- ٥- السعي في النهار لطلب أسباب العيش هو من سنن الله -تعالى- في الأرض، فلا يتعطل المسلم عن طلب الرزق بحجة التعبد لله تعالى.
- ٦- عقاب المكذبين والمستهزئين مخبأ لهم من الله تعالى، فيطمئن الداعية إلى أن كل ما يلاقيه من المستهزئين له عقاب في اليوم الموعود.
- ٧- التخفيف في العبادات تيسير إلهي لعباده في الأرض، فلا يجبر المسلم نفسه على ما لا يستطيع من عبادات، بل يأخذ بالرخص التي شرعها الله تعالى.

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٣٨٦/٥.

(٢) انظر: الإتيان: ٦٦/١-٦٧. [بتصرف]

(٣) التحرير والتنوير: ٢٥٣/٢٩.

(٤) المزمل: ١٠-١١.

(٥) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وزاد المسير: ٣٥٢/٤، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.

(٧) انظر: تفسير المراغي: ١٠٩/٢٩.

- ٨- إن التخلق بالأخلاق التي يأمر بها القرآن الكريم هو أمر يشق على النفس البشرية، ولا يعين المسلم على ذلك سوى حبل متين متصل مع الله تعالى.
- ٩- أشكال الإيذاء التي تعرض لها رسل الله -تعالى- لا تعد ولا تحصى، فعلى الداعية أن يطمئن ؛ لأنه مهما لاقى من أعباء الدعوة فإنها لا تعد شيئاً في مقابل ما تعرض له صفوة الخلق.
- ١٠- فهم القرآن الكريم متوقف على تدبره والتأني فيه، وفهم القرآن وما فيه من مواضع وقصص وأحكام ينبغي للمسلم أن يتدبر ورده من القرآن ويتأني فيه.
- ١١- طلب العلم يعد باباً من أبواب ذكر الله تعالى، فيحرص المسلم على طلب العلم ويخلص النية لله -تعالى- في ذلك.
- ١٢- الإخبار بأن قيام الليل وتكاليف العبادة أمور شاقة على النفس الإنسانية، فلا يعين على ذلك إلا الإيمان والصلة القوية بالله تعالى.
- قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: خطاب الانبساط مع سيد المرسلين، والأمر بقيام الليل، وبيان حجة التوحيد، والأمر بالصبر على جفاء الكفار، وتهديد الكافر بعذاب النار، وتشبيه رسالة المصطفى برسالة موسى، والتخويف بتهويل القيامة، والتسهيل والمسامحة في قيام الليل، والحث على الصدقة والإحسان، والأمر بالاستغفار من الذنوب والعصيان، في قوله: {وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل : ٢٠]"^(١).
- **الناسخ والمنسوخ:**

فيها من المنسوخ ست آيات: ثلاث من أول السورة: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ} [المزمل : ٢٠] ن {وَأَهْجُرُهُمْ هَجْرًا} [المزمل : ١٠]، وقوله: {وَدَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ} [المزمل : ١١] م، وقوله: {إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ} [المزمل : ١٩] ن آية السيف^(٢).

■ **فضائل السورة:**

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة المزمل رفع عنه العسر في الدنيا والآخرة»^(٣). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٦/١.
 (٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٧/١.
 (٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٥٨/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٥٧/١٠. [حديث موضوع، وقد نبه ابن حجر على ضعف رواية هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «المدثر»

«سورة المدثر» هي السورة الرابعة والسبعون بحسب الرسم القرآني وهي السورة السادسة والأخيرة من المجموعة السادسة من قسم المفصل، نزلت بعد سورة «المزمل»^(١)، وقيل: إنها ثمانية السور نزولا وإنها لم ينزل قبلها إلا سورة: {أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق : ١]^(٢)، وآياتها ست وخمسون في عد العراقي والبيزي، وخمس في عد المكي. وكلماتها مائتان وخمس وخمسون. وحروفها ألف وعشر. المختلف فيها اثنان: {يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ} [المدثر : ٤٠-٤١] فواصل آياتها: «ردنها»، على الدال آية: {ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ} [المدثر : ١٥]^(٣).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة المدثر»:

تسمى في كتب التفسير «سورة المدثر» وكذلك سميت في المصاحف، وأريد «المدثر» النبي صلى الله عليه وسلم موصوفا بالحالة التي نودي بها، كما سميت بعض السور بأسماء الأنبياء الذين ذكروا فيها، وإما تسمية باللفظ الذي وقع فيها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)} [المدثر : ١]، ونظيره ما تقدم في تسمية «سورة المزمل»، ومثله ما تقدم في سورة «المجادلة» من احتمال فتح الدال أو كسرها^(٤). وليست لهذه السورة سوى هذا الاسم الذي اشتهرت به.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة قولان:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس^(٥)، وابن الزبير^(٦)، وحكاه ابن عطية وابن الجوزي عن إجماع المفسرين^(٧).

قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع من أهل التأويل"^(٨).

الثاني: فيها من المدني آية واحدة، وهي قوله عز وجل: {وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً} [المدثر : ٣١]. وهذا قول مقاتل^(٩).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

- ١- أنها متواخية مع السورة قبلها في الافتتاح بثناء النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٢- أن صدر كلتيهما نازل في قصة واحدة.
- ٣- أن السابقة بدئت بالأمر بقيام الليل، وهو تكميل لنفسه صلى الله عليه وسلم بعبادة خاصة، وهذه بدئت بالإنذار لغيره، وهو تكميل لسواه^(١٠).

■ أغراض السورة ومقاصدها

جاء فيها من الأغراض:

- ١- تكريم النبي صلى الله عليه وسلم والأمر بإبلاغ دعوة الرسالة، وإعلان وحدانية الله بالإلهية.

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٢٤/٢٩.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩٢/٢٩.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٨/١.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩١/٢٩.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٣٢٤/٨، وعزاه ابن الضريس وابن مردويه والنحاس والبيهقي.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٣٢٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٣٩٢/٥، وزاد المسير: ٣٥٨/٤.

(٨) المحرر الوجيز: ٣٩٢/٥.

(٩) انظر: زاد المسير: ٣٥٨/٤.

(١٠) انظر: تفسير المراغي: ١٢٤/٢٩.

- ٢- الأمر بالتطهر الحسي والمعنوي، ونبذ الأصنام.
 - ٣- الإكثار من الصدقات.
 - ٤- الأمر بالصبر.
 - ٥- إنذار المشركين بهول البعث.
 - ٦- تهديد من تصدى للطعن في القرآن وزعم أنه قول البشر وكفر الطاعن نعمة الله عليه فأقدم على الطعن في آياته مع علمه بأنها حق.
 - ٧- وصف أهوال جهنم، والرد على المشركين الذين استخفوا بها وزعموا قلة عدد حفظتها، وتحدي أهل الكتاب بأنهم جهلوا عدد حفظتها، وتأييسهم من التخلص من العذاب، وتمثيل ضلالهم في الدنيا، ومقابلة حالهم بحال المؤمنين أهل الصلاة والزكاة والتصدق بيوم الجزاء^(١).
- قال الفيروزآبادي: "مقصود السورة: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة الخلق إلى الإيمان، وتقرير صعوبة القيامة على الكفار وأهل العصيان، وتهديد وليد ابن مغيرة بنقض القرآن، وبيان عدد زبانية النيران، وأن كل أحد رهن بالإساءة والإحسان، وملامة الكفار على إعراضهم عن الإيمان، وذكر وعد الكريم على التقوى بالرحمة والغفران، في قوله: {هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ} [المدثر: ٥٦]"^(٢).
- **الناسخ والمنسوخ:**
- المنسوخ فيها آية واحدة: م{ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر: ١١]، ن: آية السيف^(٣).
- **فضائل السورة:**
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة المدثر أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذبه بمكة»^(٤). [موضوع]

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩٣/٢٩.
 (٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٨/١.
 (٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٨/١.
 (٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٦٧/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٧١/١٠. [حديث موضوع، وقد نبه ابن حجر على ضعف رواية هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «القيامة»

«سورة القيامة» هي السورة الخامسة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة القارعة»، وقبل «سورة الهمزة»، وآياتها أربعون في عد الكوفيين، وتسع وثلاثون في عد الباقين. وكلماتها مائة وتسع وتسعون. وحروفها ثلاثمائة واثنان وخمسون. المختلف فيها آية: {لَتُعْجَلْ بِهِ} [القيامة : ١٦]، فواصل آياتها «يقراه»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة القيامة»:

عنونت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة بـ«سورة القيامة»، لوقوع القسم بيوم القيامة في أولها، قال تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القيامة : ١]، ولم يقسم به فيما نزل قبلها من السور^(٢).

■ ثانياً:- اسمها الاجتهادي: «سورة لا أقسم بيوم القيامة» أو «لا أقسم»:

وردت هذه التسمية في عهد الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم-، كما عند ابن عباس^(٣)، وابن زبير^(٤)، ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها به في قوله تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القيامة : ١]. وهو اسم اجتهادي لم يثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس قال: "نزلت «سورة القيامة» -وفي لفظ: نزلت: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}- بمكة"^(٥).

عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت سورة: {لَا أُقْسِمُ} بمكة^(٦).

قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع من المفسرين وأهل التأويل"^(٧).

قال ابن الجوزي: "هي مكّية كلها بإجماعهم"^(٨).

قال ابن عاشور: "هي مكية بالاتفاق"^(٩).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها، أنه ذكر في السورة السابقة قوله: {كَلَّا بَلْ لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ} [المدثر : ٥٣]، وكان عدم خوفهم منها لإنكارهم للبعث، وذكر هنا الدليل عليه بأنم وجه، فوصف يوم القيامة وأهواله وأحواله، ثم ما قبل ذلك من خروج الروح من البدن، ثم ما قبل ذلك من مبدأ الخلق^(١٠).

■ أغراض السورة ومقاصدها

١- قدرة الله تعالى على جمع الإنسان وإعادة إحيائه ورسم أدق التفاصيل التي كانت على جسده قبل أن يموت ويفنى جسده في التراب.

٢- على المتعلم أن ينصت بكل جوارحه على من يعلمه، حتى يتسنى له أخذ العلم بطريقة صحيحة سليمة.

٣- بيان إيمان المؤمنين بربهم وفرحهم بنعيمه يوم القيامة، هذا النعيم الذي لا يضاهيه نعيم في الدنيا.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩١/٢٩.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨، وعزاه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) المحرر الوجيز: ٤٠١/٥.

(٨) زاد المسير: ٣٦٨/٤.

(٩) التحرير والتنوير: ٣٣٦/٢٩.

(١٠) انظر: تفسير المراغي: ١٤٤/٢٩.

٤- على الإنسان أن يتذكر أصله وحجمه فلا يتكبر على خلق الله تعالى وأن يكون دائم الحمد والشكر لله تعالى على نعمه الكثيرة.

قال الفيروزآبادي: "مقصود السورة: بيان هول القيامة، وهيبتها، وبيان إثبات البعث، وتأثير القيامة في أعيان العالم، وبيان جزاء الأعمال، وأداب سماع الوحي، والوعد باللقاء والرؤية، والخبر عن حال السكرة، والرجوع إلى بيان برهان القيامة، وتقرير القدرة على بعث الأموات في قوله: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ} [القيامة : ٤٠]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

المنسوخ فيها آية واحدة: م {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة : ١٦]، ن: {سَنُفَرِّقَنَّ لَكَ مَا لَا يُنَالُ} [الأعلى : ٦]"^(٢).

■ فضائل السورة:

- أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة قال: حدثنا أن عمر بن الخطاب قال: "من سأل عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة، والله أعلم"^(٣).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبرائيل له يوم القيامة أنه كان مؤمناً بيوم القيامة وجاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة»^(٤). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.

(٣) الدر المنثور: ٣٤٢/٨.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٨١/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٩٠/١٠. [حديث موضوع، وقد نبه ابن حجر على ضعف رواية هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «الإنسان»

«سورة الإنسان» هي السورة السادسة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الرحمن»، وعدد آياتها إحدى وثلاثون. وكلماتها مائتان وأربعون. وحروفها ألف وخمسون. وفواصل آياتها على «الألف»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الإنسان»:

سميت بذلك في المصاحف وكتب التفسير، وذلك لافتتاحها بذكر الإنسان وخلقه من عدم وخلق له جميع ما في الأرض من خيرات، قال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (١)} [الإنسان : ١].

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: «سورة هل أتى على الإنسان»:

وردت هذه التسمية في عهد الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم-، كما عند ابن عباس^(٢)، وابن هريرة^(٣)، وابن الزبير^(٤)، قد وردت هذه التسمية عند الطبري^(٥)، وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت فيها.

■ الاسم الثاني: «سورة هل أتى»:

سميت بذلك اختصاراً، وسماها بذلك جمع من المفسرين^(٦)، وهي تسمية للسورة بفاتحتها، ولم ترد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- فهي تسمية من اجتهاد علماء التفسير.

■ الاسم الثالث: «سورة الدهر»:

بهذه التسمية عنون لها ابن قتيبة^(٧)، والماتريدي^(٨)، وابن الجوزي^(٩)، وغيرهم، ووجه تسميتها بذلك لوقوع: {مَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية : ٢٤] فيها ولم يقع لفظ الدهر في ذوات حم الآخر^(١٠).

■ الاسم الرابع: «سورة الأبرار»:

سماها بذلك الطبرسي^(١١)، وذكرها الألويسي في تفسيره^(١٢) والقاسمي^(١٣)، وتسمى «سورة الأبرار»^(١٤)، لأن فيها ذكر نعيم الأبرار.

■ الاسم الخامس: «سورة الأمشاج»:

سماها بذلك الخفاجي^(١)، وذكرها الألويسي^(٢)، والقاسمي^(٣) في تفسيريهما، وذلك لوقوع لفظ «الأمشاج»^(٤) فيها ولم يقع في غيرها من القرآن.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.

(٢) انظر: مسلم (٨٧٩)، وابن ماجه (٨٢١)، وأبو داود (١٠٧٤): ص ٣٠١ / ٢ - ٣٠٢. كما سيأتي في فضائل السورة.

(٣) انظر: صحيح مسلم (٨٨٠): ص ٥٩٩ / ٢. كما سيأتي في فضائل السورة

(٤) انظر: الدر المنثور: ٣٦٥/٨. وعزاه لابن مردويه.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٨٥/٢٤.

(٦) كما في زاد المسير: ٣٧٤/٤، وتفسير الخازن: ٣٧٦/٤.

(٧) انظر: غريب القرآن: ٥٠٢.

(٨) انظر: تأويلات أهل السنة: ٣٥٧/١٠.

(٩) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.

(١٠) انظر: التحرير والتنوير: ٣٢٣/٢٥.

(١١) انظر: تفسير الطبرسي: ١٣٥/٢٩.

(١٢) انظر: روح المعاني: ١٦٦/١٥.

(١٣) انظر: محاسن التأويل: ٤٥/١٧.

(١٤) قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} [الإنسان : ٥].

وهذه الأسماء ألفاظ وقعت في السورة وسميت بها وهي ليست خاصة بسورة الإنسان ما عدى: «الأمشاج، وهل أتى، وهل أتى على الإنسان» فقد اختصت السورة بها.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مدنيّة كلها، قاله ابن عباس^(٥)، ومجاهد^(٦)، وقتادة^(٧). وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور^(٨).
الثاني: أنها مكيّة، قاله ابن عباس-أيضا-^(٩)، وابن الزبير^(١٠)، ومقاتل^(١١)، والكلبي^(١٢)، ويحيى بن سلام^(١٣).

الثالث: أنّ فيها مكيّا ومدنيّا. ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أنّ المكيّ منها آية، وهي قوله عزّ وجلّ: {وَلَا تُطِيعُ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كَفُورًا} [الإنسان : ٢٤]، وباقيها جميعه مدنيّ، قاله الحسن^(١٤)، وعكرمة^(١٥).

والثاني: أنّ أولها مدنيّ إلى قوله عزّ وجلّ {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا} [الإنسان : ٢٣]، ومن هذه الآية إلى آخرها مكيّ، حكاه الماوردي^(١٦).

قال ابن عاشور: "الأصح أنها مكية فإن أسلوبها ومعانيها جارية على سنن السور المكية ولا أحسب الباعث على عدها في المدني إلا ما روي من أن آية: {يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ} [الإنسان : ٨]، نزلت في إطعام علي بن أبي طالب بالمدينة مسكينا ليلة، ويتيما أخرى، وأسيرا أخرى، ولم يكن للمسلمين أسرى بمكة حملا للفظ أسير على معنى أسير الحرب، أو ما روي أنه نزل في أبي الدحداح وهو أنصاري، وكثيرا ما حملوا نزول الآية على مثل تنطبق عليها معانيها فعبروا عنها بأسباب نزول"^(١٧).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

وصلتها بما قبلها، أنه ذكر في السابقة الأحوال التي يلقاها الفجار يوم القيامة، وذكر في هذه ما يلقاه الأبرار من النعيم المقيم في تلك الدار^(١٨).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تتجلى مقاصد سورة الإنسان بشكل عام ببيان حال الإنسان، وذلك كما مبين أدناه:

- (١) انظر: حاشية الشّهَاب على تفسير البيضاوي، المُسمّاة: عناية القَاضِي وكفاية الرّاضِي على تفسير البيضاوي: ٢٨٤/٨.
- (٢) انظر: روح المعاني: ١٦٦/١٥.
- (٣) انظر: محاسن التأويل: ٤٥/١٧.
- (٤) وذلك في قوله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان : ٢].
- (٥) انظر: الدر المنثور: ٣٦٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.
- (٦) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.
- (٧) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.
- (٨) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.
- (٩) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦، وزاد المسير: ٣٧٤/٤، والدر المنثور: ٣٦٥/٨، وعزاه إلى النحاس.
- (١٠) انظر: الدر المنثور: ٣٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
- (١١) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦، وزاد المسير: ٣٧٤/٤.
- (١٢) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦.
- (١٣) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦.
- (١٤) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.
- (١٥) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.
- (١٦) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦.
- (١٧) التحرير والتنوير: ٣٣٦/٢٩.
- (١٨) انظر: تفسير المراغي: ١٥٩/٢٩.

١- التعريف بالإنسان وكيفية خلقه إذ استهل الله - سبحانه وتعالى- السورة بقوله: {هَلْ أُنْتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)} [الإنسان : ١ - ٢] وذلك بمقصدٍ منه بأن يبين للإنسان أنه ومنذ فترةٍ من الزمن لم يكن موجودًا وأن الله بقدرته وعظمته هو من خلقه ووهبه من نعمه كالسمع والبصر وغيرها، ثم أكمل بقوله: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)} [الإنسان : ٣]، أي: أنه وبعد خلقه الإنسان علمه وأرشده وهداه إلى السبيل الصحيح وبعدها كان إما شاكراً عابداً لله وإما من الكافرين وهذا من مقاصد سورة الإنسان بأن كفر الإنسان أو صلاحه هو باختياره من صنع يديه ولهذا سيحاسبه الله على كل صغيرة وكبيرة.

٢- ومن مقاصد سورة الإنسان أن الله -تعالى- خاطب عباده بأسلوب الترغيب والترهيب، فتارةً يذكر ما أعدّه للكافرين من عقابٍ وعذابٍ وذلك بقوله: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤)} [الإنسان : ٤]، وتارةً يذكر صفات الجنة التي أعدّها للمسلمين الأبرار وعباده المخلصين فقد قال: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)} [الإنسان : ٥ - ٦] بمقصدٍ منه أن يهدي الناس لطريق الصواب إما خوفاً من الله وعقابه أو استبشاراً وشوقاً لجزاءه وجناته.

٣- ويتبين أيضاً من مقاصد سورة الإنسان أن الله - سبحانه وتعالى- أراد التعريف بالأبرار بشيءٍ من التفصيل فجعل يصفهم ويصف أفعالهم بقوله: {يُؤْفُونَ بِالَّذِرِّ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}، ثم إنه وصف حالهم في جنات الخلد التي جزاهم الله -تعالى- بها على صبرهم وإحسانهم وإيمانهم فقال -جلّ وعلا-: {مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ كُلًّا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَكُلًّا زَمَهْرِيرًا}، وأيضاً وصفهم في قوله: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضِرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)} [الإنسان : ٢٠ - ٢١]، وقد بين -تبارك وتعالى- أن هذا حال من كان من عباده مؤمناً صبوراً شكوراً.

٤- وأما آخر مقاصد سورة الإنسان كان التأكيد على أن السبيل إلى الفوز بجنات النعيم يكون بعبادة الله وحده والتقرب إليه ودعاءه وذكره والمداومة على الحمد والسجود والتسبيح والاستغفار، فقد قال -جلّ وعلا-: {وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦)} [الإنسان : ٢٥ - ٢٦].

٥- ثم ختم -سبحانه وتعالى- السورة كما ابتدأها بأنه هو خالق الإنسان ومرشده وأن من اتبع هداه فقد فاز في الدنيا والآخرة أما من ضلّ وكفر واستكبر فله جهنم وبئس المصير، وهذا ما بينه -جلّ وعلا- في قول: {لَنْحُنَّ خَلْقَانَهُمْ وَنَسَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْتَالَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)} [الإنسان : ٢٨ - ٣١]، وبهذا يؤكد الله -تعالى- على أنه يهدي من يشاء ويدخله في رحمته وبأن من ظلم نفسه وكفر واستكبر فإن الله قد أعدّ له عذاباً أليماً.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان مدة خلقة آدم، وهداية الخلق بمصالحهم، وذكر ثواب الأبرار، في دار القرار، وذكر المنة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأمره بالصبر، وقيام الليل، والمنة على الخلق بإحكام خلقهم، وإضافة كلية المشيئة إلى الله، في قوله: {يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الإنسان : ٣١]"^(١).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٣/١.

■ الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ ثلاث آيات: م {أَسِيرًا} [الإنسان : ٨]، في قوله: {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ} [الإنسان : ٨] م، والصبر من قوله: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} [الإنسان : ٢٤] م، والتخيير من قوله: {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} [الإنسان : ٢٩]، ن آية السيف^(١).

■ فضائل السورة:

- عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان يقرأ في الصبح يوم الجمعة، بـ «آلم تنزيل» في الركعة الأولى، وفي الثانية: {هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا} [الإنسان: ١]"^(٢).
- عن ابن عباس، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة: {الم (١) تَنْزِيلٌ} السجدة، و {هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ}"^(٣).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنةً وحريراً»^(٤). [موضوع]

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٣/١.

(٢) صحيح مسلم (٨٨٠): ص ٥٩٩ / ٢.

(٣) أخرجه مسلم (٨٧٩)، وابن ماجه (٨٢١)، وأبو داود (١٠٧٤): ص ٣٠١ - ٣٠٢. -واللفظ له - والترمذي (٥٢٧). زاد مسلم في روايته: وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين.

وهو في "مسند أحمد" (١٩٩٣)، و"صحيح ابن حبان" (١٨٢٠) و (١٨٢١).

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٩٣/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٠٦/١٠. [حديث موضوع، وقد نبه ابن حجر على ضعف رواية هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «المرسلات»

«سورة المرسلات» هي السورة السابعة والسبعون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الأولى من المجموعة الثامنة من قسم المفصل، بعد سورة «الهمزة»، وقبل سورة «ق»^(١)، وآياتها خمسون. وكلماتها مائة وإحدى وثمانون. وحروفها ثمانمائة وستة عشر. مجموع فواصل آياتها «عبرتم لنا»، على اللام {الْفَصْل} [المرسلات : ١٣]، {الْفَصْل} [المرسلات : ١٤]، في الموضعين، وعلى الراء {كَالْقَصْرِ} [المرسلات : ٣٢]، و{صُفْرٌ} [المرسلات : ٣٣]، وعلى الباء {ذِي ثَلَاثِ شُعْبٍ} [المرسلات : ٣٠]، و {اللَّهْبِ} [المرسلات : ٣١]^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة المرسلات»:

وردت هذه التسمية عند السلف، وسميت بذلك في المصاحف وكتب التفسير، وذلك لافتتاحها بالقسم الإلهي بالمرسلات وهي الرياح كما قال تعالى: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١)} [المرسلات : ١]. كما سميت السورة «والمرسلات»، بإضافة واو القسم إليها، كما عند الطبري في تفسيره.

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: «سورة والمرسلات عرفاً»:

وردت هذه التسمية في عهد الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم-، كما عند ابن مسعود^(٣)، وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت فيها، قال تعالى: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١)} [المرسلات : ١].

■ الاسم الثاني: «سورة العرف»:

وردت هذه التسمية دون إسناد عند البقاعي^(٤)، وشهاب الدين الخفاجي^(٥)، والألوسي^(٦)، والقاسمي^(٧). ولعلهم سموها بلفظ وقع في أولها وهو مأخوذ من قوله تعالى: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا} [المرسلات : ١]. وهذا الاسم والذي قبله هما اجتهاديان لم يثبتا عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، في خبر صحيح.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها مدنيّة كلها، قاله ابن عباس^(٨). وحكاها ابن الجوزي عن الجمهور^(٩).

الثاني: أن فيها آية مدنيّة، وهي قوله عزّ وجلّ: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ} [المرسلات : ٤٨]. حكي هذا القول عن ابن عباس^(١٠)، وقتادة^(١١)، ومقاتل^(١٢).

قال ابن عاشور: "هي مكية عند جمهور المفسرين من السلف، وذلك ظاهر حديث ابن مسعود المذكور آنفاً^(١٣)، وهو يقتضي أنها من أوائل سور القرآن نزولاً لأنها نزلت والنبي صلى الله عليه وسلم

(١) انظر: التفسير الوسيط للطنطاوي: ٢٣١/١٥.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٥/١.

(٣) انظر: صحيح البخاري (١٨٣٠): ص ١٤/٣. كما سيأتي في فضائل السورة.

(٤) انظر: مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ: ١٤٦/٣.

(٥) انظر: حَاشِيَةُ الشَّهَابِ عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضَاوِيِّ، المُسَمَّاةُ: عِنَايَةُ القَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاغِبِ عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضَاوِيِّ: ٢٩٤/٨.

(٦) انظر: روح المعاني: ١٨٧/١٥.

(٧) انظر: محاسن التأويل: ٣٨١/٩.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٣٨٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٩) انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٤.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٤.

(١١) انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٤.

(١٢) انظر: الكشف والبيان: ١١١/١٠-١١٢، وزاد المسير: ٣٨٢/٤.

(١٣) سوف يأتي في فضائل السورة.

مختلف في غار بمنى مع بعض أصحابه.. عن ابن عباس وقتادة: أن آية {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ} [المرسلات: ٤٨] مدنية نزلت في المنافقين، ومحمل ذلك أنه تأويل ممن رواه عنه نظرا إلى أن الكفار الصرحاء لا يؤمرون بالصلاة، وليس في ذلك حجة لكون الآية مدنية فإن الضمير في قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ} [المرسلات: ٤٨] وارد على طريقة الضمائر قبله وكلها عائدة إلى الكفار وهم المشركون. ومعنى «قيل لهم اركعوا»: كناية عن أن يقال لهم: أسلموا. ونظيره قوله تعالى: {وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} [القلم: ٤٣]، فهي في المشركين وقوله: {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} [المدثر: ٤٣] إلى قوله: {وَكُنَّا نُكذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المدثر: ٤٦]^(١).

وقال مقاتل: "نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نحني فإنها مسبة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»"^(٢). قال ابن عاشور: "وهذا أيضا أضعف، وإذا صح ذلك فإنما أراد مقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم الآية"^(٣).

مناسبة السورة لما قبلها:

من مناسبتها لما قبلها:

١- أن الله قد ذكر في آخر سورة الإنسان ظرفًا من تهديد الكفار بالعذاب في الآخرة: {إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا} [الإنسان: ٢٧]، وأتى في أول سورة «المرسلات» بمزيد من الوعيد والعذاب للكفار حتى استغرق هذا أكثر السورة، وذلك من أولها إلى الآية الأربعين، فكأن هذه الآيات من سورة «المرسلات» امتداد لآخر سورة الإنسان.

٢- أن سورة «الإنسان» قد ضم أكثرها جزاء المحسنين بدءًا من الآية الخامسة: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ نَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} [الإنسان: ٥]، إلى الآية الثانية والعشرين: {إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا} [الإنسان: ٢٢]، وفي سورة «المرسلات» جاء ذكر ثواب المتقين في صورة جملة: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} [المرسلات: ٤١]، فالسورتان تلتقيان في وعد المؤمنين ووعيد الكافرين.^(٤)

■ أغراض السورة ومقاصدها

تتمثل مقاصد سورة المرسلات الإجمالية في الدلالة على آخرة الإنسان من إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم، في يوم الفصل بعد جمع الأجساد وإحياء العباد عندما يطوى هذا الوجود ويغير العالم المعهود بما له سبحانه من القدرة على إنبات النبات وإنشاء الأقوات وإنزال العلوم وإيساع الفهم لإحياء الأرواح بأسباب خفية وعلل مرئية وغير مرئية، وتطوير الإنسان في أطوار الأسنان، وإيداع

(١) التحرير والتنوير: ٤١٨/٢٩.

(٢) الحديث بهذا اللفظ نقلًا عن: الكشف والبيان: ١١١/١٠-١١٢.

والحديث ضعيف. أخرجه أبو داود ٣٠٢٦ وأحمد (١٧٩١٣): ص ٤٣٨/٢٩، من حديث عثمان بن أبي العاص وليس فيه سبب نزول، وحسن إسناده الأرنؤوط في «جامع الأصول» ٦١٧٥. وخالفه الألباني فذكره في ضعيف أبي داود ٦٥٢ و «الضعيفة» ٤٣١٩ وعلته عنعنه الحسن، وهو مدلس.

(٣) التحرير والتنوير: ٤١٩/٢٩.

ونص الحديث:

عن عثمان بن أبي العاص، أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم، فاشتروا على النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحشروا، ولا يعشروا، ولا يجبوا، ولا يستعمل عليهم غيرهم، قال: فقال: "إن لكم أن لا تحشروا، ولا تعشروا، ولا يستعمل عليكم غيركم". وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا خير في دين لا ركوع فيه"

(٤) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٧٢١/١٠.

الإيمان فيما يرضى من الأبدان، وإيجاد الكفران في أهل الخيبة والخسران، مع اشتراك الكل في أساليب هذا القرآن، الذي عجز الإنس والجان، عن الإتيان بمثل آية منه على كثرتهم ومهما تطاول الزمان. وقد جاءت مقاصد سورة المرسلات تفصيلاً كالتالي:

١- استهلال السورة بالقسم العظيم من الله تعالى بملائكة العذاب التي يرسلها الله على الكافرين، وريح العذاب التي يرسلها على العصاة، وعندما يقسم الله بأحد مخلوقاته فإن ذلك تعظيماً لشأنه ونظراً لأهمية المهمة التي أوكلاها الله إليه، بينما لا يجوز للعباد القسم بغير الله تعالى.

٢- تذكير الإنسان بأصله وفي ذلك رسالة فحواها على الإنسان أن يؤمن بقدره الله تعالى على إحيائه بعد موته ومجازاته على ما ارتكب، لأنه خلقه ابتداء من العدم، والقادر على البدء بالطبع يكون أقدر على الإعادة.

٣- بيان قدرة الله -سبحانه وتعالى- في خلق الأرض شاملة جميع الأحياء والأموات، وما خلق الله -سبحانه وتعالى- من جبال، وخلق الماء الذي هو أصل الحياة.

٤- تصوير الأهوال التي ستحل على الكون يوم القيامة، والحديث عن العديد من التغيرات التي ستطرأ على السماوات وما فيها وعلى الأرض وما فيها.

٥- تحذير المكذبين بالرسالات ومن ينكرون البعث والجزاء بعد الموت، وذلك من خلال استعراض مصير المجرمين وما ينتظرهم من العقاب والنكال في جهنم.

٦- توبيخ الكافرين على التكذيب والإجرام.

٧- الترغيب في الإيمان والتقوى، حيث تتحدث الآيات عن حال المؤمنين وما أعده الله لهم من التنعيم والتكريم في جنات الخلد.

قال الفيروز آبادي: "معظم مقصود السورة: القسم بوقوع القيامة، والخبر عن إهلاك القرون، الماضية، والمنة على الخلائق بإيجادهم في الابتداء، وإدخال الأجانب في النار، وصعوبة عقوبة الحق إياهم وأنواع كرامة المؤمنين في الجنة، والشكاية عن الكفار بإعراضهم عن القرآن في قوله: {قَبَائِلُ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [المرسلات : ٥٠]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة كلها لم يدخلها ناسخ ولا منسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن عبد الله رضي الله عنه، قال: بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى، إذ نزل عليه: «والمرسلات» وإنه ليتلوها، وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اقتلوها»، فابتدرناها، فذهبت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وقيت شركم كما وقيت شرها»^(٣).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٥/١.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٣.

(٣) صحيح البخاري (١٨٣٠): ص ١٤/٣، وصحيح مسلم (٢٢٣٤): ٤/١٧٥٥.

- عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: يا رسول الله قد شيبت! قال: قال رسول الله: "شيبتي «هود»، و«الواقعة»، و«المرسلات»، و«عم يتساءلون»، و«إذا الشمس كورت»" (١).
- عن ابن عباس قال: "إن أم الفضل بنت الحارث، سمعته وهو يقرأ {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا}، فقالت: يا بني لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة. إنها لآخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب" (٢).
- روى الأسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود: "قرأت «وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا» على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن نسير" (٣).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة والمرسلات كتب أنه ليس من المشركين» (٤). [موضوع]

(١) أخرجه الترمذي وحسنه في (كتاب التفسير - سورة الواقعة) والحاكم في المستدرک (٣٤٣ / ٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣٥٧ / ١) والبغوي في شرح السنة (٣٧٢ / ١٤) وفي التفسير، كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه أيضا الطبراني في الكبير (١٠٠٩١)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في "زوائد الزهد" (٩)، والمروزي في "مسند أبي بكر" (٣٠ - ٣٢)، وابن سعد في الطبقات (٤٣٦ / ١)، وابن عساكر (١٧٣، ١٧٢ / ٤) والحديث غير ثابت وعلله أكثر الأئمة، وانظر علل الدارقطني (١٩٣ / ١ - ٢١١)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر (٧٧٤ - ٧٧٦)، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٢) صحيح مسلم (٤٦٢): ص ٣٣٨/١.

(٣) انظر: الكشف والبيان: ١٠٨/١٠.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠٨/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٢٧/١٠. [حديث موضوع، وقد نبه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «النبأ»

«سورة النبأ» هي السورة الثامنة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة المعارج»، وآياتها إحدى وأربعون في عد المكي والبصري، وأربعون في عد الباقيين. وكلماتها مائة وثلاث وسبعون. وحروفها ثمانمائة وست عشرة. المختلف فيها آية: {عَدَابًا قَرِيبًا} [النبأ : ٤٠]. فواصل آياتها: «منا» وعلى الميم آية: {العَظِيم} [النبأ : ٢] (١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة النبأ»:

سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وكتب التفسير (٢)، وكتب التفسير السنة «سورة النبأ» لوقوع كلمة «النبأ» في مقدمتها: {عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ} [النبأ : ٢].

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: «سورة عم يتساءلون»:

سميت في بعض المصاحف وفي «صحيح البخاري» (٣)، وفي «تفسير الطبري» (٤)، «وتفسير ابن أبي زمنين» (٥)، «وتفسير ابن فورك» (٦)، و«الكشاف» (٧)، «سورة عم يتساءلون». وفي «تفسير القرطبي» سماها «سورة عم» (٨)، أي: بدون زيادة «يتساءلون» تسمية لها بأول جملة فيها.

■ الاسم الثاني: «سورة التساؤل»:

ووجه تسميتها بذلك، لوقوع «يتساءلون» في أولها: {يَتَسَاءَلُونَ} [النبأ : ١].

■ الاسم الثالث: «سورة المعصرات»:

وردت هذه التسمية في «المبسوط في القراءات العشر» للنيسابوري (٩)، وتفسير الطبرسي (١٠)، والألوسي (١١)، وعدّها السيوطي من بين أسماء السورة (١٢)، ووجه تسميتها وذلك لقوله تعالى فيها: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً تَجَاجًا} [النبأ : ١٤].

وهذه الأسماء الثلاثة اجتهاد المفسرين ولم تثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، في خبر صحيح، كما يرد عن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين- أثر في تسميتها.

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} بمكة" (١٣). وروي عن عبد الله بن الزبير مثله (١٤).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٧/١.

(٢) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ١٤٧/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٣٦/٣، والكشف والبيان للثعلبي: ١١٣/١٠، والنكت والعيون: ١٨٢/٦، وتفسير السمعاني: ١٣٥/٦، وتفسير البغوي: ١٩٩/٥، وزاد المسير: ٣٨٧/٤، وغيرها.

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٦٥/٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٨١/٢٤.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٨٢/٥.

(٦) انظر: تفسير ابن فورك: ١٢٥/٣.

(٧) انظر: الكشاف: ٦٨٣/٤.

(٨) انظر: تفسير القرطبي: ١٦٩/١٩.

(٩) انظر: المبسوط في القراءات العشر: ٢٩٥، ٤٥٨.

(١٠) انظر: مجمع البيان: ٣/٣٠.

(١١) انظر: روح المعاني: ٢٠١/١٥.

(١٢) انظر: الإتيان: ١٩٦/١.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٣٨٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٤) انظر: الدر المنثور: ٣٨٩/٨، وعزاه ابن مردويه.

قال هبة الله: "نزلت بمكة وهي من آخر المكي الأول، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- هاجر من غد يوم نزلت، والمكي الأول: ما نزل قبل الهجرة، والمكي الآخر: ما نزل بعد فتح مكة"^(١).

قال ابن عطية: "هي مكة بإجماع"^(٢).

قال ابن عاشور: "هي مكة بالاتفاق"^(٣).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

- ١- اشتمالها على إثبات القدرة على البعث الذي ذكر في السورة السالفة أن الكافرين كذبوا به.
- ٢- أن في هذه وما قبلها تأنيبا وتقريعا للمكذبين، فهناك قال: {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ} [المرسلات : ٢٠]، وهنا قال: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا} [النبأ : ٦].
- ٣- أن في كل منهما وصف الجنة والنار وما ينعم به المتقون، ويعذب به المكذبون.
- ٤- أن في هذه تفصيل ما أجمل في تلك عن يوم الفصل، فهناك قال: {لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلْتُمْ (١٢) {لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) } [المرسلات : ١٢-١٤]، وهنا قال: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا} [النبأ : ١٧]، إلى آخر السورة^(٤).

■ أغراض السورة ومقاصدها

وقد جاءت مقاصد سورة «النبأ» تفصيلاً كالتالي:

- ١- تبين أوائل آيات سورة النبأ قدرة الله على الخلق والبعث والحساب والحياة الذي سيعيشها الأنسان بعد الموت نتيجة لأعماله في الدنيا، وتشير الآيات أيضاً الى عظمة الخالق في جعل الأرض مهاداً من اجل المشي عليها وجعل الجبل أوتاداً من اجل ان تثبت الأرض وخلق الليل والنهار والشمس والمطر والنبات والجنات.
- ٢- والجزء الثاني من آيات سورة النبأ تبين ما سيحدث في يوم القيامة من تغير كبير في الكون والنفخ في الصور، كما تصف النار وما سيحدث للكافرين من عذاب اليم في يوم القيامة وخلودهم في النار.
- ٣- والجزء الاخير من آيات سورة النبأ يبين ما سيحدث للمؤمنين يوم القيامة وفوزهم بالجنة ورزقهم الأمن والسلام وحوار العين والحدائق متدللية العناقيد.
- ٤- وتبين سورة النبأ أيضاً ندم الكافرين على كفرهم وإرادتهم في ان يصبحوا ترباً من كثرة خوفهم من العذاب الذي ينتظرهم.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: ذكر القيامة، وخلق الأرض والسماء، وبيان نفع الغيث، وكيفية النشر والبعث، وعذاب العاصين، وثواب المطيعين من المؤمنين، وقيام الملائكة في القيامة مع المؤمنين، وتمنى الكفار المحال في قوله: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ : ٤٠]"^(٥).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ^(٦).

قال ابن عطية: "وليس فيها نسخ ولا حكم إلا ما قاله بعض الناس في قوله تعالى: {لَا يَتَّبِعُنَّ فِيهَا أَحْقَابًا} [النبأ: ٢٣]، من أنه منسوخ، وهو قول خلف، لأن الأخبار لا تنسخ وإنما ذكرنا هذا القول تنبيهاً على فساده"^(٧).

(١) الناسخ والمنسوخ: ١٩٣.

(٢) المحرر الوجيز: ٤٢٣/٥.

(٣) التحرير والتنوير: ٥/٣٠.

(٤) انظر: تفسير المراعي: ٣/٣٠.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٧/١.

(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٣.

■ فضائل السورة:

- عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: يا رسول الله قد ثبت! قال: قال رسول الله: "شيبنتي «هود»، و«الواقعة»، و«المرسلات»، و«عم يتساءلون»، و«إذا الشمس كورت»^(٢).
- عن عبد العزيز بن قيس قال: "سألت أنسا عن مقدار صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فأمر أحد بنيه فصلى بنا الظهر والعصر فقرأ بنا: «المرسلات»، و«عم يتساءلون»^(٣).
- عن ابن عباس، رضي الله عنهما: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين بـ {عم يتساءلون} ، و {والشمس وضحاها}^(٤).
- عن أبي إسحاق، عن علقمة والأسود، قالوا: "أتى ابن مسعود رجل فقال: إني أقرأ المفضل في ركعة، فقال: أهدأ كهذا الشعر ونثراً كنثر الدقل؟ لكن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ النطائر السورتين في ركعة، «الرحمن، والنجم» في ركعة، و«اقتربت، والحاقة» في ركعة، و«الطور، والذاريات» في ركعة، و«إذا وقعت، ونون» في ركعة، و«سأل سائل، والنازعات» في ركعة، و«ويل للمطففين، وعيس» في ركعة، و«المدثر، والمزمل» في ركعة، و«هل أتى، ولا أقسم بيوم القيامة» في ركعة، و«عم يتساءلون، والمرسلات» في ركعة، و«الدخان، وإذا الشمس كورت» في ركعة^(٥).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ «عم يتساءلون»، سقاه الله سبحانه وتعالى برد الشراب يوم القيامة»^(٦). [موضوع]

(١) المحرر الوجيز: ٤٢٣/٥.

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه في (كتاب التفسير - سورة الواقعة) والحاكم في المستدرک (٣٤٣ / ٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣٥٧ / ١) والبغوي في شرح السنة (٣٧٢ / ١٤) وفي التفسير، كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه أيضا الطبراني في الكبير (١٠٠٩١)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في "زوائد الزهد" (٩)، والمروزي في "مسند أبي بكر" (٣٠ - ٣٢)، وابن سعد في الطبقات (٤٣٦ / ١)، وابن عساکر (١٧٣، ١٧٢ / ٤) والحديث غير ثابت وعلة أكثر الأئمة، وانظر علل الدارقطني (١٩٣ / ١ - ٢١١)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر (٧٧٤ - ٧٧٦)، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٣) الدر المنثور: ٣٨٩/٨، وعزاه إلى البيهقي في سننه.

(٤) مسند البزاز (٤٨٠٨): ص ٩٥/١١.

(٥) سنن أبي داود (١٣٩٦): ص ٥٤٣/٢، وأخرجه البخاري (٧٧٥) و (٤٩٩٦) و (٥٠٤٣)، ومسلم (٨٢٢)، والترمذي (٦٠٨)، والنسائي في "الكبرى" (١٠٧٨ - ١٠٧٩) من طريق أبي وائل شقيق بن سلمة، والنسائي (١٠٨٠) من طريق مسروق بن الأجدع، كلاهما عن عبد الله بن مسعود، بهذا الإسناد. ولم يذكروا أسماء السور تفصيلاً. وهو في "مسند أحمد" (٣٩٥٨) و (٣٩٦٨)، و"صحيح ابن حبان" (١٨١٣).

(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١١٣/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٣٧/١٠. [حديث موضوع، وقد نبه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «النازعات»

«سورة النازعات» هي السورة التاسعة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد سورة «النبأ»، آياتها ست وأربعون في عد الكوفة، وخمس عند الباقيين. وكلماتها مائة وتسع وسبعون. وحروفها سبعمائة وثلاث وخمسون. المختلف فيها اثنتان: {وَلِأَنْعَامِكُمْ} [النازعات : ٣٣]، {طَغَى} [النازعات : ٣٧]. فواصل آياتها: «هم»، على الميم آية واحدة: وَلِأَنْعَامِكُمْ} [النازعات : ٣٣]^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة النازعات»:

سميت في المصاحف وأكثر التفاسير «سورة النازعات» بإضافة سورة إلى النازعات بدون واو، وجعل لفظ «النازعات» علماً عليها لأنه لم يذكر في غيرها. وعنونت في كتاب التفسير في «صحيح البخاري»^(٢)، وفي كثير من كتب المفسرين بسورة «والنازعات» بإثبات الواو على حكاية أول ألفاظها^(٣).

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: «سورة الساهرة»:

ذكر سعد الله الشهير بسعدي^(٤) والخفاجي^(٥): إنها تسمى «سورة الساهرة»، وورد هذا الاسم عند السخاوي في "جمال القراء"^(٦) -أيضاً- والشوكاني في تفسيره^(٧)، والألوسي في تفسيره^(٨)، والقاسمي في تفسيره^(٩)، وهذه التسمية لوقوع لفظ «الساهرة» في آثائها، قال تعالى: {فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النازعات : ٤١]، وهذا اللفظ لم يقع في غيرها من السور.

■ الاسم الثاني: «سورة الطامة»:

وذكر سعدي والخفاجي-أيضاً-: إنها تسمى: «سورة الطامة»، وسماه بذلك السخاوي^(١٠)، والألوسي في تفسيره^(١١)، والقاسمي في تفسيره^(١٢)، ووجه تسميتها بذلك لوقوع لفظ «الطامة» فيها، ولم يقع في غيرها، قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى} [النازعات : ٣٤].

■ الاسم الثالث: «سورة المدبرات»:

قال ابن عاشور: "ورأيت في مصحف مكتوب بخط تونسي عنون اسمها «سورة فالمدبرات» وهو غريب، لوقوع لفظ المدبرات فيها ولم يقع في غيرها"^(١٣). وهذه الأسماء الثلاثة اجتهاد المفسرين ولم تثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، في خبر صحيح، كما لم يرد عن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين- أثر في تسميتها.

■ مكية السورة ومدنيتها:

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٩/١.

(٢) انظر: صحيح البخاري: ٣٨٩/٦.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٥٩/٣٠.

(٤) نقلاً عن: التحرير والتنوير: ٥٩/٣٠.

(٥) انظر: حاشية الشَّهاب على تفسير البيضاوي، المُسمَّاة: عناية القَاضِي وكفاية الرَّاغِبِي على تفسير البيضاوي: ٣١١/٨، و التحرير والتنوير: ٥٩/٣٠.

(٦) انظر: جمال القراء: ٩٢.

(٧) انظر: فتح القدير: ٤٤٩/٥.

(٨) انظر: روح المعاني: ٢٢٣/١٥.

(٩) انظر: محاسن التأويل: ٣٩٥/٩.

(١٠) انظر: جمال القراء: ٩٢.

(١١) انظر: روح المعاني: ٢٢٣/١٥.

(١٢) انظر: محاسن التأويل: ٣٩٥/٩.

(١٣) التحرير والتنوير: ٥٩/٣٠.

عن ابن عباس قال: "نزلت «سورة النازعات»، بمكة"^(١). وروي عن عبد الله بن الزبير مثله^(٢).
قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع من المتأولين"^(٣).
قال ابن الجوزي: "مكية كلها بإجماعهم"^(٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها أنه هناك أُنذر بالعذاب يوم القيامة- وهنا أقسم على أن البعث حق لا ريب فيه^(٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تتمثل مقاصد سورة النازعات الإجمالية في بيان أواخر أمر الإنسان بالإقسام على بعث الأنام، ووقوع القيام يوم الزحام وزلزل الأقدام، بعد البيان التام فيما مضى من هذه السور العظام، تنبيهها على أنه وصل الأمر في الظهور إلى مقام ليس بعده مقام، وصور ذلك بنزع الأرواح بأيدي الملائكة الكرام، ثم أمر فرعون اللعين وموسى عليه السلام، واسمها «النازعات» واضح في ذلك المرام، إذا تؤمل القسم وجوابه المعلوم للأئمة الأعلام، وكذا «الساهرة» و«الطامة» إذا تؤمل السياق، وحصل التدبير في تقرير الوفاق.

يمكن تفصيل مقاصد سورة النازعات بحسب ترتيبها على النحو التالي:

١- تبدأ سورة النازعات في مطلع مخيف، يرهب به الله تعالى الكافرين ويصور الأهوال التي ستحدث يوم القيامة، ويصف شدة تلك الأهوال التي سيعاني منها المجرمون والكافرون، قال تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)} [النازعات : ٦ - ٩].

٢- تعرض آيات سورة النازعات النهائية المخزية والمؤسفة التي ستلحق بالكافرين عندما تعرض إحدى الجوانب من قصة موسى -عليه السلام- وفرعون، قال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) قُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَحْسَبِي (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى (٢٢)} [النازعات : ١٥ - ٢٢] ، وقد بينت الآيات كيف جعل الله منهم عظة وعبرة لكل العالمين.

٣- ومن مقاصد سورة النازعات تصوير هذا الكون الهائل بما فيه من مخلوقات أبدع الله تعالى صنعها، وجعلها دلائل على قدرته، وعلامات على عظيم خلقه، قال تعالى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠)} [النازعات : ٢٧ - ٣٠].

٤- تتناول الآيات بعد ذلك الحديث عن مجيء يوم القيامة العظيم الذي سيجزى فيه كل إنسان بما عمل، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَأَتَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)} [النازعات : ٣٧ - ٤١].

(١) انظر: الدر المنثور: ٤٠٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٠٣/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٣) المحرر الوجيز: ٤٣٠/٥.

(٤) زاد المسير: ٣٩٣/٤.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ٣/٣٠.

٥- وفي النهاية تشير إلى ميعاد الساعة التي كان المشركون يلحون في السؤال عن موعدها، قال تعالى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النازعات : ٤٦] ، فيؤكد الله أن علمها عند الله وحده وعندما يأتي موعدها سيذهل الكافرون بقدمها على حين غرة.
قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: القسم بنفخة الصور، وكيفية البعث والنشور، وإرسال موسى إلى فرعون، والمنة بخلق السماء والأرض، وتحقيق هول القيامة، وبيان حال من آثر الدنيا، والخبر من حال أهل الخوف، واستعجال الكافرين بالقيامة، وتعجبهم منها في حال البعث في قوله: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا} [النازعات : ٤٦] إلى آخرها"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن ابن عباس، قال: إذا عسر على المرأة ولدها، فيكتب هاتين الآيتين والكلمات في صفحة ثم تغسل فتسقى منها: «بِسْمِ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النازعات: ٤٦]، {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ} [الأحقاف: ٣٥]"^(٣).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من قرأ سورة النازعات كان حبسه في القبر وفي يوم القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة»^(٤). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٩/١.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٣، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٩/١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢٣٥٠٨): ص ٣٩/٥، وعمل اليوم والليلة لابن السني (٦١٩): ص ٥٧٦. باختلاف في الألفاظ.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٦٢/١٣، وانظر: فضائل القرآن للمستغفري (١٢٤٦): ص ٧٨٨/٢. [موضوع]

سورة «عبس»

«سورة عبس» هي السورة الثمانون بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثانية من المجموعة التاسعة من قسم المفصل، بعد سورة «النجم» وقبل سورة «القدر»، فهي تعتبر السورة الثالثة والعشرون في ترتيب النزول، وآياتها ثنتان وأربعون في الحجاز، والكوفة، وواحدة في البصرة، وأربعون في الشام. وكلماتها مائتان وثلاث وثلاثون. وحروفها خمسمائة وثلاث وثلاثون. والمختلف فيها من الآي ثلاث: {وَلْيَأْخُذْكُمْ} [عبس : ٣٢]، {طَعَامِهِ} [عبس : ٢٤]، {الصَّاحَّةُ} [عبس : ٣٣]. فواصل آياتها «هما»، وعلى الميم آية: {وَلْيَأْخُذْكُمْ} [عبس : ٣٢].^(١)

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة عبس»:

سميت هذه الصورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة «سورة عبس»، ووجه تسميتها لافتتاحها بهذا الوصف البشري وهو عتاب للنبي-صلى الله عليه وسلم- على عبوسه في وجه الأعمى، قال تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)} [عبس : ١ - ٢].

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: «سورة السفرة»:

وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن^(٢)، ووجه تسميتها، أنها وقعت فيها هذه اللفظة وهي في قوله تعالى: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)} [عبس : ١٥ - ١٦].

■ الاسم الثاني: «سورة الصاخة»:

سماها بهذا الاسم الخفاجي في حاشيته^(٣)، كما ذكرها الألوسي في تفسيره^(٤)، والقاسمي^(٥)، والبقاعي^(٦). ولعل سبب تسميتها بسورة «الصاخة»، لأن هذه اللفظة وردت فيها في قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ} [عبس : ٣٣]، ولم ترد في غيرها من سور القرآن الكريم.

■ الاسم الثالث: «سورة الأعمى»:

ابن الهائم في «التبيان»^(٧)، والألوسي في «تفسيره»^(٨)، وقال أنها "سميت في غير كتاب سورة الأعمى"^(٩)، ولم يفصل في كلامه.

وقال ابن عاشور: "في «أحكام ابن العربي» عنونها «سورة ابن أم مكتوم». ولم أر هذا لغيره"^(١٠).

وكل ذلك تسمية بألفاظ وقعت فيها لم تقع في غيرها من السور أو بصاحب القصة التي كانت سبب نزولها، وهي أسماء من اجتهاد المفسرين ولم تثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، في خبر صحيح، كما لم يرد عن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين- أثر في تسميتها.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.

(٢) انظر: مثلاً: تفسير الطبرسي: ٣٢/٣٠، والجمل: ٤٨٦/٤، وفتح القدير للشوكاني: ٥٣٨/٥، وروح المعاني: ٢٤١/١٥، وجمال القراء: ٩٢، وسماها العيني في "عمدة القاري: ١٣٨/١٦.

(٣) انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسمَّاة: عناية القاضي وكفاية الرضى على تفسير البيضاوي: ٣١٩/٨.

(٤) انظر: روح المعاني: ٢٤١/١٥.

(٥) .

(٦) انظر: روح المعاني: ٢٤١/١٥.

(٧) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن: ٣٣٥.

(٨) انظر: روح المعاني: ٢٤١/١٥.

(٩) روح المعاني: ٢٤١/١٥.

(١٠) التحرير والتنوير: ١٠١/٣٠.

■ **مكية السورة ومدنيتها:**

- عن ابن عباس قال: " نزلت سورة عبس بمكة"^(١). وروي عن عبد الله بن الزبير مثله^(٢).
قال ابن عطية: " هي مكية بإجماع المفسرين"^(٣).
قال ابن الجوزي: " هي مكّية كلها بإجماعهم"^(٤).

■ **مناسبة السورة لما قبلها:**

- ومناسبتها- لما قبلها- أنه هناك أنه منذر من يخشاها- وذكر هنا من ينفعه الإنذار^(٥).

■ **أغراض السورة ومقاصدها**

تتمثل مقاصد سورة عبس الإجمالية في التأكيد على أن المراد الأعظم هو تركية القابل للخشية بالتخويف بالقيامة التي قام الدليل على القدرة عليها بابتداء خلق الإنسان، وبكل من الابتداء والإعادة لطعامه والتعجيب ممن أعرض مع قيام الدليل، والإشارة إلى أن الاستغناء والترف أماراة الإعراض وعدم القابلية والتهيؤ للكفر والفجور، وإلى أن المصائب أماراة للطهارة والإقبال واستكانة القلوب وسمو النفوس لشريف الأعمال، فكل من كان فيها أرسخ كان قلبه أرق وألطف فكان أخشى، فكان الإقبال عليه أحب وأولى، واسمها {عبس} هو الدال على ذلك بتأمل آياته وتدبر فواصله وغاياته.

١- عتاب الله تعالى لحبيبه المصطفى وخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، لتذكيره بالمساواة بين المسلمين في الدعوة إليه، ولا فرق بين أجناسهم وألوانهم ومكانتهم فكلهم سواء في الإسلام.

٢- اللطف مع الآخرين وإن كانوا يستحقون الزجر وأسلوب التأديب، فلا يجوز مقابلة ذلك بالجفاء.

٣- عمى البصر ليس العمى الحقيقي وإنما يكون العمى الحقيقي هو عمى البصيرة، وهو النور الذي يمنحه الله تعالى للمؤمن في قلبه فيميّز الحق من الباطل.

٤- الاهتمام بمن اهتدى والحرص عليه وذلك بتعليمه، وعدم الانشغال مع الذين لا يرغبون دعوة الله تعالى.

٥- آيات الله تعالى فيها العظة والعبرة للإنسان، فهي سهلة واضحة الفهم لإدراك العقل وبذلك عليه أن يختار طريق الحق فيرحمه الله ويدخله جناته، أو يختار طريق الضلال فيلعنه الله ويدخله النار، وقد اشتملت السورة على عرض نعم الله على الإنسان كالأشجار والغابات وأنواع الفواكه المختلفة كالزيتون والنخل، بالإضافة إلى إعطائه القوة وإخراج الماء، وهذا ما يحتاجه الإنسان في حياته وينتفع به، فنعمة الله عليه لا تُعدّ ولا تُحصى.

٦- استعراض أهوال يوم القيامة، وفيها يخاف الإنسان ويفزع من أهوالها ويخاف لقاءه لهذا اليوم، ينقسم الناس يوم القيامة إلى فريقين: المؤمنون السعداء الذين تكون وجوههم مشرقةً ونيرةً من طيب أعمالهم الصالحة، فيجازيهم الله تعالى الجنة حيث النعيم الأبدي، أما الفريق الآخر فهم الكافرون الأشقياء وتكون وجوههم مسودةً يوم القيامة لسوء ما بشروا به يوم القيامة بسبب كفرهم وعصيانهم في الدنيا فجزاؤهم نار جهنم خالدين فيها.

(١) انظر: الدر المنثور: ٤١٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٤١٥/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٣) المحرر الوجيز: ٤٣٦/٥.

(٤) زاد المسير: ٣٩٩/٤.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ٣٨/٣٠.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان حال الأعمى، وذكر شرف القرآن، والشكاية من أذى جهل، وإنكاره البعث والقيامة، وإقامة البرهان من حال النبات على البعث، وإحياء الموتى، وشغل الخلق في العرصات، وتفاوت حال أهل الدرجات والدركات، في قوله: {وَجُودٌ} [عبس : ٣٨]، إلى آخرها"^(١).

■ **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية واحدة: {فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ} [عبس : ١٢]، نسختها آية السيف^(٢).
قال هبة الله: "هي إحدى السور السبع عشرة المختلف في تنزيلهن وهي محكمة إلا آية واحدة وهي قوله تعالى {كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ}، هذا مُحْكَمٌ وَالْمَنْسُوخُ مِنْهَا: {فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ}، نسخ ذلك بقوله تعالى {وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}"^(٣).

■ **فضائل السورة:**

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة عَبَسَ وَتَوَلَّى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر»^(٤). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.

(٢) انظر: صائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.

(٣) الناسخ والمنسوخ: ١٩٤.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٠/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٦٣/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «التكوير»

«سورة التكوير» هي السورة الحادية والثمانون بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثالثة من المجموعة التاسعة من قسم المفصل، وهي معدودة السابعة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة «الفتح» وقبل سورة «الأعلى»^(١)، وآياتها تسع وعشرون في عد الجميع، وثمان في عد أبي جعفر، أسقط أبو جعفر: {قَائِنٌ تَدْبُهُونَ} [التكوير : ٢٦]، وكلماتها مائة وأربعون. وحروفها خمسمائة وثلاث وثلاثون. فواصل آياتها: «تسنم»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولا:- أسماؤها التوقيفية:

١- «سورة التكوير»:

أكثر التفاسير يسمونها «سورة التكوير»^(٣)، وكذلك تسميتها في المصاحف وهو اختصار لمدلول «كورت»، ولم يعدها في «الإتقان» مع السور التي لها أكثر من اسم.

٢- «سورة إذا الشمس كورت»:

وردت هذه التسمية عند النبي-صلى الله عليه وسلم-^(٤)، والصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-^(٥)، وبهذا الاسم عنون لها الطبري في "تفسيره"^(٦)، كما ترجم لها البخاري في "صحيحه"^(٧)، والترمذي في "جامعه"^(٨)، والحاكم في "مستدركه"^(٩)، وسميت بهذا الاسم تسمية لها بأول آية افتتحت بها السورة، وهي قوله تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير : ١].

ثانيا:- اسمها الاجتهادي: «سورة كورت»:

وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن^(١٠)، وتسمى «سورة كورت» تسمية بحكاية لفظ وقع فيها، وهذه التسمية من اجتهاد العلماء، لم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبتها كاسم توقفي.

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة {إذا الشمس كورت} بمكة"^(١١). وروي عن عائشة^(١٢)، وابن الزبير^(١٣) مثله.

(١) انظر: التحرير والتنوير: ١٣٩/٣٠.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.

(٣) انظر: مثلا: بحر العلوم "تفسير السمرقندي": ٥٥٠/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٠٠/٥، والكشف والبيان للتعليبي: ١٣٦/١٠، والنكت والعيون: ٢١١/٦، والوسيط للواحدي: ٤٢٧/٤، وتفسير البيهقي: ٣٤٢/٨، والكشاف: ٧٠٦/٤، والمحرم الوجيز: ٧١٢/٤، وزاد المسير: ٤٠٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٦٣/٣١، وتفسير القرطبي: ٢٢٦/١٩، وغيرها.

(٤) انظر: فضائل السورة.

(٥) انظر: الأثر في مكان نزول السورة.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٤.

(٧) انظر: صحيح البخاري: كتاب التفسير: ٣٩١/٦.

(٨) انظر: سنن الترمذي: كتاب التفسير: ٤٣٣/٥.

(٩) انظر: المستدرک على الصحيحين: كتاب التفسير: ٥٦٠/٢.

(١٠) انظر مثلا: السبعة في القراءات: ٦٧٣/١، وتأويلات أهل السنة: ٤٣٠/١٠، وياقوتة الصراط: ٥٥٧، ومعاني القرآن للأزهري: ١٢٣/٣، والحج للقرء السبعة: ٦٩/٧، والمبسوط في القراءات العشر: ٤٦٣، والمحتسب: ٣٥٣/٢، والهداية على بلوغ النهاية: ٨٠٧٣/١٢، والوجيز في شرح قراءات القراء الثمانية: ٣٧٤، وتفسير السمعاني: ١٦٤/٦، وإعراب القرآن للأصبهاني: ٥٠٠، وجمال القراء: ٣١٣/١، والبصائر: ٥٠٣/١، وتفسير المظهر: ٧/١٠، وروح المعاني: ٢٥٣/١٥، والتحرير والتنوير: ١٣٩/٣٠.

(١١) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع من المتأولين"^(٣).

قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(٤).

قال ابن عاشور: "هي مكية بالاتفاق"^(٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها -لما قبلها- أن كليهما تشرح أحوال يوم القيامة وأهوالها^(٦).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

١- اشتملت السورة على تحقيق الجزاء صريحا، وعلى إثبات البعث وابتدئ بوصف الأهوال التي تنتقده وانتقل إلى وصف أهوال تقع عقبه.

٢- التنويه بشأن القرآن الذي كذبوا به لأنه أوعدهم بالبعث زيادة لتحقيق وقوع البحث إذا رموا النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون والقرآن بأنه يأتيه به شيطان.

قال الفيروزآبادي: "مقصود السورة: بيان أحوال القيامة، وأهوالها، وذكر القسم بأن جبريل أمين

على الوحي، مكين عند ربه، وأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - لأمتهم ولا بخيل بقول الحق، وبيان

حقيقة المشيئة والإرادة في قوله: {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٩]"^(٧).

■ الناسخ والمنسوخ:

المنسوخ فيها آية واحدة: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير : ٢٨] نسخها الله تعالى بما يليها وهو

قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٩]"^(٨).

■ فضائل السورة:

- عن ابن عمر قال: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: «إذا الشمس كورت»، و«إذا السماء انفطرت»، و«إذا السماء انشقت»"^(٩).

- عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: يا رسول الله قد شئت! قال: قال رسول الله: "«شيبتي «هود»، و«الواقعة»، و«المرسلات»، و«عم يتساءلون»، و«إذا الشمس كورت»"^(١٠).

(١) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٣) المحرر الوجيز: ٤٤١/٥.

(٤) زاد المسير: ٤٠٥/٤.

(٥) التحرير والتنوير: ١٣٩/٣٠.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ٥٢/٣٠.

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٣/١.

(٨) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٥، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.

(٩) مسند احمد(٤٩٣٤): ص٥٢٨/٨، وسنن الترمذي(٣٣٣٣): ص٢٩٠/٥، والمستدرک للحاكم(٣٩٠٠)، وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

وفي رواية أحمد: " وأحسبه قال: «سورة هود»".

(١٠) أخرجه الترمذي وحسنه في (كتاب التفسير - سورة الواقعة) والحاكم في المستدرک (٣٤٣ / ٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في الدلائل (١ / ٣٥٧) والبغوي في شرح السنة (١٤ / ٣٧٢) وفي التفسير، كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه أيضا الطبراني في الكبير (١٠٠٩١)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في "زوائد الزهد" (٩)، والمروزي في "مسند أبي بكر" (٣٠ - ٣٢)، وابن سعد في الطبقات (١ / ٤٣٦)، وابن عساكر (٤ / ١٧٢، ١٧٣) والحديث غير ثابت وعمله أكثر الأئمة، وانظر علل الدارقطني (١ / ١٩٣ - ٢١١)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر (٢ / ٧٧٤ - ٧٧٦)، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ إذا الشمس كورت أعاده الله سبحانه وتعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته»^(١). [موضوع]

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٦/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٧٣/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الانفطار»

«سورة الانفطار»: هي السورة الثانية والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة النازعات»، وآياتها تسع عشرة. وكلماتها مائة. وحروفها ثلاثمائة وتسع عشرة. فواصل آياته (مكنه) . على الهاء آخر السورة^(١).

- أسماء السورة:
- أولاً:- أسماؤها التوقيفية:

٢- «سورة الانفطار»:

سميت هذه السورة «سورة الانفطار» في المصاحف ومعظم التفاسير^(٢)، ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بقوله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١)} [الانفطار : ١].

٣- سورة «إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ»:

وسميت في بعض التفاسير: «سورة إذا السماء انفطرت»^(٣)، ولم يعدها صاحب «الإتقان» مع السور ذات أكثر من اسم وهو «الانفطار»، ووجه التسمية وقوع جملة: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١)} [الانفطار : ١] في أولها فعرفت بها.

ثانياً:- اسمها الاجتهادي: «سورة انفطرت»:

وسميت في قليل من التفاسير «سورة انفطرت»^(٤)، وقيل: تسمى «سورة المنفطرة»^(٥)، أي: السماء المنفطرة.

وهذه التسمية من اجتهاد العلماء، لم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبتها كاسم توقيفي.

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس قال: " نزلت {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} بمكة"^(٦). وروي عن ابن الزبير^(٧) مثله.

قال ابن عطية: " هي مكية بإجماع"^(٨).

قال ابن الجوزي: " هي مكّية كلها بإجماعهم"^(٩).

قال ابن عاشور: " هي مكية بالاتفاق"^(١٠).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

هذه السورة الكريمة تتفق مع السورة التي قبلها وهي سورة التكوير في أن كلا منها تتحدث عمّا يصيب الكون من تغّير وتبدّل قبيل القيامة، ففي التكوير يأتي قوله تعالى: "إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ" إلى قوله -جل شأنه-: {وَإِذَا الْجِبَةُ أْزَلِقَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤)} [التكوير : ١٣ - ١٤]، وفي سورتنا هذه يجيء قوله -عز من قائل-: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار : ١]، إلى قوله تعالى: {وَإِذَا الْفُجُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٥/١.

(٢) انظر: مثلاً: تفسير الطبري: ٢٦٥/٢٤، ومعاني القرآن للزجاج: ٢٩٥/٥، وتأويلات أهل السنة: ٤٤٢/١٠، وبحر العلوم "تفسير السمرقندي": ٥٥٤/٣.. وغيرها..

(٣) انظر: مثلاً: تفسير الطبري: ٢٧٣/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٤٣٠/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٠٣/٥.

(٤) وردت هذه التسمية في تفسير السمعاني: ١٧٢/٦، وتفسير النيسابوري: ٤٥٧/٦، و حاشية الشَّهَابِ عَلَى تَفْسِيرِ النَّبِيَّاتِ، المُسَمَّاةُ: عَنَايَةُ الْقَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ: ٣٢٠/٨، وتفسير المظهري: ٨/١٠..

(٥) انظر: روح المعاني: ٦٢/٣٠.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٤٣٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٨) المحرر الوجيز: ٤٤٦/٥.

(٩) زاد المسير: ٤١٠/٤.

(١٠) التحرير والتنوير: ١٦٩/٣٠.

نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) { [الانفطار : ٤ - ٥]، فهدف السورتين يكاد يكون متفقاً على غرض واحد: وهو بيان ما يحدث قبيل يوم القيامة من أحوال عظام وأحداث جسام^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

١ - تحدثت السورة في أولها عما يحدث عند قيام الساعة من انفطار السماء وتشققها، وانتشار الكواكب وتفرقتها، وانتزاعها من أماكنها، وتفجير البحار وامتزاج مياهها وتفرقتها في جنبات الأرض، وإزالة ما بينهما من البرازخ والحواجز، ثم بعثرة القبور وإخراج ما فيها من الأموات وقد عادت لهم الحياة، وما يعقب ذلك من حشر وحساب وجزاء {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار : ١]، إلى قوله تعالى: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار : ٥].

٢ - ثم تذكر السورة الكريمة اغترار الإنسان وانخداعه بامهال الله وترك عقابه على ما يبدر منه من شرك ومعاص حيث لا يقر له بنعمة، ولا يعرف له سبحانه حقه في إفراجه بالوحدانية، بل يصير كنوداً جحوداً لنعم الله عليه: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبَّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)} [الانفطار : ٦ - ٨]، ثم يوضح ويبين - سبحانه - سبب هذا الجحود والكفران وأنه هو التكذيب وعدم الإقرار بيوم القيامة، أو بالإسلام فيقول: {كَلَّا بَلْ تُكَدِّبُونَ بِالذِّينِ} [الانفطار : ٩].

٣ - ثم بعد ذلك قسمت الناس إلى طائعين أبرار، وإلى عاصين فجار، وبينت مآل وعاقبة كل فريق منهم: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)} [الانفطار : ١٣ - ١٤].

٤ - وكانت نهاية السورة في عرض أهوال اليوم الآخر: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٨)} [الانفطار : ١٧ - ١٨]، ثم ختمت بأن الملك له وحده، وأن الأمر أمره، فليس لأحد في هذا اليوم حكم ولا أمر: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)} [الانفطار : ١٩]. قال ابن عاشور: "اشتملت هذه السورة على: إثبات البعث، وذكر أهوال تتقدمه، وإيقاظ المشركين للنظر في الأمور التي صرفتهم عن الاعتراف بتوحيد الله تعالى وعن النظر في دلائل وقوع البعث والجزاء. والأعلام بأن الأعمال محصاة. وبيان جزاء الأعمال خيرها وشرها. وإنذار الناس بأن لا يحسبوا شيئاً ينجيهم من جزاء الله إياهم على سييء أعمالهم"^(٢).

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: الخبر عن حال السماء ونجومها في آخر الزمان، وبيان غفلة الإنسان، وذكر الملائكة الموكلين بما يصدر من اللسان والأركان، وبيان إيجاد الحق - تعالى - الحكم يوم يحشر الإنس والجان"^(٣).

■ الناسخ والمنسوخ:

هي محكمة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ^(٤).

■ فضائل السورة:

- عن ابن عمر قال: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: «إذا الشمس كورت»، و«إذا السماء انفطرت»، و«إذا السماء انشقت»"^(٥).

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٠/١٨١٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/١٦٩-١٧٠.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/٥٠٥.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٥.

(٥) مسند احمد (٤٩٣٤): ص٥٢٨/٨، وسنن الترمذي (٣٣٣٣): ص٢٩٠/٥، والمستدرک للحاكم (٣٩٠٠)، وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

وفي رواية أحمد: " وأحسبه قال: «وسورة هود»".

- عن جابر، قال: مر رجل من الأنصار بناضحين على معاذ، وهو يصلي المغرب، فافتتح سورة البقرة، فصلى الرجل ثم ذهب، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «أفتان يا معاذ، أفتان يا معاذ، ألا قرأت بـ» سبح اسم ربك الأعلى« و«والشمس وضحاها» ونحوها»^(١).
- عن معمر، عن ثابت: «كان أنس يصلي بنا الظهر والعصر فربما أسمعنا من قراءته إذا السماء انفطرت، وسبح اسم ربك الأعلى»^(٢).
- عن إبراهيم قال: «كانوا يقرؤون في صلاة الفجر في السفر إذا السماء انفطرت، وهل أتاك حديث الغاشية»^(٣).
- عن العلاء، قال: حدثني رجل، قال: "كنت بمكة فلما صليت العشاء إذا رجل أمامي قد أحرم في نافلة فاستفتح {إذا السماء انفطرت} [الانفطار: ١] قال: فلم يزل فيها حتى نادى منادي السحر؟ فسألت عنه فقيل لي: هو سعيد بن جبير"^(٤).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ}، أعطاه الله سبحانه من الأجر بعدد كل قبر حسنة، وبعدد كل قطرة ماء حسنة، وأصلح الله له شأنه يوم القيامة»^(٥). [موضوع]

(١) السنن الكبرى للنسائي (١٠٥٨): ص ١٥/٢. [قال الألباني]: صحيح.

(٢) مصنف عبدالرزاق الصنعاني (٢٦٨٧): ص ١٠٦/٢.

(٣) مصنف عبدالرزاق الصنعاني (٢٧٤١): ص ١٢٠/٢.

(٤) فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ١٤٨.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٥/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٨٣/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «المطففين»

«سورة المطففين»: هي السورة الثالثة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد سورة العنكبوت، وهي آخر سورة نزلت بمكة، وآياتها ست وثلاثون. وكلماتها مائة وتسع. وحروفها أربعمائة وثلاثون. وفواصل آياتها «من»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- أسماؤها التوقيفية: «سورة المطففين»:

سميت في كثير من كتب التفسير والمصاحف «سورة المطففين»^(٢) اختصاراً، ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بقوله تعالى: {وَيْلٌٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين : ١].

ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

١-سورة «ويل للمطففين»:

سميت هذه السورة في كتب السنة وفي بعض التفاسير «سورة ويل للمطففين»^(٣)، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»^(٤)، والترمذي في «جامعه»^(٥)، ووجه تسميتها لافتتاح السورة بهذه الجملة: {وَيْلٌٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين : ١].

١-سورة «التطفيف»:

عنون بها بعض العلماء والمفسرين، كأبي عمرو الداني^(٦)، وعبدالقاهر الجرجاني^(٧)، والسخاوي^(٨)، وابن الهائم^(٩)، وغيرهم. وهذه التسمية من مرتبب بموضوع السورة، لأن «التطفيف»: "تنقيص يجور به صاحبه من كيل أو وزن"^(١٠)، وقد حذرت السورة من التطفيف في الكيل والوزن. وهاتان التسميتان: هما من اجتهاد العلماء، لم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبت ذلك.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة ثلاثة، أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها، قاله ابن مسعود^(١١)، وابن عباس^(١٢)، وابن زبير^(١٣)، والضحاك^(١٤)، ويحيى بن سلام^(١٥).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٦/١.

(٢) انظر: مثلاً تفسير الطبري: ٢٧٥/٢٤، وإعراب القرآن للزجاج: ٢٩٧/٥، وتأويلات أهل السنة: ٤٥٣/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٥٦/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٠٥/٥، والكشف والبيان: ١٤٩/١٠، والنكت والعيون: ٢٢٥/٦، والتفسير الوسيط للواحدي: ٤٤٠/٤، وتفسير السمعاني: ١٧٧/٦، والكشاف: ٧١٨/٤، والمحزر الوجيز: ٤٤٩/٥، وتفسير القرطبي: ٢٥٠/١٩، وغيرها.

(٣) انظر: مثلاً تفسير الطبري: ٣٠٥/٢٤، وتفسير ابن فورك: ١٧١/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨١١٣/١٢.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٦٧/٦.

(٥) انظر: سنن الترمذي: ٤٣٤/٥.

(٦) انظر: البيان في عدّ آي القرآن: ٢٦٧.

(٧) انظر: درج الدرر: ٦٩٤/٢.

(٨) انظر: جمال القراء: ٩٢.

(٩) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن: ٣٣٨.

(١٠) تفسير ابن فورك: ١٧٢/٣.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١٢) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه ابن مردويه.

(١٤) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١٥) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة «المطففين» بمكة"^(١). وروي عن ابن الزبير^(٢) مثله. وعن ابن عباس قال: "آخر ما أنزل بمكة سورة «المطففين»"^(٣). قال ابن عطية: "هي مكية في قول جماعة من المفسرين، واحتجوا لذكر الأساطير، وهذا على أن هذا تطفيف الكيل والوزن كان بمكة حسبما هو في كل أمة لا سيما مع كفرهم"^(٤). الثاني: مدنية، قاله ابن عباس-في الأصح عنه-^(٥)، والحسن^(٦)، وعكرمة^(٧)، وقتادة^(٨)، والسدي^(٩)، ومقاتل^(١٠)، إلا أن ابن عباس، وقتادة قالوا: "فيها ثمان آيات مكية، من قوله عزّ وجلّ: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} [المطففين : ٢٩]، إلى آخرها"^(١١). وقال مقاتل: فيها آية مكية، وهي قوله عزّ وجلّ: {إِذَا ثَلَّىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [المطففين : ١٣]^(١٢).

الثالث: أنها نزلت بين مكة، والمدينة، قاله جابر بن زيد^(١٣)، وابن السائب^(١٤). وذكر هبة الله بن سلامة المفسر أنها: "نزلت في الهجرة بين مكة والمدينة نصفها يقارب مكة ونصفها يقارب المدينة"^(١٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

من مناسبتها لما قبلها: أنها تنذر بالويل والثبور والعذاب بالنار في الآخرة، وتهدد الظالمين الذين ينتقصون حق غيرهم فهي تتلاقى مع السورة قبلها في وعيد المخالفين الضالين، كما أنها تبين ما أجملته سورة الانفطار من عذاب الفجار، وثواب الأبرار^(١٦).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

تتمثل مقاصد سورة المطففين الإجمالية في تأكيد عدل الله وميزانه الدقيق في محاسبة الناس على أعمالهم، وأنه لا بد من بعث العباد يوم القيامة ليحاسبوا، ويعطى كل صاحب حق حقه جزاءً وفاقاً على ما قدم من عمل في الدنيا، فلا بد من دينونة العباد يوم التناد بإسكان الأولياء أهل الرشاد دار النعيم، والأشقياء أهل الضلال والعناد غار الجحيم، ودل على ذلك الله تعالى بأنه مربيهم والمحسن إليهم بعموم النعمة، ولا يتخيل عاقل أن أحداً يربي أحداً من غير سؤال عما حمله إياه وكلفه به ولا أنه لا ينصف بعض من يربيهم من بعض، واسمها التطفيف أدل ما فيها على ذلك.

(١) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٣) الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.

(٤) المحرر الوجيز: ٤٤٩/٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٧/٢٤، وزاد المسير: ٤١٣/٤، والمحرر الوجيز: ٤٤٩/٥.

(٦) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(٧) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(٨) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(٩) انظر: الكشف والبيان: ١٥٠/١٠، والمحرر الوجيز: ٤٤٩/٥.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤، وفي تفسير مقاتل: ٦٢٢/٤، قال مقاتل: "نزلت هذه الآية في النصر ابن الحارث بن علقمة...؟".

(١٣) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١٤) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١٥) الناسخ والمنسوخ: ١٩٥.

(١٦) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٨٢٣/١٠.

جاءت مقاصد سورة المطففين التفصيلية كالتالي:

١- بدأت سورة المطففين بالتهديد والوعيد لكل الذين يطفون في الموازين ويتلاعبون بها، فينقصون حقوق الناس عند بيعهم ويأكلون ما حرم الله، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يُؤْمَرُ النَّاسُ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ [المطففين : ١ - ٦].

٢- وتشير الآيات بلهجة قاسية إلى العذاب والعقاب الذي أعده الله تعالى لأهل الكفر والشرك والمجرمين جميعاً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)﴾ [المطففين : ١٦ - ١٧]، وتذكر الويلات التي سيقاها في ذلك اليوم العسير.

٣- ومن مقاصد سورة المطففين أيضاً أنها تصف أحوال الأتقياء المؤمنين الذين سيكون جزاؤهم جنات تجري من تحتها الأنهار في نعيم مقيم عند من لا يضيع عنده مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ التَّابِرَاتِ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يُنْطَرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥)﴾ [المطففين : ٢٢ - ٢٥].

٤- وأما في آخر آيات فتنطوي سورة المطففين على المقارنة بين عاقبة كلا الفريقين، فريق الكفار الذين ستكون عاقبتهم الهلاك والخسران لأنهم كانوا يستهزؤون بالمؤمنين ويضحكون منهم، وفريق المؤمنين الذين سيضحكون في النهاية من أولئك المجرمين كما كانوا يضحكون منهم في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿قَالِيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين : ٣٤]، وهذا فضل من الله تعالى سيكرم به المؤمنين على صبرهم وإيمانهم في حياتهم الدنيا.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: تمام الكيل والميزان، والاحتراز عن البخس والنقصان، وذكر السجين لأهل العصيان، وذكر العليين لأهل الإيمان، ودلال المؤمنين والمطيعين في نعيم الجنان، وذل العصيان في عذاب النيران، ومكافأتهم على وفق الجرم والكفران في قوله: ﴿هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين : ٣٦]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة بتمامها، ليس فيها ناسخ ولا منسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن خثيم - يعني ابن عراك- عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة في وهي من قومه والنبي - صلى الله عليه وسلم - بخبير وقد استخلف سباع ابن عرفطة على المدينة قال: فانتهدت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى بـ«كهيعص»، وفي الثانية: «ويل للمطففين»، قال: فقلت لنفسي ويل لفلان، إذا اکتال اکتال بالوافي، وإذا قال قال بالناقص قال: فلما صلى زودنا شيئاً حتى أتينا خبير، وقد افتتح النبي -صلى الله عليه وسلم - خبير قال: فكلم رسول الله -صلى الله عليه وسلم - المسلمين فأشركونا في سهامهم"^(٣).

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة المطففين سقاه الله سبحانه من الرحيق المختوم يوم القيامة»^(٤). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٥/١.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٥.

(٣) مسند احمد (٨٥٣٣): ص ٣٤٧/٨. إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٩/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٨٩/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الانشقاق»

«سورة الانشقاق»: هي السورة الرابعة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الانفطار» وقبل «سورة الروم»، وآياتها ثلاث وعشرون عند الشامي والبصري، وخمس عند الباقرين. وكلماتها مائة وسبع. وحروفها أربعمائة وثلاث وثلاثون. والمختلف فيها اثنان {بيمينه} {وراء ظهره}. فواصل آياتها «قهرتمان»، على الراء: {يَحُور} [الانشقاق: ١٤]، وعلى الميم: {اليم} [الانشقاق: ٢٤]^(١).

- أسماء السورة:
- أولاً:- أسماؤها التوقيفية:

١- سورة «الانشقاق»:

سامها المفسرون وكتاب المصاحف «سورة الانشقاق»^(٢) باعتبار المعنى، كما سميت السورة السابقة «سورة التطفيف».

٢- سورة «إذا السماء انشقت»:

سميت في زمن الصحابة: «سورة إذا السماء انشقت»^(٣)، لافتتاحها بقوله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انشقت} [الانشقاق: ١]، ففي «الموطأ» عن أبي سلمة: «أن أبا هريرة قرأ بهم إذا السماء انشقت فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها»^(٤). فضمير «فيها» عائد إلى إذا السماء انشقت [الانشقاق: ١] بتأويل السورة، وبذلك عنونها البخاري^(٥)، والترمذي^(٦)، وكذلك وردت في بعض كتب التفسير^(٧)، وعلوم القرآن^(٨).

ثانياً:- أسماها الاجتهادي: «سورة انشقت»:

وسميت «سورة انشقت» اختصاراً، وردت هذه التسمية عند بعض المفسرين^(٩). قال الفيروزآبادي: "وتسمى سورة «انشقت»، وسورة الانشقاق؛ لافتتاحها"^(١٠). وقال ابن عاشور: "وذكرها الجعبري في «نظمه» في تعداد المكي والمدني بلفظ «كدح» فيحتمل أنه عنى أنه اسم للسورة ولم أفق على ذلك لغيره"^(١١).

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة: {إِذَا السَّمَاءُ انشقت} بمكة"^(١). وروي عن ابن الزبير^(٢) مثله.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(٢) انظر: مثلاً: تفسير الطبري: " هجر: ٢٣٠/٢٤، ومعاني القرآن للفراء: ٢٠٣/٥، وتأويلات أهل السنة: ٤٦٩/١٠، وبحر العلوم"تفسير السمرقندي": ٥٦٠/٣، والكشف والبيان: ١٥٨/١٠، والنكت والعيون: ٢٣٣/٦، والتفسير البسيط للواحدي: ٣٥١/٢٣، وتفسير البيهقي: ٣٧١/٨، والكشاف: ٧٢٥/٤، والمحرم الوجيز: ٤٥٦/٥، وزاد المسير: ٤١٩/٤، ومفاتيح الغيب: ٩٦/٣١، وتفسير القرطبي: ٢٦٩/١٩، وغيرها.

(٣) انظر: الأحاديث الواردة في فضائل السورة.

(٤) موطأ مالك (٢٦٧): ص ٩٧.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٦٧/٦.

(٦) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٢/٥.

(٧) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٣٠٧/٢٤، وتفسير ابن أبي زمنين: ١١١/٥، وتفسير ابن فورك: ١٧٩/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨١٤٩/١٢.

(٨) انظر: مثلاً: معاني القرآن للفراء: ٢٤٩/٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢٩١/٢، وأحكام القرآن للجصاص: ٣٧١/٥.

(٩) انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٧، وإعراب القرآن للنحاس: ١١٦/٥، ومعاني القرآن للأزهري: ١٣٤/٣، والمبسوط في القراءات العشر: ٤٦٦، والنكت في القرآن الكريم: ٥٤٢، وجمال القراء: ٣١٣، وتفسير البيضاوي: ٣٣٨/٨، وتفسير المظهر: ٨/١٠.

(١٠) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(١١) التحرير والتنوير: ٢١٧/٣٠.

قال ابن عطية: " هي مكية بلا خلاف بين المتأولين" (٣).

قال ابن الجوزي: " هي مكية كلها بإجماعهم" (٤).

قال ابن عاشور: " هي مكية بالاتفاق" (٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه في السابقة ذكر مقر كتب الحفظة، وفي هذه ذكر عرضها يوم القيامة (٦).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

جاءت مقاصد سورة «الانشقاق» التفصيلية كالآتي:

١- بُدئَت السورة الكريمة بذكر بعض علامات الساعة وأشراتها، وخضوع كل ما في السموات والأرض لأمر الله بتغيير نواميسها وقوانينها، وعند ذلك يلقي كل إنسان جزاء ما عمل: {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ} [الانشقاق : ١]، إلى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الانشقاق : ٦].

٢- بينت السورة أن عمل الإنسان في الدنيا مسجل عليه في كتاب سيلقاه يوم القيامة، فمن أخذ هذا الكتاب بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، ومن أخذ كتابه وراء ظهره فسوف يتمنى هلاك نفسه لما يلقاه من عذاب شديد، لأنه كان في الدنيا لاهياً عن العمل للأخرة ظاناً أنه لن يرجع إلى ربه فيحاسبه: {فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} [الانشقاق : ٧]، إلى قوله تعالى: {بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا} [الانشقاق : ١٥].

٣- ثم أقسم سبحانه- ببعض الآيات الكونية التي تشهد بقدرته وتدعو إلى الإيمان به والتصديق باليوم الآخر وبما يكون فيه من أهوال: {فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّقَقِ} [الانشقاق : ١٦]، إلى قوله تعالى: {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ} [الانشقاق : ١٩].

٤- ثم بين - جل جلاله - أنه مع ما ذكر من آيات وأدلة بينات في هذه السورة وفي غيرها من السور: فالكافرون يكذبون بالقرآن ولا يؤمنون به: {فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الانشقاق : ٢٠]، إلى قوله: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ} [الانشقاق : ٢٢].

٥- وختمت السورة بتهديد الكفار بأن الله عليم بما يضمرون وقد أعد لهم العذاب الأليم، كما أعد للمؤمنين الطائعين الأجر الدائم الذي لا ينقطع: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ} [الانشقاق : ٢٣]، إلى قوله تعالى: {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [الانشقاق : ٢٥].

قال الفيروزآبادي: " مقصود السورة: بيان حال الأرض والسماء في طاعة الخالق تعالى وإخراج الأموات للبعث، والاشتغال بالبر والإحسان، وبيان سهولة الحساب للمطيعين، والإخبار عن فرحهم وسرورهم بنعيم الجنان، وبكاء العاصين والكافرين، وويلهم بالثبوت في دركات النيران، والقسم بتشقق القمر، وإطلاع الحق على الأسرار والإعلان، وجزاء المطيعين من غير امتنان، في قوله: {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [الانشقاق : ٢٥] " (٧).

■ الناسخ والمنسوخ:

(١) انظر: الدر المنثور: ٤٥٤/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٥٤/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٣) المحرر الوجيز: ٤٥٦/٥.

(٤) زاد المسير: ٤١٩/٤.

(٥) التحرير والتنوير: ٢١٧/٣٠.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ٨٧/٣٠.

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

السورة محكمة بتمامها^(١).

■ فضائل السورة:

- عن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: "من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١)} و {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١)} و {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١)} و {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١)}، وأحسب أنه قال: "سورة هود"^(٢).
- عن معمر، عن قتادة قال: "يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة العصر: «إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ»، و«السَّمَاءُ ذات البروج»"^(٣).
- عن أبي رافع قال: "صليت مع عمر العشاء فقرأ: «إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ»"^(٤).
- عن أبي رافع، قال: صليت مع أبي هريرة العتمة، فقرأ: «إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ»، فسجد، فقلت له: قال: «سجدت خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه»^(٥).
- عن أبي هريرة، أنه قال: "سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ} و{اقرأ باسم ربك الذي خلق} سجديتين"^(٦).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة انشقت أعاده الله سبحانه أن يعطيه كتابه وراء ظهره»^(٧). [موضوع]

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(٢) مسند احمد(٤٨٠٦):ص٤٠٦/٤. إسناده صحيح. رواه أيضاً الشيخان، كما في المنتقى (١٣٠٧). وانظر: سنن الترمذي برقم (٣٣٣٣)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

(٣) مصنف عبدالرزاق(٢٦٨٨):ص١٠٧/٢.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة(٣٦١٦):ص٣١٦/١.

(٥) صحيح البخاري(٧٦٦):ص١٥٣/١، أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب سجود التلاوة رقم (٥٧٨)، وانظر: موطأ مالك(٢٦٧):ص٩٧، قال محمد الشيباني: وبهذا نأخذ، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله، وكان مالك بن أنس لا يرى فيها سجدة".

عن زر بن حبيش " أن عمار بن ياسر، قرأ على المنبر يوم الجمعة «إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ»، ثم نزل فسجد". [مصنف عبدالرزاق(٥٢٨٤):ص١٩٣/٣].

روي عن علقمة، أنه قال: " لو أني قلت: رأيت عمر بن الخطاب، وابن مسعود رضي الله عنهما يسجدان في: إذا السماء انشقت [ص:٤٠] لقلت، فأما اليقين فأحدهما ". [الآثار لأبي يوسف(٢٠٥):ص٣٩].
(العتمة) العشاء. (فسجد) سجود التلاوة عند محلها منها. (فقلت له) سألته عن حكمها. (سجدت خلف) صليت خلفه فقرأها فسجد بها وسجدت معه خلفه].

(٦) الجامع لابن وهب(٣٥٨):ص٢٢٤.

(٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٥٨/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٠١/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «البروج»

«سورة البروج»: هي السورة الخامسة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد سورة «والشمس وضحاها» وقبل سورة «التين»، وآياتها اثنتان وعشرون. وكلماتها مائة وتسع. وحروفها أربع مائة وثمان وخمسون. وفواصل آياتها: «قرط ظب جد»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- أسماها التوقيفي: «سورة البروج»:

وسميت في المصاحف وكتب السنة^(٢) وكتب التفسير^(٣) «سورة البروج»، وذلك لافتتاحها بقسم الله بالسماء ذات البروج وهي الكواكب السيارة في أثناء سيرها، قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج: ١].

■ ثانياً:- أسماها الاجتهادي: «سورة السماء ذات البروج»:

ثبتت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-^(٤)، والذي يظهر من هذه الاسم، «السماء ذات البروج» أنه لم يحك لفظ القرآن، أي: لم يذكر واو القسم، وقد عنون بعض المفسرين السورة بهذه التسمية مع إضافة واو القسم: «والسماء ذات البروج»^(٥).

وهي تسمية اجتهادية من الصحابة-رضي الله عنهم- وهي تسمية لها بأول جملة افتتحت بها السورة، قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج: ١].

وروي عن أبي هريرة: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر أن يقرأ: بالسموات في العشاء"^(٦). أي: «السماء ذات البروج» و«السماء والطارق»، فجمعها جمع: سماء، وهذا يدل على أن اسم السورتين: سورة السماء ذات البروج، سورة السماء والطارق^(٧).

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: نزلت {والسماء ذات البروج} بمكة^(٨).
قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع من المتأولين لا خلاف في ذلك"^(٩).
قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(١٠).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها:

- ١- اشتغالها كالتالي قبلها على وعد المؤمنين ووعد الكافرين، مع التنويه بشأن القرآن وفخامته.
- ٢- أنه ذكر في السورة السابقة أنه عليم بما يجمعون للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من المكر والخداع وإيذاء من أسلم بأنواع من الأذى كالضرب والقتل والإلقاء في حمارة القيظ. وذكر هنا أن

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(٢) انظر: مثلاً: صحيح البخاري: ١٦٨/٦، وسنن الترمذي: ٢٩٣/٥، والسنن الكبرى للنسائي: ٣٢٩/١٠، وغيرها.

(٣) انظر: مثلاً: تفسير الطبري: ٣٢٩/٢٤، وتفسير ابن فورك: ١٨٧/٣، والكشف والبيان: ١٦٤/١٠، والنكت والعيون:

٢٤٠/٦، وتفسير السمعاني: ١٩٤/٦، وتفسير البغوي: ٣٧٨/٨، والكشاف: ٧٢٩/٤، والمحرم الوجيز: ٤٦٠/٥، وزاد

المسير: ٤٢٣/٤، ومفاتيح الغيب: ١٠٦/٣١، وتفسير القرطبي: ٢٨٣/١٩، وغيرها.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) انظر: مثلاً: تفسير الثعالبي: ٤٠٠/٤، وتفسير ابن زنين: ١١٤/٥.

(٦) المسند(٨٣٣٣):ص١٤/٧٨. إسناده ضعيف، وحامد بن عباد السدوسي له ترجمة في "الإكمال" (١٨٤)، وذكره ابن

حبان في "اللقات" ٢٢٠/٦.

(٧) التحرير والتنوير: ٢٣٦/٣٠.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٤٦١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه.

(٩) المحرم الوجيز: ٤٦٠/٥.

(١٠) زاد المسير: ٤٢٣/٤.

هذه شنشنة من تقدمهم من الأمم، فقد عذبوا المؤمنين بالنار كما فعل أصحاب الأخدود. وفي هذا عظة لقريش، وتثبيت من يعذبون من المؤمنين^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

جاءت مقاصد سورة «البروج» التفصيلية الآتي

١ - أقسم الله -سبحانه- في أول السورة ببعض مظاهر قدرته على أن الكافرين الذين يؤذون المؤمنين ليردوهم عن دينهم مطرودون كما طرد من سلك مسلكتهم ممن سبقهم: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج : ١]، إلى قوله تعالى: {وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ} [البروج : ٧].

٢ - بينت السورة أن الصامدين من المؤمنين الذين عذبوا ما كان ذنبهم إلا إيمانهم بالله، وذكرت الوعيد للكافرين، والوعد للمؤمنين الصابرين: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [البروج : ٨] إلى قوله تعالى: {ذَلِكَ الْقَوْزُ الْكَبِيرُ} [البروج : ١١].

فإن من أهم مقاصدها: تثبيت المؤمنين، وتسليتهم عما أصابهم من أعدائهم، عن طريق ذكر جانب مما تحمله المجاهدون من قبلهم، فكأن الله- تعالى- يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه: اصبروا كما صبر المؤمنون السابقون، واتبتوا كما ثبتوا، فإن العاقبة ستكون لكم.

٣ - أن السورة ساقط الأدلة على وحدانية الله- تعالى- وقدرته، ونفاذ أمره، فقد ذكرت السورة بعض صفاته - تعالى - كقوته وبطشه بالجبابرة، وبالجموع الطاغية من قوم فرعون وثمود وغيرهم من المكذبين، وأن قوم الرسول يكذبونه والله من ورائهم محيط: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج : ١٢]، إلى قوله: {وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ} [البروج : ٢٠].

٤ - وختمت السورة ببيان عظمة القرآن وأنه في لوح محفوظ لا تصل إليه يدٌ بتحريف، ولا قوة بتغيير: {إِنَّ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)} [البروج : ٢١ - ٢٢].

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: القسم على أصحاب الأخدود، وكمال ملكة الملك المعبود، وثواب المؤمنين في جوار المقام المحمود، وعذاب الكافرين في الجحيم المورود، وما للمطيع والعاصي من كرم الغفور الودود، والإشارة إلى هلاك فرعون وثمود"^(٢).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة جميعها محكم ليس فيها ناسخ ولا منسوخ^(٣).

■ فضائل السورة:

- عن عمرو بن دينار، وأبي الزبير: "سمعنا جابر بن عبد الله -يزيد أحدهما على صاحبه- قال: كان معاذ يصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم يرجع إلى قومه فيصلي بهم، فأخر النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلاة ذات ليلة، فرجع معاذ يؤمهم فقرأ بسورة البقرة، فلما رأى ذلك رجل من القوم انحرف إلى ناحية المسجد فصلى وحده، فقالوا: أنافقت؟ قال: لا. قال: لآتين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلاخبرنه، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: إن معاذاً يصلي معك، ثم يرجع فيؤمننا، وإنك أخرت الصلاة البارحة فجاء فأمننا فقرأ سورة البقرة، وإني تأخرت عنه فصليت وحدي يا رسول الله، وإنا نحن أصحاب نواضح، وإنما نعمل بأيدينا. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "يا معاذ أفتان أنت؟ اقرأ سورة «والليل إذا يغشى»، و«سبح اسم ربك الأعلى»، «والسماوات البروج»"^(٤).

(١) انظر: تفسير المراغي: ٩٧/٣٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٦.

(٤) صحيح ابن خزيمة(٥٢١):ص٢٩١-٢٩١.

- عن جابر بن سمرة، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر: «والسما ذات البروج»، و«السما والطارق»، وشبهها"^(١).
- عن أبي هريرة: " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسما، يعني: «ذات البروج» و«السما والطارق»"^(٢).
- عن معمر، عن قتادة قال: "يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة العصر: «إذا السماء انشقت»، و«السما ذات البروج»"^(٣).
- عن نافع: " أن ابن عمر «كان يقرأ في الصبح بالعشر السور من أول المفصل، يرددن في كل ركعة سورة»"^(٤). قال محمد: يقرأ في الفجر في السفر «والسما ذات البروج»، و«السما والطارق» ونحوهما.
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ» أعطاه الله عز وجل من الأجر بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في دار الدنيا عشر حسنات»^(٥). [موضوع]

(١) أخرجه احمد(٢٠٩٨٢):ص٤٩٧/٣٤، صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل سماك، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح.

وأخرجه الترمذي (٣٠٧)، والبيهقي (٥٩٤) من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد، وأخرجه الطيالسي (٧٧٤)، والدارمي (١٢٩٠)، والبخاري في "القراءة" (٢٩٦)، وأبو داود (٨٠٥)، والطحاوي في "شرح المعاني" ٢٠٧/١، وابن حبان (١٨٢٧)، والطبراني (١٩٦٦)، والبيهقي ٣٩١/٢ من طرق عن حماد بن سلمة، به. وسقط من المطبوع في "القراءة" شيخ البخاري.

(٢) أخرجه أحمد (٨٣١٤):ص٢٨٠/٨. إسناده ضعيف، أبو المهزم - واسمه يزيد بن سفيان، وقيل: عبد الرحمن بن سفيان - ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم، وقال البخاري: تركه شعبة بن الحجاج، وقال الدارقطني: يترك، وقال النسائي: متروك الحديث. ورزيق بن أبي سلمى أورده ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" ٥٠٥/٣ وذكر أنه روى عن الحسن وعطاء ويكر بن عبد الله، وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي ومسلم بن إبراهيم، ولم يوثقه أحد، فهو مجهول الحال.

(٣) مصنف عبدالرزاق(٢٦٨٨):ص١٠٧/٢.

(٤) موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني(٢٠٠):ص٨١.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣١٠/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣١٠/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الطارق»

«سورة الطارق»: هي السورة السادسة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة البلد»، وآياتها سبع عشرة في عد الجميع، غير أبي جعفر؛ فإنها عند ست عشرة. أسقط: {يَكِيدُونَ كَيْدًا} [الطارق: ١٥]، وعددها الباقيون. وكلماتها إحدى وستون. وحروفها مائتان وتسع وثلاثون. فواصل آياتها «ظل بق عار»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- أسمها التوقيفي: «سورة الطارق»:

سميت في كتب التفسير^(٢)، وكتب السنة^(٣)، وفي المصاحف «سورة الطارق»، لوقوع هذا اللفظ في أولها، قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١)} [الطارق: ١].

■ ثانياً:- أسمها الاجتهادي: «سورة السماء والطارق»:

ثبتت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-^(٤)، كما أنها سميت «والسما والطارق»، بإضافة واو القسم، وبذلك ترجمت في تفسير الطبري^(٥)، والثعالبي^(٦)، وابن أبي زمنين^(٧)، ومكي بن أبي طالب^(٨)، وهي تسمية اجتهادية وليست توقيفية.

وهي تسمية اجتهادية من الصحابة-رضي الله عنهم- وهي تسمية لها بأول جملة افتتحت بها السورة، قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج: ١].

وروي عن أبي هريرة: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر أن يقرأ: بالسموات في العشاء"^(٩). أي: «السماء ذات البروج» و«السماء والطارق»، فجمعها جمع: سماء، وهذا يدل على أن اسم السورتين: سورة «السماء ذات البروج»، «سورة السماء والطارق»^(١٠).

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: "نزلت {والسما والطارق} بمكة"^(١١).
قال ابن عطية: "هي مكية لا خلاف بين المفسرين في ذلك"^(١٢).
قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(١٣).
قال ابن عاشور: "هي مكية بالاتفاق، نزلت قبل سنة عشر من البعثة"^(١٤).

- (١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٢/١.
- (٢) انظر: مثلاً: تأويلات أهل السنة: ٤٩١/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٦٨/٣، وتفسير ابن فورك: ١٩٤/٣، والكشف والبيان: ١٧٧/١٠، والنكت والعيون: ٢٤٥/٦، وتفسير السمعي: ٢٠٢/٦، وتفسير البغوي: ٣٩١/٨، والكشاف: ٧٣٤/٤، والمحرم الوجيز: ٤٦٤/٥، وزاد المسير: ٤٢٨/٤، ومفاتيح الغيب: ١١٧/٣١، وتفسير القرطبي: ١/٢٠، وغيرها.
- (٣) انظر: مثلاً: صحيح البخاري: ١٦٨/٦، والسنن الكبرى للنسائي: ٣٣٢/١٠، والمستدرک للحاكم: ٥٦٥/٢.
- (٤) كما سيأتي في فضائل السورة.
- (٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٤.
- (٦) انظر: تفسير الثعالبي: ٤٠٢/٤.
- (٧) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ١١٧/٥.
- (٨) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٨١٩١/١٢.
- (٩) المسند(٨٣٣٣):ص٧٨/١٤. إسناده ضعيف ، وحماد بن عباد السدوسي له ترجمة في "الإكمال" (١٨٤) ، وذكره ابن حبان في "الثقات" ٢٢٠/٦.
- (١٠) التحرير والتنوير: ٢٣٦/٣٠.
- (١١) انظر: الدر المنثور: ٤٧٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.
- (١٢) المحرم الوجيز: ٤٦٤/٥.
- (١٣) زاد المسير: ٤٢٨/٤.
- (١٤) المحرم الوجيز: ٢٥٧/٣٠.

روي عن عبد الرحمن بن خالد العدواني، عن أبيه: " أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشرق ثقيف، وهو قائم على قوس، أو عصا حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، قال: " فسمعتة يقرأ: «والسما والطارق» حتى ختمها"، قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام، قال: فدعنتي ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه"^(١).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

من مناسبتها لما قبلها:

- ١- أنه ابتدأ هذه بالحلف بالسما كالسورة قبلها.
- ٢- أنه ذكر في السابقة تكذيب الكفار للقرآن، وهنا وصف القرآن بأنه القول الفصل، وفيه رد على أولئك المكذبين^(٢).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

يمكن بيان مقاصد السورة التفصيلية على النحو الآتي:

- ١- بُدئت السورة الكريمة بالقسم السما وما حوت من نجم وكواكب على أن كل نفس عليها رقيب يحصى أعمالها {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ} [الطارق : ١] إلى قوله تعالى: {إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطارق : ٤].
- ٢- دعت السورة الإنسان أن يفكر وينظر في نشأته ومم خلق؟ ليعلم أن الذي أنشأه بقدرته قوي قادر على إعادته بعد موته للحساب {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ} [الطارق : ٥]، إلى قوله تعالى: {فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ} [الطارق : ١٠].
- ٣- في السورة قسم آخر بالسما ذات المطر، والأرض التي تنشق عن النبات على أن القرآن فاصل بين الحق والباطل وهو خير كله، ومن حقه -وقد وصفه الله بهذا- أن يكون معظما يترفع به قارئه وسامعه عن أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاج، ومع ذلك فقد اشتد الكفار في عداوته وإنكاره والكيد له، وقد ردَّ الله كيدهم بكيد أشد لا يقدررون على دفعه {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ} [الطارق : ١١] إلى قوله تعالى: {وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق : ١٦].
- ٤- ختمت السورة بطلب إمهال الكافرين حتى يأتيهم العذاب: {فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أَمَّهُمْ رُؤْيَا} [الطارق : ١٧].

(١) مسند احمد(١٨٩٥٨): ص٢٨٨/٣١-٢٨٩، إسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن خالد العدواني، فقد تفرد بالرواية عنه عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وقال الحسيني في "الإكمال": مجهول، وتعقبه الحافظ في "التعجيل" بقوله: صحح ابن خزيمة حديثه، ومقتضاه أن يكون عنده من الثقات. قلنا: وله علة أخرى، وهي تفرد عبد الله: بن عبد الرحمن الطائفي به، وهو ضعيف يعتبر به في الشواهد والمتابعات، ولم يتابعه أحد هنا.

وأخرجه ابن أبي عاصم في "الأحاد والمثاني" (١٢٧٥) من طريق ابن أبي شيبة، بهذا الإسناد. وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ١٣٨/٣-١٣٩، وابن خزيمة (١٧٧٨)، والطبراني في "الكبير" (٤١٢٦) و (٤١٢٧) من طرق عن مروان بن معاوية، به.

وأخرجه ابن أبي عاصم (١٢٧٤)، والطبراني (٤١٢٨) من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، به قال السندي: قوله: "في مشرق ثقيف" ضبط على وزن اسم المفعول من التشريق، قيل: وهو سوق بالطائف.

على قوس: معتمدا عليه.

فقال من معهم من قريش: تنفيرا لهم.

(٢) انظر: تفسير المراغي: ١٠٩/٣٠.

قال الفيروزآبادي: "مقصود السورة: القسم على حفظ أحوال الإنسان، والخبر عن حاله في الابتداء والانتهاء، وكشف الأسرار في يوم الجزاء، والقسم على أن كلمات القرآن جزل، غير هزل، من غير امتراء، وشفاعة حضرة الكبرياء إلى سيد الأنبياء بإمهال الكافرين، في العذاب والبلاء، في قوله: {أْمَهُهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق: ١٧]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

المنسوخ فيها آية واحدة: {فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أْمَهُهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق: ١٧]، نسختها آية السيف^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن جابر بن سمرة، عن جابر بن سمرة، "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بـ«السماء والطارق»، و«السماء ذات البروج»"^(٣).

- عن أبي هريرة: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء، يعني: «ذات البروج» و«السماء والطارق»"^(٤).

- عن نافع: "أن ابن عمر «كان يقرأ في الصبح بالعشر السور من أول المفصل، يرددهن في كل ركعة سورة»"^(٥). قال محمد: يقرأ في الفجر في السفر «والسماء ذات البروج»، و«السماء والطارق» ونحوهما.

عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الطارق أعطاه الله من الأجر بعدد كلِّ نجم في السماء عشر حسنات»^(٦). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٢/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٢/١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٧٠): ص ٣١٢/١، وسنن الدارمي (١٣٢٧): ص ٨١٨/٢.

(٤) أخرجه أحمد (٨٣١٤): ص ٢٨٠/٨. إسناده ضعيف، أبو المهزم - واسمه يزيد بن سفيان، وقيل: عبد الرحمن بن سفيان - ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم، وقال البخاري: تركه شعبة بن الحجاج، وقال الدارقطني: يترك، وقال النسائي: متروك الحديث. ورزيق بن أبي سلمى أورده ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" ٥٠٥/٣ وذكر أنه روى عن الحسن وعطاء ويكر بن عبد الله، وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي ومسلم بن إبراهيم، ولم يوثقه أحد، فهو مجهول الحال.

(٥) موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني (٢٠٠): ص ٨١.

(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٧٧/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٢٠/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الأعلى»

«سورة الأعلى»: هي السورة السابعة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة التكويد»، آياتها تسع عشرة بالإجماع. وكلماتها ثمان وسبعون. وحروفها مائتان وإحدى وسبعون. فواصل آياتها على الألف^(١).

- أسماء السورة:
- أولاً:- أسماؤها التوقيفية:

١- «سورة الأعلى»:

سماها أكثر المفسرين^(٢) وكتاب المصاحف «سورة الأعلى»، لوقوع صفة الأعلى فيها دون غيرها، قال تعالى: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)} [الأعلى : ١].

٢- سورة «سبح اسم ربك الأعلى»:

هذه السورة وردت تسميتها في السنة^(٣)، سورة: «سبح اسم ربك الأعلى». وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت بها، قال تعالى: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)} [الأعلى : ١].

عن ابن هبيرة: "أن أبا تميم الجيشاني كان إذا استفتح في المفصل قرأ مع كل «سورة سبح اسم ربك الأعلى» و«قل هو الله أحد» و«قل أعوذ برب الفلق» و«قل أعوذ برب الناس»، وقال أبو تميم: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إني نسيت الليلة أفضل المسبحات». فقال أبي بن كعب: فلعلها يا رسول الله سبح اسم ربك الأعلى؟ قال: «نعم»^(٤).

■ ثانياً:- أسماها الاجتهادي: «سورة سبح»:

سمتها بذلك عائشة رضي الله عنها^(٥)، وابن عباس^(٦)، وذكرها بعض المفسرين^(٧)، وهو اسم اجتهادي لم يثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما يدل على هذه التسمية.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قالته عائشة^(٨)، وابن عباس^(٩)، وابن زبير^(١٠).

عن عائشة قالت: "نزلت سورة {سبح اسم ربك} بمكة"^(١١).

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة {سبح} بمكة"^(١٢).

عن عبدالله بن زبير، قال: "أنزلت سورة {سبح اسم ربك الأعلى} بمكة"^(١٣).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٤/١.

(٢) انظر: مثلاً: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٧٠/٣، والكشف والبيان: ١٨٢/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٢٠٣/١٢، والنكت والعيون: ٢٥١/٦، وتفسير السمعي: ٢٠٦/٦، وتفسير البيهقي: ٣٩٦/٨، والكشاف: ٧٣٧/٤، وغيرها.

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٦٨/٦، والمستدرک على الصحيحين: ٥٦٦/٢.

(٤) الكنى والأسماء للدولابي (١٣٣): ص ٥٤/١.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٤٨١/٨. وعزاه إلى أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي. وسوف يأتي في فضائل السورة.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٧/٨، وروح المعاني: ١٠/٣٠، وفتح القدير للشوكاني: ٣٧٧/٨.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: " أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلنا يقرئنا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم " جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء، فرحهم به حتى رأيت الولائد^(١) والصبيان، يقولون: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فما جاء، حتى قرأت: {سبح اسم ربك الأعلى} [الأعلى: ١] في سور مثلها"^(٢).

الثاني: أنها مدنية كلها. حكى ذلك عن الضحاك^(٣).

قال ابن عطية: " هي مكية في قول الجمهور، وحكى النقاش عن الضحاك أنها مدنية، وذلك ضعيف، وإنما دعا إليه قول من قال: إن ذكر صلاة العيد فيها"^(٤).

قال ابن الجوزي: " هي مكية كلها بإجماعهم"^(٥).

قال ابن عاشور: " هي مكية في قول الجمهور، وحديث البراء بن عازب^(٦) يدل عليه، وعن ابن عمر وابن عباس أن قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)} [الأعلى: ١٤ - ١٥]، نزل في صلاة العيد وصدقة الفطر، أي فهما مدنيتان فتكون السورة بعضها مكّي وبعضها مدني"^(٧).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر في تلك خلق الإنسان، وأشار إلى خلق النبات بقوله: {وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} [الطارق: ١٢]. وذكر هنا خلق الإنسان في قوله: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} [الأعلى: ٢]. وخلق النبات في قوله: {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)} [الأعلى: ٤ - ٥]، وقصة النبات هنا أوضح وببسط أكثر، وخلق الإنسان هناك أكثر تفصيلاً^(٨).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

يمكن بيان مقاصد السورة التفصيلية على النحو الآتي:

- ١- تنزيه ذات الله الأعلى، وصفاته، عما لا يليق بها: {سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)} [الأعلى: ١].
- ٢- بيان الإبداع فيما خلق - سبحانه- فجعله مستويًا في إحكام وإتقان، وقدر لكل شيء خلقه ما يصلحه، فهده إليه: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣)} [الأعلى: ٢ - ٣].
- ٣- توجيه العقول والأبصار إلى صنيع القدرة في إخراج النبات من الأرض التي تنشق عنه وتدرجه من أخضر نافع إلى أن يصير يابسًا أسود وجعله رعيًا للدواب: {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)} [الأعلى: ٤ - ٥].
- ٤- إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله سيقرئه القرآن فيحفظه ولا ينسى منه شيئًا إلا ما شاء الله، وأنه صلى الله عليه وسلم ميسر لليسرى {سَتُفْرِنُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧)} [الأعلى: ٦ - ٧] الآيات.
- ٥- أمرُ للرسول صلى الله عليه وسلم أن يُدَكِّرَ بالقرآن وبما يوحي إليه ليذكر من يخاف الله ويرجو ثوابه: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠)} [الأعلى: ٩ - ١٠].

(١) (الولائد) جمع وليدة وهي الصبية والأمة.

(٢) صحيح البخاري (٤٩٤١): ص ١٦٨/٦.

(٣) نقلًا عن: المحرر الوجيز: ٤٦٨/٥.

(٤) المحرر الوجيز: ٤٦٤/٥.

(٥) زاد المسير: ٤٣١/٤.

(٦) انظر: صحيح البخاري (٤٩٤١): ص ١٦٨/٦.

(٧) المحرر الوجيز: ٢٧١/٣٠.

(٨) انظر: تفسير المراغي: ١٢٠/٣٠.

٦- إعلامه صلى الله عليه وسلم بأن الأشقى المصر على العناد والكفر سيرفض دعوتك، ويعرض عنك فلا تحزن، وسببلى النار الشديدة، فلا يستريح من العذاب بالموت، ولا يحيا حياة نافعة: {وَيَجْتَنِبُهَا النَّاسُ} (١١) {الَّذِي يَصْنِي النَّارَ الْكُبْرَى (١٢)} [الأعلى : ١١ - ١٢] الآيات.

قال الفيروزآبادي: "مقصود السورة: بيان علو الذات، والصفات، وذكر الخلق، وتربية الحيوانات، والإشادة بالثمار، والنبات، والأمن من نسخ الآيات، وبيان سهولة الطاعات، وذل الكفار في قعر الدرجات، والتحضيض على الصلاة والزكاة، وفي الدنيا بقاء الخيرات، وفي الآخرة بقاء الدرجات، في قوله: {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى : ١٧]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن إياس بن عامر، قال: سمعت عقبة بن عامر الجهني، يقول: "لما نزلت: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: ٧٤]، قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] قال: «اجعلوها في سجودكم»"^(٣).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٤/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٤/١.

(٣) المسند(١٧٤١٤): ص٢٨/٦٣٠، إسناده محتمل للتحسين، إياس بن عامر الغافقي لم يرو عنه غير ابن أخيه موسى بن أيوب، وذكره ابن أبي حاتم ٢٨١/٢ ولم يأت فيه جرحا ولا تعديلا، وقال الذهبي في "تلخيص المستدرک" ٢٢٥/١: ليس بالمعروف. كذا قال، وأما أبو سعيد بن يونس صاحب "تاريخ المصريين" فقال: كان من شيعة علي، والوافدين عليه من أهل مصر، وشهد معه مشاهدته. وقال العجلي: لا بأس به. وذكره يعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" في ثقات المصريين، وذكره في الثقات أيضا ابن حبان في كتابه ٣٣/٤ و٣٥، وقال في "صحيحه" ٢٢٦/٥: إياس بن عامر من ثقات المصريين. قلنا: وباقي رجال الإسناد ثقات.

وأخرجه الدارمي (١٣٠٥)، ويعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" ٥٠٢/٢، وأبو يعلى (١٧٣٨)، وابن خزيمة (٦٠٠) و (٦٧٠)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٣٥/١، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٨٨٩)، والحاكم ٤٧٧، وابن عبد البر في "التمهيد" ١١٩/١٦ من طريق أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ، بهذا الإسناد. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال الذهبي في "تلخيصه": الحديث صحيح.

وأخرجه الطيالسي (١٠٠٠)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وابن خزيمة (٦٠١) و (٦٧٠)، وابن حبان (١٨٩٨)، والحاكم ٢٢٥/١، والبغوي في "التفسير" ٢٨/٧، والمزي في ترجمة إياس من "تهذيب الكمال" ٤٠٥/٣ من طريق عبد الله بن المبارك، عن موسى بن أيوب الغافقي، به، وصحح الحاكم إسناده، فتعقبه الذهبي بقول: إياس ليس بالمعروف.

وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٣٥/١ من طريق عم أحمد بن عبد الرحمن بن وهب- وهو عبد الله بن وهب- والطبراني ١٧/ (٨٩١) من طريق ابن لهيعة، كلاهما عن موسى بن أيوب الغافقي، به.

وأخرجه الطبراني ١٧/ (٨٩٠) من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث، عن موسى بن أيوب، عن رجل من قومه سماه، عن عقبة بن عامر. وزاد: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ركع قال: "سبحان ربي العظيم" ثلاث مرات، وإذا سجد قال: "سبحان ربي الأعلى" ثلاث مرات. والرجل المبهم هو بلا شك إياس بن عامر الغافقي.

وأخرجه أبو داود (٨٧٠) عن أحمد بن يونس، عن الليث، عن أيوب بن موسى أو موسى بن أيوب- على الشك- عن رجل من قومه، عن عقبة بن يزيد الطبراني السابقة. وقال: وهذه الزيادة نخاف ألا تكون محفوظة.

قلنا: لكن روي لهذه الزيادة شواهد تنقوى بها وإن كان لا يخلو واحد منها من مقال: فعن عبد الله بن مسعود عند أبي داود (٨٨٦)، والترمذي (٢٦١)، وقال: حديث ابن مسعود ليس إسناده بمتصل، عون بن عبد الله بن عتبة لم يلق ابن مسعود.

وقال أبو داود: هذا مرسل، عون لم يدرك عبد الله.

وعن جبير بن مطعم عند البزار (٣٤٤٧)، والطبراني (١٥٧٢)، والدارقطني ٣٤٢/١، وفي إسناده عبد العزيز بن عبيد الله الحمصي، وهو ضعيف.

وعن أبي مالك الأشعري. سيرد ٣٤٣/٥، وفي إسناده شهر بن حوشب، وهو ضعيف.

وعن أقرم بن زيد الخزاعي عند الدارقطني ٣٤٣/١، وفي إسناده من لا يعرف.

- عن أبي هريرة قال: "قلنا يا رسول الله كيف نقول في سجودنا فأنزل الله {سبح اسم ربك الأعلى}، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول في سجودنا: سبحان ربي الأعلى" (١).
- عن ابن عباس: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ {سبح اسم ربك الأعلى} قال: سبحان ربي الأعلى" (٢).
- عن ابن عباس قال: "إذا قرأت {سبح اسم ربك الأعلى} فقل: سبحان ربي الأعلى" (٣).
- عن علي بن أبي طالب: "أنه قرأ {سبح اسم ربك الأعلى} فقال: سبحان ربي الأعلى وهو في الصلاة فقيل له: أتزيد في القرآن قال: لا إنما أمرنا بشيء فقلته" (٤).
- عن أبي موسى الأشعري: "أنه قرأ في الجمعة {سبح اسم ربك الأعلى} فقال: سبحان ربي الأعلى" (٥).
- عن عبد الله بن الزبير: "أنه قرأ {سبح اسم ربك الأعلى}، فقال: سبحان ربي الأعلى وهو في الصلاة" (٦).
- عن سعيد بن جبيرة قال: سمعت ابن عمر يقرأ: «سبحان اسم ربك الأعلى»، فقال: سبحان ربي الأعلى. قال: كذلك هي قراءة أبي بن كعب" (٧).
- وأخرج أحمد والبخاري وابن مردويه عن علي، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة {سبح اسم ربك الأعلى} (٨).
- أخرج أبو عبيد عن تميم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني نسيت أفضل المسبحات، فقال أبي بن كعب فلعلها: {سبح اسم ربك الأعلى} قال: نعم" (٩).
- عن النعمان بن بشير: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة ب {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعاً" (١٠).
- عن أبي عتبة الخولاني: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الجمعة ب {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}" (١١).

وعن أبي بكره عند البخاري (٣٦٨٦) وفيه من لا يعرف أيضا.
قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم، يستحبون أن لا ينقص الرجل في الركوع والسجود من ثلاث تسبيحات.
قلنا: وفي الباب أيضا عن حذيفة بن اليمان، لكن دون تقييد الذكر في الركوع والسجود بعدد، وهو عند مسلم (٧٧٢)، وسيأتي في "المسند" ٣٨٢/٥.

قال السندي: قوله: "اجعلوها" أي: اعملوا بها واجعلوا السبحة التي تدل عليها هي، والمراد: قولوا: سبحان ربي العظيم.

- (١) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
- (٢) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى أحمد وأبو داود وابن مردويه والبيهقي في سننه.
- (٣) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
- (٤) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف.
- (٥) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.
- (٦) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد.
- (٧) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه.
- (٨) الدر المنثور: ٤٨٠/٨.
- (٩) الدر المنثور: ٤٨٠/٨.
- (١٠) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.
- (١١) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن ماجه.

- عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيد بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{هل أتاك حديث الغاشية} (١).
- عن سمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{هل أتاك حديث الغاشية} (٢).
- عن أنس: " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{هل أتاك حديث الغاشية} (٣).
- عن جابر بن سمرة: " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر بـ {سبح اسم ربك الأعلى} (٤).
- عن عمران بن حصين: " أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر فلما سلم قال: هل قرأ أحد منكم بـ {سبح اسم ربك الأعلى} فقال رجل: أنا. قال: قد علمت أن بعضكم خالجنيتها" (٥).
- عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{قل يا أيها الكافرون} (٦).
- عن عائشة، قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر في الركعة الأولى بـ {سبح} وفي الثانية: {قل يا أيها الكافرون}، وفي الثالثة {قل هو الله أحد}، والمعوذتين" (٧).
- عن ابن عمر: " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الوتر بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و {قل يا أيها الكافرون} و{قل هو الله أحد} (٨).
- عن جابر بن عبد الله قال: "أمّ معاذ قوما في صلاة المغرب فمر به غلام من الأنصار وهو يعمل على بغير له فأطال بهم معاذ فلما رأى ذلك الغلام ترك الصلاة وانطلق في طلب بغيره فرجع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أفتان أنت يا معاذ ألا يقرأ أحدكم في المغرب بـ {سبح اسم ربك الأعلى} {والشمس وضحاها} (٩).
- عن جابر: " أن معاذ بن جبل صلى بأصحابه العشاء فطول عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ {بالشمس وضحاها} و {سبح اسم ربك الأعلى} {والليل إذا يغشى}، و{سبح اسم ربك الأعلى} (١٠).
- عن الكلبي قال: وفد حضرمي بن عامر على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أتقرأ شيئا من القرآن فقرأ {سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى} والذي

(١) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن ماجة.

(٢) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى أحمد وابن ماجة والطبراني.

(٣) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى البزار.

(٤) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن أبي شيبة ومسلم.

(٥) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن أبي شيبة ومسلم والبيهقي في سننه.

(٦) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى أبي داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان والدارقطني والحاكم والبيهقي.

(٧) الدر المنثور: ٤٨١/٨. وعزاه إلى أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي.

(٨) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى البزار. وأخرج محمد بن نصر عن أنس مثله.

(٩) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(١٠) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى ابن ماجة.

أمتن على الحبلى فأخرج منها نسمة تسعى بين شغاف وحشا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
لا تزيدن فيها فإنها شافية كافية^(١).

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله من الأجر عشر حسنات، بعدد كل حرف أنزل الله سبحانه على إبراهيم وموسى ومحمد»^(٢). [موضوع]

(١) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى ابن سعد.

(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٨٢/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٢٦/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الغاشية»

«سورة الغاشية»: هي السورة الثامنة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الذاريات» وقبل «سورة الكهف»، وآياتها ست وعشرون. وكلماتها اثنتان وتسعون. وحروفها ثلاثمائة وأحد وثمانون. فواصل آياتها: «عمرته»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- أسماها التوقيفي: «سورة الغاشية»:

سميت في المصاحف والتفاسير^(٢) «سورة الغاشية». وكذلك عنونها الترمذي في كتاب التفسير من «جامعه»^(٣)، والنسائي-أيضا^(٤)، لوقوع لفظ «الغاشية» في أولها، قال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} [١] الغاشية: ١].

■ ثانياً:- أسماها الاجتهادي: «سورة هل أتاك حديث الغاشية»:

ثبتت في السنة^(٥)، وبعض كتب التفسير^(٦)، تسميتها «هل أتاك حديث الغاشية»، ففي «الموطأ» أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير: «ماذا كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم الجمعة، على إثر سورة الجمعة؟ قال: كان يقرأ: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} [الغاشية ٨٨: ١]»^(٧). وهذا ظاهر في التسمية لأن السائل سأل عما يقرأ مع سورة الجمعة فالمسؤول عنه السورة الثانية، وبذلك عنونها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»^(٨).

وربما سميت «سورة هل أتاك» بدون كلمة «حديث الغاشية»، وهو اختصار.

عن عبيد الله بن عبد الله، قال: "كتب الضحاك بن قيس إلى النعمان بن بشير يسأله: أي شيء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، سوى سورة الجمعة؟ فقال: «كان يقرأ هل أتاك»^(٩).

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة «الغاشية» بمكة"^(١٠). وروي عن ابن الزبير مثله^(١١).

قال ابن عطية: "هي مكية لا خلاف في ذلك بين أهل التأويل"^(١٢).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٦/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٠٨/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٧٣/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٢٣/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٠٤/٣، والكشف والبيان: ١٨٧/١٠، والنكت والعيون: ٢٥٧/٦، والتوسيط للواحدي: ٤٧٣/٤، وتفسير السمعاني: ٢١٢/٦، وتفسير البيهقي: ٤٠٤/٨، والكشاف: ٧٤١/٤، والمحرم الوجيز: ٤٧٢/٥، وزاد المسير: ٤٣٤/٤، ومفاتيح الغيب: ١٣٨/٣١، وتفسير القرطبي: ٢٥/٢٠، وغيرها.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٦/٥.

(٤) انظر: السنن الكبرى للنسائي: ٣٣٤/١٠.

(٥) انظر الروايات في: فضائل السورة.

(٦) انظر مثلاً: تفسير ابن أبي زمنين: ١٢٣/٥، وتأويلات أهل السنة: ٣٦٦/١٠.

(٧) موطأ مالك (١٩): ص ١١١/١، أخرجه أبو مصعب الزهري، ٤٦٤ في الجمعة؛ والحدثاني، ١٤٧ في الصلاة؛ والشيباني، ٢٢٦ في الصلاة؛ والشافعي، ١٠٤٠؛ وابن حنبل، ١٨٤٠٥ في ٤ م ص ٢٧٠ عن طريق عبد الرحمن بن مهدي، وفي، ١٨٤٦١ في ٤ م ص ٢٧٧ عن طريق عبد الرحمن بن مهدي؛ والنسائي، ١٤٢٣ في الجمعة عن طريق قتيبة؛ وأبو داود، ١١٢٣ في الجمعة عن طريق القعني؛ وابن حبان، ٢٨٠٧ في ٧ م عن طريق الحسين بن إدريس عن أحمد بن أبي بكر؛ والدارمي، ١٥٦٦ في الأذان عن طريق خالد بن مخلد؛ وشرح معاني الآثار، ٢٣٨٣ عن طريق أبي بكر عن أبي عاصم؛ والقاسبي، ٢٧٦، كلهم عن مالك به.

(٨) انظر: صحيح البخاري: ١٦٨/٦.

(٩) صحيح مسلم (٨٧٨): ص ٥٩٨/٢، والسنن الكبرى للبيهقي (٥٧٢٤): ص ٢٨٤/٣.

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٤٩٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١١) انظر: الدر المنثور: ٤٩٠/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢) المحرم الوجيز: ٤٧٢/٥.

قال ابن الجوزي: " هي مكّية كلها بإجماعهم" (١).

قال القرطبي: " هي مكية في قول الجميع" (٢).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه أشير في السورة السابقة إلى المؤمن والكافر والجنة والنار إجمالاً، وبسط الكلام فيها هنا (٣).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

فقد اشتملت «سورة الغاشية» على فوائد جمّة، فمن ذلك:

١- التنبيه على عظم شأن يوم القيامة وأن الناس يكونون فيه على فريقين؛ أشقياء وسعداء.
٢- ذكر أصناف عذاب الأشقياء من الذل والعمل الشاق وصلي النار، والسقي من الحميم وطعام الضريع.

٣- أن حقيقة نار الآخرة وما فيها وأحوال أهلها لا تماثل حقائق ما في الدنيا.
٤- أن وجوه المؤمنين يوم القيامة تكون ناعمة، أي يظهر عليها أثر النعيم بالبشر والسرور.
٥- أن الجنة عالية وهي درجات، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى} [طه : ٧٥].

٦- أن في مجالس الجنة سرر مرفوعة أي رقيقة، وأكواب موضوعة في المجالس زينة وأعداداً، ونمارق أي وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض، وزرابي مبنوثة أي مبسوطة.

٧- أن من نعيم الجنة ما هو حسّي من المطاعم والمشارب والأشجار والقصور والأنهار والخور العين، ومنها ما هو نعيم أعظم كرؤية الله ورضاه عنهم.

٨- أن خلق الإبل من عظيم الآيات، فقد هيئت في خلقها للركوب والحمل، ومذلة للإنسان مع فيها من المنافع أكلًا وشربًا.

٩- أن من آيات الله نصب الجبال، وما في ذلك من تثبيت الأرض، فهي لها كالأوتاد، وفيها من المنافع ما أودعه الله فيها من المعادن المختلفة.

١٠- أن من آيات الله سطح الأرض وهو بسطها للقرار عليها، ولذلك سميت: مهادًا وفراشًا، وفي جوفها وسطحها ما لا يحصى من النعيم والآيات، {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ} [الذاريات : ٢٠].

قال الفيروزآبادي: " معظم مقصود السورة: التخويف بظهور القيامة، وبيان حال المستوجبين للعقوبة، وذكر حال المستحقين للمثوبة وإقامة الحجة على وجود الحق ووعظ الرسول - صلى الله عليه وسلم - للأمم، على سبيل الشفقة، وأن المرجع إلى الله تعالى في العاقبة في قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية : ٢٦]" (٤).

■ الناسخ والمنسوخ:

المنسوخ: فيها آية واحدة: {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ} [الغاشية : ٢٢]، نسختها آية السيف (٥).

■ فضائل السورة:

■ عن أبي سنان، عن سعيد بن جببر، سمعته يقول: " لأن أصلي مع إمام يقرأ: هل أتاك حديث الغاشية أحب إلي من أن أقرأ مائة آية في صلاتي" (٦).

(١) زاد المسير: ٤٣٤/٤.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٥/٢٠.

(٣) انظر: تفسير المراغي: ١٣٠/٣٠.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٦/١.

(٥) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٦/١.

(٦) مصنف عبدالرزاق الصنعاني (٢٠٢٢): ص ٥٣٩/١.

- عن النعمان بن بشير، «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين والجمعة هل أتاك حديث الغاشية، وسبح اسم ربك الأعلى، وإذا اجتمع العيدان في يوم قرأ بهما»^(١).
- عن أبي عنبه الخولاني: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في الجمعة بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}"^(٢).
- عن ابن عباس: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في العيد بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}"^(٣).
- عن سمرة بن جندب: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صلاة الجمعة بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}"^(٤).
- عن أنس: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}"^(٥).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حساباً يسيراً»^(٦). [موضوع]

- (١) مصنف ابن أبي شيبة (٥٧٢٧): ٤٩٦/١.
- (٢) سنن ابن ماجة (١١٢٠): ص ٢٠٨/٢. إسناده ضعيف جداً، سعيد بن سنان متروك، وبعضهم اتهمه، وأبو عنبه الخولاني مختلف في صحبته.
- (٣) سنن ابن ماجة (١٢٨٣): ص ٣٢٩/٢. صحيح لغیره، وهذا إسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة: وهو الربذي. وأخرجه عبد الرزاق (٥٧٠٥)، وابن أبي شيبة ١٧٧ / ٢، وعبد بن حميد (٦٨٧)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ١ / ٤١٣، والطبراني في "الكبير" (١٠٧٨٨)، وابن عبد البر في "التمهيد" ١٦ / ٣٢٩. ويشهد له حديث النعمان بن بشير السالف.
- (٤) سنن أبي داود (١١٢٥): ص ٣٣٨/٢. إسناده صحيح.
- وأخرجه النسائي في "الكبرى" (١٧٥١) من طريق خالد بن الحارث، عن شعبة، بهذا الإسناد. وهو في "مسند أحمد" (٢٠١٥٠)، و"صحيح ابن حبان" (٢٨٠٨).
- قال الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ١ / ٤١٤: فلما جاء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذه الآثار أنه قرأ في العيدين والجمعة غير ما جاء عنه في الآثار الأول، لم يجز أن يُحمل ذلك على التضاد والتكاذب، ولكننا نحمله على الاتفاق والتصادق، فنجعل ذلك كله قد كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقرأ بهذا مرة وبهذا مرة، فحكى عنه كل فريق من الفريقين ما حضره منه، ففي ذلك دليل على أن لا توقيت للقراءة في ذلك، وأن للإمام أن يقرأ في ذلك مع فاتحة الكتاب أي القرآن شاء، وكذلك ما روي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيضاً أنه كان يقرأ في ذلك يوم الجمعة.
- (٥) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى البراز.
- (٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٨٧/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٨٧/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الفجر»

«سورة الفجر»: هي السورة التاسعة والثمانون بحسب الرسم القرآني، وهي العاشرة في عداد نزول السور. نزلت بعد «سورة الليل» وقبل «سورة الضحى»، وآياتها ثلاثون في عد الشام، والكوفة، وتسع وعشرون في البصرة، واثنان وثلاثون في الحجاز، وكلماتها مائة وسبع وعشرون، وحروفها خمسمائة وتسع وتسعون. المختلف فيها أربع: {نَعْمَةٌ} [الفجر : ١٥]، {رِزْقُهُ} [الفجر : ١٦]، {بِجَهَنَّمَ} [الفجر : ٢٣]، {فِي عِبَادِي} [الفجر : ٢٩]، فواصل آياتها «هاروت ندم»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:-أسمها التوقيفي: «سورة الفجر»:

اشتهرت تسميتها بـ«سورة الفجر» بدون الواو في المصاحف والتفاسير^(٢)، وكتب السنة^(٣)، ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بقوله تعالى: {وَالْفَجْرُ (١)} [الفجر : ١].

■ ثانياً:-أسمها الاجتهادي: «سورة والفجر»:

ثبتت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-^(٤)، إذ أنها سميت «والفجر»، بإضافة واو القسم، وبذلك ترجمت في بعض كتب السنة^(٥)، والتفسير^(٦)، وعلوم القرآن^(٧)، وهي تسمية لها بأول جملة افتتحت بها السورة، قال تعالى: {وَالْفَجْرُ (١)} [الفجر : ١].

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: " نزلت {والفجر} بمكة"^(٨).

وعن عبدالله بن الزبير، قال: "أنزلت {والفجر} بمكة"^(٩).

قال ابن عطية: " هي مكية عند جمهور المفسرين، وحكى أبو عمرو الداني في كتابه المؤلف في تنزيل القرآن عن بعض العلماء أنه قال: هي مدنية، والأول أشهر وأصح"^(١٠).

قال ابن الجوزي: " هي مكية كلها بإجماعهم"^(١١).

قال القرطبي: " سورة الفجر مكية"^(١٢).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها:

١- أنه ذكر في تلك الوجوه الخاشعة والوجوه الناعمة، وذكر في هذه طوائف من المكذبين المتجبرين الذين وجوههم خاشعة، وطوائف من الذين وجوههم ناعمة.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٨/١.

(٢) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٣٩٣/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥١٥/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٧٧/٣، والكشف والبيان: ١٩١/١٠، والنكت والعيون: ٢٦٤/٦، وغيرها.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٧/٥، والسنن الكبرى للنسائي: ٣٣٤/١٠.

(٤) كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٦٩/٦، والمستدرک على الصحيحين: ٥٦٨/٢.

(٦) انظر مثلاً: تفسير ابن أبي زمنين: ٥/١٢٦، وتفسير ابن فورك: ٢١٠/٣.

(٧) انظر: مثلاً: كتب فيه لغت القرآن للفراء: ١٥٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢٩٧/٢، ومعاني القراءات للأزهري: ١٤٢/٣، وجمال القراء: ٣١٤.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) المحرر الوجيز: ٤٧٦/٥.

(١١) زاد المسير: ٤٣٧/٤.

(١٢) تفسير القرطبي: ٣٨/٢٠.

٢- أن القسم الذي في أول السورة كالدليل على صحة ما تضمنته خاتمة السورة السابقة من الوعد والوعيد^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من مقاصد سورة الفجر:

- ١- تقرير عقيدة البعث يوم القيامة وأنه أمر لا مرأى فيه؛ لذلك يقول الله تعالى "هل في ذلك قسم لذي حجر" أي أن ما أقسم الله به كافي ليقنتع أصحاب العقول بالبعث، ويأتي سبب تسمية العقل بالحجر لأنه يحجر على صاحبه، فيجب استعمال العقل مجسماً للأمر وللتفريق بين الخير والشر.
- ٢- بيان مصير الأمم السابقة؛ حتى يعلم الإنسان أن الله قد أهلك من أهدى منه قوة وأكثر عدداً، وأنه لا يعجزه إهلاك المكذبين.
- ٣- التأكيد على حقيقة البعث بذكر قصة عاد إرم حيث كانوا يعيشون في خيام وأبنية مرتفعة العمدان نظراً لتمكنهم وشدة قوتهم وطول أجسامهم لدرجة أنهم لا مثيل لهم على مر الزمان.
- ٤- ضرب الله المثل أيضاً بقوم ثمود الذين جابوا الصخر بالواد حيث تحكروا في الصخور ونحتوا من الجبال بيوتاً لهم، بالإضافة إلى قوم فرعون في أرض مصر، حيث بلغت قوتهم حداً عظيماً لدرجة أنهم بنوا الأهرامات كقبور لهم.
- ٥- عندما يستغل الإنسان الإمكانيات التي منحها الله لها في غير ما أمر الله به، يكون الإنسان قد طغى وجاوز الحد المسموح، وبالتالي يكون مصيره هو الهلاك في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.
- ٦- يجب على الإنسان أن يعلم أنه مهما طغى وأمهله الله تعالى، فإن ربه له بالمرصاد، فهو لن يهمله أبداً.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: تشريف العيد، وعرفة، وعشر المحرم، والإشارة إلى هلاك عاد، وثمود، وأضرابهم، وتفاوت حال الإنسان في النعمة، وحرصه على جمع الدنيا، والمال الكثير، وبيان حال الأرض في القيامة، ومجيء الملائكة، وتأسف الإنسان يومئذ على التقصير، والعصيان، وأن مرجع المؤمن عند الموت إلى الرحمة، والرضوان، ونعيم الجنان، في قوله: {وَأَدْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر: ٣٠]"^(٢).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة^(٣).

■ فضائل السورة:

- عن جابر، قال: "صلى معاذ صلاةً، فجاء رجل فصلى معه فطول، فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذاً فقال: منافق. فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل الفتى، فقال: يا رسول الله، جئت أصلي معه فطول عليّ، فانصرفت وصليت في ناحية المسجد، فعلفت ناضحي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفتان يا معاذ؟ أين أنت من {سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، {وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا}، {وَالفَجْرُ}، {وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى}»"^(٤).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة وَالْفَجْرُ في الليالي العشر غفر له ومن قرأها سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة»^(٥). [موضوع]

(١) انظر: تفسير المراعي: ١٤٠/٣٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٨/١.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٨/١.

(٤) سنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٧٣)، وانظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٩١/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٤١/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «البلد»

«سورة البلد»: هي السورة التسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة ق»، وقبل «سورة الطارق» وآياتها عشرون. وكلماتها اثنتان وثمانون. وحروفها ثلاثمائة وإحدى وخمسون. فواصل آياتها «هدنا»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- أسمها التوقيفي: «سورة البلد»:

اشتهرت تسميتها بـ«سورة البلد» في المصاحف وكتب التفسير^(٢)، وعلوم القرآن^(٣)، ووجه تسميتها بذلك إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد : ١]، وإما لإرادة البلد المعروف وهو مكة^(٤).

■ ثانياً:- اسمها الاجتهادي: «سورة لا أقسم بهذا البلد»:

ثبتت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-^(٥)، وبذلك عنون لها في بعض كتب التفسير^(٦)، وعلوم القرآن^(٧)، وقد ترجمها في «صحيح البخاري»: بـ«سورة لا أقسم»^(٨). وهي تسمية للسورة بأول جملة افتتحت بها، قال تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١)} [البلد : ١].

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: "نزلت سُورَةُ {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} بِمَكَّةَ"^(٩). وروي عن ابن الزبير مثله^(١٠).

قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(١١).

قال القرطبي: "سورة البلد مكية باتفاق"^(١٢).

قال الزمخشري: "هي مكية"^(١٣).

قال ابن عطية: "هي مكية في قول جمهور المفسرين، وقال قوم هي مدنية"^(١٤).

قال الألوسي: "مكية في قوله الجمهور بتمامها، وقيل مدنية بتمامها، وقيل مدنية إلا أربع آيات من أولها. واعترض كلا القولين بأنه يأباهما قوله تعالى: {بهَذَا الْبَلَدِ} [البلد : ١ ، ٢]، قيل -ولقوة الاعتراض- ادعى الزمخشري الإجماع على مكيته، وسيأتي إن شاء الله تعالى أن في بعض الأخبار ما هو ظاهر في نزول صدرها بمكة بعد الفتح"^(١٥).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٠/١.

(٢) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٤٢٧/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٨٢/٣، وتفسير ابن فورك: ٢١٩/٣، والكشف والبيان:

٢٠٦/١٠، والنكت والعيون: ٢٧٤/٦، وتفسير القرطبي: ٥٩/٢٠، وغيرها.

(٣) انظر: مثلاً: غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٥٤.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٣٤٥/٣٠.

(٥) كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٦) انظر مثلاً: تأويلات أهل السنة: ٥٢٩/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٣٣/٥.

(٧) انظر: مثلاً: الناسخ والمنسوخ للزهري: ٣٨.

(٨) انظر: صحيح البخاري: ١٦٩/٦. وكذلك ترجمها غلام ثعلبي في "ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن": ٥٧٧،

وذكرها الشوكاني في "فتح القدير": ٥٣٨/٥، والألوسي في "روح المعاني": ١٥٠/١٥.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٥١٦/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٥١٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) زاد المسير: ٤٤٦/٤.

(١٢) تفسير القرطبي: ٥٩/٢٠.

(١٣) الكشف: ٧٥٣/٤.

(١٤) المحرر الوجيز: ٤٨٣/٥.

(١٥) روح المعاني: ٣٤٩/١٥.

قال ابن عاشور: " هي مكية، وحكى الزمخشري والقرطبي^(١) الاتفاق عليه واقتصر عليه معظم المفسرين، وحكى ابن عطية عن قوم: أنها مدنية^(٢). ولعل هذا قول من فسر قوله: {وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد: ٢] أن الحل الإذن له في القتال يوم الفتح وحمل وأنت حل على معنى: وأنت الآن حل، وهو يرجع إلى ما روى القرطبي عن السدي وأبي صالح وعزي لابن عباس. وقد أشار في «الكشاف» إلى إبطاله بأن السورة نزلت بمكة بالاتفاق^(٣)، وفي رده بذلك مصادرة، فالوجه أن يرد بأن في قوله: أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَى قَوْلِهِ: {فَلَمَّا أَتَتْكَ الْعَقَبَةُ} [البلد: ٥- ١١] ضمائر غيبة يتعين عودها إلى الإنسان في قوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} [البلد: ٤]، وإلا لخلت الضمائر عن معاد^(٤).

قال السيوطي: " حكى ابن الفرس فيها أيضا قولين، وقوله: {بهذا البلد} يرد القول بأنها مدنية"^(٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها:

- ١- أنه ذم في الأولى من أحب المال وأكل التراث ولم يحض على طعام المسكين، وذكر هنا الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقية، والإطعام في يوم المسبغة.
- ٢- ذكر هناك حال النفس مطمئنة، وذكر هنا ما يكون به الاطمئنان^(٦).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من مقاصد سورة البلد:

- ١- تكريم النبي-صلى الله عليه وسلم- بالقسم بمكة، إذ تبدأ السورة بالقسم بمكة حيث أنها نالت شرفاً عظيماً لأنها موطن النبي صلى الله عليه وسلم مع الإشارة أيضاً إلى أنها كانت مسكن بعض الأنبياء السابقين والقبائل العربية التي اعتنقت الحنيفية.
- ٢- قصد الله تعالى بالقسم بمكة إنذار المشركين لأن ما يقومون به من تكذيب النبي وإيذائه يعتبر من أكبر الكبائر.
- ٣- ويحتل القسم بمكة المكرمة التي كانت من قبل وادٍ غير ذي زرع ولا ماء حتى بث الله في هذا البلد الحياة لدعاء نبيه إبراهيم أن يكون ذلك تنبيه على قدرة الله تعالى أن يبعث الخلق بعد الموت؛ فيجب على المكذبين أخذ العبرة من المكان الذي يعيشون فيه.
- ٤- عدم اقتصار التذكير بقدرة الله تعالى على البلاد فقط، بل ضرب الله المثل بنتابع الأجيال حيث يراد من قوله: {وَوَالِدٍ وَمَا وَكَّدَ} [البلد: ٣] آدم وذريته، ولا شك أن القادر على الخلق قادر على البعث.
- ٥- ومن الفوائد أن الحياة الدنيا دار امتحان للإنسان إذ يجب على الإنسان أن يعلم أنه خُلِقَ متحرراً في حياته الدنيا وبالتالي يواجه العديد من العقبات ويكابد المشاق ويتقي شرور الناس ويُسيطر على شهواته لكي يحظى بالنجاة في الآخرة.
- ٦- رغم أن الإنسان يعلم مشقة الطريق ويتكبد المعاناة في حياته، إلا أنه يبخل عن مساعدة غيره، ولذلك تأتي هذه الآية كتوجيه على ضرورة أن يتعاون البشر سوياً لمواجهة مشاكل الحياة.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٥٩/٢٠.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٤٨٣/٥.

(٣) انظر: الكشاف: ٧٥٤/٤.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٤٥/٣٠.

(٥) الإتقان في علوم القرآن: ٥٢/١.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ١٤٠/٣٠.

- ٧- ومن الفوائد تذكير الإنسان بقدرة الله تعالى، فبعدما أوضح الله تعالى ضعف الإنسان أثناء مكابذته لحوادث الدهر، يُذكره الله بقدرة الله عليه حتى لا يغتر الإنسان بقدرته ونجاحه في الحياة الدنيا عندما يجمع الأموال يُعينه الله على تخطي الصعاب.
- ٨- الرد على زعم المشركين في مكة بأن أموالهم التي جمعوها في حياتهم الدنيا سوف تكون لهم عوناً يوم القيامة وستدفع عنهم العذاب، إذ تضمنت هذه السورة الكريمة، للرد على هذا الهراء، حيث أن المال لا ينفع في الآخرة، ولكن ما يُفيد حقاً في هذا اليوم التقوى والعمل الصالح.
- ٩- يُنبه الله تعالى الإنسان باطلاعه على جميع ما يصنع الإنسان، وبالتالي يستطيع الله أن يُحاسبه على أفعاله وأقواله دون أن يفلت الإنسان من الجزاء.
- قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: تشريف مكة بحكم القسم بها، وشدة حال الأدنى، والخير من سره وعلايته، والمنة عليه بالنعم المختلفة، وتهويل عقبة الصراط وبيان النجاة منها، ومدح المؤمنين وصبرهم على البلاء، ورحمة بعضهم بعضاً، وخلود الكفار في النار في قوله: {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ} [البلد: ٢٠]"^(١).
- **الناسخ والمنسوخ:**
السورة محكمة^(٢).
- **فضائل السورة:**
- عن عمرو بن ميمون قال: «صليت مع عمر في العام الذي قتل فيه بمكة صلاة الصبح، فقرأ «لا أقسم بهذا البلد»، و«والنتين والزيتون»^(٣).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ {لا أقسم بهذا البلد}، أعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة»^(٤). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٨/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٠/١.

(٣) مصنف عبدالرزاق الصنعاني(٢٧٣٦):ص١١٩/٢.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٠٦/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٥٧/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الشمس»

«سورة الشمس»: هي السورة الحادية والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة القدر»، وقبل «سورة البروج»، وأياتها خمس عشرة عند القراء. وعند المكي ست عشرة. وكلماتها أربع وخمسون. وحروفها مائتان وأربعون. المختلف فيها آية: {فَعَقَرُوهَا} [الشمس : ١٤]. فواصل آياتها على «الألف»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أسماؤها التوقيفية:

■ أولاً:- «سورة الشمس»:

سميت هذه السورة في المصاحف وفي معظم كتب التفسير^(٢) «سورة الشمس» بدون واو، وكذلك عنوانها النسائي في سننه^(٣).

وقد وردت في بعض المصادر «سورة والشمس»، مع الواو^(٤).

ووجه تسميتها بذلك إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها، قال تعالى: {وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا} [الشمس

: ١].

■ ثانياً:- «سورة والشمس وضحاها»:

عنوانها البخاري^(٥)، والترمذي^(٦)، سورة «والشمس وضحاها»، بحكاية لفظ الآية، وكذلك سميت في بعض التفاسير^(٧)، وهو أولى أسمائها لئلا تلتبس على القارئ بسورة إذا الشمس كورت المسماة سورة التكوير^(٨).

وأما الحاكم فقد عنوانها سورة «الشمس وضحاها» بدون واو^(٩).

وهي تسمية للسورة بأول جملة افتتحت بها، قال تعالى: {وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا} [الشمس : ١].

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: " نزلت سُورَةُ: {وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا} بِمَكَّةَ"^(١٠). وروي عن ابن الزبير

مثله^(١١).

قال ابن الجوزي: " هي مكية كلها بإجماعهم"^(١٢).

قال القرطبي: " مكية باتفاق"^(١٣).

قال ابن عطية: " هي مكية"^(١).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.

(٢) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٤٤٩/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٨٥/٣، والكشف والبيان: ٢١٢/١٠، والنكت والعيون:

٢٨١/٦، وتفسير البغوي: ٤٣٥/٨، والكشاف: ٧٥٨/٤، وتفسير القرطبي: ٧٢/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٤٨٤/١٠،

وغيرها.

(٣) انظر: سنن النسائي: ٣٣٦/١٠.

(٤) انظر مثلاً: تفسير السمعاني: ٢٣٢/٦.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٦٩/٦.

(٦) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٧/٥.

(٧) انظر مثلاً: تأويلات أهل السنة: ٥٣٩/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٣٧/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٢٥/٣.

(٨) انظر: التحرير والتنزيل: ٣٦٥/٣٠.

(٩) انظر: المستدرک على الصحيحين: ٥٧١/٢. وكذلك عنوانها مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية":

٨٢٨٩/١٢

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١١) انظر: الدر المنثور: ٥٢٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢) زاد المسير: ٤٥٠/٤.

(١٣) تفسير القرطبي: ٧٢/٢٠.

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها:

أنه لما ختم -سبحانه- السورة التي قبلها «البلد» بذكر أصحاب الميمنة وأصحاب الشأمة أعاد ذكرهما هنا ولكن بصورة أخرى وأسلوب آخر فقال: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)} [الشمس : ٩ - ١٠]، ثم كان قوله تعالى في السورة: {قَالَهُمْهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)} [الشمس : ٨]، كالبيان والتوضيح لقوله تعالى في سورة البلد: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد : ١٠]، على أنهما طريقاً الخير والشر^(٢).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من مقاصد السورة الكريمة:

١- يُشير القسم في بداية سورة الشمس إلى مظاهر قدرة الله تعالى في الكون حيث أنه أبداع الخلق وسيّره وفقاً لتدبيره، وفي ذلك القسم دليل على أنه لا يعجزه شيئاً.

٢- أقسم الله بالشمس حيث أنها أم المجموعة الشمسية وهي النجم المسيطر على تسعة كواكب والكثير من الكويكبات التي لا يمكن حصرها، وتتميز الشمس بشدة ضوئها في النهار، واختص الله تعالى وقت الضحى حيث يمكن للإنسان أن ينعم بسطوع الشمس في ذلك الوقت دون أن يتأذى من حرارتها.

٣- يتلو الشمس في الوضوح القمر، حيث يتجلى ضوءه بعد مغيب الشمس، وهذه الحركة الكونية مثيرة للتساؤل عن نظام هذا الكون الفسيح الذي لا يمكن أن يختل إلا أن يشاء الله.

٤- يضرب الله المثل في التتابع بالنهار والليل، حيث أن النهار يأتي فيجعل الشمس جلية واضحة للعيان، بينما يتبع الليل النهار لكي يُغشي الليل ويُغطيها.

٥- يأتي القسم الخامس في سورة الشمس بالسماء وما بناها، حيث يسأل الله تعالى الكفار من الذي بنى هذه السماء ليعلموا أنه لا خالق إلا الله، وبالتالي فهو القادر على إعادتهم وبعثهم بعد الموت، وربما يكون المقصود بقوله "وما بناها" أي انظروا إلى عظمة بنائها وكيفية ارتفاعها بغير عمد.

٦- تتعدد الآراء في قوله والأرض وما طحاها، حيث يمكن أن يكون المراد وما خلق فيها من أنفس، بالإضافة إلى إمكانية أن يكون المقصود القسم بالأرض المسطحة لكي تسمح بخروج النباتات من الشقوق حتى يسعى الإنسان بحثاً عن الرزق.

٧- أقسم الله بالنفس البشرية حيث أنها سر كبير حير العلماء، وكانت سبباً في اختلافهم ما بين القول أنها مجبولة على الخير والرأي الآخر بأنها طُبعت على البشر.

٨- يؤكد الله تعالى في سورة الشمس أنه سوى النفس البشرية على الفطرة المستقيمة وعدل خلقها وأرشد الإنسان إلى التقوى والفجور حتى يسلك الإنسان أي الطريقين وفقاً لإرادته.

٩- جاء جواب القسم بعد هذه الأقسام السبعة في قوله: {وَتَنفَسَ وَمَا سَوَّاهَا (٧) قَالَهُمْهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)} [الشمس : ٧ - ٨]، ليعلم الإنسان أنه إذا زكى نفسه بالطاعة وقاوم شهواتها فإن مصيره هو الفلاح، بينما إذا تغاضى وتكاسل عن تقويمها وتركها لارتكاب الشهوات فإن مصير هذا الإنسان هو الخيبة يوم القيامة.

(١) المحرر الوجيز: ٤٨٧/٥.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٠/١٩٢٣.

قال الفيروزآبادي: " مقصود السورة: أنواع القسم المترادفة، على إلهام الخلق في الطاعة والمعصية، والفلاح والخيبة، والخبر من إهلاك ثمود، وتخويف لأهل مكة في قوله: {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس: ١٥]"^(١).

■ **الناسخ والمنسوخ:**
السورة محكمة^(٢).

■ **فضائل السورة:**

- عن جابر، قال: مر رجل من الأنصار بناضحين على معاذ، وهو يصلي المغرب، فافتتح سورة البقرة، فصلى الرجل ثم ذهب، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «أفتان يا معاذ، أفتان يا معاذ، ألا قرأت بـ{سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، و{وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا}، ونحوها»^(٣).
- عن بريدة: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة العشاء بـ{الشَّمْسُ وَضُحَاهَا}، وأشباهاها من السور"^(٤).
- عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يقرأ في صلاة الصبح بـ {وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى}، و{الشَّمْسُ وَضُحَاهَا}"^(٥).
- عن عقبة بن عامر قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي ركعتي الضحى بسورتيهما بـ {وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا}، و{الضحى}"^(٦).
- عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين: {سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، و{الشَّمْسُ وَضُحَاهَا}"^(٧).
- عن نافع، عن ابن عمر قال: " كان يقرأ في ركعتي الاستسقاء: {وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا}، و{وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى}"^(٨).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة والشَّمْسُ فكأنما تصدَّق بكلِّ شيء طلعت عليه الشمس والقمر»^(٩). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.

(٣) السنن الكبرى للنسائي (١٠٥٨): ص ١٥/٢. [قال الألباني]: صحيح.

(٤) الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى أحمد والترمذي وحسنه والنسائي.

(٥) الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى الطبراني.

(٦) الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان.

(٧) الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى الطبراني.

(٨) مصنف عبدالرزاق (٤٩٠٠): ص ٨٦/٣.

(٩) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢١٢/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٦٧/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الليل»

«سورة الليل»: هي السورة الثانية والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الأعلى»، وقبل «سورة الفجر» وآياتها إحدى وعشرون بلا خلاف. وكلماتها إحدى وسبعون. وحروفها ثلاثمائة وعشر. فواصل آياتها على «الألف»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أسماؤها التوقيفية:

■ أولاً:- «سورة الشمس»:

سميت هذه السورة في معظم المصاحف وبعض كتب التفسير^(٢)، «سورة الليل» بدون واو، وسميت في معظم كتب التفسير^(٣) «سورة والليل» بإثبات الواو.

ووجه تسميتها «سورة الليل»، لافتتاحها بالقسم الإلهي، وذلك في قوله تعالى: {وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ}

[الليل : ١].

■ ثانياً:- «سورة والليل إذا يغشى»:

وهذا الاسم مأثور عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما في حديث معاذ بن جبل-رضي الله عنه-^(٤)، كما وردت هذه التسمية عند الصحابة الكرام-رضوان الله عليهم أجمعين^(٥)، وبهذه التسمية عنون لها بعض المفسرين^(٦)، كما عنون لها البخاري^(٧)، والترمذي^(٨)، والحاكم^(٩) في كتبهم.

وهي تسمية للسورة بأول جملة افتتحت بها، قال تعالى: {وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ} [الليل : ١].

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة {والليل إذا يغشى} بمكة"^(١٠). وروي عن ابن الزبير مثله^(١١). قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(١٢).

قال القرطبي: "سورة «والليل» مكية. وقيل: مدنية"^(١٣).

قال ابن عطية: "هي مكية في قول الجمهور، وقال المهدي وقيل هي مدنية وقيل فيها مدني"^(١٤).

قال أبو حيان: "هذه السورة مكية. وقال علي بن أبي طلحة: مدنية. وقيل: فيها مدني"^(١٥).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٣/١.

(٢) انظر: مثلاً: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٨٨/٣، وتفسير البغوي: ٤٤٢/٨، والكشاف: ٧٦١/٤، والمحرم الوجيز: ٤٩٠/٥، وزاد المسير: ٤٥٣/٤، ومفاتيح الغيب: ١٨١/٣١، وغيرها.

(٣) كما في: تفسير ابن فورك: ٢٣٠/٣، والكشف والبيان: ٢١٦/١٠، والنكت والعيون: ٢٨٦/٦، والوسيط للواحد: ٥٠١/٤، وتفسير السمعاني: ٢٣٦/٦، وتفسير القرطبي: ٨٠/٢٠، وغيرها.

(٤) انظر الحديث في فضائل السورة.

(٥) انظر: الآثار في فضائل السورة.

(٦) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٤٨/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٣٩/٥، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٠٧/١٢، وغيرها.

(٧) انظر: صحيح البخاري: ١٧٠/٦.

(٨) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٨/٥.

(٩) انظر: المستدرک على الصحيحين: ٥٧١/٢. وكذلك عنونها مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية": ٨٢٨٩/١٢.

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٥٣٢/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١١) انظر: الدر المنثور: ٥٣٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢) زاد المسير: ٤٥٣/٤.

(١٣) تفسير القرطبي: ٧٢/٢٠.

(١٤) المحرم الوجيز: ٤٩٠/٥.

وكذلك ذكر الأقوال في «الإتقان»^(٢)، وأشار إلى أن ذلك لما روي من سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [الليل : ٥]، إذ روي: «أنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري»^(٣)، في نخلة كان يأكل أيتام من ثمرها وكانت لرجل من المنافقين فمنعهم من ثمرها فاشتراها أبو الدحداح بنخيل وجعلها لهم»^(٤). وسيأتي تفصيل ذلك-إن شاء الله-.

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر هناك فلاح المطهرين لأنفسهم وخيبة المدسين لها وهنا ذكر ما يحصل به الفلاح وما تحصل فيه الخيبة، فهي كالتفصيل لسابقتها^(٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من مقاصد السورة الكريمة:

١- أن التغيُّر طبيعة الكون، إذ بدأت السورة بالقسم بالليل الذي يغشي كافة المخلوقات وتُضيف غشاوة الليل على الكون السكون لكي ينال الإنسان قسطاً من الراحة، وبعدها ذلك يأتي النهار ليُجلي الكون من أجل الحركة والسعي لتحصيل الرزق.

٢- يُشير ذكر الليل والنهار في بداية السورة إلى مرور عمر الإنسان يوماً بعد يوم، ويجب عليه أن يفقه رسالته في الحياة التي وُجد من أجلها حتى لا يضيع عمره سدى.

٣- يوجد ترابط وثيق بين تغير الإنسان من حالة إلى حالة أخرى وبين تتابع الليل والنهار بالإضافة إلى أنه يدل على إمكانية بعثه إلى الحياة بعد الموت.

٤- ذكر الله خلق الذكر والأنثى في سورة الليل حيث أنه كناية عن مقصد الإنسان من السعي في حياته، فالإنسان يسعى من أجل إنجاب الذرية، وبمجرد رؤية ذريته تكبر يدخل الوقار إلى قلبه ويشعر باكتمال سعيه.

٥- بيان اختلاف سعي الإنسان في الدنيا، إذ تختلف طريقة عيش الإنسان في الدنيا ويتباين العمل من شخص لآخر، وبينما يبحث الجميع عن الرزق إلا أن هناك ضوابط عديدة تحكم كل إنسان في تحصيل رزقه.

٦- يتأرجح الإنسان طول حياته بين التسير والتخير، حيث أنه لا يختار نوعه، فيمكن أن يولد ذكراً أو أنثى كما لا يختار زمانه ومكانه الذي يُولد فيه، لكنه مع ذلك مكلف بالاختيار، فيمكنه طاعة الله أو معصيته.

(١) البحر المحيط في التفسير: ٤٩١/١٠.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ٥٢/١، قال السيوطي: "الأشهر أنها مكية وقيل: مدنية لما ورد في سبب نزولها من قصة النخلة كما أخرجناه في أسباب النزول وقيل فيها مكي ومدني".

(٣) أبو الدحداح: ثابت بن الدحداح البلوي، حليف الأنصار، صحابي جليل، قتل في واقعة أحد، وقيل: مات بعدها من جرح كان به حين رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وهو الذي صاح يوم أحد لما أرجف المشركون بموت النبي صلى الله عليه وسلم: يا معشر الأنصار إلي إلي أنا ثابت بن الدحداح إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت، فقاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٣٥٥): ص ٣٤٣٩/١٠-٣٤٤٠، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٤٧٧، والدر المنثور: ٢٣٢/٨-٢٣٣. في إسناده: حفص بن عمر بن ميمون العدني.

قال الحافظ في التقریب: ضعيف [تقریب ١/ ١٨٨] ، وقال ابن حبان: "يروى عن مالك وأهل المدينة كان ممن يقبل الأسانيد لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد".

(٥) انظر: تفسير المراغي: ١٧٣/٣٠.

- ٧- رغم تشتت سعي الإنسان في حياته إلا أنه ينتهي إلى طريقين إما إلى الإيمان بالله أو الكفر والتكذيب.
- ٨- بيان أوصاف طريق السعادة، فإن الذي يختار طريق السعادة يجب عليه أن يتصدق بأمواله ويُصدق بقلبه وعندها يُيسره الله تعالى لليسرى.
- ٩- نزلت الآيات التي تصف طريق السعادة في الصحابي الجليل أبي بكر الصديق عندما تصدق بماله من أجل عتق بلال بن رباح لتخليصه من تعذيب المشركين له.
- ١٠- بيان أوصاف طريق الشقاء، فإن الذي يختار طريق الشقاء يبخل بماله ويُفضل أن يكون معزولاً عن الناس حتى لا يُطالبوه بأنه يُعطيهم شيئاً.
- ١١- عندما يُكذب الإنسان بالحسنى فإنه بذلك يستغني عن العشرة الطيبة ويسعى إلى الشقاء بأخلاقه السيئة، فلا يكون من الله تعالى إلا أن يُيسره إلى العُسر التي اختارها بنفسه.
- ١٢- لا ينفع الإنسان ما اكتسبه من مال عندما يأتي يوم القيامة، حيث أن المال لن يدفع عنه العذاب بخلاف كان يعتقد مشركو مكة.
- قال الفيروزآبادي: "مقصود السورة: القسم على تفاوت حال الخلق في الإساءة والإحسان، وهدايتهم إلى شأن القرآن، وترهيب بعض بالنار، وترغيب بعض بالجنان والبدار إلى الصدقة كفارة للذنوب والعصيان، ووعد برضى الرحمن المنان، في قوله: {وَأَسْوَفَ يَرْضَى} [الليل : ٢١]"^(١).
- **الناسخ والمنسوخ:**
السورة محكمة^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن جابر، قال : "صلى معاذ صلاةً، فجاء رجل فصلى معه فطول، فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذاً فقال : منافق. فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل الفتى، فقال : يا رسول الله، جئت أصلي معه فطول عليّ، فانصرفت وصليتُ في ناحية المسجد، فعلفت ناضحي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أفتان يا معاذ ؟ أين أنت من {سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، {وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا}، {وَالفَجْرُ}، {وَاللَّيْلُ إِذَا يَعْشَى}»"^(٣).
- عن جابر بن سمرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر بـ {وَاللَّيْلُ إِذَا يَعْشَى} ونحوها"^(٤).
- عن نافع، عن ابن عمر قال: " كان يقرأ في ركعتي الاستسقاء: {وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا}، {وَاللَّيْلُ إِذَا يَعْشَى}"^(٥).
- أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: "إني لأقول هذه السورة نزلت في السماحة والبخل: {وَاللَّيْلُ إِذَا يَعْشَى}"^(٦).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٣/١.

(٣) سنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٧٣)، وانظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨.

(٤) الدر المنثور: ٥٣٢/٨، وعزاه إلى البيهقي في سننه.

(٥) مصنف عبدالرزاق (٤٩٠٠): ص ٨٦/٣.

(٦) الدر المنثور: ٥٣٣/٨.

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة وَاللَّيْلِ أعطاه الله حتى يرضى، وعافاه الله سبحانه من العسر ويسر له اليسر»^(١). [موضوع]

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢١٦/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٧٣/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الضحى»

«سورة الضحى»: هي السورة الثالثة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الفجر»، وآياتها إحدى عشرة. وكلماتها أربعون. وحروفها مائة واثنان وسبعون. وفواصلها على «ثرا»^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة الضحى»:

سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وفي كثير من كتب التفسير^(٢)، بدون واو، وسميت في بعض من التفاسير^(٣)، وفي «صحيح البخاري»^(٤)، وسنن الترمذي^(٥): «سورة والضحى» بإثبات الواو.

وهذا الاسم مأثور عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما في حديث معاذ بن جبل-رضي الله عنه-^(٦)، وقد وردت هذه التسمية عند الصحابة الكرام-رضوان الله عليهم أجمعين^(٧).

ووجه تسميتها «سورة الضحى»، لافتتاحها بالقسم الإلهي، وذلك في قوله تعالى: {وَالضُّحَىٰ}

[الضحى : ١].

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة «الضحى»، بمكة"^(٨).

قال ابن الجوزي: " هي مكيّة بإجماعهم"^(٩).

قال القرطبي: " سورة «الضحى» مكية باتفاق"^(١٠).

قال ابن عطية: " هي مكية لا خلاف في ذلك بين الرواة"^(١١).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر في السابقة «وسيجنبها الأتقى» ولما كان سيد الأتقين رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب ذلك سبحانه بذكر نعمه عز وجل عليه^(١٢).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من مقاصد السورة الكريمة:

١- أنها نزلت مواساةً لخير الخلق محمدٍ، عندما شقّ عليه فتور الوحي عدة ليالٍ، فأراد الله أن ينزع

من قلبه اليأس، ويبعث فيه التفاؤل والأمل، ومن صور التفاؤل في السورة.

٢- التأكيد على أنّ الضيق لا يبقى، ولا بدّ أن يتبعه الفرج، وأنّ الله يرحم عباده مهما طالّت مدة

العناء والضيق، والعلم أنّ ما من عبدٍ يُبتلى إلّا وفرّج الله عنه، والقُدوة في ذلك النبي -عليه

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٥/١.

(٢) انظر: مثلاً: تأويلات أهل السنة: ٥٥٦/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٩١/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٤١/٥، والكشف والبيان: ٢٢٢/١٠، والنكت والعيون: ٢٩١/٦، والوسيط للواحدى: ٥٠٧/٤، وتفسير السمعاني: ٢٤٢/٦، والكشاف: ٧٦٥/٤، وغيرها.

(٣) انظر: مثلاً: تفسير الطبري: ٤٨١/٢٤، وتفسير ابن فورك: ٢٣٥/٣، وتفسير البيضاوي: ٣١٩/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٤٣٧/٤، وغيرها .

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٧٢/٦.

(٥) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٩/٥.

(٦) انظر الحديث في فضائل السورة.

(٧) انظر: الآثار في فضائل السورة.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٥٣٩/٨، وعزاه إلى الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٩) زاد المسير: ٤٥٦/٤.

(١٠) تفسير القرطبي: ٩١/٢٠.

(١١) المحرر الوجيز: ٤٩٣/٥.

(١٢) انظر: تفسير المراعي: ١٨٢/٣٠.

- الصلاة والسلام- الذي ابثلي بعدة ابتلاءات؛ كالفقر، واليتم، وعلى العبد أن يتذكر نعم الله عليه وقت ابتلائه، ولا يُنكر فضل الله عليه، ورحمته به.
- ٣- نزول السورة في بداية الدعوة الإسلامية، حين عانى المسلمون أشد أنواع العذاب النفسي والجسدي، فكانت السورة بمثابة الدعم للمسلمين؛ ليثبتوا على دينهم. تعميق قيم التكافل الاجتماعي بين المسلمين؛ وذلك من خلال العطف على اليتيم، من جميع نواحي الحياة الاجتماعية، والعلمية، والاقتصادية.
- ٤- التأكيد على الأخلاق الحميدة، التي يجب الحرص عليها في التعامل مع المساكين والفقراء؛ اقتداءً برسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
- ٥- شكر الله -تعالى- الدائم على نعمه، صغيرة كانت أم كبيرة، قال الله -تعالى-: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم : ٧].
- ٦- التأكيد على أهمية التعامل الحسن مع الآخرين، بالتشجيع، والتحفيز، وتعزيز الثقة بالنفس لديهم.
- قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان ما للرسول صلى الله عليه وسلم: من الشرف والمنقبة، ووعده في القيامة بالشفاعة، وذكر أنواع الكرامة له، والمنة، وصيانة الفقر واليتم من بين الحرمان والمذلة، والأمر بشكر النعمة في قوله: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى : ١١]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة خالية من الناسخ والمنسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن عقبة بن عامر الجهني، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "«صلوا ركعتي الضحى بسورتها: {الشمس وضحاها}، و{الضحى}». قال عقبة: من فعل ذلك غفر له"^(٣).
- عن عمرو، عن جابر قال: كان معاذ، يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتي فيوم قومه، فصلى ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء ثم أتى قومه فأمهم فافتتح بسورة البقرة فأنحرف رجل فسلم ثم صلى وحده وانصرف فقالوا له: أنافقت؟ يا فلان، قال: لا. والله ولأتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار وإن معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاذ فقال: «يا معاذ أفتان أنت؟ اقرأ بكذا وقرأ بكذا». قال سفيان: فقلت لعمرو، إن أبا الزبير، حدثنا عن جابر، أنه قال: اقرأ «والشمس وضحاها»، و«الضحى»، «والليل إذا يغشى»، و«سبح اسم ربك الأعلى»، فقال عمرو: نحو هذا"^(٤).
- عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: بينا فتى من الأنصار علف ناضحه، وأقام معاذ بن جبل صلاة العشاء، فنزل الفتى علفه، فقام فتوضأ، وحضر الصلاة، وافتتح معاذ بسورة البقرة، فصلى الفتى وترك معاذاً، وانصرف إلى ناضحه فعلقه - أو فعلفها - فلما انصرف معاذ جاء الفتى، فسبه ونقصه، ثم قال: لآتين نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرك، فأصبحنا فاجتمعنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر له معاذ شأنه، فقال الفتى: إنا أهل عمل وشغل، فطول علينا، استفتح بسورة البقرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معاذ، أتريد أن تكون فتاناً؟ إذا أمت الناس فأقرأ بـ «سبح اسم ربك الأعلى»، و«الليل إذا يغشى»، و«اقرأ باسم

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.

(٢) انظر: نواسخ القرآن لان الجوزي: ٣٥.

(٣) مسند الروياني(٢٤٣):ص١/١٨٥. في سننه ابن لهيعة، وهو ضعيف، سيئ الحفظ.

(٤) صحيح مسلم(٤٦٥):٣٣٩/١.

- ربك»، و«الضحى»، وبهذا النحو»، فقال عبد الله بن عبيد بن عمير: فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الفتى فقال: «يا معاذ، ادع»، فدعا، فقال للفتى: «ادع»، فقال: والله لا أدري ما دندنتكما هذه، غير أنني والله لئن لقيت العدو لأصدقن الله، فلقى العدو فاستشهد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق الله فصدقه الله»^(١).
- عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه- رضي الله عنه-، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب والعشاء {والليل إذا يغشى، {والضحى}، وكان يقرأ في الظهر والعصر {سبح اسم ربك الأعلى}، {وهل أتاك حديث الغاشية}"^(٢).
- عن ابن عيينة، عن الصلت بن بهرام: «أن إبراهيم النخعي، أمهم في السفر في صلاة الصبح فقرأ والضحى، والتين»^(٣).
- عن ابن طاوس، قال: «كان أبي يجمع بين: {سبح اسم ربك الأعلى}، {والليل إذا يغشى}، في ركعة، وبين {والضحى}، و{ألم نشرح}، في ركعة في المكتوبة»^(٤).
- عن أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة، قال: سمعت عكرمة بن سليمان، يقول: "قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، فلما بلغت «والضحى»، قال لي: «كبر كبير عند خاتمة كل سورة، حتى تختم» وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد، أن ابن عباس أمره بذلك، وأخبره ابن عباس، أن أبي بن كعب أمره بذلك وأخبره أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك"^(٥).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة والضحى، كان فيمن يرضاه الله عز وجلّ لمحمد أن يشفع له، وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم»^(٦). [موضوع]

(١) مصنف عبدالرزاق (٣٧٢٥):ص٣٦٥/٢.

(٢) مسند البزاز (٤٤١١):ص٢٩٦/١٠.

(٣) مصنف عبدالرزاق (٢٧٤٢):ص١٢٠/٢.

(٤) مصنف عبدالرزاق (٢٨٥١):ص١٤٨/٢.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٣٢٥):٣/٤٤٤، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». قال الذهبي: "البزي قد تكلم فيه".

(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٢٢/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الشرح»

«سورة الشرح»: هي السورة الرابعة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الضحى»^(١)، آياتها ثمان. وكلماتها ست وعشرون. وحروفها مائة وخمسون. وفواصل آياتها «بكا»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الشرح»:

سميت في مجموعة من التفاسير^(٣)، وبعض كتب علوم القرآن^(٤): «سورة الشرح»، ومثله في بعض المصاحف المشرقية، تسمية بمصدر الفعل الواقع فيها من قوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح: ١].

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

١- «سورة ألم نشرح»:

وردت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-^(٥)، وبهذا الاسم عنونت في كثير من كتب التفسير^(٦)، وكتب علوم القرآن^(٧)، وفي «صحيح البخاري»، و«جامع الترمذي»، ووجه تسمية بذلك، لافتتاحها بقوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح: ١].

٢- «سورة الانشراح»:

سميت في بعض التفاسير^(٨)، وكثير من كتب علوم القرآن^(٩): «سورة الانشراح»، وهي مصدر الفعل: «انشرح».

ولم ترد التسميتين الأخيرتين عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

وقد وردت تسميتها بسورة «اليسر» في مصحف كتبه أبو الحسن علي بن هلال، وهو مصور من جامعة أم القرى، ولعل هذه التسمية من لفظ وقع في السورة، وذلك في قوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح: ٥] -والله تعالى أعلم-.

■ مكية السورة ومدنيتها:

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٤٧/٨، وفيه: عن ابن عباس -رضي الله عنهما قال:- نزلت سورة {ألم نشرح} بمكة". زاد بعضهم: بعد «الضحى».

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.

(٣) انظر مثلاً: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٩٣/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٤٣/٥، والكشف والبيان: ٣٣٢/١٠، والنكت والعيون: ٢٩٦/٦، والتفسير الوسيط للواحي: ٥١٥/٤، وتفسير البغوي: ٤٦٣/٨، والكشاف: ٧٧٠/٤، والمحرم الوجيز: ٤٩٦/٥، وزاد المسير: ٤٦٠/٤، وتفسير العز بن عبد السلام: ٤٦٤/٣، وغيرها.

(٤) انظر مثلاً: معاني القرآن للزجاج: ٣٤١/٥، وأحكام القرآن للكبيرة الهراسي: ٤٣٠/٤، والبرهان في تناسب سور القرآن: ٣٦٨.

(٥) انظر: الآثار في مكان نزول السورة.

(٦) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٤٩١/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٦٤/١٠، وتفسير ابن فورك: ٢٣٨/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٣١/١٢، وتفسير السمعاني: ٢٤٨/٦، ومفاتيح الغيب: ٢٠٥/٢٢، وتفسير القرطبي: ١٠٤/٢٠، وتفسير البيضاوي: ٣٢١/٥، وغيرها.

(٧) انظر مثلاً: معاني القرآن للفراء: ٢٧٥/٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٣٠٣/٢، وإعراب القرآن للنحاس: ١٥٦/٥، وأحكام القرآن للجصاص: ٦٣٩/٣، والمحتسب: ٣٦٦/٢، والناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٠، ومشكل إعراب القرآن لهبة الله: ٨٢٥/٢، وغيرها.

(٨) انظر مثلاً: تفسير الإيجي: ٥٠٦/٤، وروح البيان، لأبي الفداء: ٥٣٢/٣، وتفسير المظهري: ٢٩٠/١٠.

(٩) انظر مثلاً: غريب القرآن لابن قتيبة: ٥٣٢، والسبعة في القراءات: ٦٩٠، وأحكام القرآن لابن العربي: ٤١٢/٤، وفنون الأفتان في عيون علوم القرآن: ٣٢٣، والتبيان في إعراب القرآن: ١٢٩٣/٢، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ٣٤٧، وغيرها.

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة {ألم نشرح} بمكة"^(١). وروي عن عائشة وابن الزبير مثله^(٢).
قال ابن الجوزي: "هي مكّية بإجماعهم"^(٣).

قال ابن عطية: "هي مكّية بإجماع من المفسرين لا خلاف بينهم في ذلك"^(٤).
■ مناسبة السورة لما قبلها:

إن هذه السورة الكريمة شديدة الاتصال بما قبلها حتى روى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز أنهما كانا يقولان: «هما سورة واحدة»، وكانا يقرأنهما في الركعة الواحدة، وما كانا يفضلان بينهما بالبسملة، وهذا شذوذ مخالف لما اتفقت عليه الأمة من تسوير المصحف الإمام^(٥)، إذ أن المتواتر كونهما سورتين وإن كانتا متصلتين معني، إذ في كل منهما تعداد النعم وطلب الشكر عليها^(٦).

ويدل على شدة اتصالهما ما في حديث الإسراء الذي أخرجه ابن أبي حاتم أن الله تعالى قال لرسوله -عليه الصلاة والسلام-: "... ألم أجدك يتيماً فأويتك؟ ألم أجدك ضالاً فهديتك؟ ألم أجدك عائلاً فأغنيتك؟ ألم أشرح لك صدرك، ووضعت عنك وزرك؟ قال: قلت: بلى يا رب"^(٧).
والجمع بينهما في الحديث يدل دلالة قوية على ما بينهما من تناسب.

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من مقاصد السورة الكريمة:

- ١- إن السعادة بيد الله وحده، إذ أكدت السورة الكريمة أن على أن الله وحده هو القادر على سعادة مخلوقاته، فقد خلق الله المعاني كلها وإذا شاء وضع السعادة في قلب مخلوقه، فهو القائل: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْغَى} [النجم : ٤٣].
- ٢- إن السعادة موضعها القلب وليس العقل، لذلك قال تعالى "لك صدرك"، والله تعالى هو مقلب القلوب ومصرفها حيث يشاء.
- ٣- ردت سورة الشرح على ادعاءات المشركين عندما عيّروا النبي وأتباعه من المسلمين بفقرتهم وحاجتهم.
- ٤- تشتمل سورة الشرح على الكثير من البشارات للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد أخبره الله بمنزلته العالية التي تظهر من اقتران اسم النبي محمد باسم الله تعالى وما يدل ذلك على رفع المقام.
- ٥- يُطمئن الله تعالى نبيه باقتراب النصر على الأعداء حيث يُخبره بأن مع العسر الذي يلقاه المسلمون في مكة اليسر والفرج حتى لا يشعروا باليأس.
- ٦- تُوضح سورة الشرح أن الله تعالى قد اختص نبيه بهذه العطايا حيث يقول النبي-صلى الله عليه وسلم- «سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً وَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ، قُلْتُ: يَا رَبِّ! كَأَنَّتْ قَبْلِي رَسُلٌ مِنْهُمْ مَنْ سَخَّرَتْ لَهُ

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٤٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٥٤٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) زاد المسير: ٤٦٠/٤.

(٤) المحرر الوجيز: ٤٩٦/٥.

(٥) التحرير والتنوير: ٤٠٧/٣٠.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ١٨٨/٣٠.

(٧) المعجم الكبير للطبراني(١٢٢٨٩):ص٤٥٥/١١. إسناده حسن: فيه عطاء بن السائب: صدوق ولكنه اختلط، ولكن ذكر الحافظ في ترجمته: قال البخاري في تاريخه قال علي: سماع خالد بن عبد الله من عطاء بن السائب بأخزه وسماع حماد بن زيد منه صحيح وقال العقيلي: تغير حفظه وسماع حماد بن زيد منه قبل التغير.

وأخرجه البيهقي في الدلائل (٦٢ /٧) من طريق سليمان بن حرب عن حماد به.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩٢١):ص٢٥٣-٢٥٤، وقال: "فيه عطاء بن السائب وقد اختلط".

وزاد نسبه في الدر (٥٤٤/٨) لابن أبي حاتم والحاكم وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر.

الرِّيَّاحَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى، وَكَلَّمْتُ مُوسَى قَالَ: أَلَمْ أُجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَيْتُكَ؟ أَلَمْ أُجِدْكَ ضَالًّا فَهَدَيْتُكَ؟ أَلَمْ أُجِدْكَ عَائِلًا فَأَغْنَيْتُكَ؟ أَلَمْ أُشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وَوَضَعْتُ عَنَّا وَزَرَكَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ بَلَى يَا رَبُّ؛ فَوَدِدْتُ أَنْ لَمْ أَسْأَلْهُ»^(١).

٧- وجوب التفرغ والإخلاص لله تعالى، إذ تؤكد سورة الشرح على أن الإنسان يجب عليه أن يتفرغ إلى عبادة ربه بعد الانتهاء من أعماله.

٨- من أهم ما تنطوي عليه فوائد من سورة الشرح وجوب صرف الوجه والرغبات إلى الله تعالى وحده لأنه هو القادر على تحقيقها.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان شرح صدر المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ورفع قدره وذكره، وتبديل العسر من أمره بيسره، وأمره بالطاعة في انتظار أجره، والرغبة إلى الله تعالى - والإقبال على ذكره في قوله: {وَأَلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [الشرح : ٨]"^(٢).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة، خالية من الناسخ والمنسوخ^(٣).

■ فضائل السورة:

- عن ابن طاوس، قال: «كان أبي يجمع بين: {سبح اسم ربك الأعلى}، {والليل إذا يغشى}، في ركعة، وبين {والضحى}، و{الم نشرح}، في ركعة في المكتوبة»^(٤).

- روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ {الم نَسْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ} فَكَأَنَّمَا جَاءَنِي وَأَنَا مَعْتَمٍ فَفَرَجَ عَنِّي»^(٥). [ضعيف]

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٢٢٨٩): ص ٤٥٥/١١. إسناده حسن: فيه عطاء بن السائب: صدوق ولكنه اختلط، ولكن ذكر الحافظ في ترجمته: قال البخاري في تاريخه قال علي: سماع خالد بن عبد الله من عطاء بن السائب بأخيه وسماع حماد بن زيد منه صحيح وقال العقيلي: تغير حفظه وسماع حماد بن زيد منه قبل التغير.

وأخرجه البيهقي في الدلائل (٦٢ / ٧) من طريق سليمان بن حرب عن حماد به. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩٢١): ص ٢٥٣-٢٥٤، وقال: "فيه عطاء بن السائب وقد اختلط".

وزاد نسبه في الدر (٥٤٤/٨) لابن أبي حاتم والحاكم وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.

(٤) مصنف عبدالرزاق (٢٨٥١): ص ١٤٨/٢.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٣٢/١٠.

سورة «التين»

«سورة التين»: هي السورة الخامسة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة البروج»، وآياتها ثمان. وكلماتها أربع وثلاثون. وحروفها مائة وخمسون. وفواصل آياتها «من»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- أسمها التوقيفي: «سورة التين»:

وسماها أكثر المفسرين^(٢) باسم: «سورة التين»، بدون «واو»، لأن فيها لفظ «التين» في أولها، قال تعالى: {وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ} [التين : ١]، وكما قالوا: «سورة البقرة»، وبذلك عنونها «الترمذي»^(٣)، والنسائي^(٤)، وبعض المصاحف.

وسميت أيضا في بعض من كتب التفسير^(٥)، والمصاحف: «سورة والتين» بإثبات «الواو»، تسمية بأول كلمة فيها، وكما سيأتي في كلام ابن عباس-رضي الله عنهما-^(٦).

■ ثانيا:- أسمها الاجتهادي: سورة «والتين والزيتون»:

وردت هذا الاسم في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-، كما في حديث البراء^(٧)، وهي تسمية اجتهادية، لم تثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان: أحدهما: أنها مكية، قاله الجمهور^(٨)، منهم الحسن^(٩)، وعكرمة^(١٠)، وعطاء^(١١)، وجابر^(١٢). وهو المشهور من كلام ابن عباس^(١٣).

قال أبو حيان: " هذه السورة مكية في قول الجمهور"^(١٤)

عن ابن عباس، قال: " أنزلت سورة التين {والتين} بمكة"^(١٥)

الثاني: أنها مدنية، حكاها الماوردي عن ابن عباس^(١٦)، وقتادة^(١٧).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٧٠/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٩٥/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٤٥/٥، والكشف والبيان: ٢٣٨/١٠، والنكت والعيون: ٢٣٨، والوسيط للواحدي: ٥٢٢/٤، وتفسير السمعاني: ٢٥٣/٦، وتفسير البغوي: ٤٦٨/٨، والكشاف: ٧٧٣/٤، والمحرم الوجيز: ٤٩٩/٥، ومفاتيح الغيب: ٢١٠/٣٢، وغيرها.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٣٠٠/٥.

(٤) انظر: سنن النسائي: ٣٣٩/١٠.

(٥) انظر مثلا: تفسير ابن فورك: ٢٤١/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٣٩/١٢، وتفسير البيضاوي: ٣٢٣/٥، وتفسير السعدي: ٩٢٩، وغيرها.

(٦) عن ابن عباس، قال: " أنزلت سورة التين {والتين} بمكة ، انظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٧) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٨) انظر: البحر المحيط: ٥٠٢/١٠، وزاد المسير: ٤٦٣/٤.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٤) البحر المحيط: ٥٠٢/١٠.

(١٥) انظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤، والبحر المحيط: ٥٠٢/١٠.

(١٧) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤، والبحر المحيط: ٥٠٢/١٠.

- مناسبة السورة لما قبلها:
ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر في السورة السابقة حال أكمل خلق الله صلى الله عليه وسلم، وذكر هنا حال النوع الإنساني وما ينتهي إليه أمره، وما أعد سبحانه لمن آمن برسوله^(١).
- أغراض السورة ومقاصدها:
من مقاصد السورة الكريمة:
١- تبدأ السورة بذكر فاكهة التين وهي فاكهة طازجة يصعب حفظها حيث أنها لا تلبث فترة طويلة حتى تفسد وهي تُشير إلى حال الإنسان الذي يبتكث عن الفطرة السليمة.
٢- هناك ارتباط بين التين الذي يعتبر أحسن الفواكه من حيث الغذاء والتحلي والتداوي وبين الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم.
٣- يُشير الزيتون إلى حالة الثبات على الفطرة السليمة والبقاء على الدين الصحيح، حيث أنه يمثل خيراً كبيراً يمكن الانتفاع به لفترة طويلة، ولذلك عبر القرآن الكريم عن شجرة الزيتون بأنها مثال للهدى والنور.
٤- تدل سورة التين على أن مكة المكرمة هي مركز رسوخ الدين، حيث ارتضى الله تعالى أن يحتضن هذا البلد الأمين للإسلام الذي يعتبر الدين الوحيد الذي لا يتغير ولا يتبدل.
٥- يرمز قوله تعالى: {والتين والزيتون} [التين : ١]، إلى أرض بيت المقدس التي خرجت منها رسالة عيسى بن مريم، بينما يُشير طور سنين إلى الجبل الذي كلم الله عليه نبيه موسى، أما البلد الأمين فالمقصود به مكة موطن النبي صلى الله عليه وسلم.
٦- أقسم الله بالأماكن الثلاثة التي كانت مراكز للأديان السماوية الثلاثة بحسب الترتيب بين هذه الأماكن في الشرف.
٧- بعد أن كنى الله عن أصل الفطرة بذكر التين والزيتون، صرح بخلق الإنسان في أحسن تقويم حيث هداه الله إلى الفطرة السليمة.
٨- ليس هناك خلق أحسن من الإنسان، فقد خلقه الله تعالى مريداً قادراً على السمع والبصر والكلام كما خلقه متكامل الأعضاء حسن الخلق.
٩- يُذكر الله تعالى عباده من البشر بأول خسران لهم حينما عصى آدم ربه، فكان مصيره هو الخروج من الجنة ونزول الأرض.
١٠- خلق الإنسان من روح وجسد، وعندما يُلبى الإنسان نداء جسده دون اهتمام بضوابط الشرع، يكون مصيره هو الهبوط إلى أسفل سافلين.
١١- ينطوي قوله تعالى: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين : ٥]، لتطور خلق الإنسان فهو يكبر حتى يصبح شاباً قوياً في أحسن تقويم ثم يُرد إلى أرذل العمر.
دروس مستفادة من سورة التين:
١- تبشير المؤمنين بالأجر، وذلك كما مبين أدناه:
أ- يُراد من قوله تعالى: {إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين : ٦] أن الإنسان عندما لا يغتر بوجوده على الأرض في الدنيا ويُدرك أن مقامه الآخروي يجب أن يكون في الجنة، فإنه ينال من الله تعالى الأجر غير منقوص.

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٩٣/٣٠.

ب- إذا كان المؤمن يعيش بجسده في دار الدنيا، فإنه بروحه مع الملائكة المقربين عند الله تعالى، ومن أهم الأعمال الصالحة التي تقي الإنسان من الرد إلى أسفل سافلين هي قراءة القرآن الكريم والعمل به.

٢- استنكار الله من تكذيب العصاة:

أ- يستنكر الله تعالى أن يُنكر العبد لقائه رغم أنه هو الذي خلقه والقادر على إعادته إليه؛ لذلك يقول الله تعالى: {فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ الدِّينِ} [التين : ٧].
ب- عندما يرى الإنسان دلائل وجود الله تعالى ثم يبقى تائهاً في ظلام الشك والطغيان، فإنه يستحق ما يحل عليه من العذاب نتيجة عناده وغفلته.

٣- الله تعالى هو أحكم الحاكمين:

أ- يكفي للإنسان أن يتدبر في خلق الله وقضائه؛ ليعلم أن الله تعالى هو أحكم الحاكمين؛ لذلك يجب على الإنسان أن يلجأ إلى حكم الله في جميع أمور حياته ولا يعرض عن حكمه إلى غيره.

ب- كان الصحابي الجليل أبو هريرة يقول: «فإذا قرأ أحدكم {وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ} فأتى على آخرها: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ} فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»^(١).

قال الفيروزآبادي: "مقصود السورة: القسم على حسن خلقه الإنسان، ورجوع الكافر إلى النيران، وإكرام المؤمنين بأعظم المثوبات الحسان، وبيان أن الله حكيم وأحكم في قوله: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ} [التين : ٨]"^(٢).

■ الناسخ والمنسوخ:

المنسوخ فيها آية: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ} [التين : ٨]، نسختها آية السيف^(٣).
قال هبة الله: "جميعها محكم إلا آية واحدة في آخرها نسخ معناها لا لفظها وهي قوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ} [التين : ٨]، نسخ المعنى فيها بآية السيف أي دعهم وخذل عنهم"^(٤).
■ فضائل السورة:

- عن البراء بن عازب قال: «صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العتمة، فقرأ فيها بالتين والزيتون»^(٥).

- عن البراء بن عازب: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في سفر فقرأ في العشاء الآخرة في إحدى الركعتين بـ«التين والزيتون»"^(٦).

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٤/١، رقم ٨٨٧)، والترمذي (٤٤٣/٥، رقم ٣٣٤٧) وقال: هذا الحديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي ولا يسمى. والبيهقي (٣١٠/٢، رقم ٣٥٠٨). وأخرجه أيضاً: البيهقي في شعب الإيمان (٣٧٧/٢، رقم ٢٠٩٧).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٧/١.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٧/١.

(٤) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٠.

(٥) سنن النسائي (١٠٠٠): ص ١٧٣/٢.

(٦) المسند (١٨٥٠٣): ص ٤٦٢/٣٠، إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه أبو يعلى (١٦٦٥) من طريق بهز، بهذا الإسناد.

وأخرجه عبد الرزاق (٢٧٠٩)، والبخاري (٧٦٧) و (٤٩٥٢)، ومسلم (٤٦٤)، وأبو داود (١٢٢١)، والنسائي في "المجتبى" ١٧٣/٢، وابن خزيمة، (٥٢٤)، وأبو عوانة (١٥٥/٢)، وابن حبان (١٨٣٨)، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٣٩٣/٢ من طرق، عن شعبة، به.

وعند النسائي أنه قرأ في العشاء في الركعة الأولى بالتين والزيتون، وخالفهم عن شعبة الطيالسي (٧٣٣)، فذكر المغرب بدل العشاء.

- عن مسروق بن الأجدع قال: "صليت مع عثمان العشاء الآخرة فقرأ بـ«النجم»، فسجد فيها، ثم قام فقرأ بـ«التين والزيتون»"^(١).
- عن عمرو بن ميمون قال: "صلى بنا عمر، صلاة المغرب، فقرأ في الركعة الأولى بـ«التين والزيتون»، وفي الركعة الثانية: «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل» و«لإيلاف قريش»"^(٢).
- عن أبي ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة وَالتَّيْنِ أعطاه الله سبحانه خصلتين: العافية واليقين ما دام في دار الدنيا، فإذا مات أعطاه الله سبحانه من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم»"^(٣). [موضوع]

وأخرجه ابن خزيمة (٥٢٥) من طريق محمد بن بكر، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء، به.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند بطرق أخرى بالأرقام: (١٨٥٢٧) و (١٨٥٢٨) و (١٨٥٦٦) و (١٨٦٣٩) و (١٨٦٨١) و (١٨٦٨٨) و (١٨٦٩٨) و (١٨٧٠٨).
(١) مصنف ابن أبي شيبة (٤٣٩٣): ص ٣٨٢/١.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٩٣): ص ٣١٤/١.
(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٣٨/١٠. وانظر: مجمع البيان: ٣٩٢/١٠. [موضوع]

سورة «العلق»

«سورة العلق»: هي السورة السادسة والتسعون بحسب الرسم القرآني، وهي أول ما نزل من القرآن الكريم، وآياتها ثمان عشرة في الشامي، وتسع عشرة في العراقي، وعشرون في الحجازي. وكلماتها اثنتان وتسعون. وحروفها مائتان وثمانون والمختلف فيها آيتان: {عَلَّقَ} [العلق : ٢]، {عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٤] ^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:-أسمائها التوقيفية:

١-«سورة العلق»:

سميت في المصاحف ومعظم التفاسير ^(٢) «سورة العلق»، لوقوع لفظ «العلق» في أوائلها، قال تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} [العلق : ٢].

٢-سورة «اقرأ باسم ربك»:

اشتهرت تسمية هذه السورة في عهد الصحابة والتابعين ^(٣) باسم «سورة اقرأ باسم ربك». وبذلك عنونها الترمذي ^(٤). وعنونها البخاري: «سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق» ^(٥)، وكذلك وردت في بعض كتب التفسير ^(٦).

■ ثانياً:-أسمائها الاجتهادية:

١-سورة «اقرأ»:

وتسمى: «سورة اقرأ»، لوقوع هذا اللفظ في أول السورة، قال تعالى: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} [العلق : ١]، وبذلك سماها الماتريدي ^(٧)، ومحمد صديق خان القنوجي ^(٨)، والسعدي ^(٩) في تفاسيرهم. قال ابن عاشور: "وسماها الكواشي في «التخليص» «سورة: اقرأ والعلق»" ^(١٠).

٢-سورة «سورة القلم»:

سميت «سورة القلم»، لوقوع هذا اللفظ في أولها، قال تعالى: {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٤]، وعنونها بها ابن العربي في «أحكام القرآن» ^(١١)، وذكرها ابن الجوزي في «زاد المسير» ^(١٢)، وهذا اسم سميت به: «سورة ن»، لكن ميّزت الأخيرة باسم «ن والقلم».

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: " أول ما نزل من القرآن بمكة: {اقرأ باسم ربك الذي خلق}" ^(١٣).

عن ابن عباس قال: أول سورة نزلت على محمد: {اقرأ باسم ربك الذي خلق}" ^(١).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.

(٢) انظر مثلاً: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٩٧/٣، والكشف والبيان: ٢٤٢/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٤٩/١٢، و النكت والعيون: ٣٠٤/٦، والوسيط للواحيدي: ٥٢٧/٤، وتفسير السمعاني: ٢٥٥/٦، وتفسير البغوي: ٤٧٤/٨، والكشاف: ٧٧٥/٤، وغيرها.

(٣) كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٤) انظر: سنن الترمذي: ٤٤٣/٢.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٣/٦.

(٦) وردت بهذه التسمية في تفسير ابن أبي زمنين: ١٤٧/٥، وتفسير ابن فورك: ٣٤٥/٣.

(٧) انظر: تأويلات أهل السنة: ٥٧٥/١٠.

(٨) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ٣٠٧/١٥.

(٩) انظر: تفسير السعدي: ٩٢٩.

(١٠) المحرر الوجيز: ٤٣٣/٣٠.

(١١) انظر: أحكام القرآن: ٣٤٢/٢.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٤٦٦/٤.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٥٦٠/٨، وعزاه إلى ابن مردويه من طرق.

عن ابن عباس قال: "أول شيء أنزل من القرآن خمس آيات: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} إلى قوله: {مَا لَمْ يَعْلَمْ}"^(٢).

عن الزهري وعمرو بن دينار: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء إذا أتاه ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} إلى {مَا لَمْ يَعْلَمْ}"^(٣).

عمرو بن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء إذا أتاه ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} إلى {مَا لَمْ يَعْلَمْ}"^(٤).

عن عائشة، قالت: "أول ما نزل من القرآن: {اقرأ باسم ربك الذي خلق}"^(٥).

عن عائشة، قالت: كان أول ما نزل عليه بعد: {اقرأ باسم ربك} {ن والقلم} و {يا أيها المدثر} {والضحى}"^(٦).

عن أبي موسى الأشعري قال: كانت {اقرأ باسم ربك} أول سورة أنزلت على محمد"^(٧).

عن مجاهد قال: أول ما نزل من القرآن: {اقرأ باسم ربك}، ثم {ن والقلم}"^(٨).

عن عبيد بن عمير قال: أول ما نزل من القرآن: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} ثم «ن»"^(٩).

عن ابن شهاب: "حدثني محمد بن عباد بن جعفر المخزومي أنه سمع بعض علمائهم يقول: "كان أول ما أنزل الله على نبيه {اقرأ باسم ربك} إلى: {مَا لَمْ يَعْلَمْ}، فقالوا: هذا صدرها الذي أنزل يوم حراء ثم أنزل الله آخرها بعد ذلك ما شاء الله"^(١٠).

قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع. وهي أول ما نزل من كتاب الله تعالى، نزل صدرها في غار حراء حسبما ثبت في صحيح البخاري وغيره، وروي من طريق جابر بن عبد الله أن أول ما نزل: {يا أيها المدثر} [المدثر: ١]، وقال أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل: «أول ما نزل فاتحة الكتاب»، والقول الأول أصح، والترتيب في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم يقتضي ذلك"^(١١).

قال ابن الجوزي: "هي مكية بإجماعهم. وهي أول ما نزل من القرآن. وقيل: إنما أنزل عليه في أول الوحي خمس آيات منها، ثم نزل باقيها في أبي جهل"^(١٢).

قال الماوردي: "وإذا كانت هذه أول سورة نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قول الأكثرين فقد روي في ترتيب السور بمكة والمدينة أحاديث، أوفاهما ما رواه آدم ابن أبي أناس عن أبي شيبه شعيب بن زريق عن عطاء الخراساني قال: بلغنا أن هذا ما نزل من القرآن بمكة والمدينة الأول فالأول، فكان أول ما نزل فيما بلغنا: «اقرأ باسم ربك»، ثم «ن والقلم، المزل، المدثر، تبت، إذا الشمس كورت، سبج اسم ربك، الليل، الفجر، الضحى، ألم نشرح، العصر، العاديات، الكوثر، ألهاكم، رأيت، الكافرون، الفيل، الفلق، الإخلاص، النجم، عبس، القدر، والشمس، البروج، التين، لإيلاف،

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر وابن مردويه.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى الحاكم.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٥٦١/٨، وعزاه إلى ابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وصححه.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن الأنباري في المصاحف.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٥٦٠/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبه وابن الضريس وابن الأنباري في المصاحف والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبه.

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٥٦٠/٨، وعزاه إلى البيهقي في الدلائل.

(١١) المحرر الوجيز: ١-٥/٥.

(١٢) زاد المسير: ٤٦٦/٤.

القارعة ، القيامة ، الهزيمة ، المرسلات ، ق ، البلد ، الطارق ، القمر ، ص ، الأعراف ، قل أوحى ، يس ، الفرقان ، الملائكة ، مريم ، طه ، الواقعة ، الشعراء ، النمل ، القصص ، بنو إسرائيل ، يونس ، هود ، يوسف ، الحجر ، الأنعام ، الصافات ، لقمان ، سبأ ، الزمر ، المؤمن ، حم السجدة ، عسق ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، الذاريات ، الغاشية ، الكهف ، النحل ، نوح ، إبراهيم ، الأنبياء ، قد أفلح ، السجدة ، الطور ، الملك ، الحاقة ، سأل سائل ، النبا ، النازعات ، الانفطار ، الانشقاق ، الروم ، العنكبوت ، المطففين». فهذه خمس وثمانون سورة نزلت بمكة .

وكان فيما نزل بالمدينة: «البقرة» ، ثم «الأنفال» ، آل عمران ، الأحزاب ، الممتحنة ، النساء ، الزلزلة ، الحديد ، سورة محمد ، الرعد ، الرحمن ، هل أتى ، الطلاق ، لم يكن ، الحشر ، النصر ، النور ، الحج ، المنافقون ، المجادلة ، الحجرات ، التحريم ، الجمعة ، الصف ، الفتح ، المائدة ، براءة». فهذه سبع وعشرون سورة نزلت بالمدينة .

ولم تكن الفاتحة والله أعلم ضمن ما ذكره ، وقد اختلف الناس في نزول السور اختلافاً كثيراً ، لكن وجدت هذا الحديث أوفى وأشفي فذكرته^(١).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر هناك خلق الإنسان في أحسن تقويم، وذكر هنا خلق الإنسان من علق، إلى أنه ذكر هنا من أحوال الآخرة ما هو كالشرح والبيان لما سلف^(٢).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من مقاصد السورة الكريمة:

- ١- أن الأمر بالقراءة أول ما أمر الله به نبيه الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، حيث يجب على الإنسان أن يبحث عن طريق الله تعالى بالعلم والقراءة.
- ٢- تشتمل السورة على تعظيم شأن الكتابة أيضاً حيث يبين الله أنه هو من علم الإنسان بالقلم ما لم يكن يعرفه لولا توفيق الله له.
- ٣- تعدّ القراءة والكتابة من العناصر الأساسية لقيام الدول والشعوب، فكانت البداية بهما في مستهل الرسالة دليل على قيام حضارة إسلامية متى تمسكت الأمة بالعلم.
- ٤- تُشير بداية الرسالة بالقراءة والكتابة إلى تكريم الإنسان ومدى علة شأنه عند الله تعالى، فهو الكائن الوحيد الذي منحه الله العقل لكي يقرأ ويتعلم وبالتالي يعرف الصواب من الخطأ.
- ٥- يجب على الإنسان أن يستعين بالله تعالى عند القراءة حتى يحصل على منافع العلم مع ضرورة صدق النية والإخلاص، لذلك قال الله تعالى "اقرأ باسم ربك" أي مستعياً به.
- ٦- على الإنسان أن يُقبل على العلم دون أن يخاف من عدم الفهم، لأنه إذا توكل على الله، أكرمه وفتح عليه، ولذلك اختار الله صفة الكرم في قوله: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} [العلق : ٣].
- ٧- بيان طغيان الإنسان في الأرض، فإنه بمجرد ما يحصل الإنسان على العلم أو المال، ينسى أن الله تعالى هو الذي منحه هذه النعم، ويستغني بجهله عن خالقه.
- ٨- من حق الله تعالى على الناس، أن يقابلوا نعم الله عليهم بالشكر، ويحتاج الإنسان إلى التحلي بالإيمان والتقوى حتى لا يطغى، ويكتسب الإنسان هذه الصفات من خلال العلم ومعرفة الله تعالى.
- ٩- مهما طال بقاء الإنسان في الدنيا، يجب أن يُدرك أنه إلى فناء، وعندما يموت فإنه لا يصير إلى العدم، بل الله تعالى قادر على إعادته كما خلقه ابتداءً.

(١) النكت والعيون: ٣١٠/٦-٣١١.

(٢) انظر: تفسير المراغي: ١٩٧/٣٠.

١٠- يُمكن أن يحتل المعنى الرجوع إلى الله تعالى في الحياة الدنيا، حيث أن الإنسان مهما بالغ في طغيانه نتيجة ثرائه وعلمه، لكن بمجرد أن يبتليه الله ويصاب بمرض أو مشكلة، فإنه يرجع مرة أخرى إلى الله.

دروس مستفادة من سورة العلق:

١- قصة أبو جهل مع الرسول:

- أ- لم يؤمن أبو جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم بسبب عناده واستكباره لأن النبي كان من بني عبد مناف وهو من بني مخزوم، فكان حقه سبباً في عدم الدخول في الإسلام.
- ب- توعد أبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى عند البيت، وأراد أن يطأ رقبته، فما كان منه إلا أن عاد إلى قومه وهو ينكص على عقبيه لأنه رأى خندقاً من نار بينه وبين الرسول.
- ت- يستنكر الله تعالى تصرف أبي جهل مع النبي فيقول: {أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ (١٢)} [العلق : ١١ - ١٢]، أي: أن من تنهاه عن الصلاة هو من يسير على الطريق المستقيمة.

ث- من أبرز فوائد قصة أبو جهل مع الرسول هو أن ندرك أن الله تعالى يعلم ويرى، ورغم أن القصة كانت مرتبطة بالرسول لكنها جاءت بالتركيز لتدل على تعميمها في كل زمان ومكان.

٢- التهديد والوعيد لكل من تحدى الله تعالى:

- أ- خلق الله تعالى العباد لكي يُطيعوه، بينما إذا خالف الإنسان ربه وأصر على مخالفته بل وقام أيضاً بإيذاء عباده، فإن الله توعدته بالعذاب المهين.
- ب- على الإنسان ألا يغتر بصحبته في الدنيا، حيث أن أبا جهل كان له نادٍ يجتمع فيه الناس، ولكن هذا النادي لم يغني عنه من عذاب الله شيئاً حينما أصر على عناده وكفره؛ لأن الله عنده الزبانية التي تأخذ الإنسان بالعذاب.

٣- التمسك بالرسالة رغم المصاعب

رغم ما كان يتعرض له النبي من إيذاء المشركين إلا أن الله أمره بالسجود والعبادة ومواصلة الدعوة لأنه منصور بقوة الله.

قال الفيروزآبادي: "ابتداء في جميع الأمور باسم الخالق الرب - تعالى - جلت عظمته، والمنة على الخلق بتعليم الكتابة، والحكمة، والشكاية من أهل الضلالة، وتهديد أهل الكفر والمعصية، وتخويف الأجانب بالعقوبة، وبشارة الساجدين بالقربة، في قوله: {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق : ١٩]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن جابر أنه قال: "صلى معاذ بن جبل الأنصاري لأصحابه العشاء. فطول عليهم فانصرف رجل منا. فصلى فأخبر معاذ عنه فقال: إنه منافق فلما بلغ ذلك الرجل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ما قال معاذ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أتريد أن تكون فتاناً يا معاذ؟ إذا أمتت الناس فاقرأ بـ {الشَّمْسُ وَضُحَاهَا}، و{سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، و{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}، و{اللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى}»"^(٣).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.

(٣) صحيح مسلم (٤٦٥): ص ٣٤٠/١.

- عن أبيّ ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ اقرأ باسم ربك فكأنما قرأ المفصل كله»^(١). [موضوع]

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٤٢/١٠. وانظر: مجمع البيان: ٣٩٦/١٠. [موضوع]

سورة «القدر»

«سورة القدر»: هي السورة السابعة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة عبس»، آياتها ست في عد الشام، وخمس عند الباقيين؛ وكلماتها ثلاثون. وحروفها مائة واثنان عشرة. المختلف فيها آية: {الْقَدْرُ} [القدر : ٣] الثالث. فواصل آياتها على «الراء»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- أسمها التوقيفي: «سورة القدر»:

سميت هذه السورة في المصاحف، وكتب التفسير^(٢)، وكتب السنة^(٣): «سورة القدر»، ووجه تسميتها سورة القدر، لتكرار ذكره فيها، وهي تسمية لها بصفة ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)} [القدر : ١]، أي: في ليلة عظيمة الشرف، ولم يقع هذا اللفظ في غيرها من سور القرآن الكريم.

■ ثانياً:- اسمها الاجتهادي: سورة «إنا أنزلناه في ليلة القدر»

وهي تسمية بأول آية فيها، كما ورد عن بعض الصحابة-رضوا الله عليهم أجمعين-^(٤)، وبهذا الاسم عنون لها بعض المفسرين^(٥). كما ترجم لها الحاكم^(٦) باسم: «إنا أنزلناه»، باقتصار على مفتحتها. وسماها النحاس^(٧)، وأبو بكر الجصاص^(٨)، «سورة ليلة القدر». ولم يثبت هذا بالتوقيف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.

■ مكة السورة ومدنيتها:

اختلف أهل العلم في موضع نزول هذه السورة، على قولين: أحدهما: أنها مكّية، قالته عائشة^(٩)، ورواه نوفل ابن أبي عقرب عن ابن عباس^(١٠)، ورواه شيبان عن قتادة^(١١). وحكاها الماوردي عن الأكثرين^(١٢).

قال ابن عباس: "نزلت سورة {إنا أنزلناه في ليلة القدر} بمكة"^(١٣). وروي عن عائشة مثله^(١٤). الثاني: أنها مدنية. قاله ابن عباس^(١٥)، والضحاك^(١٦)، وحكاها الثعلبي^(١٧)، وأبو حيان عن الأكثرين^(١٨).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣١/١.

(٢) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٥٢٩/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٨٣/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٠١/٣، وتفسير ابن فورك: ٢٥٠/٣، والكشف والبيان: ٢٤٧/١٠، والنكت والعيون: ٣١١/٦، وتفسير السمعاني: ٢٦٠/٦، وتفسير البغوي: ٤٨٢/٨، والكشاف: ٧٨٠/٤، ومفاتيح الغيب: ٢٢٨/٣٢، وتفسير القرطبي: ١٢٩/٢٠، وغيرها.

(٣) انظر مثلاً: السنن الكبرى للنسائي: ٣٤٠/١٠.

(٤) كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٥) انظر مثلاً: تفسير ابن أبي زمنين: ١٤٩/٥.

(٦) انظر: المستدرک على الصحيحين: ٥٧٨/٢.

(٧) انظر: إعراب القرآن: ١٦٥/٥.

(٨) انظر: أحكام القرآن: ١٦٥/٥.

(٩) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه، وزاد المسير: ٤٦٩/٤.

(١١) انظر: الكشف والبيان: ٢٤٧/١٠، والمحرم الوجيز: ٥٠٤/٥.

(١٢) النكت والعيون: ٣١١/٦.

(١٣) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٤) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٥) انظر: المحرم الوجيز: ٥٠٤/٥.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٣١١/٦، وزاد المسير: ٤٦٩/٤.

(١٧) انظر: الكشف والبيان: ٢٤٧/١٠.

(١٨) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.

قال علي بن الحسين بن واقد: "هي أول سورة نزلت بالمدينة"^(١).
قال أبو حيان: "هذه السورة مدنية في قول الأكثر. وحكى الماوردي عكسه. وذكر الواحدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة"^(٢).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

مناسبتها لما قبلها- أن في تلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ القرآن باسم ربه الذي خلق، واسم الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وفي هذه ذكر القرآن ونزوله وبيان فضله، وأنه من عند ربه ذي العظمة والسلطان، العليم بمصالح الناس وبما يسعدهم في دينهم ودنياهم، وأنه أنزله في ليلة لها من الجلال والكمال ما قصته السورة الكريمة^(٣).

قال أبو حيان: "مناسبتها لما قبلها ظاهر. لما قال: اقرأ باسم ربك، فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا"^(٤).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

١ - تحدثت عن بدء نزول القرآن، وأنه كان في ليلة القدر، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر : ١]

٢ - أبرزت الشرف العظيم لتلك الليلة على العدد الكثير من الأيام والليالي لما فيها، من الأنوار والنفحات الربانية: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} [القدر : ٣].

٣ - أكدت علو قدر هذه الليلة. ينتزل الملائكة المقربين من عند الرحمن من أجل كل أمر قدره الله لتلك السنة إلى قابل: {تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} [القدر : ٤].

٤ - أشارت في ختامها إلى أن سلام الملائكة على أهل الإيمان مستمر إلى طلوع الفجر: {سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر : ٥].

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان شرف ليلة القدر في نص القرآن، ونزول الملائكة المقربين من عند الرحمن، واتصال سلامهم طوال الليل على أهل الإيمان، في قوله: {حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر : ٥]"^(٥).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة^(٦).

■ فضائل السورة:

- عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ {إنا أنزلناه في ليلة القدر}، عدلت بربع القرآن، ومن قرأ: {إذا زلزلت}، عدلت بنصف القرآن، و{قل يا أيها الكافرون}، تعدل بربع القرآن، و{قل هو الله أحد}، تعدل بثلاث القرآن»^(٧).

- عن أبي ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان، وأعطي إحياء ليلة القدر»^(٨). [موضوع]

(١) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٤٧/١٠.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.

(٣) انظر: تفسير المراغي: ٢٠٦/٣٠.

(٤) البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣١/١.

(٧) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر للمروزي: ١٦١.

(٨) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٤٧/١٠. وانظر: مجمع البيان: ٤٠٣/١٠. [موضوع]

سورة «البيّنة»

«سورة البيّنة»: هي السورة الثامنة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الطلاق» وقبل «سورة الحشر»، فتكون نزلت قبل غزوة بني النضير، وكانت غزوة النضير سنة أربع في ربيع الأول فنزل هذه السورة آخر سنة ثلاث أو أول سنة أربع^(١)، آياتها في عد البصري: سبع، وعند الباقيين: ثمان. وكلماتها أربع وسبعون. وحروفها ثلاثمائة وتسع وتسعون. المختلف فيها آية: {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البيّنة: ٥]. فواصل آياتها على «الهاء»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:-أسمائها التوقيفية:

١-«سورة البيّنة»:

اشتهرت باسم «سورة البيّنة»، وكتبت في المصاحف وفي معظم كتب التفسير^(٣)، ووجه تسميتها لورود لفظ «البيّنة» في مفتح السورة، قال تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البيّنة: ١].

٢-سورة«لم يكن الذين كفروا» أو «لم يكن»:

وردت تسمية هذه السورة في كلام النبي صلى الله عليه وسلم:- «لم يكن الذين كفروا»، روى البخاري ومسلم عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا»، قال: وسماني لك؟ قال: «نعم»، قال: فبكى^(٤).

فقوله: «أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا»، واضح أنه أراد السورة كلها فسمها بأول جملة فيها. وسميت السورة في مجموعة من كتب التفسير^(٥)، وكتب السنة^(٦): «سورة لم يكن»، بالاختصار على أول كلمة منها، لأنها أول جملة افتتحت بها السورة، ولم تفتتح بها سورة أخرى من القرآن.

وقد وردت هذه التسمية في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين:

إذ روي عن عائشة-رضي الله عنها-، قالت: نزلت سورة {لم يكن} بمكة^(٧).

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال: نزلت سورة {لم يكن} بالمدينة^(٨).

وفي بعض المصادر سميت بسورة: «لم يكن الذين كفروا»^(٩).

■ ثانياً:-أسمائها الاجتهادية:

١-«سورة القيّمة»

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٤٦٨/٣٠.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٣/١.

(٣) انظر مثلاً: تأويلات أهل السنة: ٥٨٨/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٠٣/٣، وتفسير ابن فورك: ٢٥٤/٣، والنكت والعيون: ٣١٥/٦، والوسيط للواحدي: ٥٣٨/٤، وتفسير البغوي: ٤٩٣/٨، والكشاف: ٧٨١/٤، والمحرر الوجيز: ٥٠٧/٥، وزاد المسير: ٤٧٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٢٣٧/٣٢، وتفسير القرطبي: ١٤٠/٢٠، وغيرها.

(٤) صحيح البخاري(٣٨٠٩):ص٣٦/٥، وصحيح مسلم(٧٩٩):ص٥٥٠/١٠، وصحيح مسلم().

(٥) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٥٣٧/٢٤، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٧٩/١٢، وتفسير السمعاني: ٢٦٣/٦، وتفسير البيضاوي: ٣٢٨/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٥٤/٨، وغيرها.

(٦) انظر مثلاً: صحيح البخاري: ١٧٥/٦، وسنن الترمذي: ٣٠٣/٥، ومستخرج أبيي عوانة: ٤٩١/٢.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: مثلاً: تفسير ابن أبي زمنين: ١٥١/٥.

سميت في مجموعة من المصاحف «سورة القيمة» وكذلك في بعض التفاسير^(١)، وكتب علوم القرآن^(٢)، ووجه تسميتها بذلك، أنها ذكرت فيها لفظ: «القيمة» في قوله تعالى: {وَدَلِكِ دِينُ الْقِيَمَةِ} [البينة : ٥]، ولم ترد في غيرها من القرآن.

٢- «سورة البرية»

سميت سورة «البرية»، وذلك لورود هذا اللفظ فيها مرتين، قال تعالى: {أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة : ٦]، وقال تعالى: {أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} [البينة : ٧]. وقد أورد هذا الاسم، الألوسي^(٣)، والقاسمي^(٤)، والسخاوي^(٥)، والسيوطي^(٦)، في كتبهم.

٣- «سورة المنفكين»

سميت «سورة المنفكين»، ودونت في بعض المصاحف نسخ سنة ٧٨٥هـ^(٧)، كما عنون لها الثعلبي في «الكشف والبيان»^(٨)، وذكرها الشربيني^(٩)، وشهاب الدين^(١٠)، والألوسي^(١١)، والقاسمي^(١٢)، وأوردها الفيروزآبادي في «البصائر»^(١٣)، معللاً تسميتها بذلك لقوله تعالى: {وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ} [البينة : ١]، وسماها السخاوي^(١٤)، ونقل عنه السيوطي^(١٥)، بلفظ: «سورة الانفكاك». وقد نقلها السيوطي^(١٦) عن السخاوي باسم: «القيامة»، وكذلك الألوسي^(١٧) ذكرها باسم «القيامة». ولعله تصحيف من لفظ «القيامة»، لأن لفظ: «القيامة»، لم تذكر في السورة، وليست له علاقة وطيدة بمضمون السورة، ومن جهة أخرى توجد سورة أخرى باسم «القيامة»، -والله أعلم-.

٤- «سورة أهل الكتاب»

ذكر في «الإتقان»^(١٨): أنها سميت في مصحف أبيّ : «سورة أهل الكتاب»، أي: لقوله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} [البينة : ١]. وذكر الألوسي أنها تسمى: «سورة البلد»^(١٩)، ولم ينسبه لقائل، ولم يعلل تسميتها بذلك، وهي تسمية غريبة، لا علاقة لها بمضمون السورة، ولم اجد أثراً يعززها.

(١) انظر مثلاً: غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني: ٤٢١، وتفسير المظهرى: ١٣٦/١٠، وفتح القدير: ٤٠٢/٥.

(٢) انظر مثلاً: معاني القرآن للزجاج: ٣٤٩/٥.

(٣) انظر: روح المعاني: ٤٢٣/١٥.

(٤) انظر: محاسن التأويل: ٥٣٠/٩.

(٥) انظر: تاج القراء: ٣٨/١.

(٦) انظر: الإتقان: ١٧٦/١.

(٧) والمصحف مخطوط بجامعة الإمام بالرياض رقم (٢٣٥٤).

(٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٥٩/١٠.

(٩) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ٥٦٩/٤.

(١٠) انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسمّاة: عناية القاضى وكفاية الرّاضى على تفسير البيضاوي: ٢٨٤/٧.

(١١) انظر: روح المعاني: ٤٢٣/١٥.

(١٢) انظر: محاسن التأويل: ٥٣٠/٩.

(١٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٣/١.

(١٤) انظر: جمال القراء: ٣٨/١.

(١٥) انظر: الإتقان: ١٩٦/١.

(١٦) انظر: الإتقان: ١٩٦/١.

(١٧) انظر: روح المعاني: ٤٢٣/١٥.

(١٨) انظر: الإتقان: ١٩٦/١.

(١٩) انظر: روح المعاني: ٤٢٣/١٥.

وهذه الأسماء: «القيمة، البرية، المنفكين، أهل الكتاب»، هي من اجتهاد المفسرين، سميت بها من باب تسمية السورة بلفظ ورد فيها، أو تحدث عنه، ولم يرد إلينا رواية عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- تثبت هذه الأسماء.

■ مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل العلم في موضع نزول هذه السورة، على قولين: أحدهما: أنها مكية، قالته عائشة^(١)، وأبو صالح عن ابن عباس^(٢)، واختاره يحيى بن سلام^(٣). عن عائشة قالت: نزلت سورة {لم يكن} بمكة^(٤). الثاني: أنها مدنية. قاله ابن الزبير وعطاء بن يسار^(٥). والجمهور^(٦). عن ابن عباس قال: نزلت سورة {لم يكن} بالمدينة^(٧). قال ابن عطية: "هي مكية في قول جمهور المفسرين، وقال ابن الزبير وعطاء بن يسار إنها مدنية والأول أشهر"^(٨).

قال ابن عاشور: "أي وأبي من أهل المدينة. وجزم البيهقي وابن كثير بأنها مدنية، وهو الأظهر لكثرة ما فيها من تخطئة أهل الكتاب ولحديث أبي حبة البدرى، وقد عدها جابر بن زيد في عداد السور المدنية"^(٩).

قال ابن عطية: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما دفع إلى مناقضة أهل الكتاب بالمدينة

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه مناسبتها لما قبلها- أن قوله: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة : ١]، كالعلة لإنزال القرآن، كأنه قيل: إنا أنزلناه لأنه لم يكن الذين كفروا منافكين عن كفرهم حتى يأتيهم رسول يتلو صحفا مطهرة^(١٠).

قال أبو حيان: "مناسبتها لما قبلها ظاهر. لما قال: اقرأ باسم ربك، فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا"^(١١).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من أبرز مقاصد السورة:

- ١- توبيخ المشركين وأهل الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، والتعجيب من تناقض حالهم إذ هم ينتظرون أن تأتيهم البينة فلما أتتهم البينة كفروا بها.
- ٢- تكذيب المشركين وأهل الكتاب في ادعائهم أن الله أوجب عليهم التمسك بالأديان التي هم عليها، ووعدهم بعذاب الآخرة، التسجيل عليهم بأنهم شر البرية.

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) انظر: زاد المسير: ٤٧٥/٤.

(٣) انظر: زاد المسير: ٤٧٥/٤.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) المحرر الوجيز: ٥٠٧/٥.

(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٥٠٧/٥، وزاد المسير: ٤٧٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) المحرر الوجيز: ٥٠٧/٥.

(٩) التحرير والتنوير: ٤٦٨/٣٠.

(١٠) انظر: تفسير المراغي: ٢١١/٣٠.

(١١) البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.

٣- الثناء على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ووعدهم بالنعيم الأبدي ورضى الله عنهم وإعطائه إياهم ما يرضيهم.

٤- التنويه بالقرآن وفضله على غيره باشتماله على ما في الكتب الإلهية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل وما فيه من فضل وزيادة.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان تمرد أهل الكتاب، والخبر من صحة أحكام القرآن، وذكر وظيفة الخلق في خدمة الرحمن، والإشادة بخير البرية من الإنسان، وجزاء كل أحد منهم بحسب الطاعة والعصيان، وبيان أن موعود الخائفين من الله الرضا والرضوان، في قوله: {ذلك لمن خشى ربه}"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك: {لم يكن الذين كفروا} [البينة: ١]" قال: وسماني لك؟ قال: "نعم" فبكى^(٣). [صحيح]

- عن اسماعيل بن أبي حكيم المزني أحد بني فضيل: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله ليسمع قراءة {لم يكن} فيقول: أبشر عبدي فوعزتي وجلالي لأمكنن لك في الجنة حتى ترضى^(٤).

- عن اسماعيل بن أبي حكيم عن مطر المزني أو المدني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله ليسمع قراءة {لم يكن الذين كفروا}، فيقول: أبشر عبدي فوعزتي وجلالي لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولأمكنن لك في الجنة حتى ترضى^(٥).

- عن أبي حبة البدري قال: "لما نزلت {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب} إلى آخرها قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إن ربك يأمرك أن تقرئها أبيًا فقال النبي -صلى الله عليه

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٣/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٣/١.

(٣) صحيح، أخرجه أحمد في المسند (١٢٣٢٠): ص ٣٢٨/١٩، وأخرجه أبو عوانة في فضائل القرآن كما في "الإتحاف" ١٨٣/٢ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد، وأخرجه البخاري (٣٨٠٩) و (٤٩٥٩)، ومسلم (٧٩٩) (٢٤٦) و (١٩١٥) (١٢٢)، والترمذي (٣٧٩٢)، وأبو يعلى (٢٩٩٥)، والبغوي في "تفسيره" ٥١٤/٤ من طرق عن محمد بن جعفر، به، وأخرجه أحمد في المسند عن محمد بن جعفر وحجاج بن محمد برقم (١٣٨٨٤).

وأخرجه مسلم (٧٩٩) (٢٤٦) و (١٩١٥) (١٢٢)، والنسائي في "الكبرى" (٨٢٣٨) من طريق خالد بن الحارث، وأبو عوانة في المناقب، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٢٢٠٣) من طريق بكر بن بكار، كلاهما عن شعبة، به. وأخرجه إبراهيم بن طهمان في "مشيخته" (٥٩) عن قتادة، به.

وأخرجه أحمد في المسند من طريق قتادة بالأرقام (١٢٤٠٣) و (١٢٩١٩) و (١٣٢٨٦) و (١٣٤٤٢) و (١٤٠٣٢). وفي الباب عن أبي حبة البدري: ٤٨٩/٣، وعن أبي بن كعب نفسه ١٣٢/٥.

قوله: "أن أقرأ عليك" قال السندي: أي: كقراءة الشيخ على تلميذه لا كقراءة التلميذ على شيخه.

"وسماني؟" قاله طلبا للتحقيق، لاحتمال أن الله يأمره بالقراءة على واحد من أمته من غير تعيين.

"فبكى" فرحا بذلك، وفيه تفضيل لأبي في القراءة على غيره، ولذلك جاء: «أقرؤكم أبي».

(٤) الدر المنثور: ٥٨٥/٨، وعزاه لأبي نعيم في "المعرفة".

(٥) الدر المنثور: ٥٨٥/٨، وعزاه لأبي نعيم في "المعرفة".

وسلم- لأبيّ: إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة. قال أبيّ: وقد ذكرت ثم يا رسول الله قال: نعم فبكى^(١).

- عن أبيّ ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مسافرا أو مقيما»^(٢). [موضوع]

(١) الدر المنثور: ٥٨٥/٨-٥٨٦، وعزاه إلى أحمد وابن قانع في معجم الصحابة والطبراني وابن مردويه.
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٠/١٠. وانظر: مجمع البيان: ٤١١/١٠. [موضوع]

سورة «الزلزلة»

«سورة الزلزلة»: هي السورة التاسعة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة النساء»، وقبل «سورة الحديد». آياتها ثمان في عد الكوفة، وتسع في عد الباقين. وكلماتها خمس وثلاثون. وحروفها مائة وتسع عشرة. المختلف فيها آية: {أَسْتَأْتَا} [الزلزلة : ٦]، فواصل آياتها «هما»، على الميم آية: {أَعْمَالُهُمْ} [الزلزلة : ٦]^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:-أسمائها التوقيفية:

١-«سورة الزلزلة»:

اشتهرت تسميتها بسورة «الزلزلة»، وهي تسمية بالمعنى لا بحكاية بعض كلماتها، وبذلك كتبت في كثير من المصاحف وكتب التفسير^(٢)، ووجه تسميتها لافتتاحها بالإخبار عن حدوث الزلزال قبل يوم القيامة، قال تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} [الزلزلة : ١]. وقال تعالى في سورة «الحج»: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج : ١].

١-«سورة إذا زلزلت»:

سميت هذه السورة في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-^(٣) سورة: «إذا زلزلت»، وكذلك عنون لها الطبري في تفسيره^(٤)، وترجم لها البخاري^(٥)، والترمذي^(٦) في كتابيهما.

ووجه تسميتها سورة: «إذا زلزلت»، لافتتاحها بهذه الجملة في قوله تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} [الزلزلة : ١].

■ ثانياً:-أسمائها الاجتهادية:

١-«سورة الزلزال»

سميت في بعض المصاحف^(٧)، وبعض كتب التفسير^(٨) : «سورة الزلزال»، وهي تسمية بالمعنى لبعض ألفاظها، ولم يرد خبر صحيح عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يثبت هذه التسمية.

٢-«سورة زلزلت»

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٥/١.

(٢) انظر مثلاً: بحر العلوم للسمرقندي: ٦٠٦/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٥٣/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٥٧/٣، والكشف والبيان: ٢٦٣/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٨٩/١٢، والنكت والعيون: ٣١٨/٦، والوسيط للواحد: ٥٤١/٤، وتفسير البيهقي: ٤٩٨/٨، والكشاف: ٧٨٣/٤، والمحرم الوجيز: ٥١٠/٥، وغيرها.

(٣) انظر: فضائل السورة.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٥/٢٤.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٥/٦.

(٦) انظر: سنن الترمذي: ٤٤٦/٥.

(٧) من تلك المصاحف:

- مصحف نسخ سنة (٩٠٥هـ)، وهو نسخة أصلية بجامعة الإمام رقم (٣٣٨٨).

- مصحف نسخ سنة (١٠٩٨هـ)، وهو مخطوط بجامعة الإمام رقم (٨٠٤٣).

- مصحف نسخ سنة (١٢٥٧هـ)، وهو مخطوط بجامعة الإمام رقم (٦٨٩٢).

- مصحف نسخ سنة (١٢٧٨هـ)، وهو مخطوط بجامعة الإمام رقم (٧٢٧١).

- مصحف نسخ في القرن الثالث عشر الهجري، وهو مخطوط بجامعة الملك سعود رقم (٣٨٢).

- ومصاحف مخطوطة بجامعة الإمام رقم (٥٩٧٠)، (٦٦٨).

(٨) انظر مثلاً: تفسير الطبرسي: ٢٠٣/٣٠، وتفسير الإيجي: ٥١٩/٤، والفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية: ٥٢٤/٢، وتفسير المظهر: ٣٢١/١٠، وودكرها السخاوي في "جمال القراء": ٣٨/١.

سميت في مصحف بخط كوفي قديم من مصاحف القيروان «زلزلت»-كما قال ابن عاشور-(^١)، وقد سماها السخاوي(^٢) بهذا الاسم دون الاستناد على دليل.

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكّية. قاله ابن عباس(^٣)، وابن مسعود(^٤)، ومجاهد(^٥)، وعطاء(^٦)، وجابر(^٧).

الثاني: أنها مدنيّة. قاله ابن عباس(^٨)، وقتادة(^٩)، ومقاتل(^{١٠})، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور(^{١١}).

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة {إذا زلزلت} بالمدينة"(^{١٢}).

عن قتادة قال: "نزلت بالمدينة {إذا زلزلت}"(^{١٣}).

قال ابن عاشور: "والأصح أنها مكية واقتصر عليه البغوي وابن كثير ومحمد بن الحسن النيسابوري

في تفاسيرهم"(^{١٤}).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه مناسبتها لما قبلها- أنه لما ذكر فيما سلف جزاء المؤمنين والكافرين، بين هنا وقت ذلك

الجزاء وعلاماته(^{١٥}).

قال أبو حيان: "مناسبتها لما قبلها ظاهر. لما قال: اقرأ باسم ربك، فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك

من كلامنا"(^{١٦}).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من أبرز مقاصد السورة:

- ١- إثبات البعث وذكر أشرافه وما يعتري الناس عند حدوثها من الفزع.
- ٢- حضور الناس للحشر وجزائهم على أعمالهم من خير أو شر وهو تحريض على فعل الخير واجتناب الشر.

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٤٨٩/٣٠.

(٢) انظر: جمال القراء: ٣٨/١.

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٤) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.

(٥) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٦) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٧) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.

قال ابن عاشور: ٤٨٩/٣٠: "وذكر القرطبي عن جابر أنها مكية ولعله يعني: جابر بن عبد الله الصحابي لأن المعروف عن جابر بن زيد أنها مدنية فإنها معدودة في نزول السور المدنية فيما روي عن جابر بن زيد".

(٨) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨، وزاد المسير: ٤٧٧/٤.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨، والمحزر الوجيز: ٥١٠/٥، وزاد المسير: ٤٧٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(١٠) انظر: المحزر الوجيز: ٥١٠/٥، وزاد المسير: ٤٧٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.

(١٢) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٤) التحرير والتنوير: ٤٨٩/٣٠.

(١٥) انظر: تفسير المراعي: ٢١٧/٣٠.

(١٦) البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان أحوال القيامة وأهوالها، وذكر جزاء الطاعة، وعقوبة المعصية، وذكر وزن الأعمال في ميزان العدل في قوله: {فَمَنْ يَعْمَلْ} [الزلزلة: ٧]، إلى آخره" (١)

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة كلها (٢).

■ فضائل السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أقرئني يا رسول الله، قال له: "اقرأ ثلاثاً من ذات «الر»"، فقال الرجل: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: "فاقرأ من ذات «حم»" فقال: مثل مقالته الأولى، فقال: "اقرأ ثلاثاً من «المسبحات»"، فقال: مثل مقالته، فقال الرجل: ولكن أقرئني يا رسول الله سورة جامعة فأقرأه: {إذا زلزلت الأرض}، حتى إذا فرغ منها، قال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفلح الرويجل، أفلح الرويجل"، ثم قال: علي به، فجاهه، فقال له: "أمرت بيوم الأضحى، جعله الله عيداً لهذه الأمة"، فقال الرجل: رأيت إن لم أجد إلا منيحة ابني، فأضحى بها؟ قال: "لا، ولكن تأخذ من شعرك، وتقلم أظفارك، وتقص شاربك، وتحلق عانتك، فذلك تمام أضحيتك عند الله" (٣). [حسن]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٥/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٥/١.

(٣) المسند (٦٥٧٥): ص ١٣٩/١١. إسناده حسن، عيسى بن هلال الصديقي: روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات" ٢١٢/٥، وذكره الفسوي في "تاريخه" ٥١٥/٢ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عياش بن عباس -وهو القتباني- فمن رجال مسلم. أبو عبد الرحمن: هو عبد الله بن يزيد المقرئ، وسعيد: هو ابن أبي أيوب.

ومن طريق أحمد أخرجه بتمامه المزي في "تهذيب الكمال" ٥٤/٢٣-٥٥ في ترجمة عيسى بن هلال الصديقي.

وأخرجه بتمامه أيضاً ابن عبد الحكم في "فتوح مصر" ص ٢٥٨-٢٥٩ من طريق عبد الله بن يزيد، بهذا الإسناد.

وأخرجه غيره مقطوعاً في موضعين: فأخرج القسم الأول منه أبو داود (١٣٩٩)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٧١٦) - ومن طريقه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٦٩٠) -، والحاكم ٥٣٢/٢، والبيهقي في "الشعب" (٢٥١٢) من طريق عبد الله بن يزيد، به، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، فتعقبه الذهبي بقوله: بل صحيح، أي إنه ليس على شرطهما. وهو كما قال، فإن عياش بن عباس روى له مسلم فقط، وعيسى بن هلال لم يرو له واحد منهما.

وأخرجه ابن حبان (٧٧٣) مطولاً من طريق سعيد بن أبي هلال، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ٤٤/١ من طريق ابن لهيعة، كلاهما عن عياش بن عباس، به والقسم الثاني أخرجه أبو داود (٢٧٨٩) من طريق عبد الله بن يزيد، شيخ أحمد، به.

وأخرجه النسائي في "المجتبى" ٢١٢/٧، ٢١٣، وابن حبان (٥٩١٤)، والدارقطني ٢٨٢/٤، والحكم ٢٢٣/٤، والبيهقي في "السنن" ٢٦٣/٩-٢٦٤، من طريق سعيد بن أبي أيوب، وعمرو بن الحارث، وعبد الله بن عياش بن عباس، ثلاثتهم عن عياش بن عباس، به. لكن سقط من إسناده مطبوع "المستدرک": عياش بن عباس.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وقوله: "من ذات الر"، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را. والذي في القرآن منها خمس سور: يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر.

وقوله: "من ذات حم"، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجن، والأحقاف.

وقوله: "من المسبحات"، أي: السور التي أولها سبح، ويسبح، وسبح، وهي: الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى.

وقوله: "أمرت بيوم الأضحى"، أي: بالتضحية في يوم الأضحى.

وقوله: "منيحة ابني"، المنيحة: هي شاة اللين، تعطى للفقير ليحلب ويشرب لبنها، ثم يردّها.

- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج" (١).
- عن معاذ بن عبد الله الجهني، أن رجلا، من جهينة أخبره، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم «يقرأ في الصباح: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾، في الركعتين كليهما»، فلا أدري أنسي رسول الله صلى الله عليه وسلم أم قرأ ذلك عمدا" (٢). [حسن]
- عن عبد الله بن عمرو، قال: نزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا﴾، وأبو بكر رضي الله عنه قاعد، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يبكيك يا أبا بكر؟»، قال: أبكتني هذه السورة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون لخلق الله من بعدكم أمة يذنبون ويخطئون فيغفر لهم» (٣).
- عن سعيد بن المسيب: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه الفجر فقرأ بهم في الركعة الأولى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾، ثم أعادها في الثانية" (٤).
- عن أبي امامة: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرأ فيهما: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾" (٥).
- عن أنس: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يصلي بعد الوتر ركعتين وهو جالس يقرأ في الركعة الأولى بأم الكتاب و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، وفي الثانية: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾" (٦).
- عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، أربع مرّات كان كمن قرأ القرآن كله» (٧).
- عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قرأ في ليلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، كان له عدل نصف القرآن" (٨).
- عن أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ربع القرآن، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾: ربع القرآن، وإذا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾: ربع القرآن" (٩).

وقد وقع عند أبي داود والنسائي وابن حبان: منيحة أنثى، ولعل ما في "المسند" أشبه، لأن المنيحة لا تكون إلا أنثى، ورواية ابن عبد الحكم: شاة أهلي، ورواية الدارقطني: منيحة أبي، أو شاة أبي وأهلي ومنيحتهم.
 (١) سنن الترمذي (٢٨٩٥): ص ١٦/٥. وقال: "هذا حديث حسن".
 (٢) سنن أبي داود (٨١٦): ص ٢١٥/١.
 (٣) المعجم الكبير للطبراني (٨٧): ص ٣٨/١٣، وشعب الإيمان للبيهقي (٦٧٠١): ٣١٢/٩، وانظر: الكنى والأسماء (٤٧): ١٧/١.
 (٤) الدر المنثور: ٥٩١/٨.
 (٥) الدر المنثور: ٥٩١/٨. وعزاه إلى أحمد ومحمد بن نصر والطبراني والبيهقي في سننه.
 (٦) الدر المنثور: ٥٩١/٨. وعزاه إلى البيهقي.
 (٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٣/١٠.
 (٨) الدر المنثور: ٥٩١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
 (٩) المسند (١٢٤٨٨): ص ٤٧٢/١٩، إسناده ضعيف لضعف سلمة بن وردان. عبد الله بن الوليد: هو العدني، وسفيان: هو الثوري.

- عن ابن عباس قال: قال رسول الله -عليه السلام-: «{إذا زُلزِلت} تعدل نصف القرآن، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تعدل ثلث القرآن و{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، تعدل ربع القرآن»^(١).
- عن عاصم قال: كان يقال: {قل هو الله أحد}: ثلث القرآن، و{إذا زلزلت الأرض}: نصف القرآن، و{قل يا أيها الكافرون}: ربع القرآن"^(٢).
- عن الشعبي قال: "من قرأ: {إذا زُلزِلت}، فإنها تعدل سدس القرآن"^(٣).

وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٢٥٣٠) من طريق أبي حذيفة النهدي، والخطيب في "تاريخ بغداد" ٣٨٠/١١ من طريق أبي هاشم عبد الملك بن عبد الرحمن، كلاهما عن سفيان الثوري، بهذا الإسناد.

وأخرجه الترمذي (٢٨٩٣)، والعقيلي في "الضعفاء" ٢٤٣/١، والبيهقي في "الشعب" (٢٥١٦) من طريق الحسن بن سلم بن صالح العجلي، عن ثابت البناني، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ {إذا زلزلت} عدلت له بنصف القرآن، ومن قرأ {قل يا أيها الكافرون} عدلت له بربع القرآن، ومن قرأ {قل هو الله أحد} عدلت له بثلث القرآن". والحسن بن سلم مجهول.

وجاء مطولا في مسند أحمد ضمن قصة برقم (١٣٣٠٩) عن عبد الله بن الحارث عن سلمة بن وردان، وزيد فيه {قل هو الله أحد} وآية الكرسي.

وله شاهد من حديث ابن عباس عند أبي عبيد في "فضائل القرآن" ص ٢٦٢-٢٦٣ و ٢٦٥، والترمذي (٢٨٩٤)، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٢٩٩)، والحاكم ٥٦٦/١، والبيهقي في "الشعب" (٢٥١٤) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " {إذا زلزلت الأرض زلزالها} تعدل نصف القرآن، و {قل يا أيها الكافرون} تعدل ربع القرآن، و {قل هو الله أحد} تعدل ثلث القرآن" وقال الترمذي: هذا حديث غريب، ولا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة. قلنا: ويمان ضعيف.

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٣/١٠، وانظر: كنز العمال: ٥٨٤ / ١.

(٢) الدر المنثور: ٥٩١/٨. وعزاه إلى ابن الضريس.

(٣) الدر المنثور: ٥٩١/٨. وعزاه إلى الخطيب في تاريخه.

سورة «العاديات»

«سورة العاديات»: هي السورة المائة بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الأولى من المجموعة الرابعة عشرة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة العصر»، وقيل «سورة الكوثر»، آياتها إحدى عشرة. وكلماتها أربعون. وحروفها مائة وستون. فواصل آياتها على «دار»^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة العاديات»:

سميت في أكثر المصاحف وكتب التفسير^(٢): «سورة العاديات» بدون واو، فهي تسمية لما ذكر فيها دون حكاية لفظه، قال تعالى: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات : ١].

وسميت في بعض كتب التفسير^(٣) «سورة والعاديات» بإثبات الواو.

■ مكية السورة ومدنيتها:

اختلف في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود^(٤)، وعطاء^(٥)، وعكرمة^(٦)، وجابر^(٧).

عن ابن عباس، قال: "نزلت والعاديات بمكة"^(٨).

الثاني: مدنيّة، قاله ابن عباس^(٩)، وأنس^(١٠)، ومالك^(١١)، وقتادة^(١٢)، ومقاتل^(١٣).

قال ابن عطية: "هي مكية في قول جماعة من أهل العلم، وقال المهدي عن أنس بن مالك: وهي مدنية"^(١٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه المناسبة بينها وبين ما قبلها- أنه لما ذكر هناك الجزاء على الخير والشر أتبعه تعنيف الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، ولا يستعدون لحياتهم الثانية، بتعويد أنفسهم فعل الخير^(١٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من أبرز مقاصد السورة:

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٧/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٥٥/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٠٨/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٥٤/٥، والكشف والبيان: ٢٦٨/١٠، والنكت والعيون: ٣٢٣/٦، والوسيط للواحي: ٥٤٤/٤، وتفسير السمعاني: ٢٧٠/٦، وتفسير البغوي: ٥٠٥/٨، والكشاف: ٧٨٦/٤، والمحرم الوجيز: ٥١٣/٥، وغيرها.

(٣) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٦٠٠/١٠، وتفسير ابن فورك: ٢٦٠/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٩٩/١٢، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠، وغيرها.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٨) الدر المنثور: ٥٩٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤.

(١٤) المحرم الوجيز: ٥١٢/٥.

(١٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٢١/٣٠.

- ١- ذم خصال تقضي بأصحابها إلى الخسران في الآخرة، وهي خصال غالية على المشركين والمنافقين، ويراد تحذير المسلمين منها.
- ٢- وعظ الناس بأن وراءهم حسابا على أعمالهم بعد الموت ليتذكروه المؤمن ويهدد به الجاحد.
- ٣- أكدت السورة على المعاني السابقة بأن افتتح بالقسم، وأدمج في القسم التنويه بخيل الغزاة أو رواحل الحجيج.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان شرف الغزاة في سبيل الرحمن، وذكر كفران الإنسان، والخبر عن اطلاع الملك الديان، على الإسرار والإعلان، وذم محبة ما هو فان، والخبر من إحياء الأموات بالأجساد والأبدان، وأنه - تعالى - خبير بما للخلق من الطاعة والعصيان"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة^(٢).

■ فضائل السورة:

- أخرج أبو عبيد في فضائله عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا زلزلت: تعدل بنصف القرآن، {والعاديات}: تعدل بنصف القرآن"^(٣).
- أخرج محمد بن نصر من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا زلزلت: تعدل بنصف القرآن {والعاديات} تعدل بنصف القرآن، وقل هو الله أحد: تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون: تعدل ربع القرآن"^(٤).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ سورة العاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا»^(٥). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٧/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٧/١.

(٣) الدر المنثور: ٥٩٩/٨.

(٤) الدر المنثور: ٥٩٩/٨.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٨/١٠. [موضوع]

سورة «القارعة»

«سورة القارعة»: هي السورة الحادية بعد المائة بحسب الرسم القرآني، بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثانية من المجموعة الرابعة عشرة من قسم المفص، نزلت بعد «سورة قريش» وقبل «سورة القيامة»، آياتها إحدى عشرة في عد الكوفة، وعشرة في الحجاز، وثمان في البصرة، والشام. وكلماتها ست وثلاثون. وحروفها مائة وخمسون فواصل آياتها «شثة»^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة القارعة»:

اتفقت المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة على تسمية هذه السورة: «سورة القارعة»، وذلك لمفتتحها بقوله تعالى: { الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) } [القارعة : ١ - ٣]. ولا يعرف لهذه السورة اسم آخر غيره، ولم يرو شيء في تسميتها من كلام الصحابة والتابعين- رضوان الله عليهم أجمعين-.

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة «القارعة»، بمكة"^(٢).

قال ابن عطية: " هي مكية بلا خلاف"^(٣).

قال ابن الجوزي: " هي مكّية بإجماعهم"^(٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أن آخر السابقة كان في وصف يوم القيامة، وهذه السورة يأسرها في وصف ذلك اليوم، وما يكون فيه من الأهوال^(٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من أبرز مقاصد السورة:

١- إثبات وقوع البعث وما يسبق ذلك من الأهوال.

٢- إثبات الجزاء على الأعمال.

٣- أن أهل الأعمال الصالحة المعتبرة عند الله في نعيم، وأهل الأعمال السيئة التي لا وزن لها عند الله في قعر الجحيم.

قال الفيروزآبادي: " معظم مقصود السورة: بيان هيبة العرصات، وتأثيرها في الجمادات والحيوانات، وذكر وزن الحسنات والسيئات، وشرح عيش أهل الدرجات وبيان حال أصحاب الدرجات في قوله: {نَارٌ حَامِيَةٌ} [القارعة : ١١]"^(٦).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ^(٧).

■ فضائل السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ القارعة ثقل الله سبحانه بها ميزانه يوم القيامة»^(١). [موضوع]

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٩/١.

(٢) الدر المنثور: ٦٠٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) المحرر الوجيز: ٥١٦/٥.

(٤) زاد المسير: ٤٨٣/٤.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٢٤/٣٠.

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٩/١.

(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٢.

- عن أبي سليمان الداراني؛ قال: "كان علي بن الفضيل لا يستطيع أن يقرأ «القارعة»"^(٢). وفي لفظ: "ولا تقرأ عليه"^(٣).
- عن أنس بن مالك، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام، سأل عنه، فإن كان غائبا دعا له، وإن كان شاهدا زاره، وإن كان مريضا عاده، ففقد رجلا من الأنصار في اليوم الثالث، فسأل عنه فقيل: يا رسول الله، تركناه مثل الفرخ، لا يدخل في رأسه شيء إلا خرج من دبره. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه: «عودوا أخاكم». قال: فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذه، وفي القوم أبو بكر، وعمر، فلما دخلنا عليه إذا هو كما وصف لنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف تجدك؟». قال: لا يدخل في رأسي شيء إلا خرج من دبري، قال: «ومم ذاك؟». قال: يا رسول الله، مررت بك وأنت تصلي المغرب، فصليت معك وأنت تقرأ هذه السورة: {الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ} [القارعة: ٢]- إلى آخرها - {نَارٌ حَامِيَةٌ} [القارعة: ١١]، قال: فقلت: اللهم ما كان لي من ذنب أنت معذبي عليه في الآخرة، فعجل لي عقوبته في الدنيا، فنزل بي ما ترى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بئس ما قلت، ألا سألت الله أن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ويقبلك عذاب النار؟». قال: فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فدعا بذلك، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فقام كأنما نشط من عقال، قال: فلما خرجنا قال عمر: يا رسول الله، حضضتنا أنفا على عيادة المريض، فما لنا في ذلك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن المرء المسلم إذا خرج من بيته يعود أخاه المسلم، خاض في الرحمة إلى حقوقه، فإذا جلس عند المريض غمرته الرحمة وغمرت المريض الرحمة، وكان المريض في ظل عرشه، وكان العائد في ظل قدسه، ويقول الله لملائكته: انظروا كم احتسبوا عند المريض العواد" قال: "تقول: أي رب، فواقا - إن كانوا احتسبوا فواقا - فيقول الله لملائكته: اكتبوا لعبدي العائد عبادة ألف سنة، قيام ليلة وصيام نهاره، وأخبروه أنني لم أكتب عليه خطيئة واحدة" قال: "ويقول لملائكته: انظروا كم احتسبوا؟" قال: "يقولون: ساعة - قال: إن كانوا احتسبوا ساعة - فيقول: اكتبوا له دهرا، والدهر عشرة آلاف سنة، إن مات قيل ذلك دخل الجنة، وإن عاش لم يكتب عليه خطيئة واحدة، وإن كان صباحا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وكان في خراف الجنة، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان في خراف الجنة"^(٤).

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٧٤/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٢٦/١٠. [موضوع]

(٢) المجالسة وجواهر العلم، للدينوري (١٢٣٤): ص٦٧/٤.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٢٩٩/٨.

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (٣٤٢٩): ص١٥٠/٦. [حكم حسين سليم أسد]: إسناده ضعيف.

سورة «التكاثر»

«سورة التكاثر»: هي السورة الثانية بعد المائة بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الثالثة والأخيرة من المجموعة الرابعة عشرة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة الكوثر» وقبل «سورة الماعون»^(١)، وآياتها ثمان. وكلماتها ثمانية وعشرون. وحروفها مائة وعشرون. فواصل آياتها «نمر»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولًا- أسماؤها التوقيفية:

١- «سورة التكاثر»:

سميت في المصاحف وأكثر كتب التفسير^(٣)، وبعض كتب السنة^(٤): «سورة التكاثر»، وذلك لمفتتحها بقوله تعالى: {أَلْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر : ١].

٢- سورة «ألهاكم التكاثر»:

اشتهرت تسميتها بسورة: «ألهاكم التكاثر»، في بعض كتب التفسير^(٥)، وقد ردت هذه التسمية في كلام رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وفي كلام ابن عباس-رضي الله عنهما-^(٦)، وكذلك ترجم لها الترمذي، في «سننه»^(٧)، والحاكم في «المستدرک»^(٨).

في حين ترجم لها البخاري في «صحيحه»^(٩)، والطبري في «التفسير»^(١٠) باسم سورة: «ألهاكم». دون تنمة الآية.

وهي تسمية بأول آية افتتحت بها السورة، قال تعالى: {أَلْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر : ١].

■ ثانيًا- اسمها الاجتهادي: سورة «المقبرة»

وردت هذه التسمية عند الألويسي^(١١)، مستندا بما رواه ابن أبي حاتم، عن سعيد بن أبي هلال -رضي الله عنه- قال: " كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون {ألهاكم التكاثر}: [المقبرة]^(١٢)»^(١٣).

ووجه تسميتها بسورة «المقبرة»، لورود لفظ: «المقابر»، في السورة، وهو جمع: «المقبرة»، قال تعالى: {حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} [التكاثر : ٢].

فهو إذن اسم اجتهادي من الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-. ولم يثبت عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

■ مكية السورة ومدنيتها:

(١) بناء على أنها مكية.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٠/١.

(٣) انظر مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٦١٣/٣، وتفسير ابن فورك: ٢٦٦/٣، والكشف والبيان: ٢٧٦/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٠/٦، والوسيط للواحدى: ٥٤٨/٤، وتفسير السمعاني: ٢٧٥/٦، وتفسير البيهقي: ٥١٥/٨، والكشاف: ٧٩١/٤، والمحرر الوجيز: ٥١٨/٥، وزاد المسير: ٤٨٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٤٨٥/٤، وتفسير القرطبي: ١٦٨/٢٠، وغيرها.

(٤) انظر مثلا: السنن الكبرى للنسائي: ٣٤٣/١٠.

(٥) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٦٠٧/١٠، وتفسير ابن زنين: ١٥٨/٥.

(٦) الدر المنثور: ٦٠٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه. كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٧) انظر: سنن الترمذي: ٤٤٧/٥.

(٨) انظر: المستدرک على الصحيحين: ٥٨٢/٢.

(٩) انظر: صحيح البخاري: ١٧٦/٦.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٧/٢٤.

(١١) انظر: روح المعاني: ٤٥١/١٥.

(١٢) في تفسير ابن أبي حاتم، والدر المنثور: «المغيرة» بدلا من «المقبرة»، وهو تصحيف. والصحيح «المقبرة»، كما في روح المعاني: ٤٥١/١٥، والتحرير والتنوير: ٥١٧/٣٠.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥٢):ص٣٤٥٩/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٦٠٩/٨.

عن ابن عباس، قال: " نزلت بمكة سورة {ألهاكم التكاثر}"^(١).
 قال ابن عطية: " هي مكة لا أعلم فيها خلافا"^(٢).
 قال ابن الجوزي: " هي مكّة بإجماعهم"^(٣).
 قال أبو حيان: " هذه السورة مكة في قول جميع المفسرين. وقال البخاري: مدنية"^(٤).
 قال السيوطي: " الأشهر أنها مكة، ويدل لكونها مدنية - وهو المختار - :
 ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن بريده: «أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار
 تفاخروا»... الحديث"^(٥).

وأخرج البخاري عن أبي بن كعب قال: «كنا نرى هذا من القرآن - يعني «لو كان لابن آدم واد من ذهب»، - حتى نزلت: {ألهاكم التكاثر}»^(٦)^(٧).

وأخرج الترمذي عن علي قال: «ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت»^(٨).
 قال السيوطي: " وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدينة كما في الصحيح في قصة اليهودية"^(٩).
 قال ابن عاشور: " والذي يظهر من معاني السورة وغلظة وعيدها أنها مكة، وأن المخاطب بها
 فريق من المشركين، لأن ما ذكر فيها لا يليق بالمسلمين"^(١٠).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أن في الأولى وصف القيامة وبعض أهوالها وجزاء الأخيار والأشرار، وأن في
 هذه ذكر الجحيم وهي الهاوية التي ذكرت في السورة السابقة، وذكر السؤال عما قدم المرء من الأعمال
 في الحياة الدنيا، وهذا بعض أحوال الآخرة^(١١).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من أبرز مقاصد السورة:

١- التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة الإسلام بإيثار المال والتكاثر به والتفاخر
 بالأسلاف وعدم الإقلاع عن ذلك إلى أن يصيروا في القبور كما صار من كان قبلهم وعلى الوعيد
 على ذلك.

٢- الحثّ على التدبر فيما ينجيهم من الجحيم.

٣- تقرير البعث، وأن الإنسان مسؤول عن إهمال شكر المنعم العظيم.

(١) الدر المنثور: ٦٠٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) المحرر الوجيز: ٥١٨/٥.

(٣) زاد المسير: ٤٨٥/٤.

(٤) البحر المحيط في التفسير: ٥٣٥/١٠.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٣):ص٣٤٥٩/١٠.

(٦) صحيح البخاري(ألهاكم التكاثر):ص٩٣/٨. قال المحقق: " أي هذه السورة التي بمعنى الحديث فحين المقايسة بينهما أعلمنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ليس بقرآن. وقيل كان قرآنا فنسخ بنزول السورة اكتفاء بما هو في معناه".

(٧) قال ابن عاشور: " يريد المستدل بهذا أن أبيا أنصاري، وأن ظاهر قوله: حتى نزلت: {ألهاكم التكاثر}، أنها نزلت بعد أن
 كانوا يعدون: «لو أن لابن آدم واديا من ذهب إلخ من القرآن» وليس في كلام أبي دليل ناهض إذ يجوز أن يريد بضمير
 «كنا» المسلمين، أي: كان من سبق منهم يعد ذلك من القرآن حتى نزلت سورة التكاثر وبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم

أن ما كانوا يقولونه ليس بقرآن". [التحرير والتنوير: ٥١٧/٣٠]

(٨) وابن أبي حاتم(١٩٤٥٤):ص٣٤٥٩/١٠.

(٩) الإتيقان: ٥٤/١-٥٥.

(١٠) المحرر الوجيز: ٥١٨/٣٠.

(١١) انظر: تفسير المراعي: ٢٢٨/٣٠.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: ذم المقبلين على الدنيا، والمفتخرين بالمال، وبيان أن عاقبة الكل الموت والزوال، وأن نصيب الغافلين العقوبة والنكال، وأعد للمتولين المذلة والسؤال، والحساب والوبال، في قوله: {لَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر: ٨]"^(١).

■ **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة^(٢).

■ **فضائل السورة:**

- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟» قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}»^(٣).
- عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وهو يقرأ {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} حتى ختمها"^(٤).
- عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: "قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني قارئ عليكم سورة: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، فمن بكى فقد دخل الجنة. فقرأها، فمنا من بكى ومنا من لم يبكي، فقال الذين لم يبكوا: قد جهدنا يا رسول الله أن نبكي فلم نقدر عليه، فقال: إنني قارئها عليكم الثانية فمن بكى فله الجنة ومن لم يقدر أن يبكي فليتبك"^(٥). [ضعيف]
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، لم يحاسبه بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا، وأعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آية»^(٦). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٠/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٠/١.

(٣) المستدرك على الصحيحين (٢٠٨١): ص ٧٥٥/١، وقال: «رواة هذا الحديث كلهم ثقات وعقبة هذا غير مشهور». وأخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (٢٢٨٧): ص ١٣٠/٤.

(٤) الدر المنثور: ٦١٠/٨ وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٥) الدر المنثور: ٦١٠/٨، وعزاه إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبيهقي في شعب الإيمان.

(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٧٦/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٣٠ / ١٠. [موضوع]

سورة «العصر»

«سورة العصر»: هي السورة الثالثة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الشرح»، وقبل «سورة العاديات». آياتها ثلاث. وكلماتها أربع عشرة. وحروفها ثمان وستون المختلف فيها آيتان: {وَالْعَصْرُ} [العصر : ١]، {بِالْحَقِّ} [العصر : ٣]^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة العصر»:

سميت في المصاحف وفي معظم كتب التفسير^(٢): «سورة العصر»، وذلك لمفتتح السورة بقوله تعالى: {وَالْعَصْرُ (١)} [العصر : ١]،

وسميت في بعض كتب التفسير^(٣)، وفي «صحيح البخاري»^(٤): «سورة والعصر» بإثبات الواو على حكاية أول كلمة فيها، أي: سورة هذه الكلمة.

■ مكية السورة ومدنيتها:

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابن عباس^(٥)، وابن الزبير^(٦)، وحكاه ابن الجوزي وأبو حيان عن الجمهور^(٧).

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة {والعصر} بمكة"^(٨).

الثاني: مدنية، قاله مجاهد^(٩)، وقتادة^(١٠)، ومقاتل^(١١).

قال ابن عطية: "هي مكية"^(١٢).

قال ابن عاشور: "هي مكية في قول الجمهور وإطلاق جمهور المفسرين"^(١٣).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر في السورة السابقة أنهم اشتغلوا بالتفاخر والتكاثر وبكل ما من شأنه أن يلهي عن طاعة الله، وذكر هنا أن طبيعة الإنسان داعية له إلى البوار، وموقعة له في الدمار إلا من عصم الله وأزال عنه شرر نفسه، فكان هذا تعليل لما سلف- إلى أنه ذكر في السالفة صفة من اتبع نفسه

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٢/١.

(٢) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٥٨٧/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦١١/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦١٥/٣، والكشف والبيان: ٢٨٣/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٣/٦، والوسيط للواحي: ٥٥١/٤، وتفسير السمعاني: ٢٧٨/٦، وتفسير البغوي: ٥٢٣/٨، والكشاف: ٧٩٣/٤، والمحرم الوجيز: ٥٢٠/٥، وغيرها.

(٣) انظر مثلاً: تفسير ابن أبي زمنين: ١٦١/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٦٩/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٢٣/١٢، وتفسير القرطبي: ١٧٨/٢٠، وتفسير البيضاوي: ٣٣٦/٥، وغيرها.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٦٢١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه، وانظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٦) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٧) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٨) الدر المنثور: ٦٢١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(١٢) المحرم الوجيز: ٥٢٠/٥.

(١٣) التحرير والتنوير: ٥٢٧/٣٠.

وهواه، وجرى مع شيطانه حتى وقع في التهلكة، وهنا ذكر من تجمل بأجمل الطباع، فأمن بالله وعمل الصالحات، وتواصى مع إخوانه على الاستمسك بعرى الحق، والاصطبار على مكارهه^(١).

الرد على شبهة : أن سورتي: «العصر» و«الكوثر» قلقتان في موضعهما:

إن هذا الزعم ينقضه بضعة أسباب :

- ١- أن العبرة ليس بطول السورة أو بقصرها في ترتيبها فلو نظرنا في المصحف الشريف لوجدنا سورا كثيرة تسبق في الترتيب سورا أطول منها فلماذا ركز الكاتب على هاتين السورتين بالذات ؟
- ٢- أن التلاحم القوي بين السور على الرغم من أن مكيتها قد يكون بعد مدنيها أو قبله واضح وملحوظ يخيل للناظر إليها أنها نسيج واحد ، وفوق ذلك نجد هذا التناسق والتلاحم والارتباط وكأنه لا توجد مسافة زمنية في النزول أو بعد مكاني ، مع العلم أن مثل هذه الظروف قد تغير أسلوب الخطاب .
- ٣- أن الكاتب نسي أو تناسى أن من أهم مميزات القرآن هو تناسب سورته مع بعضها البعض ، وإن موضع السور في مكانها هذا لحكمة إلهية لها غرضها ومغزاها.
- ٤- أنه رغم نزول القرآن نجوما مفرقة على اختلاف الزمان والمكان إلا إنه يتضح للجميع وكأن القرآن نزل جملة واحدة كالعقد المتصل الذي لا يشوبه أي خلل أو تناقض .
- ٥- أن هناك رأي قوي بين العلماء على أن سور القرآن ترتيبها كان بالتوقيف ، وأجمع على ذلك كثير من العلماء القديم والحديث، وبهذا يكون وجود هاتين السورتين في هذا الموضع من القرآن ليس فيه أي غرابة.

ولعل علم المناسبات كشف للجميع بعضا من أسرار ترتيب السور على هذا النحو، فمثلا : -
 - سورة العصر سورة مكية ، ترتيبها في المصحف الثالثة والمائة ، عدد آياتها (٣) ، وكان ترتيبها في المصحف الشريف لغاية وهدف ، يوضح ذلك على سبيل المثال ما قاله البقاعي على لسان أبو جعفر بن الزبير: "لما قال الله: {أَلْهَأَكُمُ النَّكَاتُ} [النكاث: ١]، وتتضمن ذلك الإشارة إلى قصور نظر الإنسان وحصر إدراكه في العاجل دون الأجل الذي فيه فوزه وفلاحه وذلك ، ببعده عن العلم بموجب الطبع: {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: ٧٢]، فأخبر سبحانه أن ذلك شأن الإنسان بما هو إنسان فقال: {وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر: ١-٢]، فالقصور شأنه ، والظلم طبعه ، والجهل جبلته ، فيحق أن يلهيه التكاثر ويدخل عليه روح الإيمان، {إِنَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [العصر: ٣] إلى آخرها، فهؤلاء الذين: {لَا تُلْهِيهِمْ تِجْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ} [النور: ٣٧]"^(٢).

- أما سورة الكوثر، وهي السورة الثامنة والمائة في ترتيب المصحف ، مكية ، عدد آياتها (٣)، فوجه مناسبتها لما قبلها طبقا لما ذكره البقاعي أيضا على لسان أبو جعفر بن الزبير: "لما نهى عباده عما يلتذ به من أراد الدنيا وزينتها من الإكثار والكبر والتعزز بالمال والجاه وطلب الدنيا ، أتبع ذلك بما منح بنيه مما هو خير مما يجمعون وهو الكوثر وهو الخير الكثير" إلى آخر ما ذكر من وجه المناسبة والتناسق في الترتيب للسورة"^(٣).

فالزعم بأن سور القرآن غير متسقة في أماكنها هو قصور عن فهم طبيعة القرآن وأسلوبه ، فالتركيز فيه ليس شكليا البتة ، وأما ما يتصوره هؤلاء الكتاب ما هو إلا محاولة لإيجاد نقطة ضعف غير موجودة أصلا، ليبنى عليها نظرياته وأوهامه. ولكن ندعو هؤلاء إلى الإطلاع على كتب المناسبات ، والنظر

(١) انظر: تفسير المراغي: ٢٣٣/٣٠.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، (القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي) ، (٢٣٧/٢٢ ، ٢٣٨).

(٣) المصدر نفسه (٢٨٩، ٢٨٨/٢٢).

فيها بحيادية ، دون التعصب لدين أو فئة ، فإنه سيجد فيها الإجابة على تساؤلاته في هذا الصدد، ليدرك بنفسه تلك الأسرار النفيسة من ترتيب السور بهذا الشكل .

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من أبرز مقاصد السورة:

- ١- اشتملت على إثبات الخسران الشديد لأهل الشرك ومن كان مثلهم من أهل الكفر بالإسلام بعد أن بلغت دعوته، وكذلك من تقلد أعمال الباطل التي حذر الإسلام المسلمين منها.
- ٢- إثبات نجاة وفوز الذين آمنوا وعملوا الصالحات والداعين منهم إلى الحق.
- ٣- بيان على فضيلة الصبر على تزكية النفس ودعوة الحق.

قال الفيروزآبادي: " مقصود السورة: بيان خسران الكفار والفجار، وذكر سعادة المؤمنين الأبرار، وشرح حال المسلم الشكور الصبار، في قوله: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر : ٣]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة. وقيل: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، منسوخ بالاستثناء^(٢).

قال هبة الله: " قيل بالمدينة فيها آية واحدة منسوخة وهي قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، نسخها الله تعالى بالاستثناء بعده: {إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)} [العصر : ٣]"^(٣).

■ فضائل السورة:

- عن ثابت البناني، عن أبي مدينة الدارمي، وكانت له صحبة قال: كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم «إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: {وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)} [العصر : ١ - ٢]، ثم يسلم أحدهما على الآخر»^(٤).
- عن ميمون قال: شهدت عمر حين طعن فأما عبد الرحمن بن عوف فقرأ بأقصر سورتين في القرآن بـ«العصر»، و {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ} [النصر : ١]، في الفجر"^(٥).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ سورة وَالْعَصْرُ ختم الله له بالصبر، وكان مع أصحاب الحق يوم القيامة»^(١). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٢/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٢/١.

(٣) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٣.

(٤) أخرجه الطبراني في " المعجم الأوسط": (٥١٢٤)ص:٢١٥/٥، قال علي بن المدني: «اسم أبي مدينة عبد الله بن حصن». قال الطبراني: "لا يروى هذا الحديث عن أبي مدينة إلا بهذا الإسناد، تفرد به: حماد بن سلمة". والحديث رواه أبو داود في "الزهد"(٤٠٢):ص٣٤١.

قال الألباني في الصحيحة ح٢٦٤٨: "وفي هذا الحديث فائدتان مما جرى عليه عمل سلفنا رضي الله عنهم جميعا: إحداهما: التسليم عند الافتراق، وقد جاء النص بذلك صريحا من قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، وإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة " ، والآخرى: نستفيدها من التزام الصحابة لها. وهي قراءة سورة (العصر) لأننا نعتقد أنهم أبعد الناس عن أن يحدثوا في الدين عبادة يتقربون بها إلى الله، إلا أن يكون ذلك بتوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريراً، ولم لا؟ ، وقد أثني الله تبارك وتعالى عليهم أحسن الثناء، فقال: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم}

وقال ابن مسعود : «من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً، قوما اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم». [جامع بيان العلم وفضله(١٨١٠):ص٩٤٧/٢]

(٥) الدر المنثور: ٦٢١/٨، وعزاه إلى ابن سعد.

سورة «الهمزة»

«سورة الهمزة»: هي السورة الرابعة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة القيامة»، وقبل «سورة المرسلات»، آياتها تسع إجماعاً. وكلماتها ثلاث وثلاثون. وحروفها مائة وثلاثون. فواصل آياتها على «الهاء»^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة الهمزة»:

سميت هذه السورة في المصاحف ومعظم التفاسير^(٢): «سورة الهمزة» بلام التعريف، ووجه تسميتها لافتتاحها بقوله تعالى: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} [الهمزة : ١].

وقد ورد هذا الاسم بلفظ «الهماز»، وذلك في سورة «القلم»، قال تعالى: {هُمَّازٍ مَّتَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم :

[١١].

■ أسماؤها الاجتهادية:

١- سورة «ويل لكل همزة»:

وردت هذه التسمية في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين^(٣)، وبهذا الاسم عنوانها في «صحيح البخاري»^(٤)، وبعض التفاسير^(٥).

وهي تسمية لها بأول جملة فيها، قال تعالى: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} [الهمزة : ١].

٢- سورة «الحطمة»:

ذكر الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز»^(٦) أنها تسمى «سورة الحطمة» لوقوع هذه الكلمة فيها، وذلك في قوله تعالى: {كَلَّا لِيُبَدِّلَنَّا فِي الْحُطْمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ (٥)} [الهمزة : ٤ - ٥].

وقد سميت في إحدى المصاحف، سورة: «اللمزة»^(٧)، ولم أجد هذه التسمية عند المفسرين، كما لم أقف على أحاديث تثبت هذه الأسماء بأنها توقيفية.

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس قال: "أنزلت {ويل لكل همزة} بمكة"^(٨).

قال ابن عطية: "هي مكية بلا خلاف"^(٩).

قال ابن الجوزي: "هي مكية بإجماعهم"^(١٠).

قال أبو حيان: "هذه السورة مكية"^(١١).

قال ابن عاشور: "هي مكية بالاتفاق"^(١).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٣/١.

(٢) انظر مثلاً: تأويلات أهل السنة: ٦١٤/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦١٦/٣، وتفسير ابن فورك: ٢٧١/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٣٥/٦، والنكت والعيون: ٣٣٥/٦، والوسيط للواحدى: ٥٥٢/٤، وتفسير السمعاني: ٢٨٠/٦، والكشاف: ٧٩٤/٤، والمحرم الوجيز: ٥٢١/٥، وزاد المسير: ٤٨٨/٤، ومفاتيح الغيب: ٢٨٤/٣٢، وتفسير القرطبي: ١٨١/٢٠، وغيرها.

(٣) كما سيأتي في رواية ابن عباس في مكان نزول السورة.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٥) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٥٥٩٣/٢٤، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٦٢/٥.

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٣/١.

(٧) المصحف مخطوط بجامعة الإمام برقم (٨٠٤٣).

(٨) الدر المنثور: ٦٢٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) المحرم الوجيز: ٥٢١/٥.

(١٠) زاد المسير: ٤٨٨/٤.

(١١) البحر المحيط في التفسير: ٥٤٠/١٠.

وقال هبة الله: "نزلت بمكة في شأن الأحنس بن شريق، وقيل نزلت بالمدينة"^(٢).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه لما ذكر سبحانه في السورة السابقة أن جميع أفراد الإنسان منغمسون في الضلال إلا من عصم الله- ذكر هنا بعض صفات أهل الضلال^(٣).

قال أبو حيان: "لما قال فيما قبلها: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، بين حال الخاسر فقال: {وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ} [الهمزة : ١]"^(٤).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من أبرز مقاصد السورة:

١- الترهيب من الوقوع في الغيبة والنميمة.

أ- فأما الغيبة:

قال ابن كثير: "والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك، إلا ما رجحت مصلحة، كما

في الجرح والتعديل والنصيحة"^(٥).

واعتبر الإمام ابن حجر الغيبة من الكبائر حيث قال: "الذي دلت عليه الدلائل الكثيرة

الصحيحة الظاهرة أنها كبيرة: لكنها تختلف عظماً وضده بحسب اختلاف مفسدتها. وقد جعلها من

أوتي جوامع الكلم عديلة غضب المال، وقتل النفس بقوله صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على

المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»^(٦)، والغضب والقتل كبيرتان إجماعاً، فكذا ثلم العرض^(٧).

ب- وأما النميمة:

فهي محرمة في الكتاب والسنة والإجماع، وهي من كبائر الذنوب، قَالَ تَعَالَى: {وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ

لَمَزَةٍ} [الهمزة : ١].

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا يدخل الجنة نام»^(٨).

قال العلامة ابن باز: "وهي من الكبائر ومن أسباب البغضاء والشحناء بين المسلمين، فالواجب

الحذر منها"^(٩).

قال الشيخ ابن عثيمين: "والنميمة من كبائر الذنوب، وهي سبب لعذاب القبر، ومن أسباب

حرمان دخول الجنة"^(١٠).

٢- بيان أخلاق المشركين ومن شاكلهم.

٣- التصريح بالخزي والتحذير بالعذاب لكل من يحسب أن نجاته وخلوده بجمع المال، فيطعن ويعيب

على الناس محقراً أعمالهم ومترفعاً عليهم. بل إن جمع المال يطرح صاحبه في النار الموقدة، جزاءً

على تعاليه واغتراره به وعدم إنفاقه.

(١) التحرير والتنوير: ٥٣٥/٣٠.

(٢) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٤.

(٣) انظر: تفسير المراعي: ٢٣٦/٣٠.

(٤) البحر المحيط في التفسير: ٥٤٠/١٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٨٠/٨.

(٦) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٧) الزواجر، لابن حجر: ٥٥٥/٢.

(٨) رواه مسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٩) فتاوى نور على الدرب لابن باز، جمع: محمد الشويعر (١٢٥/١٤).

(١٠) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، جمع وترتيب: فهد السليمان (٥٢٤/٩).

- ٤- وعيد جماعة من المشركين جعلوا همز المسلمين ولمزهم ضربا من ضروب أذاهم طمعا في أن يلجئهم الملل من أصناف الأذى، إلى الانصراف عن الإسلام والرجوع إلى الشرك.
قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: عقوبة العياب المغتاب، وذم جمع الدنيا ومنعه وبيان صعوبة العقوبة في قوله: {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} [الهمزة : ٩]"^(١).
- **الناسخ والمنسوخ:**
السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ^(٢).
 - **فضائل السورة:**

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ سورة وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ اسْتَهْزَأَ بِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ»^(٣). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٣/١.

(٢) الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٤.

(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٥/١٠. [موضوع]

سورة «الفيل»

«سورة الفيل»: هي السورة الخامسة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الكافرين»، وقبل «سورة الفلق» وقيل: قبل سورة: «القريش»^(١)، آياتها خمس إجماعا. وكلماتها ثلاث وعشرون. وحروفها ثلاث وتسعون. فواصل آياتها على «اللام»^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولا- اسمها التوقيفي: «سورة الفيل»:

سميت في جميع المصاحف وكتب التفسير^(٣): «سورة الفيل»، ووجه تسميتها بذلك، لذكرها قصة الفيل في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} [الفيل : ١]، ولم يذكر لفظ «الفيل» في القرآن الكريم في غير هذه السورة.

■ الثاني- اسمها الاجتهادي: سورة «ألم تر» و«ألم تر كيف»، و«ألم تر كيف فعل ربك»:

وردت تسميتها في كلام بعض السلف سورة: «ألم تر»^(٤). وكذلك عنونها البخاري^(٥)، وبعض المفسرين^(٦) في كتبهم.

وعنون لها ابن أبي زمنين في تفسيره: «ألم تر كيف»^(٧).

ووقع تسميتها عند ابن عباس، بالآية الأولى: «ألم تر كيف فعل ربك»^(٨).

وعنون لها ابن العربي في «أحكام القرآن»: «السورة المنزلة على أصحاب الفيل»^(٩).

وهذه الأسماء ليست توقيفية من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وإنما هي من اجتهاد العلماء.

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس قال: " أنزل {ألم تر كيف فعل ربك} بمكة"^(١٠).

قال ابن عطية: " هي مكية بإجماع الرواة"^(١١).

قال ابن الجوزي: " هي مكّية بإجماعهم"^(١).

(١) وذلك لقول الأخفش: إن قوله تعالى: {إيلاف قريش} [قريش: ١] متعلق بقوله: {فجعلهم كعصف مأكول} [الفيل: ٥]، ولأن أبي بن كعب جعلها وسورة قريش سورة واحدة في مصحفه ولم يفصل بينهما بالبسملة، ولخبر عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب روى أن عمر بن الخطاب قرأ مرة في المغرب في الركعة الثانية سورة الفيل وسورة قريش، أي: ولم يكن الصحابة يقرأون في الركعة من صلاة الفرض سورتين لأن السنة قراءة الفاتحة وسورة فدل أنهما عنده سورة واحدة. قال ابن عاشور: " ويجوز أن تكون سورة قريش نزلت بعد سورة الفلق وألحقت بسورة الفيل فلا يتم الاحتجاج بما في مصحف أبي بن كعب ولا بما رواه عمرو بن ميمون". [التحرير والتنوير: ٥٤٣/٣٠].

عن عمرو بن ميمون الأودي، قال: " صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى بـ {التين} والزيّتون} [التين : ١] ، وفي الركعة الأخرى: {ألم تر} [الفيل : ١]، و{إيلاف قريش} [قريش : ١] جميعا". [أخرجه عبد الرزاق، وابن الأنباري في المصاحف، [كنز العمال ٢٢١١٦]

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/١.

(٣) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٠٣/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦١٧/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦١٨/٣، والكشف والبيان: ٢٨٨/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٣٥/١٢، والنكت والعيون: ٣٢٨/٦، والوسيط للواحدى: ٥٥٤/٤، وتفسير السمعاني: ٢٨٣/٦، وتفسير البغوي: ٥٣٢/٨، وغيرها.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٦) انظر مثلا: تفسير ابن فورك: ٢٧٥/٣، وتفسير الثعالبي: ٤٤٢/٤.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٣/٥.

(٨) كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٩) انظر: أحكام القرآن: ١٩٨٠/٢.

(١٠) الدر المنثور: ٦٢٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) المحرر الوجيز: ٥٢٣/٥.

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه بين في السورة السابقة أن المال لا يغنى من الله شيئاً وهنا أقام الدليل على ذلك بقصص أصحاب الفيل^(٢).

قال أبو حيان: "لما قال فيما قبلها: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، بين حال الخاسر فقال: {وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ} [الهمزة : ١]"^(٣).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من أبرز مقاصد السورة:

١- التذكير بأن الكعبة حرم الله وأن الله حماه ممن أرادوا به سوءاً أو أظهر غضبه عليهم فعذبهم، لأنهم ظلموا بطمعهم في هدم مسجد إبراهيم وهو عندهم في كتابهم، وذلك ما سماه الله كيدا، وليكون ما حل بهم تذكرة لقريش بأن فاعل ذلك هو رب ذلك البيت وأن لا حظ فيه للأصنام التي نصبوها حوله.

٢- تنبيه قريش أو تذكيرهم بما ظهر من كرامة النبي -صلى الله عليه وسلم- عند الله إذ أهلك أصحاب الفيل في عام ولادته.

٣- تثبيت النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن الله يدفع عنه كيد المشركين فإن الذي دفع كيد من يكيد لبيته لأحق بأن يدفع كيد من يكيد لرسوله -صلى الله عليه وسلم- ودينه ويشعر بهذا قوله: {ألم يجعل كيدهم في تضليل} [الفيل: ٢].

٤- التذكير بأن الله غالب على أمره، وأن لا تغر المشركين قوتهم ووفرة عددهم ولا يوهن النبيء صلى الله عليه وسلم تألب قبائلهم عليه فقد أهلك الله من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعا.

قال ابن عاشور: "ولم يتكرر في القرآن ذكر إهلاك أصحاب الفيل خلافاً لقصص غيرهم من الأمم لوجهين:

أحدهما: أن إهلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من الله.

وثانيهما أن لا يتخذ منه المشركون غروراً بمكانة لهم عند الله كغرورهم بقولهم المحكي في قوله تعالى: {أَجْعَلْنٰمْ سِقَايَةَ الْحَآجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة : ١٩] الآية وقوله: {وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّفُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الأنفال : ٣٤]"^(٤).

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان جزاء الأجنبي، ومكرهم، ورد كيدهم في نحرهم، وتسليط أنواع العقوبة على العصاة والمجرمين، وسوء عاقبتهم بعد حين في قوله: {فَجَعَلْنٰهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} [الفيل : ٥]"^(٥).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة^(١).

■ فضائل السورة:

- عن عمرو بن ميمون قال: "صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى بـ {النتين والزيتون}، وفي الركعة الأخرى: {ألم تر} و {لإيلاف قريش} جميعاً"^(٧).

(١) زاد المسير: ٤٩٠/٤.

(٢) انظر: تفسير المراغي: ٢٣٦/٣٠.

(٣) البحر المحيط في التفسير: ٥٤٠/١٠.

(٤) التحرير والتنوير: ٥٤٤/٣٠.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/١.

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/١.

(٧) أخرجه عبد الرزاق، وابن الأنباري في المصاحف، [كنز العمال ٢٢١١٦].

عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ سورة «الفيل»، عافاه الله عزّ وجلّ أيام حياته في الدنيا من القذف والمسح»^(١). [موضوع]

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٨/١٠. [موضوع]

سورة «قريش»

«سورة القريش»: هي السورة السادسة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة التين»، وقبل «سورة القارعة»، آياتها خمس في عد الحجاز، وأربع في عد الباقيين. وكلماتها تسع عشرة. وحروفها ثلاث وسبعون. المختلف فيها آية: {مِنْ جُوعٍ} [قريش : ٤]، فواصل آياتها: «شفت»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- أسماء التوقيفية:

١- «سورة قريش»:

سميت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير^(٢): «سورة قريش»، لوقوع اسم «قريش» فيها ولم يقع في غيرها، قال تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} [قريش : ١].

قال ابن الفيروزآبادي: "سميت سورة قريش، لذكر ألفتها فيها"^(٣).

٢- سورة «لإيلاف قريش»:

سميت هذه السورة في عهد السلف^(٤): «سورة لإيلاف قريش»، تسمية لها بأول آية وردت فيها، ولم يعدها في «الإتقان» في السور التي لها أكثر من اسم.

وبهذا الاسم عنون لها بعض المفسرين^(٥)، وترجم لها البخاري في «صحيحه»^(٦).

■ الثاني:- اسمها الاجتهادي: سورة «لإيلاف»:

وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير^(٧)، وهي تسمية للسورة بلفظ وقع في أولها، قال تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} [قريش : ١].

وهذا الاسم ليس توقيفياً من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وإنما هو من اجتهاد العلماء.

■ مكية السورة ومدنيتها:

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابن عباس^(٨)، وحكاها ابن الجوزي والماوردي والقرطبي عن الجمهور^(٩).

عن ابن عباس قال: " نزلت {لإيلاف قريش} بمكة"^(١٠).

الثاني: مدنية، قاله الضحاك^(١١)، وابن السائب^(١٢).

قال الماوردي: " مكية في قول الأكثرين"^(١٣).

قال ابن عطية: " هي مكية بلا خلاف"^(١).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٥/١.

(٢) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٦١٧/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٢٣/٣، والكشف والبيان: ٢٩٩/١٠، والوسيط

للواحي: ٥٥٥/٤، وزاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير البيضاوي: ٣٤٠/٥، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٦٥/٥، والنكت والعيون:

٣٤٥/٦، وتفسير البغوي: ٥٤٢/٨، والكشاف: ٨٠٠/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠، وغيرها.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٥/١.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) انظر مثلاً: تأويلات أهل السنة: ٦٢٠/١٠، وتفسير ابن فورك: ٦٢٠/٣.

(٦) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٧) انظر مثلاً: تفسير السمعاني: ٢٨٦/٦.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٤٥/٦، وزاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠.

(١٠) الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٤٥/٦، وزاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠.

(١٣) النكت والعيون: ٣٤٥/٦.

قال ابن عاشور: "السورة مكية عند جماهير العلماء"^(٢).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها: أن كلا منهما تضمن ذكر نعمة من نعم الله على أهل مكة، فالأولى تضمنت إهلاك عدوهم الذي جاء ليهدم بيتهم، وهو أساس مجدهم وعزهم والثانية ذكرت نعمة أخرى هي اجتماع أمرهم، والنتام شملهم، ليتمكنوا من الارتحال صيفا وشتاء في تجارتهم، وجلب الميرة لهم، ولو وثيق الصلة بين السورتين كان أبي بن كعب يعتبرهما سورة واحدة، حتى روى عنه أنه لم يفصل بينهما ببسمة^(٣).

الرد على شبهة: جعل أبي -رضي الله عنه- سورتي: «الفيل» و«قريش» سورة واحدة:

لقد نبه الإمام السيوطي على ذلك بقوله: "كذا نقل عن جماعة عن مصحف أبي أنه ست عشرة سورة والصواب أنه خمس عشرة، فإن «سورة الفيل» و«سورة لإيلاف قريش» فيه سورة واحدة، ونقل ذلك عن السخاوي، وعن جعفر الصادق وأبي نهيك أيضا. قلت - والكلام للسيوطي - : يرد ما أخرجه الحاكم والطبراني من حديث أم هانئ، أن رسول الله ﷺ، قال: "فضل الله قريشا الحديث، وفيه: "وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم {لإيلاف قريش} [قريش: ١]"^(٤)^(٥).

ولوحظ في هذا الصدد عدة نقاط:

١- اعتماد الكاتب على الروايات الضعيفة في مصادر مثل الإتيان للإمام السيوطي وغيرها لإثبات ما يرمي إليه دون تنفيذ أو تخريج أو بحث في مصادر أخرى تثبت أو تنفي هذا الخبر.

٢- التركيز الشديد على فعل واحد من الصحابة، دون النظر إلى الإجماع الذي عليه المعول والحل والعقد.

٣- نسيان الكاتب نزول جميع أصحاب المصاحف رضوان الله عليهم إلى مصحف عثمان والاستقرار عليه لانعقاد الإجماع عليه.

٤- لعل عمل أبي -رضي الله عنه- بضمه السورتين يكون ناتجا من إتحاد الغرض في سورتي الفيل وقريش، مما جعله يظن أنهما سورة واحدة.

فموضوع السورتين مترتب على الآخر، وتأويل ذلك أنه لما انتهت واقعة الفيل بما وقع لأبرهة وجيشه، وما كان من التدخل الإلهي لحماية بيته وحرمة، عظمت مكة في أعين العرب وأصبحت ملاذا للكثيرين وأخذت مكانتها بين العرب، فأتبع الله في كتابه بسورة قريش لتلي سورة الفيل تذكيرا بالمنة والنعمة التي نالها هؤلاء العرب من العز والشرف والمهابة بين العالم، والإطعام من جوع والأمن من الخوف.

قال ابن عاشور: "وهي سورة مستقلة بإجماع المسلمين على أنها سورة خاصة. وجعلها أبي بن كعب مع «سورة الفيل» سورة واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه بالبسمة التي كانوا يجعلونها علامة فصل بين السور، وهو ظاهر خبر عمرو بن ميمون عن قراءة عمر بن الخطاب. والإجماع الواقع بعد ذلك نقض ذلك"^(٦).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من أبرز مقاصد السورة:

- (١) المحرر الوجيز: ٥٢٥/٥.
- (٢) المحرر الوجيز: ٥٥٣/٣٠.
- (٣) انظر: تفسير المراعي: ٢٤٤/٣٠.
- (٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبرى (٢٠١): ص ٨٦/١٧، قال الهيثمي (٢٤/١٠): فيه حسين السلولي ولم أعرفه وبقيته رجاله ثقات.
- (٥) الإتيان في علوم القرآن: ١٧٩/١.
- (٦) التحرير والتنوير: ٥٥٣/٣٠.

- ١- أن نعم الله على عباده عديدة ولا تحصى، ومن أعظم هذه النعم بعد نعمة الإيمان: نعمة الأمن نعمة الطعام والشراب.
 - ٢- أمر قريشا بتوحيد الله تعالى بالربوبية تذكيرا لهم بنعمة أن الله مكن لهم السير في الأرض للتجارة برحلتى الشتاء والصيف لا يخشون عاديا يعدو عليهم، وبأنه أمنهم من المجاعات وأمنهم من المخاوف لما وقر في نفوس العرب من حرمتهم لأنهم سكان الحرم وعمار الكعبة، وبما ألهم الناس من جلب الميرة إليهم من الآفاق المجاورة كبلاد الحبشة، وبرد القبائل فلا يغير على بلدهم أحد، قال تعالى: {وَأَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} [العنكبوت : ٦٧]، فأكسبهم ذلك مهابة في نفوس الناس وعطفا منهم.
 - ٣- أن دوام هذه النعم واستمراريتها وبقائها يستلزم شكرها، ويكون ذلك بالوقوف عند أوامر الله تعالى ونواهيه، قال تعالى: {وَإِذْ تَأْتِيَنَّكُمْ لِيُنزِّلْنَا عَلَيْكُمْ مَنَاسِكًا وَلِيُنزِّلْنَا عَلَيْكُمْ مَنَاسِكًا وَلِيُنزِّلْنَا عَلَيْكُمْ مَنَاسِكًا} [إبراهيم : ٧].
 - ٤- شكر النعم إنما يكون بالقلب ثم بالقول ثم يقرن بالعمل، قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} [لقمان : ١٢] ، وإن ذهب هذه النعم يكون بكثرة المعاصي والدنوب، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنَسُّونَهَا} [إبراهيم: ٢٨-٢٩].
- قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: ذكر المنة على قريش، وتحضيضهم على العبادة، وشكر الإحسان، ومعرفة قدر النعمة والعاقبة والأمان، في قوله: {وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش : ٤]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة جميعها محكم وليس فيها ناسخ ولا منسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن وكيع، عن محل قال: سمعت إبراهيم، "يقرأ في الركعة الأولى من المغرب: {لَيْلِافِ قُرَيْشٍ}"^(٣).
- عن إبراهيم، قال: "صلى عمر صلاة عند البيت، فقرأ: {لَيْلِافِ قُرَيْشٍ}، فجعل يومئذ إلى البيت، ويقول: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش : ٤]"^(٤).
- عن إبراهيم قال: "صلى عمر بن الخطاب بالناس بمكة عند البيت فقرأ: {لَيْلِافِ قُرَيْشٍ}، قال: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ}، وجعل يومئذ بإصبعه إلى الكعبة وهو في الصلاة"^(٥).
- عن عمرو بن ميمون قال: "صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى بـ {التين والزيتون}، وفي الركعة الأخرى: {ألم تر} و {لَيْلِافِ قُرَيْشٍ} جميعا"^(٦).
- عن الزبير بن العوام: "فضل الله قريشا بسبع خصال فضلهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبد الله إلا قرشي وفضلهم بأنه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بأنه نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين وهي: {لَيْلِافِ قُرَيْشٍ} [قريش: ١]، وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجابه والسقاية"^(٧).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/١.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٥.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٦٠٣): ص ٣١٥/١.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٨٤٩١): ص ٢٣٥/٢.

(٥) أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، [كنز العمال ٤٧١٩].

(٦) أخرجه عبد الرزاق، وابن الأنباري في المصاحف، [كنز العمال ٢٢١١٦].

(٧) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٦/٩، رقم ٩١٧٣) قال الهيثمي (٢٥/١٠): فيه من ضعف ووثقهم ابن حبان. وابن عساكر (١٥/٦٤).

- عن عدي بن حاتم قال: كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء من بدر فقال رجل من الأنصار: وهل لقينا إلا عجائز كالحرز المعقلة فنحرناهم، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت أنه كأنه تفقأ فيه حب الرمان، ثم قال: «يا ابن أخي لا تقل ذلك، أولئك الملائكة من قريش، أما لو رأيتهم في مجالسهم بمكة لهبتهم» فوالله لأتيت مكة فرأيتهم قعودا في المسجد، فما قدرت أن أسلم عليهم من هيبتهم، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معاشر الناس أحبوا قريشا فإنه من أحب قريشا فقد أحبني، ومن أبغض قريشا فقد أبغضني، وإن الله حب إلي قومي فلا أتعجل لهم نقمة، ولا أستكثر لهم نعمة، اللهم إنك أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرها نوالا، إلا أن الله علم ما في قلبي من حبي لقومي فسرني فيهم» قال الله عز وجل: " {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وَخُفِضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٢١٥]، يعني: قومي، فالحمد لله الذي جعل الصديق من قومي، والشهيد من قومي، والأئمة من قومي، إن الله قلب العباد ظهرا لبطن فكان خير العرب قريش وهي الشجرة التي قال الله: {مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ} [إبراهيم: ٢٤]، يعني بها: قريشا، {أَصْلُهَا تَابِتٌ} [إبراهيم: ٢٤]، يقول: أصلها كرم، {وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم: ٢٤]، يقول: الشرف الذي شرفهم الله بالإسلام الذي هداهم له وجعلهم أهله، ثم أنزل فيهم سورة من كتاب الله محكمة: {لِيَلْإِفِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ، رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} (١).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ سورة {لِيَلْإِفِ قُرَيْشٍ}، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها» (١). [موضوع]

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبرى (٢٠١):ص٨٦/١٧، قال الهيثمي (٢٤/١٠) : فيه حسين السلولي ولم أعرفه وبقيته رجاله ثقات.

(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٩٩/١٠. وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٤٩/١٠. [موضوع]

سورة «الماعون»

«سورة الماعون»: هي السورة السابعة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة التكاثر»، وقبل «سورة الكافرون»، آياتها سبع في عد العراقي، وست عند الباقيين. وكلماتها خمس وعشرون، وحروفها مائة وخمس وعشرون. المختلف فيها آية: {يُرَاءُونَ} [الماعون : ٦]، فواصل آياتها على «النون»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الماعون»:

سميت هذه السورة في كثير من المصاحف وكتب التفسير^(٢): «سورة الماعون»، لورود لفظ «الماعون» فيها دون غيرها، قال تعالى: {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون : ٧].

■ الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:

١-سورة «أرأيت»، أو «أرأيت الذي يكذب»:

سميت في بعض التفاسير^(٣): «سورة أرأيت»، وكذلك عنونها في «صحيح البخاري»^(٤). وعنونها ابن أبي زمنين^(٥)، والثعالبي^(٦): بـ«سورة أرأيت الذي». وعنونها الجصاص^(٧)، وابن عرفة^(٨)، باسم: «أرأيت الذي يكذب بالدين»، باسم الآية الأولى كاملة. وهذه التسميات، لها ارتباط بأول آية افتتحت بها، أو بأول كلمة فيها اختصاراً، قال تعالى: {أرأيت الذي يُكذِّبُ بِالْدينِ} [الماعون : ١].

٢-«سورة الدين»:

عنونت السورة بهذا الاسم في عدة مصاحف^(٩)، وعنونها البقاعي في: «نظم الدرر»^(١٠)، وذكره في الإيتقان^(١١)، كما ذكره بعض المفسرين^(١٢) في تفاسيرهم. ووجه تسميتها بذلك لوقوع لفظ: «الدين»، في أول السورة، قال تعالى: {أرأيت الذي يُكذِّبُ بِالْدينِ} [الماعون : ١].

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٦/١.

(٢) انظر مثلاً: تأويلات أهل السنة: ٦٢٢/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٢٥/٣، والكشف والبيان: ٣٠٤/١٠، والنكت والعيون: ٣٥٠/٦، والوسيط للواحدي: ٥٥٨/٤، وتفسير البغوي: ٥٤٩/٨، والكشاف: ٨٠٣/٤، والمحرم الوجيز: ٥٢٧/٥، وزاد المسير: ٤٩٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٠١/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠، وتفسير البيضاوي: ٣٤١/٥.

(٣) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٦٢٧/٢٤، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٥٩/١٢، وتفسير السمعي: ٢٨٨/٦، وتفسير المظهري: ١٣/١٠، وغيرها.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٦/٥.

(٦) انظر: تفسير الثعالبي: ٤٤٤/٤.

(٧) انظر: أحكام القرآن: ٦٤٣/٣.

(٨) انظر: تفسير ابن عرفة: ٣٤٧/٤.

(٩) منها:

- مصحف نسخ سنة (١٠٩٨هـ) وهو مخطوط بجامعة الإمام برقم (٨٠٤٣).

- مصحف نسخ سنة (١٢٠١هـ) وهو مخطوط بجامعة الإمام برقم (١٨٦٨).

- مصحف بجامعة الإمام رقم (٨٠٥١) (د. ت).

(١٠) انظر: نظم الدرر: ٢٧٥/٢٢.

(١١) انظر: الإيتقان في علوم القرآن: ١٩٦/١.

(١٢) انظر مثلاً: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسمَّاة: عناية القاضى وكفاية الرّاضى على تفسير البيضاوي: ٤٠٠/٨، وفتح القدير للشوكاني: ٦١١/٥، وروح المعاني للأوسى: ٤٧٤/١٥.

٣- «سورة اليتيم»:

وردت هذه التسمية في «نظم الدرر»^(١)، و«فتح القدير» للشوكاني^(٢)، وسميت به لوقوع كلمة: «اليتيم» في السورة، قال تعالى: {فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ} [الماعون : ٢]. ويجدر القول بأن هذه الكلمة: «اليتيم»، قد وردت في عدة سور من القرآن الكريم^(٣).

٤- «سورة التكذيب»:

وردت هذه التسمية في «حاشيتي الخفاجي وسعدي»^(٤)، وكذلك أوردها الألويسي في تفسيره^(٥)، والبقاعي في «نظم الدرر»^(٦).

ووجه تسميتها بـ«سورة التكذيب»، لورود «التكذيب»، بصيغة الفعل المضارع، في قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ} [الماعون : ١].

وهذه التسميات الأربعة الأخيرة هي من اجتهاد العلماء، وليست توقيفية، ولم يرد خبر صحيح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ذلك.

■ مكية السورة ومدنيتها:

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّية، قاله ابن عباس-في رواية-^(٧)، وابن الزبير^(٨)، وعطاء^(٩)، وجابر^(١٠).
عن ابن عباس قال: " أنزلت {أرأيت الذي يكذب} بمكة"^(١١). وروي عن ابن الزبير مثله^(١٢).
الثاني: أنها مدنيّة، روي عن ابن عباس-أيضاً-^(١٣)، وبه قال قتادة^(١٤). وبه قال الثعلبي^(١٥).

(١) انظر: نظم الدرر: ٢٢/٢٧٥.

(٢) انظر: فتح القدير: ٥/٦١١.

(٣) وذلك في المواضع الآتية:

- {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفُفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام : ١٥٢].

- {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء : ٣٤].

- {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان : ٨].

- {كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ} [الفجر : ١٧].

- {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} [الضحى : ٩].

- وجاءت بصيغة المثنى: «يتيمين»، في قوله تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف : ٨٢].

(٤) انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسمّاة: عناية القاضى وكفاية الرّاضى على تفسير البيضاوي: ٨/٤٠٠.

(٥) انظر: روح المعاني: ١٥/٤٧٤.

(٦) انظر: نظم الدرر: ٢٢/٢٧٥.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٨/٦٤١، وعزاه إلى ابن مردويه. وانظر: تفسير القرطبي: ٢٠/٢١٠.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٨/٦٣٤، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٥٠، وتفسير القرطبي: ٢٠/٢١٠.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٥٠، وتفسير القرطبي: ٢٠/٢١٠.

(١١) الدر المنثور: ٨/٦٣٤، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢) انظر: الدر المنثور: ٨/٦٣٤، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٥٠، وزاد المسير: ٤/٤٩٥.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٥٠، وزاد المسير: ٤/٤٩٥، وتفسير القرطبي: ٢٠/٢١٠.

(١٥) عزاه إليه ابن عطية، انظر: المحرر الوجيز: ٥/٥٢٧.

وقال هبة الله المفسر: "نزلت نصفين أو نصفان نصفها بمكة ونصفها بالمدينة فالذي أنزل منها بمكة: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ} [الماعون : ١]، نزلت في العاص بن وائل السهمي {فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ} (٢) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣)} [الماعون : ٢ - ٣]، إلى ههنا، ونزل باقيها في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق: {قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون : ٤] (١)، إلى آخرها: نزلت بالمدينة" (٢).

قال ابن عطية: "هي مكة بلا خلاف علمته، وقال الثعلبي: هي مدنية" (٣).

قال ابن عاشور: "هي مكة في قول الأكثر" (٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

- ١- أنه لما قال في السورة السابقة: {أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ} [قريش : ٤]، ذم في هذه من لم يحض على طعام المسكين.
- ٢- أنه قال في السورة السابقة: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ} [قريش : ٣]، وهنا ذم من سها عن صلاته.
- ٣- أنه هناك عدد نعمه على قريش وهم مع ذلك ينكرون البعث ويجحدون الجزاء وهنا أتبعه بتهديدهم وتخويفهم من عذابه (٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

من أبرز مقاصد السورة:

- ١- بيان حال المكذب بالدين، وأن من أوصافه أنه يهين اليتيم ويزجره، وأنه لا يحض بقول أو فعل على إطعام المسكين: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ} (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣)} [الماعون : ١ - ٣].
- ٢- ذكرت السورة فريقاً آخر شبيهاً بهذا المكذب بالدين، وهم الذين عن صلاتهم ساهون وغافلون لا يؤدونها، والذين هم مرأون بأعمالهم، وهم مع ذلك يبخلون بالمعونة عن احتياج إليها، ولا يساعدون غيرهم فيما جرت به العادة أن يساعد بعضهم بعضاً فيه، وتوعدت هؤلاء بالويل والهلاك: {قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)} [الماعون : ٤ - ٧].

قال ابن عاشور: "من مقاصدها التعجيب من حال من كذبوا بالبعث وتفظيع أعمالهم من الاعتداء على الضعيف واحتقاره والإمساك عن إطعام المسكين، والإعراض عن قواعد الإسلام من الصلاة والزكاة لأنه لا يخطر بباله أن يكون في فعله ذلك ما يجلب له غضب الله وعقابه" (٦).

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: الشكاية من الجافين على الأيتام والمساكين، وذم المقصرين والمرائين، وما نعى نفع المعونة عن الخيرات والمساكين، في قوله: {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون : ٧]" (٧).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ (١).

(١) قال ابن عاشور: "قيل: نزل ثلاث أولها بمكة إلى قوله: { الْمَسْكِينِ } [الماعون : ٣]، وبقيتها نزلت بالمدينة، أي بناء على أن قوله: {قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون : ٤]، إلى آخر السورة أريد به المنافقون وهو مروى عن ابن عباس وقاله هبة الله الضرير، وهو الأظهر". [التحرير والتنوير: ٥٦٣/٣٠].

(٢) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٥.

(٣) المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.

(٤) المحرر الوجيز: ٥٦٣/٣٠.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٤٧/٣٠.

(٦) التحرير والتنوير: ٥٦٤/٣٠.

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٦/١.

■ فضائل السورة:

- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ سورة أُرأيتَ غفر الله له إن كان للزكاة مؤدياً»^(٢). [موضوع]

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٥.
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠٤/١٠. وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٥٤/١٠. [موضوع]

سورة «الكوثر»

«سورة الكوثر»: هي السورة الثامنة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة العاديات»، وقبل «سورة التكاثر»^(١)، آياتها ثلاث بالإجماع. وكلماتها عشر. وحروفها ثنتان وأربعون. فواصل آياتها على «الراء»^(٢).

عن ابن شبرمة قال: "ليس في القرآن سورة أقل من ثلاث آيات"^(٣). قال ابن عاشور: "عدد آياتها ثلاث بالاتفاق. وهي أقصر سور القرآن عدد كلمات وعدد حروف، وأما في عدد الآيات فسورة «العصر» وسورة «النصر» مثلها، ولكن كلماتها أكثر"^(٤).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الكوثر»:

سميت هذه السورة في جميع المصاحف التي رأيناها وفي جميع التفاسير أيضاً «سورة الكوثر». وكذلك عنونها الترمذي في كتاب التفسير من «جامعه»^(٥). ووجه تسميتها بذلك لافتتاح السورة بذكر «الكوثر»، قال تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)} [الكوثر : ١].

■ الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:

١-سورة «إنا أعطيناك الكوثر»:

عرفت هذه التسمية في عهد الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-^(٦)، وبذلك عنونها البخاري في «صحيحه»^(٧).

وذكرها السخاوي في «جمال القراء»، باسم «إنا أعطيناك»^(٨).

وسميت بها السورة، لأنها أول آية افتتحت بها السورة، قال تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)}

[الكوثر : ١].

٢-سورة «النحر»:

ذكر البقاعي، أنها تسمى: «سورة النحر»^(٩)، ونقل عنه الألويسي في تفسيره^(١٠)، وقد ذكرها الجمل في الفتوحات^(١١).

وذكر-أيضاً- سعد الله الشهير بسعدي، في «حاشيته على تفسير البيضاوي» أنها تسمى «سورة النحر»^(١٢).

وهو اسم اجتهادي، وقد علل البقاعي هذه التسمية، بقوله: "لأنه معروف في نحر الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب"^(١٣).

(١) على القول بأنها مكية عدوها الخامسة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد «سورة العاديات»، وقبل «سورة التكاثر».

وعلى القول بأنها مدنية فقد قيل: إنها نزلت في «الحدبية». [التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠]

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٧/١.

(٣) الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى البيهقي.

(٤) التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠.

(٥) انظر: سنن الترمذي: ٤٤٩/٥.

(٦) كما سيأتي في مكان نزول السورة، وفضائل السورة.

(٧) انظر: صحيح البخاري: ١٧٨/٦.

(٨) انظر: جمال القراء: ٣٨/١.

(٩) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٨٧/٢٢.

(١٠) انظر: روح المعاني: ٤٧٨/١٥.

(١١) انظر: الفتوحات: ٥٩٢/٤.

(١٢) انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسمَّاة: عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوي: ٤٠١/٨.

(١٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٨٧/٢٢.

ولم يعدها في «الإتقان» مع السور التي لها أكثر من اسم.

■ مكية السورة ومدنيتها:

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، قلها ابن عباس^(١)، وعائشة^(٢)، وابن الزبير^(٣)، وهو المشهور^(٤).

قال أبو حيان: " هذه السورة مكية في المشهور، وقول الجمهور^(٥)."

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة {إنا أعطيناك الكوثر} بمكة"^(٦). وروي عن ابن الزبير^(٧)،

وعائشة^(٨) مثل ذلك.

الثاني: أنها مدنية، وهو قول الحسن^(٩)، وعكرمة^(١٠)، وقتادة^(١١).

قال ابن عطية: " هي مكية"^(١٢).

قال ابن عاشور: " تعارضت الأقوال والآثار في أنها مكية أو مدنية تعارضا شديدا، فهي مكية عند

الجمهور واقتصر عليه أكثر المفسرين، ونقل الخفاجي عن كتاب «النشر» قال: « أجمع من نعرفه على أنها

مكية"^(١٣). قال الخفاجي: « وفيه نظر مع وجود الاختلاف فيها»^(١٤).

وعن الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمة: هي مدنية، ويشهد لهم ما في «صحيح مسلم» عن أنس بن

مالك: «بيننا رسول الله ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه وقال: أنزلت علي أنفا سورة فقرأ

بسم الله الرحمن الرحيم: {إنا أعطيناك الكوثر (١) فصل لربك وأحز (٢) إن شائناك هو الأبتئر (٣)} [الكوثر

: ١ - ٣]، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه

خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة»^(١٥)، الحديث.

وأنس أسلم في صدر الهجرة فإذا كان لفظ «أنفا» في كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- مستعملا في

ظاهر، معناه: وهو الزمن القريب، فالسورة نزلت منذ وقت قريب من حصول تلك الرؤيا. ومقتضى ما

يروى في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ شَائِنَاكَ هُوَ الْأَبْتِيرُ} [الكوثر: ٣]، أن تكون السورة مكية، ومقتضى ظاهر

تفسير قوله تعالى: وانحر من أن {أحز} في الحج أو يوم الأضحى تكون السورة مدنية، ويبعث على أن قوله

تعالى: {إِنَّ شَائِنَاكَ هُوَ الْأَبْتِيرُ} ليس ردا على كلام العاصي بن وائل.

والأظهر أن هذه السورة مدنية"^(١٦).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

(١) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(٥) البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(٦) الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(١٠) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(١١) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(١٢) انظر: المحرر الوجيز: ٥٢٨/٥.

(١٣) انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسمَّاة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: ٤٠٢/٨.

(١٤)

(١٥) صحيح مسلم (٤٠٠): ص ٣٠٠/١.

(١٦) المحرر الوجيز: ٥٦٣/٣٠-٥٦٤.

ومناسبتها لما قبلها- أنه وصف في الأولى الذي يكذب بالدين بأمر أربع: البخل. الإعراض عن الصلاة. الرياء. منع المعونة- وهنا وصف ما منحه رسوله صلى الله عليه وسلم من الخير والبركة، فذكر أنه أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير، والحرص على الصلاة ودوامها، والإخلاص فيها والتصدق على الفقراء^(١).

قال أبو حيان: "لما ذكر فيما قبلها وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة، قابل في هذه السورة البخل بـ {إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ} [الكوثر : ١]، والسهو في الصلاة بقوله: {فَصَلِّ} [الكوثر : ٢]، والرياء بقوله: {لِرَبِّكَ} [الكوثر : ٢]، ومنع الزكاة بقوله: {وَأَنْحَرْ} [الكوثر : ٢]، أراد به التصدق بلحم الأضاحي، فقابل أربعا بأربع^(٢).

■ أغراض السورة ومقاصدها: من مقاصد السورة الكريمة:

١- إن من أعظم مقاصدها كان تفضيل أمر الآخرة على أمر الدنيا وكان في مضمون رسالتها للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم- بأن الله سيعوضه في الجنة عن حرمانه للذكور وبأنه أعطاه -جلّ وعلا- الكوثر، فقد ابتدأت السورة الكريمة بقوله -تعالى-: {إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ} [الكوثر: ١]، والكوثر في اللغة العربية هو الخير الكثير الوفير، أما في الآخرة فهو كما ذكر سابقاً اسم نهر في الجنة، وقصد -جلّ وعلا- من الإعطاء أي: التمليك فقد ملك نبيّه نهر الكوثر تعويضاً له على حرمانه في الدنيا.

٢- أن كلّ شيء يقدمه الله -جلّ وعلا- لعباده يستحق العطاء والصلاة والشكر، فقد أمر نبيّه -عليه الصلاة والسلام- بأن يصلي لله شكراً وينحر تقرباً من الله وشكراً على عطاءه ونعمه، قال -تعالى-: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ} [الكوثر: ٢]، وقد جمع -سبحانه وتعالى- في طلبه هذا من الرسول -صلى الله عليه وسلم- بين النفع الشخصي بالصلاة والدعاء لله -تعالى-، وبين النفع العام الذي يكون بالنحر -أي الذبح- والذي يكون بتوزيع الطعام على الفقراء والمساكين، ويعتبر هذا مقصداً من مقاصد سورة الكوثر.

٣- ومن مقاصد السورة أنها كانت بمثابة دعمٍ معنويٍّ من الله -جلّ وعلا- للرسول الكريم ورفعاً لشأنه أمام صحابته ومن حوله من المسلمين، وذلك بأن الله وعده خيراً في جنان الخلد وتوعد لمبغضه ومن نعته بكلماتٍ تقلل من شأنه بأنه هو الأبتَر المحروم من خيري الدنيا والآخرة فالأبتَر في أصل اللغة العربية هو مقطوع الذنب وفي سورة الكوثر جاء بمعنى مقطوع الخير، وذلك في قوله -تعالى-: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: ٣].

٤- إن انقطاع الولد الذكر ليس بترًا، لأن ذلك لا أثر له في كمال الإنسان.

٥- ومن المقاصد -أيضا- التأكيد على أنّ كلّ شأنٍ ومبغضٍ لرسول الله -عليه الصلاة والسلام- وفي بأيّ زمن أتى فإنه أبتَرٌ مقطوع الخير في الدنيا والآخرة.

قال ابن عاشور: "اشتملت على بشارة النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وأمره بأن يشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة، وأن ذلك هو الكمال الحق لا ما يتناول به المشركون على المسلمين بالثروة والنعمة وهم مغضوب عليهم من الله تعالى لأنهم أبغضوا رسوله، وغضب الله بتر لهم إذا كانوا بمحل السخط من الله"^(٣).

(١) انظر: تفسير المراغي: ٢٥١/٣٠.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان المنة على سيد المرسلين، وأمره بالصلاة والقرآن، وإخباره بإهلاك أعدائه أهل الخيبة والخذلان"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن علي، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بتسع سور في الركعة الأولى: {الْهَاجِمُ}، {التَّكْوِيْنُ}، و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، و{إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ}، وفي الثانية «العصر»»، و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، و{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، وفي الثالثة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{تَبَّتْ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}»^(٣).

- عن عمرو بن ميمون قال: "لما طعن عمر وهاج الناس، تقدم عبد الرحمن بن عوف فقرأ بأقصر سورتين في القرآن: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}»^(٤). وفي لفظ: "لما طعن عمر ماج الناس بعضهم في بعض، حتى كادت الشمس أن تطلع، فنادى مناد: الصلاة، فقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم، فقرأ بأقصر سورتين في القرآن: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ}، فلما أصبح دخل عليه الطبيب، وجرحه يسيل دما، فقال: أي الشراب أحب إليك؟ قال: النبيذ، فدعا بنبيذ، فشربه، فخرج من جرحه، فقال له الطبيب: أوصه فإني لا أظنك إلا ميتا من يومك أو من غد"^(٥).

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} سقاه الله من أنهار الجنة وأعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل قرآن قرابة العباد في يوم عيد ويقربون من أهل الكتاب والمشركين»^(٦). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٧/١.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٦.

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي (٤٦٠): ص ٣٥٦/١. [إسناده ضعيف]

(٤) مسند ابن أبي شيبة (٤٦٧١): ص ٤٠٦/١، وانظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٠٦٤): ص ٤٣٧/٧.

(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠٧/١٠. وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٥٨/١٠. [موضوع]

سورة «الكافرون»

«سورة الكافرون»: هي السورة التاسعة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الماعون»، وقبل «سورة الفيل»، آياتها ست بالإجماع. وكلماتها ثمان وعشرون. وحروفها أربع وتسعون. فواصل آياتها على: «النون»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- أسماؤها التوقيفية:

١- «سورة الكافرون»:

عنونت هذه السورة في المصاحف وفي معظم التفاسير^(٢)، «سورة الكافرون» بإضافة «سورة» إلى «الكافرون» وبثبوت «واو» الرفع في «الكافرون»، على حكاية لفظ القرآن الواقع في أولها.

ووقع في بعض كتب التفسير^(٣): «سورة الكافرين» بياء الخفض في لفظ «الكافرين» بإضافة «سورة» إليه أن المراد: سورة ذكر الكافرين، أو نداء الكافرين.

وجه تسميتها سورة «الكافرون»، لوقوع لفظ: «الكافرون» في بداية السورة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون : ١].

١- سورة «قل يا أيها الكافرون»:

سميت في كلام الصحابة^(٤)، وبعض كتب التفسير: سورة «قل يا أيها الكافرون»، وبذلك عنونها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»^(٥). وهي تسمية للسورة بأول آية منها.

■ الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:

١- سورة «المقشقة»:

تسمى هي و«سورة الإخلاص»: المقشقتين، لأنهما تقشقتان من الشرك والنفاق، أي: تبرئان منه، يقال: قشقت: المريض إذا صح وبرأ^(٦).

روي عن زرارة بن أوفى، قال: "كانت هذه السورة تسمى: المقشقة"^(٧).

عن أبي عمرو بن العلاء، قال: " كانت ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تسمى المقشقة، أي: أنها تبرئ من الشرك، ويقال: قشقت البعير إذا رمى بجرته"^(٨).

قال أبو عبيدة: " ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، يقال لهما: «المشقتان»، ومعناه المبرئتان من الكفر والشك والنفاق كما يقشقت الهناء الجرب فيبرئه"^(٩).

وقد وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير، وذكرها الفيروزآبادي في «البصائر»^(١٠).

٢- سورة «الإخلاص»:

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.

(٢) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٦٥٩/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٢٩/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٦٩/٥، والكشف والبيان: ٣١٤/١٠، والنكت والعيون: ٣٥٧/٦، والوسيط للواحد: ٥٦٤/٤، وتفسير البيهقي: ٥٦١/٨، والكشاف: ٨٠٨/٤، والمحرم الوجيز: ٥٣١/٥، وزاد المسير: ٤٩٩/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٢٣/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٢٤/٢٠، وغيرها.

(٣) ورد الاسم بهذه الصيغة في: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٧٣/١٢. روح البيان: ٥٢٦/١٠، كما جاء في بعض كتب علوم القرآن كإعراب القرآن للنحاس: ١٩٠/٥.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٨/٦.

(٦) انظر: اللسان: ص ٣٣٦/٦، مادة «قشش».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٥٢٠): ص ٣٤٧١/١٠.

(٨) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (٢٢٩٢): ص ١٣٣/٤.

(٩) مجاز القرآن: ٦/١.

(١٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.

وتسمى أيضا «سورة الإخلاص»، كما وردت في بعض كتب التفسير^(١)، ووجه تسميتها بذلك، لأنها منها إخلاص العبادة والدين، كما أن «قل هو الله أحد» في الإخلاص والتوحيد واجتماع النفاق منهما محال لمن اعتقدهما وعمل بهما^(٢).

وبذلك يكون هذان الاسمان «المقشقة» و«الإخلاص» مشتركين بينها وبين سورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، وقد ذكر في سورة براءة أن سورة براءة تسمى المقشقة لأنها تقشش، أي: تبرئ من النفاق فيكون هذا مشتركا بين السور الثلاث فيحتاج إلى التمييز.

٣-سورة «العبادة»:

سماها بهذا الاسم السخاوي في «جمال القراء»^(٣)، ونقلها عنه السيوطي^(٤)، والألوسي في تفسيره،^(٥) وفي الفتوحات وردت تسميتها بسورة «المعبادة»^(٦)، فاعله تصحيف من «العبادة»، أو أن اللفظ من مشتقات «العبادة».

ووجه تسميتها بسورة «العبادة»، لأنها اشتملت على امر الله تعالى لرسوله-صلى الله عليه وسلم- بأن يعلن للمشركين بأنه لا يعبد ما يعبدون من الأصنام والأوثان والأحجار.

٤-سورة «المنابذة»:

ورد هذا الاسم عند الرازي^(٧)، دون أن يعلل وجه تسميتها بذلك، وهو اجتهاد لم يثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم-.

٥-سورة «الدين»:

وفي «بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي تسمى «سورة الدين»^(٨)، وعلل تسميتها: لقوله تعالى: {وَلِي دِينٍ} [الكافرون : ٦].

ووجد في مصحف نسخ سنة (١٢٥٧هـ) سماها سورة «الجحد»^(٩)، ولم أجده عند أحد من المفسرين. وجميع هذه الأسماء من اجتهاد العلماء، استنبطوها من المعاني التي تضمنتها السورة، أو للفظ ورد فيها، ولم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبت ذلك.

■ مكية السورة ومدنيتها:

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّية، فله ابن عباس^(١٠)، وابن مسعود^(١١)، والحسن^(١٢)، وعكرمة^(١٣)، والجمهور^(١٤).
عن ابن عباس قال: " نزلت سورة: {قل يا أيها الكافرون} بمكة"^(١٥).

(١) وردت هذه التسمية عند الرازي في "مفاتيح الغيب": ٣٢٣/٣٢، والألوسي في "روح المعاني": ٤٨٤/١٥.

(٢) انظر الفتوحات، للجمل: ٥٩٦/٤.

(٣) انظر: جمال القراء: ٢٠٢/١.

(٤) انظر: الإتيان في علوم القرآن: ١٩٦/١.

(٥) انظر: روح المعاني: ٤٨٤/١٥.

(٦) انظر: الفتوحات: ٥٩٦/٤.

(٧) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٢٣/٣٢.

(٨) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.

(٩) مصحف مخطوط في جامعة الإمام رقم (٦٨٩٢).

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦، وزاد المسير: ٤٩٩/٤.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦، وزاد المسير: ٤٩٩/٤.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦.

(١٤) انظر: زاد المسير: ٤٩٩/٤، و المحيط في التفسير: ٥٥٨/١٠.

(١٥) الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

الثاني: أنها مدنيّة، في قول ابن الزبير^(١)، وقتادة^(٢)، والضحاك^(٣). وهو أحد قولي ابن عباس^(٤).
 عن ابن الزبير، قال: "أنزلت بالمدينة: {قل يا أيها الكافرون}"^(٥).
 قال ابن عطية: "هي مكية إجماعاً"^(٦).
 قال أبو حيان: "هذه مكية في قول الجمهور"^(٧).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه في السورة السابقة أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بعبادته، والشكر له على نعمه الكثيرة، بإخلاص العبادة له، وفي هذه السورة التصريح بما أشير إليه فيما سلف^(٨).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

تعظم مقاصد سورة الكافرون، لأنها تدعو المسلمين إلى البراءة من الشرك والضلال والثبات على الدين والعقيدة الصحيحة، وتتمثل مقاصد سورة الكافرون الإجمالية في الأمر بالتبرؤ من عبادة الكافرين، وأن يخاطبوا إذلالاً لهم واعزازاً لدين الله: إن رضيتم بدينكم، فقد رضينا بديننا، لكم جزاء دينكم، ولنا جزاء ديننا. وقد جاءت مقاصد «سورة الكافرون» التفصيلية، كالتالي:

- حرص الدين الإسلامي على التحاور، ومحاولة تصحيح عقيدة المشركين الباطلة على الرغم من إصرارهم على الكفر، فرسالة الدين السمحة قادرة على التحاور مع الضالين ومحاجبتهم للوصول إلى الحق.

- تذكير المسلمين بأنّ دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يقبل المساومة، وأنّ عقيدة الكفار باطلة، ومهما تعرّض الإسلام للهجمات من الأديان المختلفة، فسيكون شعار كل من آمن بالله هو ما قاله الله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون : ٦].

- بيان جوهر الإسلام، والطريقة التي كان يتعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنّ الإسلام هو دين يقبل الحريّات فلا إكراه في الدين، ومن أراد اتباع الباطل فهو في ضلال كبير.

- توضيح لطبيعة المشركين المراوغة، وتبدل أحوالهم ما بين التنازل عن مبادئهم والتحايل عليها، وقد أشارت سورة الكافرون إلى ضعف الإيمان عند الكفار حتى بعقيدتهم الباطلة التي أصرّوا عليها؛ لأنّها من عند أجدادهم وليس لأنّها الحق.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: يأس الكافرين من موافقة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالإسلام والأعمال، في الماضي، والمستقبل، والحال، وبيان أن كل أحد مأخوذ بماله عليه إقبال، وعليه اشتغال"^(٩).

■ الناسخ والمنسوخ:

المنسوخ منها: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون : ٦]، نسختها: آية السيف^(١٠).

(١) انظر: الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) انظر: زاد المسير: ٤٩٩/٤.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦.

(٥) الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦) المحرر الوجيز: ٥٣١/٥.

(٧) البحر المحيط في التفسير: ٥٥٨/١٠.

(٨) انظر: تفسير المراغي: ٢٥٤/٣٠.

(٩) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.

(١٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.

■ فضائل السورة:

- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج" (١).
- عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "سلوه: لأي شيء يصنع ذلك؟". فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أخبروه أن الله تعالى يحبه" (٢).
- عن أنس قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة. فكلّمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى. فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتهم أن أوكمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم. وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره. فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر، فقال: "يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟". قال: إني أحبها. قال: "حبك إياها أدخلك الجنة" (٣).
- وعن أبي هريرة ؓ قال: أقبلت مع النبي ﷺ فسمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «وجبت. قلت: وما وجبت؟ قال: الجنة» (٤).
- عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة»، فقال عمر: إذن نستكثر يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أكثر وأطيب» (٥).
- عن أبي سعيد الخدري ؓ أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددّها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، وكان الرجل ينقلها، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن» (٦).

(١) سنن الترمذي (٢٨٩٥): ص ١٦/٥. وقال: "هذا حديث حسن".

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٣٧٥)، صحيح مسلم برقم (٨١٣)، وسنن النسائي (٩٩٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٧٤)، سنن الترمذي برقم (٢٩٠١)، وقال: «غريب من حديث عبيد الله بن ثابت، وأخرجه أحمد ١٤١/٣ مختصراً عن أنس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ - فقال: "إني أحب هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾". فقال رسول الله ﷺ: «حبك إياها أدخلك الجنة».

(٤) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن - ما جاء في سورة الإخلاص رقم (٢٨٩٧)، ومالك في الموطأ - كتاب القرآن - ما جاء في قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ رقم (٤٨٤).

(٥) أخرجه أحمد ٤٣٧/٣. قال ابن كثير في «تفسيره» ٥٤٤/٨: «تفرد به أحمد» وأخرجه الدارمي في مسنده من حديث سعيد بن المسيب بأطول من هذا، ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٥٤٤/٨ وقال: «مرسل جيد».

(٦) أخرجه البخاري في الأيمان - باب كيف كان يمين النبي ﷺ، ٦٦٤٣، وفي فضائل القرآن - فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ٥٠١٣، ٥٠١٤، وفي التوحيد ٧٣٧٤، وأخرجه أبو داود في الصلاة ١٤٦١، والنسائي في الافتتاح ٩٩٥. وروى نحوه من حديث أبي مسعود البديري ؓ أحمد ١٢٢/٤، وابن ماجه في الآداب - ثواب القرآن ٣٧٨٩.

- عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينما يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}»^(١).
- عن أبي سعيد قال: بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بـ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده لتعدل نصف القرآن، أو ثلثه»^(٢).
- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أحشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن». فحشد من حشد، ثم خرج النبي ﷺ، فقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ثم دخل، فقال لبعضنا لبعض: قال رسول الله ﷺ: «فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، إني لأرى هذا خيراً جاء من السماء»، ثم خرج نبي الله ﷺ، فقال: «إني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن»^(٣).
- عن معاذ بن عبد الله بن خبيب قال: أن رسول الله ﷺ قال له: «قل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»^(٤).
- عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله بم نجاة المؤمن؟ قال: «يا عقبة: أحرص لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»^(٥). قال: ثم لقيني رسول الله ﷺ فابتدأني فأخذ بيدي فقال: «يا عقبة بن عامر: ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزيور والقرآن العظيم؟» قال: قلت: بلى، جعلني الله فداك. قال: فأقرأني {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} ثم قال: «يا عقبة، لا تنسهن، ولا تبت ليلة حتى تقرأهن»، قال: فما نسيتهن منذ قال: «لا تنسهن»، وما بت ليلة قط، حتى أقرأهن. قال عقبة: ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: «يا عقبة، صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عن ظلمك»^(٦)^(٧).

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن - باب فضل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ٥٠١٥ وقد أخرج مسلم في صلاة المسافرين - فضل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ٨١١، وأحمد ٤٧٧/١ - من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وكذلك روى نحوه من حديث أبي أيوب الأنصاري - رحمه الله - عنه، أخرجه أحمد ٤١٨/٥-٤١٩، والترمذي في فضائل القرآن، فضل سورة الإخلاص ٢٨٩٦. ومن حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت: قال رسول الله ﷺ: «{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تعدل ثلث القرآن». رواه النسائي في اليوم والليلة. انظر: «تفسير ابن كثير» ٥٤٢/٨.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ٥٠١٤، وأحمد ١٥/٣ - وروى معنى هذا من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أخرجه أحمد ١٧٣/٢.

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة، باب فضل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ٨١٢، والترمذي في فضائل القرآن - ما جاء في سورة الإخلاص ٢٩٠٠، وابن ماجه في الأدب ٣٧٨٧. وروى من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، أو رجل من الأنصار قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فكأنما قرأ بثلث القرآن». رواه أحمد فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٥٤١/٨.

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٥٠٨٢، والنسائي في الاستعاذة ٥٤٢٨، ٥٤٢٩، والترمذي في الدعوات ٣٥٧٥. وحسنه الألباني، وأحمد ٣١٢/٥.

(٥) في هذا التوجيه الكريم: التحذير من فضول الكلام، وفضول مخالطة الأنام، والحث على صدق الإنابة والتوبة من الآثام - والله المستعان.

(٦) هذه الصفات الثلاث لا تتوفر إلا لمن وفقه للتذرع بالصبر كما قال عز وجل {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} سورة فصلت، الآية (٣٥).

(٧) أخرجه أحمد ١٥٨/٤-١٥٩، والترمذي مختصراً وليس فيه ذكر خيرية هذه السور في الزهد - ما جاء في حفظ اللسان ٢٤٠٦، وقال: «حديث حسن».

وهذا الحديث إن صح لا يعارض ما ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي سعيد بن المعلى وغيره من أن سورة الفاتحة هي أفضل وأعظم سورة في القرآن، وتكون خيرية هذه السور الثلاث بين سور القرآن ما عدا سورة الفاتحة التي هي أفضل سورة في القرآن بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

- عن عائشة رضي الله عنها:- " أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، ثم يمسخ ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات" (١).
- عن سليمان بن بريدة عن أبيه ﷺ أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي يدعو، يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوراً أحد». قال: «والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعى به أجاب» (٢).
- عن محمد الثقفي قال: " سمعت أنس بن مالك يقول : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله ، فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل ، ما لي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت بمثله فيما مضى ؟ " . قال : إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي ، مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه . قال : " وفيم ذلك ؟ " قال : كان يكثر قراءة : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " في الليل وفي النهار ، وفي ممشاه وقيامه وعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه ؟ قال : " نعم " . فصلى عليه" (٣).
- عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس قال : نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مات معاوية بن معاوية الليثي ، فتحب أن تصلي عليه ؟ قال : " نعم " . فضرب بجناحه الأرض ، فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضععت ، فرجع سريره فنظر إليه ، فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة ، في كل صف سبعون ألف ملك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " يا جبريل ، بم نال هذه المنزلة من الله تعالى ؟ " . قال بحبه : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " وقرأته إياها ذاهباً وجائياً قائماً وقاعداً ، وعلى كل حال" (٤).
- عن عقبة بن عامر قال : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابتدأته فأخذت بيده ، فقلت : يا رسول الله ، بم نجاة المؤمن ؟ قال : " يا عقبة ، احرس لسانك وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك " . قال : ثم لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابتدأني فأخذ بيدي ، فقال : " يا عقبة بن عامر ، ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن العظيم ؟ " . قال : قلت : بلى ، جعلني الله فداك . قال : فأقراني : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " ثم قال : " يا عقبة ، لا تنسهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن " . قال : فما نسيتهن منذ قال : " لا تنسهن " ، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن . قال عقبة ، ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته ، فأخذت بيده ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني بفواضل الأعمال . فقال : " يا

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠١٧) وسنن أبي داود برقم (٥٠٥٦) وسنن الترمذي برقم (٣٤٠٢) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٦٢٤) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٧٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (١٤٩٣) وسنن الترمذي برقم (٣٤٧٥)، وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٥٧)، وسنن النسائي الكبرى كما في "تحفة الأشراف" للزمري (٩٠/٢).

(٣) مسند أبي يعلى (٢٥٦/٧)، ودلائل النبوة (٢٤٥/٥). قال ابن كثير: ٥٢٦/٨: " وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة" من طريق يزيد بن هارون ، عن العلاء أبي محمد - وهو متهم بالوضع - فأنه أعلم".

(٤) مسند أبي يعلى (٢٥٨/٧)، ودلائل النبوة (٢٤٦/٥) ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن برقم (٢٧٢) ، من طريق محبوب بن هلال به ، وساقه ابن كثير في "البداية والنهاية" من رواية البيهقي (١٤/٥) ، وقال : " منكر من هذا الوجه".

- عقبة ، صِلَ مِنْ قَطْعِكَ ، وَأَعْطِ مِنْ حَرَمِكَ ، وَأَعْرَضَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ" (١).
- عن أبي هريرة، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} " (٢). [صحيح]
- عن ابن عمر: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب، بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} " (٣). [صحيح]
- عن علي قال: «لدغت النبي - صلى الله عليه وسلم - عقرب وهو يصلي، فلما فرغ قال: " لعن الله العقرب لا تدع مصليا ولا غيره " ثم دعا بماء وملح، فجعل يمسح عليها ويقرأ: " {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}» (٤). [حسن]
- عن علي، قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوتر بتسع سور من المفصل، قال أسود: يقرأ في الركعة الأولى {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} و {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} و {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا} وفي الركعة الثانية {وَالْعَصْرِ} و {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} و {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} وفي الركعة الثالثة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} و {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} (٥).

(١) المسند (٤/١٤٨)، وسنن الترمذي برقم (٢٤٠٦) ، وفي إسناده عبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم كلهم ضعفاء ، قال ابن حبان في عبيد الله بن زحر : "بروي الموضوعات عن الأثبات ، وإذا روي عن علي بن يزيد أتى الطامات ، وإذا اجتمع في إسناده خير عبيد الله ، وعلي بن يزيد ، والقاسم - أبو عبد الرحمن - لم يكن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم".

(٢) صحيح مسلم (٧٢٦): ص ٥٠٢/١.

(٣) المسند (٤٧٦٣): ص ٣٨١/٨. إسناده صحيح على شرط الشيخين إسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق وسماعه من جده أبي إسحاق وهو عمرو بن عبد الله السبيعي - في غاية الإتقان للزومه إياه ومجاهد: هو ابن جبر المكي وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ١/٢٩٨ من طريق عبد الله بن رجاء، وأبي نعيم، كلاهما عن إسرائيل، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطيالسي (١٨٩٣) وابن أبي شيبه ٢/٢٤٢، والطبراني في "الكبير" (١٣٥٢٨) ، والبيهقي في "السنن" ٣/٤٣ من طريق أبي الأحوص سلام بن سليم، عن أبي إسحاق، به.

وأخرجه النسائي في "المجتبى" ٢/١٧٠، والبيهقي في "السنن" ٣/٤٣ من طريق أبي الجواب، عن عمار بن رزيق، عن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، به. ورواية غير عمار بن رزيق عن أبي إسحاق بعدم ذكر إبراهيم بن مهاجر أصح وأقوى.

وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١٣١٢٣) من طريق عبد العزيز بن عمران، عن ابن أخي الزهري، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، دون ذكر ركعتي المغرب.

وعبد العزيز بن عمران متروك.

وأخرجه ابن عدي في "الكامل" ٧/٢٦٤٨ من طريق يحيى بن أبي أنيسة، عن نفع بن الحارث، عن ابن عمر، به. دون ذكر ركعتي المغرب. ويحيى بن أبي أنيسة ضعيف.

وانظر: الحديث في: مسند أحمد-أيضا- برقم (٤٩٠٩) و (٥٦٩١) و (٥٦٩٩) و (٥٧٤٢) ، وتكرر برقم وفي الباب في ركعتي الفجر: عن أبي هريرة عند مسلم (٧٢٦) ، وأبي داود (١٢٥٦) ، والنسائي ٢/١٥٦، وابن ماجه (١١٤٨) .

وعن جابر عند ابن حبان (٢٤٦٠) .

وعن أنس عند الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ١/٢٩٨.

وعن عائشة سيرد ٦/١٨٤.

وفي ركعتي الفجر والمغرب معا: عن ابن مسعود عند ابن ماجه (١١٦٦) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ١/٢٩٨. قال السندي: قوله: "بضعا وعشرين مرة": يريد أنه كان يقرأ السورتين في الركعتين المذكورتين مرارا، لا أنه قرأهما مرة أو مرتين في عمره، ثم ترك، ويستبعد أن يكون مراده التكرار دفعة، لأن مبنى سنة الفجر على التخفيف، والله تعالى أعلم.

(٤) مجمع الزوائد (٨٤٤٥): ص ١١١/٥. قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الصغير، وإسناده حسن".

(٥) المسند (٦٧٨): ص ٩٧/٢-٩٨. إسناده ضعيف لصعف الحارث الأعور.

وأخرجه عبد بن حميد (٦٨) ، والبزار (٨٥١) ، ومحمد بن نصر المروزي في "مختصر قيام الليل" ص ١٣٠، وأبو يعلى

- عن أنس «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في ركعتي الفجر: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١]، و {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]"^(١).
- عبد الله بن مسعود قال: " ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين قبل صلاة الفجر، وفي الركعتين بعد المغرب ب {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١] و {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]"^(٢).
- عن عبد الله بن مسعود قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم " يقرأ في الوتر في الركعة الأولى ب {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١]، وفي الثانية: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١]، وفي الثالثة: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]"^(٣).
- وعن أبي هريرة: "عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقرأ في الركعة الأولى من الوتر ب: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١]، وفي الثانية: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١]، وفي الثالثة: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١] والمعوذتين"^(٤).
- عن علي، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بتسع سور في الركعة الأولى: {الْهَاقُمُ النَّكَارُتُ، وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ، وفي الثانية «العصر»، وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَإِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، وفي الثالثة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{تَبَّتْ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}»^(٥).
- عن فروة بن نوفل، قال: أتيت المدينة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما جاء بك؟» قال: قلت: لتعلمني كلمات إذا أخذت مضجعي، قال: «اقرأ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، فإنها براءة من الشرك»^(٦).
- عن عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب قال: «آخر صلاة صلاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المغرب فقرأ في الركعة الأولى: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١]، وفي الثانية: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١]"^(٧).
- وعن علي «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ على المنبر: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١]، وفي الثالثة: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]"^(٨).

(٤٦٠) ، والطحاوي ٢٩٠/١ من طرق عن إسرائيل، بهذا الإسناد.

(١) رواه البزري كما في "مجمع الزوائد" (٣٣٠٦):ص٢١٨/٢.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي(٥٠٤٩):ص٤٦٣/٨. [إسناده ضعيف]

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي(٥٠٥٠):ص٤٦٤/٨. [إسناده ضعيف]، وانظر: مجمع الزوائد(٣٤٦٤):ص٢٤٣/٢، قال الهيثمي: "رواه أبو يعلى والبخاري والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عبد الملك بن الوليد بن معدان وثقه ابن معين وضعفه البخاري وجماعة".

(٤) مجمع الزوائد(٣٤٦٦):ص٢٤٣/٢، قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط عن المقدم بن داود وهو ضعيف".

(٥) مسند أبي يعلى الموصلي(٤٦٠):ص٣٥٦/١. [إسناده ضعيف]

(٦) مسند أبي يعلى الموصلي(١٥٩٦):ص١٦٩/٣. [إسناده ضعيف لانقطاعه]

(٧) مجمع الزوائد(٢٧٠٥):ص١١٨/٢. قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الكبير وفيه حجاج بن نصير وضعفه ابن المديني وجماعة، وثقه ابن معين في رواية ووثقه ابن حبان".

(٨) مجمع الزوائد(٣١٥٦):ص١٩٠/٢. قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط وقال: تفرد به إسحاق بن زريق قلت: ولم أجد من ترجمه وبقيته رجاله موثقون".

- عن ابن عمر قال: «صلى النبي - صلى الله عليه وسلم - صلاة الفجر في سفر فقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ثم قال: " قرأت بكم ثلث القرآن، بربعه" (١).
- عن ليث، قال: حدثني أبو محمد، قال: رمقت ابن عمر شهرا فسمعتة في الركعتين، قبل صلاة الصبح يقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، قال: فذكرت له ذلك فقال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا أو خمسة وعشرين يوما يقرأ في الركعتين قبل صلاة الصبح: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقال: «إن إحداهما تعدل بثلث القرآن، والأخرى بربع القرآن، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل بثلث القرآن، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تعدل بربع القرآن» (٢).
- عن ابن شهاب قال: "قراءة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، فإنهما يغنيان من الفقر" (٣).
- عن جابر بن عبد الله، قال: "أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعا بالمدينة لم يحج. ثم أذن في الناس بالخروج، فلما جاء ذا الحليفة صلى بذوي الحليفة. وولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اغتسلي واستنثري بثوب وأهلي» قال: ففعلت، فلما اطمأن صدر راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر البيداء أهل، وأهلنا لا نعرفه إلا الحج وله خرجنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، والقرآن ينزل عليه، وهو يعرف تأويله، وإنما يفعل ما أمر به [ص: ٢٤]. قال جابر: فنظرت بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي مد بصري، والناس مشاة وركبان، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلي: «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، فلما قدمنا مكة بدأ فاستلم الركن فسعى ثلاثة أطواف ومشى أربعة، فلما فرغ من طوافه انطلق إلى المقام فقال: " قال الله ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] فصلى خلف مقام إبراهيم ركعتين، قال جعفر: قال أبي: كان يقرأ فيهما بالتوحيد: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ - قال: ولم يذكر ذلك عن جابر -، ثم انطلق إلى الركن فاستلمه ثم انطلق إلى الصفا فقال [ص: ٢٥]: " نبدأ بما بدأ الله به {إن الصفا والمروة من شعائر الله} [البقرة: ١٥٨] " فرقي على الصفا حتى بدا له البيت، فكبر ثلاثا وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير» ثلاثا ثم دعا في ذلك ثم هبط من الصفا فمشى حتى إذا انصبت قدماه في بطن المسيل سعى، حتى إذا صعدت قدماه من بطن المسيل مشى إلى المروة، فرقي على المروة حتى بدا له البيت، فقال مثل ما قال على الصفا، فطاف سبعا، وقال: " من لم يكن معه هدي فليحل، ومن كان معه هدي فليقم على إحرامه، فإنني لولا أن معي هديا لحللت، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لأهللت بعمرة، قال: وقدم علي من اليمن، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «بأي شيء أهللت يا علي؟» قال: قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك، قال: «فإن معي هديا فلا تحل»، قال علي: فدخلت على فاطمة وقد اكتحلت ولبست ثيابا صبيغا فقلت: من أمرك بهذا؟ فقالت: أبي أمرني، قال: وكان علي يقول بالعراق: فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا على فاطمة مستتبنا في الذي قالت، فقال: «صدقنا أنا أمرتها»، قال: ونحر

(١) مجمع الزوائد (٢٧١٨) ٢/١٢٠. قال الهيثمي: " رواه الطبراني في الكبير وفيه جعفر بن أبي جعفر وقد أجمعوا على ضعفه".

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٥٧٢٠) ص: ٨٢/١٠. [إسناده ضعيف]

(٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٥٩) ص: ٣٦/٣.

رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة - من ذلك بيده ثلاثا وستين - ونحر علي ما غبر، ثم أخذ من كل بدنة قطعة فطبخ جميعا فأكلا من اللحم وشربا من المرققة، فقال سراقه بن مالك بن جعشم: يا رسول الله ألعامنا هذا أم للأبد؟ قال: «لا بل للأبد، دخلت العمرة في الحج» وشبك بين أصابعه^(١).

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٢٠٢٧): ص ٢٣/٤. [إسناده صحيح]

سورة «النصر»

«سورة النصر»: هي السورة العاشرة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الحشر»، وقبل «سورة النور»، وهذا جار على رواية: «أنها نزلت عقب غزوة خيبر». وعن ابن عباس: «أنها آخر سورة نزلت من القرآن»^(١)، فتكون على قوله السورة المائة وأربع عشرة -حسب ترتيب النزول-، نزلت بعد «سورة براءة»، ولم تنزل بعدها سورة أخرى. وعدد آياتها ثلاث. وكلماتها ست وعشرون. وحروفها أربع وسبعون. فواصل آياتها على «الحاء» و«الألف». وليس في القرآن آية على «الحاء» غير {الْفَتْحُ} [النصر: ١]^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة النصر»:

سميت في المصاحف وفي معظم التفاسير^(٣): «سورة النصر»، لذكر نصر الله فيها، قال تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١]، فسميت بالنصر المعهود عهداً ذكرياً.

■ الثاني:- أسماءها الاجتهادية:

١-سورة «إذا جاء نصر الله والفتح»:

سميت هذه السورة في كلام السلف^(٤) سورة «إذا جاء نصر الله والفتح»، وعنونها البخاري في «صحيحه»^(٥)، باسم: سورة «إذا جاء نصر الله»، وهي تسمية بأول آية من السورة، وذلك في قوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١]. وفي «روح المعاني» للألوسي، أنها تسمى سورة «إذا جاء»^(٦).

٢-سورة «التوديع»:

ذكر السخاوي^(٧) أنها تسمى: «سورة التوديع»، معللاً: "لما فيها من الإيماء إلى وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -"^(٨). يعني: من الإشارة إلى اقتراب لحاقه بالرقيق الأعلى كما سيأتي عن عائشة. قال الماوردي: "وهذه السورة تسمى التوديع، عاش النبي بعدها حولاً على قول مقاتل، وحولين على قول ابن عباس"^(٩).

قال الفيروزآبادي: سميت سورة التوديع، لما فيه من بيان نعي المصطفى صلى الله عليه وسلم"^(١٠).

٣-سورة «الفتح»:

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٤).

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٠/١.

(٣) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٦٦٥/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦٣٤/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٣١/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧٠/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٩٣/٣، والكشف والبيان: ٣١٨/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ١٤٧١/١٢، والنكت والعيون: ٣٥٩/٦، وتفسير السمعاني: ٢٩٦/٦، وتفسير البيهقي: ٥٦٥/٨، والكشاف: ٨١٠/٤، والمحزر الوجيز: ٥٣٢/٥، ومفاتيح الغيب: ٣٣٤/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٢٩/٢٠، وغيرها.

(٤) انظر: الروايات في مكان نزول السورة.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٨/٦.

(٦) انظر: روح المعاني: ٤٩١/١٥.

(٧) انظر: جمال القراء: ٩٤. وعزاه الألوسي في «روح المعاني»: ٤٩١/١٥ إلى ابن مسعود. ولم أقف عليه فيما عندي من المصادر.

(٨) جمال القراء: ٩٤، ونقله عنه في «الإتقان»: ١٩٦/١.

(٩) النكت والعيون: ٣٦٢/٦.

(١٠) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٠/١.

وسميت سورة «الفتح»، كما في «سنن الترمذي»^(١)، وذلك لوقوع هذا اللفظ فيها فيكون هذا الاسم مشتركا بينها وبين سورة: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح : ١].

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس قال: " أنزل بالمدينة: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} "^(٢).
 عن ابن الزبير قال: " أنزل: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ}، بالمدينة "^(٣).
 عن عطاء بن يسار قال: "نزلت سورة: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} كلها بالمدينة بعد فتح مكة، ودخولها الناس في الدين، ينعي إليه نفسه "^(٤).
 قال ابن عطية: " هي مدنية بإجماع "^(٥).
 قال ابن الجوزي: " هي مدنية بإجماعهم "^(٦).
 قال الزمخشري: " نزلت بمنى في حجة الوداع، فتعد مدنية، وهي آخر ما نزل من السور "^(٧).
 قال أبو حيان: " هذه مدنية، نزلت منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر، وعاش بعد نزولها سنتين "^(٨).

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: "قال لي ابن عباس: تعلم - وقال هارون: تدري - آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعا؟ قلت: «نعم، {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}»، قال: صدقت "^(٩).
 وعن ابن عمر، قال: "نزلت هذه الآية: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق، وعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القصواء فرحلت له فركب فوقف بالعقبة واجتمع الناس فذكر الحديث في وضع الدم والربا واستدارة الزمان، ثم قال: وإنما النسبي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يلونه عاما ويحرمونه عاما، وذلك أنهم كانوا يجعلون صفر عاما حراما، وعاما حلالا، وعاما حراما، وذلك النسبي. أيها الناس! من كانت عنده وديعة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، أيها الناس! إنه لا يحل لامرئ من مال أخيه شيء إلا ما طابت به نفسه وذكر الحديث "^(١٠).
 عن ابن عباس رضي الله عنه، في قول الله عز وجل: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١]، قال: «فتح مكة، نعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، فاستغفر ربك، واعلم أنه قد حضر أجلك»^(١١).
 فهذه السورة مدنية بالاتفاق. واختلف في وقت نزولها، على أقوال:

فقيل: نزلت منصرف النبي -صلى الله عليه وسلم- من خيبر -أي: في سنة سبع-، ويؤيده ما رواه الطبري والطبراني عن ابن عباس، قال: «لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} السورة، نعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت، فأخذ في أشد ما كان اجتهدا من أمر الآخرة، ثم قال رسول الله -

(١) انظر: سنن الترمذي: ٤٥٠/٥.

(٢) الدر المنثور: ٦٥٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) الدر المنثور: ٦٥٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٤.

(٥) المحرر الوجيز: ٥٣٢/٥.

(٦) زاد المسير: ٥٠١/٤.

(٧) الكشاف: ٨١٠/٤.

(٨) البحر المحيط في التفسير: ٥٦٢/١٠.

(٩) صحيح، أخرجه مسلم (٣٠٢٤) والنسائي في «التفسير» ٧٣٣ عن ابن عباس به.

(١٠) أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة": ٤٤٧/٥. وانظر: الدر المنثور: ٦٥٩/٨، وزاد نسبة إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبخاري وأبو يعلى وابن مردويه.

(١١) المعجم الأوسط للطبراني (٥٢٤): ص ١٦٧/١.

صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك: «جاء نصر الله وجاء الفتح، وجاء أهل اليمن». فقال له رجل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة أفئدتهم، لينة قلوبهم، الإيمان يمان، والفتح يمان»^(١).
ومجيء أهل اليمن أول مرة هو مجيء وفد الأشعريين عام غزوة خيبر.
ولم يختلف أهل التفسير أن المراد بالفتح في الآية هو فتح مكة، وعليه فالفتح مستقبل ودخول الناس في الدين أفواجا مستقبل أيضا وهو الأليق باستعمال {إذا}، ويحمل قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «جاء نصر الله والفتح» على أنه استعمال الماضي في معنى المضارع
لتحقق وقوعه أو لأن النصر في خيبر كان بادرة لفتح مكة.
قال ابن عباس: "هذه السورة علمٌ وحدٌ حدَّه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، ونعى له نفسه. إي إنك لن تعيش بعدها إلا قليلا"^(٢).

قال قتادة: "والله ما عاش، بعد ذلك إلا قليلا سنتين، ثم توفي صلى الله عليه وسلم"^(٣).
ونقل الواحدي عن ابن عباس: أنها «نزلت في منصرف النبي- صلى الله عليه وسلم- من غزوة حنين، وعاش بعد نزولها سنتين»^(٤).
فيكون الفتح قد مضى ودخول الناس في الدين أفواجا مستقبلا، وهو في سنة الوفود سنة تسع، وعليه تكون {إذا} مستعملة في مجرد التوقيت دون تعيين.
وروى عن ابن عمر أنها: «نزلت أواسط أيام التشريق»^(٥)، أي: عام حجة الوداع، وإن صحت هذه الرواية، كان الفتح ودخول الناس في الدين أفواجا قد مضيا.
وفي عمدة القاري: «أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عاش بعد حجة الوداع نحوًا من ثلاثة أشهر»^(٦). وعليه تكون {إذا} مستعملة للزمن الماضي، لأن الفتح ودخول الناس في الدين قد وقعا.
وقد تظافرت الأخبار رواية وتأويلا أن هذه السورة تشتمل على إيماء إلى اقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في ذلك ما يرجح أحد الأقوال في وقت نزولها إذ لا خلاف في أن هذا الإيماء يشير إلى توقيت بمجيء النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجا فإذا حصل ذلك حان الأجل الشريف.

(١) المعجم الأوسط للطبراني(١٩٩٦):ص٢/٢٨٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٧١/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٧١/٢٤.

(٤) أسباب النزول للواحدي: ٤٩٧.

عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين ، وأنزل الله تعالى: { إذا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ }، قال: يا علي بن أبي طالب ويا فاطمة! قد جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبحان ربي وبحمده، وأستغفره إنه كان توابا".

ضعيف: قال البخاري: عبد الله بن كيسان له ابن يسمى إسحاق منكر الحديث وقال ابن حبان: يتقى حديث عبد الله بن كيسان من رواية ابنه عنه.

والحديث عزاه السيوطي في الدر (٤٠٧/٦) للطبراني؟

(٥) أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة": ٤٤٧/٥. وضعفه ابن رجب بأن فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف. وقال أحمد بن حنبل: لا تحل الرواية عنه.

(٦) انظر: عمدة القاري: ٢٦٤/١.

ومن الآيات القرآنية التي أشارت إلى قرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:٣]، أخرج الطبري(١١٠٨٣)ص:٥١٩/٩ بسنده، قال: حدثنا سفيان قال حدثنا ابن فضيل عن هارون بن عنترة عن أبيه قال لما نزلت: اليوم أكملت لكم دينكم وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال: صدقت".

قال ابن كثير: "كانت وفاته -عليه السلام- بعد أحد وثمانين يوما من يوم الحج الأكبر". [البداية والنهاية ٥/١١٧]

وفي حديث ابن عباس في «صحيح البخاري»: «هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١]: فتح مكة، فذاك علامة أجلك: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر: ٣]»^(١).

قال ابن عباس: "لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة، فقال: «إنه قد نعت إلي نفسي» فبكت، فقال: «لا تبكين، فإنك لأول أهلي لاحق بي»، فضحكت. فراها بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت لها: رأيناك بكيت، ثم ضحكت. فقالت: إنه قال لي: «نعت إلي نفسي» فبكيت، فقال: «لا تبكي، فإنك أول أهلي لاحق بي»، فضحكت^(٢).

وفي هذا الحديث ما يؤول من إشارة إلى اقتراب ذلك الأجل، فإن قوله: «لما نزلت» مدرج من الراوي، وإنما هو إعلام لها في مرضه كما جاء في حديث الوفاة في «الصحيحين» فهذا جمع بين ما يلوح منه تعارض في هذا الشأن^(٣).

قال البيهقي: "مجموع هذه الأخبار الصحيحة تدل على أن الله تعالى: أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم هذه السورة. فكانت علامة لاقتراب أجله. وعارضه جبريل- عليه السلام- بالقرآن في ذلك العام مرتين، فكانت علامة أخرى لأجله، وأخبره بعمر عيسى عليه السلام، فكانت علامة أخرى لأجله، وخبره بين الدنيا والآخرة فيما رويها، وفيما نرويها إن شاء الله فاختر الآخرة. فكانت علامة أخرى لأجله"^(٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه لما ذكر في السورة السابقة اختلاف دين الرسول الذي يدعو إليه، ودين الكفار الذي يعكفون عليه- أشار في هذه السورة إلى أن دينهم سيضمحل ويزول، وأن الدين الذي يدعو إليه سيغلب عليه، ويكون هو دين السواد الأعظم من سكان المعمورة^(٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

تتمثل مقاصد سورة النصر الإجمالية في الإعلام بتمام الدين اللازم عنه مدلول اسمها النصر، اللازم عنه موت النبي صلى الله عليه وسلم، اللازم عنه العلم بأنه ما برز إلى عالم الكون والفساد إلا لإعلاء كلمة الله تعالى وإدحاض كلمة الشيطان، لعنة الله تعالى عليه، اللازم عنه أنه صلى الله عليه وسلم خلاصة الوجود، وأعظم عبد للولي الودود، وعلى ذلك أيضا دل اسمها التوديع وحال نزولها وهو أيام التشريق من سنة حجة الوداع.

وقد جاءت مقاصد «سورة النصر» التفصيلية، على النحو الآتي:

- ١- تبشير النبي -صلى الله عليه وسلم- بنصر الله -سبحانه وتعالى- له.
- ٢- تحقيق البشارة الربانية التي وعد الله -تعالى- بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم؛ حيث جاء النصر من الله -سبحانه وتعالى- لنبيه كما بشره به، وتم تمكين المسلمين من مكة المكرمة، وجميع نواحيها.

(١) رواه البخاري (٤٢٩٤): ص ١٤٩/٥، والبيهقي في "دلائل النبوة: ٤٤٦/٥.

نص الحديث:

عن ابن عباس، قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر، فقالوا: لم تدخل أو تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم فرأيت دعاني يومئذ ليربهم مني فقال: ما تقولون في {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، إلى آخر السورة، قال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح الله علينا، قال: وسكت بعضهم، فقال عمر: كذلك تقول يا ابن عباس؟ قلت: هو أجل النبي صلى الله عليه وسلم أعلمه إياه: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} فذلك علامة أجلك، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ}، فقال عمر: ما أعلم منها إلا تعلم".

(٢) المعجم الأوسط للطبراني (٨٨٣): ص ٢٧١/١، و"دلائل النبوة، للبيهقي: ١٦٧/٧.

(٣) انظر: روح المعاني: ٤٩١/١٥، والتحرير والتنوير: ٥٨٨/٣٠-٥٨٩.

(٤) دلائل النبوة: ١٦٧/٧.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٥٧/٣٠.

٣- دخول الناس في دين الإسلام أفواجا، بخلاف ما كان عليه الأمر قبل فتح مكة المكرمة؛ حيث كان دخول الناس في الإسلام حينذاك بأعداد فردية.

٤- تحقيق معنى أن النصر بيد الله سبحانه وتعالى، حيث قال الله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر : ١]، وقال أيضا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد : ٧].

٥- أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين، بشكر الله -تعالى- وحمده على نعمتي النصر والفتح.

٦- وجوب تنزيه الله -تعالى- عن النقائص والعيوب.

٧- تحقيق معنى الكمال المطلق لله -سبحانه وتعالى- في قلوب المسلمين.

٨- تذكير المؤمنين بنعم الله -تعالى- وفضائله التي لا تحصى.

٩- توجيه الأمر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بالاستغفار، وهو أمر له ولأمته.

١٠- الإشارة إلى أن نصر الله -تعالى- لدين الإسلام لا يتوقف، ويزداد نصر الله للمسلمين بازدياد حمده واستغفاره وتسبيحه؛ فقد قال الله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم : ٧].

قال الفيروز آبادي: "معظم مقصود السورة: بيان نعيه، وذكر تمام نصره أهل الإسلام، ورغبة الخلق في الإقبال على دين الهدى، وبيان وظيفة التسبيح والاستغفار، والأمر بالتوبة في آخر الحال بقوله: {وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر : ٣]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج"^(٣).

- عن علي، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بتسع سور في الركعة الأولى: {الْهَاجِمُ} التَّكَاثُرُ، و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، و{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، وفي الثانية «العصر»، و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، و{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، وفي الثالثة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{تَبَّتْ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}»^(٤).

- عن أبي نوفل بن أبي عقرب، عن ابن عباس قال: سمعته «يقراً في المغرب إذا جاء نصر الله والفتح»^(٥).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٠/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٠/١.

(٣) سنن الترمذي (٢٨٩٥): ص ١٦/٥. وقال: "هذا حديث حسن".

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (٤٦٠): ص ٣٥٦/١. [إسناده ضعيف]

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٩٧): ص ٣١٥/١.

- عن ابن شهاب قال: "قراءة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، فإنهما يغنيان من الفقر" (١).
- عن عائشة، قالت: ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ نزل عليه: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] يصلي صلاة إلا دعا. أو قال فيها: «سبحانك ربي وبحمدك، اللهم اغفر لي» (٢).
- عن عائشة، قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل أن يموت: «سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك» قالت: قلت يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: «جعلت لي علامة في أمي إذا رأيتها قلتها» {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] إلى آخر السورة" (٣).
- عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: "تعلم أي آخر سورة نزلت جميعا؟ قلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، قال: صدقت" (٤).
- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد مع محمد فتح مكة» (٥). [موضوع]

(١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٥٩): ص ٣٦/٣.

(٢) صحيح مسلم (٤٨٤): ص ٣٥١/١.

(٣) صحيح مسلم (٤٨٤): ص ٣٥١/١، ومصنف ابن أبي شيبة (٢٩٣٣٢): ص ٤٢/٦.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٨٨٣): ص ٢٦٠/٧.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣١٨/١٠. [موضوع].

سورة «المسد»

«سورة المسد»: هي السورة الحادية عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الفاتحة»، وقبل «سورة التكوير»، وآياتها خمس بالإجماع. وكلماتها ثلاث وعشرون. وحروفها سبع وسبعون. فواصل آياتها: «دب»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة المسد»:

سميت في المصاحف وأكثر من التفسير^(٢): «سورة المسد»، ووجه تسميتها لقوله تعالى: {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} [المسد : ٥].

■ الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:

١-سورة «تبت»:

سميت هذه السورة في جمع من المصاحف «سورة تبت»، وكذلك عنونها الترمذي في «جامعه»^(٣)، وفي بعض كتب التفسير^(٤)، تسمية لها بأول كلمة فيها، قال تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد : ١].

٢-سورة «أبي لهب»:

وسماها بعض من المفسرين^(٥) «سورة أبي لهب» على تقدير: سورة ذكر أبي لهب، ووجه تسميتها لوقوع هذه الكلمة في أول السورة، قال تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد : ١].

٣-سورة «الذهب»:

وقد عنونها بعض المفسرين^(٦): «سورة الذهب». ووجه تسميتها لوقوع كلمة «لهب» في بداية السورة، وذلك في قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد : ١].

٤-سورة «تبت يدا أبي لهب»:

وردت هذه التسمية عند ابن عباس^(٧)، وابن الزبير^(٨)، وعائشة^(٩)، -رضي الله عنهم جميعاً، وبذلك عنونها البخاري في «صحيحه»^(١٠)، والماتريدي^(١١)، والثعالبي^(١) في تفسيريهما.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٢/١.

(٢) انظر مثلاً: بحر العلوم للسمرقندي: ٦٣٢/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧١/٥، والكشف والبيان: ٣٢٣/١٠، والنكت والعيون: ٣٦٣/٦، والوسيط للواحدى: ٥٦٨/٤، وتفسير البغوي: ٥٧٨/٨، والكشاف: ٨١٣/٤، والمحرم الوجيز: ٥٣٤/٥، وزاد المسير: ٥٠٢/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٤٩/٣٢، وغيرها.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٤٥١/٥.

(٤) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٦٧٣/٢٤، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٨١/١٢، وتفسير السمعاني: ٢٩٨/٦، وتفسير القرطبي: ٢٣٤/٢٠، وتفسير البيضاوي: ٣٤٥/٥، وغيرها.

(٥) انظر مثلاً: تفسير ابن فورك: ٢٩٦/٣، ومفاتيح الغيب: ٣٤٨/٣٢، وتفسير النسفي: ٦٩١/٣، وتفسير ابن جزى: ٥٢١/٢.

(٦) انظر مثلاً: تفسير الإيجي: ٥٤١/٤، وتفسير المظهري: ٣٦٧/١٠، وذكرها صاحب المنار في "تفسيره": ٣١/١٢، والزحيلي في "المنير": ٤٥٣/٣٠.

وقال ابن عاشور: "٥٩٩/٣٠": وعنونها أبو حيان في «تفسيره» «سورة الذهب» ولم أره لغيره، وعنونها ابن العربي في «أحكام القرآن» «سورة ما كان من أبي لهب» وهو عنوان وليس باسم". ولم أجد التسميتين في نسخة كتابي "البحر المحيط" و"أحكام القرآن".

(٧) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) انظر: صحيح البخاري: ١٧٩/٦.

(١١) انظر: تأويلات أهل السنة: ٦٣٨/١٠.

وهذه الأسماء الأربعة هي من اجتهاد أهل العلم، ولم يرد عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- خبر صحيح يثبت تلك الأسماء.

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس قال: " أنزلت: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}، بمكة"^(٢). وروي عن ابن الزبير^(٣)، وعائشة^(٤) مثله.

قال ابن عطية: " هي مكية بإجماع"^(٥).

قال ابن الجوزي: " هي مكّية بإجماعهم"^(٦).

قال ابن عاشور: " هي مكية بالاتفاق"^(٧).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر في السورة السابقة أن ثواب المطيع حصول النصر والاستعلاء في الدنيا، والثواب الجزيل في العقبى. وهنا ذكر أن عقبة العاصي الخسار في الدنيا والعقاب في الآخرة^(٨).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

تتمثل مقاصد «سورة المسد» الإجمالية في: البت والقطع الحتم بخسران الكافر ولو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين، اللزم عنه أن شارع الدين له من العظمة ما يقصر عن الوصف، فهو يفعل ما يشاء لأنه لا كفو له أصلاً، حتّى على التوحيد من سائر العبيد، ولذلك وقعت بين سورة الإخلاص المقرون بضمنان النصر وكثرة الأنصار، واسمها تبتت واضح الدلالة على ذلك بتأمل السورة على هذه السورة. وقد جاءت مقاصد «سورة المسد» التفصيلية، على النحو الآتي:

- ١- يستنكر الإسلام أفعال الظالمين وتعديهم بأمرهم، وإن كانوا من رؤساء القوم وزعمائهم، وذلك ما حصل بأبي لهب، فالإسلام لا يعد دينا سياسيا أو تظاهريا، كما أن الأمور والشؤون السياسية جزء من الدين الإسلامي، فكما أن الإسلام حدد العلاقة بين العبد وربّه فإنه حدد العلاقة بين العباد.
- ٢- بيّن القرآن الكريم كيفية الرد والصد للاضطهاد السياسي الذي قد يقع، فاستنكر الله تعالى بالآيات التي أنزلها ما كان من أبي لهب، عندما قاطع خطاب النبي عليه الصلاة والسلام وصرف الناس عن دعوته عندما وقف الرسول عليه الصلاة والسلام خطيبا بالناس يدعوهم إلى الحق، وكان أبو لهب مستخدما لمكانته في القوم وشأنه، ولذلك كان الرد على أبي لهب من الله تعالى وليس من الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى يعلم الناس جميعهم أن الله تعالى يجازي الظالمين على ظلمهم ولا يتركهم دون حساب، فالله تعالى ينصر عباده، ويؤيد من اتبعه واتبعت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ٣- تقرير أن أبا لهب كان عالما بأن الرسول صلى الله عليه وسلم صادقاً في دعوته، فأبو لهب عم النبي عليه الصلاة والسلام، ولذلك خص الله تعالى بعض المكذبين بأسمائهم، فالتكذيب من أقرب الناس

(١) انظر: تفسير الثعالبي: ٤٤٨/٤.

(٢) الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) المحرر الوجيز: ٥٣٤/٥.

(٦) زاد المسير: ٥٠٢/٤.

(٧) التحرير والتنوير: ٥٩٩/٣٠.

(٨) انظر: تفسير المراغي: ٢٦٠/٣٠.

يكون أشد وذا أثر أكبر في قلوب المدعويين، وذلك مصير كل مكذب بالله تعالى وبدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤- التأكيد على وجود مصير للظالم في الحياة الآخرة، فمصير وعذاب الحياة الدنيا لا عبرة بهما، حيث قال الله تعالى: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة : ٥٥] ، فالله تعالى لم يذكر مصير أبي لهب في الحياة الدنيا، واكتفى بذكر مصيره في الحياة الآخرة.

٥- الإشارة إلى أن الظلم ينتشر، وتقوى شوكة الظالمين بنصرة بعضهم لبعض، ولذلك دور كبير في زرع الفتنة بين المسلمين، فكانت زوجة أبي لهب تنشر الفتنة، وتسعى في النميمة، وورد أنها كانت تضع الشوك ليلا في طريق الرسول عليه الصلاة والسلام، فالجزاء يكون بحسب العمل الذي قدمه العبد في حياته الدنيا.

٦- الرد على الظالمين يكون بالقول، ويترجم القول إلى العمل والفعل، فاختصر الرد على أبي لهب بالدعاء عليه، وباليقين وتقرير وقوع العذاب به، وذلك مما يدل على إعجاز القرآن الكريم، الذي أخبر بجزاء ومصير أبي لهب.

٧- الدلالة على أن الكفر لا ينتصر أبدا ما دام الهدف الذي يسعى إليه يتمثل بالصد عن سبيل الله تعالى، فمهما كانت القوة التي يستند إليها الكافر في تحقيق مقصده من الأموال والأسباب إلا أنه لن ينتصر على الحق، ولن يغني شيئا من بطش وجزاء الله تعالى.

قال الفيروزآبادي: "مقصود السورة: تهديد أبي لهب على الجفاء والإعراض، وضياح كسبه وأمره، وبيان ابتلائه يوم القيامة، وذم زوجه في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان ما هو مدخر لها من سوء العاقبة" (١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة (٢).

■ فضائل السورة:

■ عن سعيد بن جبيرة قال: "لما أنزل الله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم- ومعه أبو بكر فقال أبو بكر: يا نبي الله ، إنها امرأة بذية اللسان فقال: «إنه سيحال بيني وبينها» ، قال: فلم تره ، فقالت لأبي بكر: هجانا صاحبك ، فقال: والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله ، فقالت: إنك لمصدق ، قال: فاندفعت راجعة ، فقال أبو بكر: يا رسول الله ، ما رأتك ، قال: فقال: «لم يزل ملك بيني وبينها يسترني حتى ذهبت» (٣).

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة تَبَّتْ رجوت أن لا يجمع الله سبحانه بينه وبين أبي لهب في دار واحدة» (٤). [موضوع]

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٢/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف العزيز: ٥٥٢/١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣١٧٦٨): ص ٣٢٣/٦.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٢٣/١٠. [موضوع].

سورة «الإخلاص»

«سورة الإخلاص»: هي السورة الثانية عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الناس»، وقبل «سورة النجم»، وآياتها خمس في عد المكيين، والشاميين، وأربع عند الباقين. وكلماتها إحدى عشرة وحروفها سبع وأربعون. المختلف فيها آية: {لَمْ يَلِدْ} [الإخلاص : ٣]. فواصل آياتها على «الدال»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:-أسمائها التوقيفية:

١-«سورة الإخلاص»:

سميت في أكثر المصاحف وفي معظم كتب التفسير^(٢)، وفي «جامع الترمذي»^(٣): «سورة الإخلاص»، واشتهر هذا الاسم لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة، لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى، أي: سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الإلهية^(٤).

وذكر الماوردي في تسميتها بـ«سورة الإخلاص»، ثلاثة وجوه^(٥):

أحدها : لأن في قراءتها خلاصاً من عذاب الله .

الثاني : لأن فيها إخلاص لله من كل عيب ومن كل شريك وولد ، قاله عبد الله ابن المبارك .

الثالث : لأنها خالصة لله ليس فيها أمر ولا نهي .

٢-سورة «قل هو الله أحد»:

وردت هذه التسمية في تفسير ابن أبي زمنين^(٦)، «روح المعاني» للألوسي^(٧)، و«صحيح

البخاري»^(٨)، وهي تسمية للسورة بأول آية منها، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص : ١].

والمشهور في تسميتها في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وفيما جرى من لفظه، وفي أكثر ما

روي عن الصحابة تسميتها «سورة قل هو الله أحد».

ورد في الصحيح: «قل هو الله تعدل ثلث القرآن»^(٩).

وهو ظاهر في أنه أراد تسميتها بتلك الجملة لأجل تأنيث الضمير من قوله: «تعدل» فإنه على

تأويلها بمعنى السورة.

وقد روي عن جمع من الصحابة^(١٠) ما فيه تسميتها بذلك، فذلك هو الاسم الوارد في السنة^(١١).

■ الثاني:- أسماء الاجتهادية:

١-سورة «التوحيد»:

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٣/١.

(٢) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٦٨٥/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦٤٣/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٣٤/٣، وتفسير ابن

أبي زمنين: ١٧٢/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٩٩/٣، والكشف والبيان: ٣٣٠/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٩١/١٢، والنكت والعيون: ٣٦٩/٦، وتفسير السمعاني: ٣٠٢/٦، وتفسير البيهقي: ٥٨٤/٨، والكشاف: ٨١٧/٤، والمحرم الوجيز:

٥٣٦/٥، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٥٦/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، وغيرها.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ١٦٧/٥.

(٤) انظر: المحرم الوجيز: ٦٠٩/٣٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧١/٦.

(٦) انظر مثلاً: تفسير ابن أبي زمنين: ١٧٢/٥، و.

(٧) انظر: روح المعاني: ٥٠٣/١٥.

(٨) انظر: صحيح البخاري: ١٨٠/٦.

(٩) أخرجه البخاري (٥٠١٣) و (٦٦٤٣) و (٧٣٧٤).

(١٠) انظر: الروايات في فضائل السورة.

(١١) انظر: الروايات في فضائل السورة.

وسميت في بعض المصاحف التونسية «سورة التوحيد»^(١)، وقد وردت هذه التسمية عند الرازي^(٢)، والألوسي^(٣)، كما ذكرها ابن العربي في «أحكام القرآن»^(٤).

ووجه تسميتها، «سورة التوحيد»، لأنها تشتمل على إثبات أنه تعالى واحد، فهي سورة التوحيد والتنزيه لله- سبحانه وتعالى- وهذا هو الأصل الأول والركن الركين للإسلام لذلك ورد أنها تعدل ثلث القرآن في ثواب قراءتها إذ الأصول العامة ثلاثة: التوحيد، تقرير الحدود وأعمال الخلق، وذكر أحوال يوم القيامة، ولا حرج على فضل الله الذي يهب لمن يقرأها بتدبر وتفهم مثل ما يهبه لقارئ ثلث القرآن^(٥).

٢- سورة «الأساس»:

ذكرها الزمخشري^(٦)، والرازي^(٧)، في تفسيريهما، ووجه تسميتها بـ«سورة الأساس»، لاشتمالها على توحيد الله وهو أساس الدين^(٨).

قال الزمخشري: "وتسمى «سورة الأساس»، لاشتمالها على أصول الدين"^(٩). ثم استدل على هذه التسمية، بما روي عن قتادة، عن عمرو بن غيلان الثقفي، رحمه الله تعالى قال وهو على منبر البصرة: «حدثنا هذا الرجل الصالح من أهل الكتاب، يعني كعباً رحمه الله تعالى، أن الله عز وجل، أسس السموات السبع، والأرضين السبع على هذه السورة «قل هو الله أحد»^(١٠).

يعني: ما خلقت السموات والأرضون إلا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي تضمنتها هذه السورة، وقيل: معنى تأسيسها عليها أنها إنما خلقت بالحق كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} [الأنبياء: ١٦] {مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} [الدخان: ٣٩]، وهو العدل والتوحيد، وهو إن لم يرجع إلى الأول لا يخلو عن نظر، وقيل: المراد أن مصحح إيجادهما أي بعد إمكانهما الذاتي ما أشارت إليه السورة من وحدته عز وجل واستحالة أن يكون له سبحانه شريك إذ لولا ذلك لم يمكن وجودهما لإمكان التمانع كما قرره بعض الأجلة في توجيه برهانية قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: ٢٢]. وفيه بعد^(١١).

وهذا الحديث لا يدل دلالة صريحة على تسمية السورة بـ«الأساس»، لأن معنى الحديث أنها الأساس الذي أسس عليه السموات والأرض وذلك تعظيماً وتشريفاً لها، فلا تعد اسماً للسورة-والله أعلم-.

٣- سورة «المشقشة»:

في «الكشاف»: أن هذه السورة و«سورة الكافرون»، تسميان: المشقشتين، لأنهما تقشقشان من الشرك والنفاق، أي: المبرئتين من الشرك ومن النفاق^(١٢).

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٦٠٩/٣٠.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٥٧/٣٢.

(٣) انظر: روح المعاني: ٥٠٣/١٥.

(٤) انظر: أحكام القرآن: ١٩٩٥/٤.

(٥) انظر: التفسير الواضح، للحجازي: ٩١٨/٣.

(٦) انظر: الكشاف: ٨١٩/٤.

(٧) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٥٧/٣٢.

(٨) انظر: الإتيقان في علوم القرآن: ١٩٧/١.

(٩) الكشاف: ٨١٩/٤.

(١٠) أخرجه أبو الشيخ في "العظمة" (٨٩٣): ص ١٣٧٥/٤، وابن الضريس في "الفضائل" (٢٤٦): ص ١١٠، والطبري في التفسير: ٦٩٣/٢٤. ورواية الطبري: "عن كعب، قال: إن الله تعالى ذكره أسس السموات السبع، والأرضين السبع، على هذه السورة: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه".

(١١) انظر: روح المعاني: ٥٠٣/١٥.

(١٢) الكشاف: ٨٠٨/٤.

قال أبو عبيدة: " {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، يقال لهما: «المشقتان»، ومعناه المبرّتان من الكفر والشكّ والنفاق كما يفشّش الهناء الجرب فيبرئه"^(١).

٤- سورة «الصد»:

سامها البقاعي في «نظم الدرر» «سورة الصد»^(٢)، والرازي في «مفاتيح الغيب»^(٣)، والألوسي في «روح المعاني»^(٤).

ويشيع على ألسنة العامة تسميتها بـ«الصمدية»، وهي تسمية عربية صحيحة نسبة إلى الصمد سمي الله تعالى نفسه فيها

ويجدر القول بأن الفخر الرازي قام بإحصاء أسماء عديدة للسورة، وقد عقد لها فصلاً، فذكر لها عشرين اسماً بإضافة عنوان سورة إلى كل اسم منها ولم يذكر أسانيداً. وفيما يأتي هذه الأسماء^(٥):

أحدها: «سورة التفريد»، وثانيها: «سورة التجريد»، وثالثها: «سورة التوحيد»، ورابعها: سورة الإخلاص: لأنه لم يذكر في هذه السورة سوى صفاته السلبية التي هي صفات الجلال، ولأن من اعتقده كان مخلصاً في دين الله، ولأن من مات عليه كان خلاصه من النار، ولأن ما قبله خلص في دم أبي لهب فكان جزءاً من قرأه أن لا يجمع بينه وبين أبي لهب.

قال النيسابوري: "ولشرف هذه السورة سميت بأسماء كثيرة، أشهرها: «الإخلاص»، لأنها تخلص العبد من الشرك أو من النار"^(٦). **وخامسها: «سورة النجاة»:** لأنها تتجيك عن التشبيه والكفر في الدنيا، وعن النار في الآخرة. **وسادسها: «سورة الولاية»:** لأن من قرأها صار من أولياء الله، ولأن من عرف الله على هذا الوجه فقد والاه فبعد محنة رحمة كما بعد منحة نعمة. **وسابعها: «سورة النسبة»:** لما روينا أنه ورد جواباً لسؤال من قال: انسب لنا ربك، ولأنه عليه السلام قال لرجل من بني سليم: «يا أبا بني سليم استوص بنسبة الله خيراً». وهو من لطيف المباني، لأنهم لما قالوا: انسب لنا ربك، فقال: نسبة الله هذا، والمحافظة على الأنساب من شأن العرب، وكانوا يتشددون على من يزيد في بعض الأنساب أو ينقص، فنسبته الله في هذه السورة أولى بالمحافظة عليها. **وثامنها: سورة المعرفة:** لأن معرفة الله لا تتم إلا بمعرفة هذه السورة. روى جابر: «أن رجلاً صلى فقراً: قل هو الله أحد فقال النبي عليه الصلاة والسلام: إن هذا عبد عرف ربه». فسميت سورة المعرفة لذلك. **وتاسعها: «سورة الجمال»:** قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله جميل يحب الجمال»^(٧)، فسألوه عن ذلك فقال: «أحد صمد لم يلد ولم يولد»، لأنه إذا لم يكن واحداً عديم النظير جاز أن ينوب ذلك المثل منابه. **وعاشرها: «سورة المقشقة»:** يقال: تقشيش المريض مما به، فمن عرف هذا حصل له البرء من الشرك والنفاق، لأن النفاق مرض كما قال: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} [البقرة: ١٠]. **والحادي عشر: «المعوذة»:** روي أنه عليه السلام دخل على عثمان بن مظعون فعوذه بها وباللتين بعدها، ثم قال: «تعوذ بهن فما تعوذت بخير منها». **والثاني عشر: «سورة الصد»:** لأنها مختصة بذكره تعالى. **والثالث عشر: «سورة الأساس»:** قال عليه الصلاة والسلام: «أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد». ومما يدل عليه أن القول بالثلاثة سبب لخراب السموات والأرض بدليل قوله: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} [مريم: ٩٠]، فوجب أن يكون التوحيد سبباً لعمارة هذه الأشياء وقيل السبب فيه معنى قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}

(١) مجاز القرآن: ٦/١.

(٢) انظر: نظم الدرر: ٣٤٨/٢٢.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٥٧/٣٢.

(٤) انظر: روح المعاني: ٥٠٣/١٥.

(٥) قال الفخر: "اعلم أن كثرة الألقاب تدل على مزيد الفضيلة، والعرف يشهد لما ذكرناه". [مفاتيح الغيب: ٣٥٧/٣٢].

(٦) تفسير النيسابوري: ٥٩٤/٦.

(٧) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث ١٤٧. ابن ماجه في كتاب الدعاء باب ١٠. أحمد في مسنده (٤/١٣٣، ١٣٤).

[الأنبياء : ٢٢]. والرابع عشر : «سورة المانعة»: روى ابن عباس أنه تعالى قال: لنبيه حين عرج به أعطيتك سورة الإخلاص وهي من ذخائر كنوز عرشى، وهي المانعة تمنع عذاب القبر ولفحات النيران. والخامس عشر : «سورة المحضر»: لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت. والسادس عشر : «المنفرة»: لأن الشيطان ينفر عند قراءتها. والسابع عشر : «البراءة»: لأنه روي أنه عليه السلام: رأى رجل يقرأ هذه السورة فقال: «أما هذا فقد برىء من الشرك». وقال عليه السلام: «من قرأ سورة قل هو الله أحد مائة مرة في صلاة أو في غيرها كتبت له براءة من النار». والثامن عشر : «سورة المذكرة»: لأنها تذكر العبد خالص التوحيد، فقراءة السورة كالوسمة تذكرك ما تتغافل عنه مما أنت محتاج إليه. والتاسع عشر : «سورة النور»: قال الله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور : ٣٥]، فهو المنور للسموات والأرض، والسورة تنور قلبك. وقال عليه السلام: «إن لكل شيء نور، ونور القرآن قل هو الله أحد». ونظيره أن نور الإنسان في أصغر أعضائه وهو الحدقة، فصارت السورة للقرآن كالحدقة للإنسان. والعشرون : سورة الأمان: قال عليه السلام: «إذا قال العبد لا إله إلا الله دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي»^(١).

وبضم اسمها المشهور: «قل هو الله أحد»، تبلغ أسماؤها اثنين وعشرين. وذكر الفيروزآبادي-أيضا- مجموعة من الأسماء، فقال: "ولها عشرون اسما: سورة التوحيد، وسورة التفريد، وسورة التجريد، وسورة الإخلاص، وسورة النجاة، وسورة الولاية، السابع: نسبة الرب، لقوله: «لكل شيء نسبة ونسبة الرب: قل هو». الثامن: سورة المعرفة. التاسع: سورة الجمال. العاشر: المقشقة. وقد سبق في: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون : ١]، الحادي عشرة: المعوذة. الثاني عشر: سورة الصمد. الثالث عشر: الأساس. الرابع عشر: المانعة. الخامس عشر: المحضرة؛ لأن الملائكة تحضر لاستماعها من القارئ. السادس عشر: المنفرة، لأنها تنفر الشيطان. السابع عشر: البراءة، أي: من النفاق. الثامن عشر: المذكرة. التاسع عشر: الشافية. العشرون: سورة النور؛ لما في الخبر: «إن لكل شيء نورا، ونور القرآن: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص : ١]»^(٢).

■ مكية السورة ومدنيتها:

وفي مكان نزول السورة، قولان: أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود^(٣)، والحسن^(٤)، وعطاء^(٥)، وعكرمة^(٦)، وجابر^(٧)، وقتادة^(٨)، ومجاهد-بخلاف عنه-^(٩). الثاني: مدنية، روي عن ابن عباس^(١)، وأبو العالية^(٢)، وقتادة^(٣)، والضحاك^(٤)، والقرظي^(٥)، والسدي^(٦).

- (١) مفاتيح الغيب: ٣٢٢/٣٥٧-٣٥٨.
- (٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٣/١.
- (٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.
- (٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.
- (٥) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، والمحرم الوجيز: ٥٣٦/٥، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.
- (٦) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.
- (٧) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤.
- (٨) انظر: المحرم الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.
- (٩) انظر: المحرم الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

قال ابن عاشور: "هي مكة في قول الجمهور... ومنشأ هذا الخلاف الاختلاف في سبب نزولها"^(٧).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

وجه مناسبتها لما قبلها: أمر الله نبيه في السورة السابقة بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وفي هذه السورة سورة التوحيد والبراءة من الشرك تصريح باستقلال عبادته عن عبادة الكفار، فهو لا يعبد إلا ربه، ولا يعبد ما يعبدون من الأوثان والأصنام، وبالغ في ذلك فكره وأكده، وانتهى إلى أن له دينه، ولهم دينهم^(٨).

قال أبو حيان: "ولما تقدم فيما قبلها عداوة أقرب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو عمه أبو لهب، وما كان يقاسي من عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد، رادة على عباد الأوثان والقائلين بالثنوية وبالتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد"^(٩). وقيل: إنها متصلة بسورة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، في المعنى فهما بمنزلة كلمة التوحيد في النفي والإثبات، ولهذا تسميان بالمفشقتين، وقرن بينهما في القراءة في صلوات كثيرة، إلا أنه فصل بينهما بسورتين: «سورة النصر»، و«سورة المسد»، لما تقدم في موضعه، من أن سورة النصر قرنت بسورة «الكافرون»، لأن سورة «الكافرون» تضمنت اختلاف دين الرسول ودين قريش، و«سورة النصر» تضمنت أن دينه عليه الصلاة والسلام هو الغالب، وهو السائد والمنصور، و«سورة المسد» قرنت بـ«سورة النصر»، لأن «سورة النصر» تضمنت أن ثواب الطاعة حصول النصر والغلبة والاستعلاء في الدنيا، و«سورة المسد» بينت أن عاقبة العاصي الخسران في الدنيا فلها تلتها^(١٠).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

تعدّ سورة الإخلاص من قصار السور فعدد آياتها أربع آيات، إلا أن مكانتها عظيمة بين المسلمين فهي تدخل في معظم الأدعية والأذكار، وتعظم مقاصد سورة الإخلاص ومضامينها لأنها تدور حول تأكيد وحدانية الله تعالى، ونفي الشريك عنه سبحانه وتعالى، والتأكيد على أن الله سبحانه وتعالى يجيب دعوة السائل ويقضي طلب المحتاج، بالإضافة إلى أنه لم يلد، ولم يولد، ولا نظير له ولا شبيهه، مما يوجب صرف العبادة له وحده دون شريك.

وتتمثل مقاصد سورة الإخلاص الإجمالية في بيان حقيقة الذات الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد للإخلاص في التوحيد بإثبات الكمال، ونفي شوائب النقص

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، والمحرم الوجيز: ٥٣٦/٥، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٢) انظر: المحرم الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠.

وفي الدر المنثور: ٦٧١/٨: "وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه قال: جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أنسب لنا ربك وفي لفظ: صف لنا ربك فلم يدر ما يرد عليهم فنزلت {قل هو الله أحد} حتى ختم السورة".

(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٥) انظر: المحرم الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠.

(٧) التحرير والتنوير: ٦١١/٣٠. وستأتي الروايات في بيان سبب نزولها إن شاء الله.

(٨) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ٤٣٧/٣٠.

(٩) البحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(١٠) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٢٠٤٨/١٠.

والاختلال، المثمر لحسن الأقوال والأفعال، وثبات اللجوء والاعتماد في جميع الأحوال، وعلى ذلك دل اسمها الإخلاص الموجب للخلاص.

وقد جاءت مقاصد «سورة الإخلاص» التفصيلية، على النحو الآتي:

١- الإشارة إلى أصل من أصول الإسلام؛ وهو توحيد الله تعالى بالأسماء والصفات، حيث بينت صفاته عز وجل، وأنه واحد لا شريك له، ولا نظير، ولا شبيه، ولا صاحبة، ولا ولد له سبحانه وتعالى، إذ لم يلد ولم يولد، وبينت السورة أن الله -تعالى- هو الصمد الذي يفتقر إليه في كافة الحاجات التي يحتاجها البشر.

٢- اشتمال السورة على التوحيد الاعتقادي، حيث تبين ما يجب إثباته لله -تعالى- من الصفات كالوحدانية، والصدقية، والصفات المثبتة لجميع صفات الكمال، والمنافية لصفات النقص والعجز، كاتخاذ صاحبة والولد، بالإضافة إلى نفي الكفاء الذي يقتضي نفي التمثيل والتشبيه، ويمكن القول إن السورة تدور حول إثبات الكمال لله تعالى، ونفي النقص عنه عز وجل.

٣- ترسيخ أول أصل وأعظم ركن من أركان الإسلام، وهو التوحيد الذي بعث الله -تعالى- الأنبياء جميعاً، وخاتمهم محمد -صلى الله عليه وسلم- لدعوة الناس إليه، وإخراجهم من الشرك.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان الوحدانية، وذكر الصمد، وتنزيه الحق من الولد والوالد والولادة، والبراءة من الشرك والشريك في المملكة"^(١).

قال الزحيلي: "هذه السورة المكية- سورة البراءة من عمل المشركين والإخلاص في العمل لله تعالى، وضعت الحد الفاصل النهائي بين الإيمان والكفر، وبين أهل الإيمان وعبد الأوثان، فحينما طلب المشركون المهادنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، نزلت السورة تقطع أطماع الكفار الرخيصة، وتفصل النزاع بين فريقَي المؤمنين والكافرين إلى الأبد"^(٢).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة^(٣).

■ فضائل السورة:

- عن أبي سعيد الخدري: "أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} يرددّها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»^(٤).

- عن أبي هريرة، قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أقرأ عليكم ثلث القرآن»، فقرأ: قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها"^(٥).

- روي أنه صلى الله عليه وسلم دخل المسجد، فسمع رجلاً يدعو ويقول: أسألك يا الله يا أحد، يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال: «غفر لك، غفر لك، غفر لك»^(٦)، ثلاث مرات.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٣/١.

(٢) التفسير المنير: ٤٣٧/٣٠.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٣/١.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٥٠١٣ و ٦٦٤٣ و ٧٣٧٤ ومالك ٢٠٨/١ وأحمد ٣٥/٣ وأبو داود ١٤٦١ والنسائي ١٧١/٢ وابن حبان ٧٩١ كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٨١٢ وأحمد ٤٢٩/٢ من حديث أبي هريرة.

(٦) رواه الطبراني في المعجم الصغير (٢: ٢٠)، وابن حجر في لسان الميزان (٤: ٥٥٧)، وابن كثير في التفسير (٦: ٩٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (١: ٢٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥: ٦)، والعقيلي في الضعفاء (٣: ٢٢٤).

- وعن سهل بن سعد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الفقر فقال: «إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد وإن لم يكن فيه أحد فسلم على نفسك وقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة»^(١). ففعل الرجل فأدر الله عليه رزقا حتى أفاض على جيرانه.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتي عشر مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى»^(٢).
- وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه، لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة بكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة»^(٣).
- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك {إذا جاء نصر الله والفتح}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {إذا زلزلت الأرض}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج"^(٤).
- عن علي، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بتسع سور في الركعة الأولى: {الْهَاجِمُ التَّكَاثُرُ}، و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، و{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، وفي الثانية «العَصْرُ»، و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، و{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، وفي الثالثة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{تَبَّتْ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}»^(٥).
- عن أبي هريرة، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} "^(٦). [صحيح]
- عن ابن عمر: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب، بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} "^(٧). [صحيح]

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧: ١٤٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٤١٥).

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧: ١٤٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٤١٢)، والقرطبي في التفسير (٢٠: ٢٤٩)، والألباني في السلسلة الضعيفة (٣٠١).

(٣) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦: ٢٤١٦).

(٤) سنن الترمذي (٢٨٩٥): ص ١٦/٥. وقال: "هذا حديث حسن".

(٥) مسند أبي يعلى الموصلي (٤٦٠): ص ٣٥٦/١. [إسناده ضعيف]

(٦) صحيح مسلم (٧٢٦): ص ٥٠٢/١.

(٧) المسند (٤٧٦٣): ص ٣٨١/٨. إسناده صحيح على شرط الشيخين إسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق وسماعه من جده أبي إسحاق وهو عمرو بن عبد الله السبيعي - في غاية الإتقان للزومه إياه ومجاهد: هو ابن جبر المكي وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١ من طريق عبد الله بن رجاء، وأبي نعيم، كلاهما عن إسرائيل، بهذا الإسناد. وأخرجه الطيالسي (١٨٩٣) وابن أبي شيبه ٢٤٢/٢، والطبراني في "الكبير" (١٣٥٢٨)، والبيهقي في "السنن" ٤٣/٣ من طريق أبي الأحوص سلام بن سليم، عن أبي إسحاق، به. وأخرجه النسائي في "المجتبى" ١٧٠/٢، والبيهقي في "السنن" ٤٣/٣ من طريق أبي الجواب، عن عمار بن رزيق، عن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، به. ورواية غير عمار بن رزيق عن أبي إسحاق بعدم ذكر إبراهيم بن مهاجر أصح وأقوى. وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١٣١٢٣) من طريق عبد العزيز بن عمران، عن ابن أخي الزهري، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، دون ذكر ركعتي المغرب. وعبد العزيز بن عمران متروك.

- عن ليث، قال: حدثني أبو محمد، قال: رمقت ابن عمر شهرا فسمعتهم في الركعتين، قبل صلاة الصبح يقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، قال: فذكرت له ذلك فقال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا أو خمسة وعشرين يوما يقرأ في الركعتين قبل صلاة الصبح: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقال: «إن إحداهما تعدل بثلث القرآن، والأخرى بربع القرآن، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل بثلث القرآن، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تعدل بربع القرآن»^(١).

وأخرجه ابن عدي في "الكامل" ٢٦٤٨/٧ من طريق يحيى بن أبي أنيسة، عن نفع بن الحارث، عن ابن عمر، به. دون ذكر ركعتي المغرب. ويحيى بن أبي أنيسة ضعيف.
وانظر: الحديث في: مسند أحمد- أيضا- برقم (٤٩٠٩) و (٥٦٩١) و (٥٦٩٩) و (٥٧٤٢) ، وتكرر برقم وفي الباب في ركعتي الفجر: عن أبي هريرة عند مسلم (٧٢٦) ، وأبي داود (١٢٥٦) ، والنسائي ١٥٦/٢ ، وابن ماجه (١١٤٨) .
وعن جابر عند ابن حبان (٢٤٦٠) .
وعن أنس عند الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١ .
وعن عائشة سيرد ١٨٤/٦ .
وفي ركعتي الفجر والمغرب معا: عن ابن مسعود عند ابن ماجه (١١٦٦) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١ .
قال السندي: قوله: "بضعا وعشرين مرة": يريد أنه كان يقرأ السورتين في الركعتين المذكورتين مرارا، لا أنه قرأهما مرة أو مرتين في عمره، ثم ترك، ويستبعد أن يكون مراده التكرار دفعة، لأن مبنى سنة الفجر على التخفيف، والله تعالى أعلم.
(١) مسند أبي يعلى الموصلي(٥٧٢٠):ص٨٢/١٠. [إسناده ضعيف]

سورة «الفلق»

«سورة الفلق»: هي السورة الثالثة عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الفيل»، وقبل «سورة الناس»، وآياتها خمس بالإجماع. وكلماتها ثلاث وعشرون. وحروفها أربع وسبعون. وفواصل آياتها «دبق»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولها-أسمائها التوقيفية:

١- «سورة الفلق»:

اشتهرت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير^(٢) بـ«سورة الفلق»، ووجه تسميتها لافتتاحها بقوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق : ١].

٢- سورة «قل أعوذ برب الفلق»:

سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة: «قل أعوذ برب الفلق». روي عن عقبة بن عامر الجهني، أنه قال: اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب، فوضعت يدي على قدميه، فقلت: أقرئني من سورة يوسف. فقال: " لن تقرأ شيئاً أبلغ عند الله من {قل أعوذ برب الفلق}"^(٣).

وهذا ظاهر في أنه أراد سورة: «قل أعوذ برب الفلق»، لأنه كان جواباً عن قول عقبة: أقرئني سورة هود إلخ، ولأنه عطف على قوله: «قل أعوذ برب الفلق» قوله: «وقل أعوذ برب الناس»، ولم يتم سورة: «قل أعوذ برب الفلق».

وقد عنونها البخاري في «صحيحه»^(٤): «سورة قل أعوذ برب الفلق»، بإضافة كلمة «سورة» إلى أول جملة منها.

٣- سورة «المعوذتين» - مع «سورة الناس»:

جاء في كلام بعض الصحابة تسميتها مع سورة الناس «المعوذتين». روي عن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»^(٥). بكسر الواو المشددة وبصيغة الجمع بتأويل الآيات المعوذات، أي: آيات السورتين.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٦/١.

(٢) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٦٩٧/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦٥٣/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧٤/٥، وتفسير ابن فورك: ٣٠٥/٣، والكشف والبيان: ٣٣٧/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٥٠٥/١٢، والنكت والعيون: ٣٧٣/٦، والوسيط للواحي: ٥٧٢/٤، وتفسير السمعي: ٣٠٥/٦، وتفسير البغوي: ٥٩١/٨، والكشاف: ٨٢٠/٤، والمحرم الوجيز: ٥٣٩/٥، وزاد المسير: ٥٠٧/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٦٩/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٥٢/٢٠، وغيرها.

(٣) أخرجه أحمد في "المسند" (١٧٣٤١): ص ٥٧٥/٢٨، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أبي عمران أسلم - وهو ابن يزيد التجيبي - فقد روى له أصحاب السنن غير ابن ماجه، وهو ثقة. هاشم: هو ابن القاسم، وليث: هو ابن سعد.

وأخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ١٤٥؛ والنسائي ٢٥٤/٨، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٢٨٢)، وابن حبان (٧٩٥)، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٧٨٩) و (٨٦٠)، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٦٩٦)، والبيهقي في "الشعب" (٢٥٦٦)، والبغوي (١٢١٣) من طرق عن الليث بن سعد، بهذا الإسناد.

وأخرجه النسائي أيضا ١٥٨/٢ عن قتيبة بن سعيد، عن ليث، به، وزاد: و {قل أعوذ برب الناس}. وأخرجه ابن حبان (١٨٤٢)، والطبراني ١٧/ (٨٦١) من طريق عمرو بن الحارث، والحاكم ٥٤٠/٢، والبيهقي في "الشعب" (٢٥٦٦) من طريق يحيى ابن أيوب، كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب، به.

وأخرجه بنحوه الطبراني ١٧/ (٩٥١) من طريق عبد العزيز بن مروان، عن عقبة. وسنده حسن في المتابعات والشواهد.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٨١/٦.

(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وقال: «غريب». وأحمد ١٥٥/٤، وصححه الألباني. وانظر «تفسير ابن كثير» ٥٥١/٨-٥٥٣.

وفي رواية: «بالمعوذتين في دبر كل صلاة»^(١).

ولم يذكر أحد من المفسرين أن الواحدة منهما تسمى «المعوذة» بالإفراد، وقد سماها ابن عطية «سورة المعوذة الأولى»^(٢)، وإضافة «سورة» إلى «المعوذة» من إضافة المسمى إلى الاسم، ووصف السورة بذلك مجاز يجعلها كالذي يدل الخائف على المكان الذي يعصمه من مخيفه أو كالذي يدخله المعاذ.

■ الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:

١-سورة «المشقتين»- مع سورة الناس:

تسمى هي وسورة الناس: «المشقتين» -بتقديم الشينين على القافين- من قولهم: خطيب مشقشوق، أي: مسترسل القول، تشبيها له بالفحل الكريم من الإبل يهدر بشقشقة وهي كاللحم يبرز من فيه إذا غضب^(٣)، ولم يظهر لي وجه وصف المعوذتين بذلك.

وقد سماها بهذا الاسم السخاوي^(٤)، والسيوطي^(٥)، ولم يذكرنا مستندهما في هذه التسمية.

٢-سورة «المشقتين»- مع سورة الناس:

وتسمى هي وسورة الناس: «المشقتين» -بتقديم القافين على الشينين-، أي: تيرئان من النفاق^(٦)، وقد وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير^(٧).

فيكون اسم «المشقتين»، مشتركا بين أربع سور: «سورة الفلق»، و«سورة الناس»، و«سورة براءة»، و«سورة الكافرون».

■ مكية السورة ومدنيتها:

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، رواه كريب عن ابن عباس^(٨)، وبه قال الحسن^(٩)، وقتادة-في رواية-^(١٠)، وعكرمة^(١١)، وعطاء^(١٢)، وجابر^(١٣).

الثاني: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١٤)، وبه قال قتادة^(١٥).

(١) سنن الترمذي(٢٩٠٣):ص١٧١/٥.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٦٠/١٥. طبعة: قطر.

وقد وردت هذه العبارة في عمدة الحفاظ: ١٠٤/٣، وفيه: "ويروى أنه لما نزلت المعوذة الأولى".

وفي "روح البيان" لأبي الفداء: ٥٤٦/١٠، وفيه: "تأخرت هذه الصورة-أي سورة الناس- عن المعوذة الأولى".

(٣) انظر: جمال القراء: ٩٤، والتحرير والتنوير: ٦٢٤/٣٠.

قال السخاوي: "المشقتان من قولهم: شقشق البعير إذا هدر. وشقشق العصفور، وخطيب مشقشوق وخطيب ذو شقشمة، والشقشقة التي يخرجها البعير من فيه إذا هاج كالرئة، شبه الخطيب بالفحل".

(٤) انظر: جمال القراء: ٩٤.

(٥) الإتقان: ١٩٧/١.

(٦) انظر: تفسير القرطبي: ٢٥١/٢٠.

(٧) ذكرها الزمخشري في "الكشاف": ٨٢٤/٤، و٣٧٣/٦، الماوردي في "النكت والعيون": ٣٧٣/٦، والقرطبي في "التفسير": ٢٥١/٢٠.

(٨) انظر: زاد المسير: ٥٠٧/٤.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٠) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٨/٥.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦.

قال ابن الجوزي: "والأول أصح، ويدل عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان"^(١).

قال ابن عاشور: "الأصح أنها مكية، لأن رواية كريب عن ابن عباس مقبولة بخلاف رواية أبي صالح عن ابن عباس ففيها متكلم"^(٢).

■ الردود على شبهة إنكار المعوذتين المنسوبة إلى ابن مسعود:

عن زر بن حبيش قال : قلت لأبي بن كعب : "إن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه ؟ فقال : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني أن جبريل ، عليه السلام ، قال له : " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " فقلتها ، قال : " {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} فقلتها. فنحن نقول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم"^(٣).

، عن زر قال : سألت ابن مسعود عن المعوذتين فقال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنهما فقال : " قيل لي ، فقلت لكم ، فقولوا". قال أبي : فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم فنحن نقول"^(٤).

عن زر - قال : سألت أبي بن كعب فقلت : أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا. فقال : إنني سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "قيل لي ، فقلت". فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(٥).

عن علقمة قال : كان عبد الله يحك المعوذتين من المصحف ، ويقول : إنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما ، ولم يكن عبد الله يقرأ بهما"^(٦).

عن أبي بن كعب قال : سألت ابن مسعود عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : "قيل لي ، فقلت"^(٧).
لقد أثار البعض شبهة تهدف إلى وجود تناقض في كتابة وتدوين القرآن في المصاحف، وأن خيرة الخلق قد اختلفوا في صميم النص القرآني من إضافة سور أو حذفها ، وصنعوا من بن مسعود رضي الله عنه في خيالهم شخصية مظلومة أفترى عليها ولم يسمع لرأيها في جمع وترتيب سور القرآن ، وكأنه كانت هناك عداوة بينه وبين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وخصوصا عثمان رضي الله عنه.

الرد على الشبهة :

لقد نسي هؤلاء أن الاختلافات المزعومة بين المصاحف، إما أن تكون إملائية، أو في طريقة القراءة، أو الوقف أو غير ذلك من هذه الأمور التي لا تمس النص القرآني بالزيادة والنقصان أو التبديل والتحريف، فهؤلاء نسوا أيضا أن هؤلاء الصحابة هم خيرة البشر وصفوتهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ويصعب تصديق مثل هذه الأفعال في حقهم ، والمعلوم أنهم كانت لهم ضوابط يسيرون عليها في مثل هذه الأمور الحساسة والمحورية .

لقد تناول علماء الإسلام هذه الشبهة بالنقد والتمحيص والتنفيذ والتحليل منذ القديم ، وكان هدفهم إظهار الحق الجلي وليس الدفاع القائم على التعصب والذاتية .

(١) زاد المسير: ٥٠٧/٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٦٢٤/٣٠.

(٣) المسند (١٢٩/٥).

(٤) المسند (١٢٩/٥).

(٥) صحيح البخاري برقم (٤٩٧٧)، (٤٩٧٦).

(٦) رواه أبو يعلى، كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٠-٨، ٥٣١، رواه البزار في مسنده برقم (٢٣٠١) ، من طريق محمد بن أبي يعقوب ، عن حسان بن إبراهيم به ، وقال البزار : "وهذا لم يتابع عبد الله عليه أحد من الصحابة ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بهما في الصلاة ، وأثبتنا في المصحف".

(٧) زوائد المسند (١٢٩/٥).

- أما بالنسبة للمعوذتين والفاتحة فإنه توجد عدة تساؤلات تطرح نفسها وتحتاج إلى إجابة وهي :
- ١- هل الروايات الواردة في هذا الصدد ثابتة ، أم محض افتراء على بن مسعود -رضي الله عنه-؟
 - ٢- هل استمر على رأيه أم رجع عنه ؟
 - ٣- هل مخالفة أحد الصحابة للإجماع يعتبر حجة على القرآن ؟
 - ٤- ما هو المبرر لعدم ضمه الفاتحة للمصحف ؟
- النقطة الأولى : بالنسبة لصحة النقل عن بن مسعود-رضي الله عنه-، فلقد رأى كثير من العلماء الذين لهم ثقل بين أكابر العلماء ورأيهم محل تقدير ، عدم صحة الروايات الواردة عن بن مسعود بهذا الصدد ، وقد تابعهم على هذا الرأي خلق كثير، وخلاصة ما قالوه :
- أن المسلمين أجمعوا على وجوب تواتر القرآن ويشكل على هذا ما نقل عن بن مسعود من إنكاره لقرآنية الفاتحة والمعوذتين ، بل روي عن أنه ﷺ حك من مصحفه المعوذتين ، زعما منه أنهما ليستا من القرآن .وقد أجابوا عن ذلك بمنع صحة النقل ، فلقد قال النووي رحمه الله : "أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئاً منه كفر، وما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين باطل، ليس بصحيح عنه"^(١).
- وقال ابن حزم: "وكل ما روي عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع، لا يصح، وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر ابن حبيش عن ابن مسعود، وفيها أم القرآن والمعوذتان"^(٢).
- وإضافة إلى ذلك ما قاله الإمام الباقلاني إذ يقول أن : "القائلون بفضل بن مسعود يكذبون جميع ما روي عنه في هذا الباب"^(٣).
- ومن الواضح أن ما ورد عن بن مسعود ﷺ يتناقض مع طبيعته وشخصيته ولا أدري في مصلحة من الافتراء على ذلك الصحابي الكبير ، وهذا ما هال العلماء الدفاع عنه ، وتبرنته من تلك التهم المكذوبة .
- النقطة الثانية : لم يستمر بن مسعود ﷺ على رأيه ، بل رجع إلى الصواب لما تبين له حقيقة الأمر ، وأقر المصحف العثماني وأمر أصحابه بحرق المصاحف .
- وقد أكد الذهبي نزول بن مسعود على رأي الإجماع فقال : "وقد ورد أن بن مسعود رضي وتابع عثمان والله الحمد"^(٤)، وكذلك قال بن كثير: "وإنما روي عن عبد الله بن مسعود شيء من الغضب، بسبب أنه لم يكن كتب المصاحف إلى أن قال "ثم رجع بن مسعود إلى الوفاق"^(٥) . وهنا تتضح صورة الصحابة في رجوعهم إلى الحق والتزامهم إياه بأدب جم وذوق رفيع ، هذا الاعتراض من بن مسعود ﷺ قبل الإجماع على مصحف عثمان -رضي الله عنه-، فلما تبين له رضا الجميع بهذا الجمع نزل على رأي الجماعة.
- النقطة الثالثة : من المقرر عند علماء الأصول أن مخالفة أحد الصحابة للإجماع لا يعتبر حجة على الإجماع، وبالتالي فإن مخالفة أحد الصحابة للإجماع لا يعتبر حجة على القرآن لأنه لا يؤثر في تواتر الخبر ، "ولم يقل أحد في الدنيا أن من شرط التواتر والعلم اليقيني المبني عليه ألا يخالف فيه

(١) المجموع شرح المهذب ، النووي ، تحقيق : محمد نجيب المطيعي ، (المملكة العربية السعودية ، جدة مكتبة الإرشاد) (٣٦٣/٣)

(٢) المحلى ، ابن حزم ، تحقيق: العلامة أحمد محمد شاكر ، (مصر مطبعة النهضة ،) (١٣/١)

(٣) نكت الانتصار لنقل القرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق : محمد زغلول سلام، الإسكندرية ، منشأة المعارف) ، ص ٣٦٣

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤٨٨/١) ، تحقيق :شعيب الأرنؤوط ، وحسين الأسد ، ط ١١ (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧-١٩٩٦م)

(٥) فضائل القرآن ، ابن كثير، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري ، ط١ (القاهرة ، مكتبة بن تيمية ، ١٤١٦) ، ص ٢٠

مخالف ، وإلا لأمكن هدم كل متواتر وإبطال كل علم قام عليه بمجرد أن يخالف فيه مخالف ولو لم يكن في العير أو في النفير " (١).

فصنيع بن مسعود -رضي الله عنه- إن صح عنه لا يؤثر في إجماع الصحابة على مصحف عثمان بحال من الأحوال ، وهذه سمة عظيمة من سمات الدين الإسلامي وهي التوافق وعدم الإنفراد بالرأي .
- النقطة الرابعة : إن المبرر الحقيقي لعدم تسجيل بن مسعود -رضي الله عنه- لسورة الفاتحة في مصحفه "لا لأنها من غير القرآن ، وإنما بسبب أن القرآن الكريم إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ، وكل هذا مأمون في سورة الفاتحة لقصرها ، ولأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمها كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظها لحاجتهم الماسة إليها في الصلاة، حيث تثني في كل صلاة وتقرأ في غيرها من الأمور والمناسبات الدينية، فلما أمن عليها العلة التي من أجلها كتب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من المصحف بالتأكيد ، ولو أن رجلا كتب من القرآن سورا وترك سورا لم يكتبها لم يكن عليه في ذلك حرج أبدا" (٢).

فهل يعقل أن يكون بن مسعود ﷺ غير عالم بأن الفاتحة من القرآن وأن قصد من تركها عدم قرآنتها؟! ولو سلمت بهذا التصور فإنه اتهام للصحابة غير مبرر وهم خيرة الخلق وأفضلهم على الإطلاق.

إن هذا التفسير جاء مناسبا لشخصية تاريخية تناولها كلا من المستشرقين والرافضة بالافتراء وإصاق التهم بها ، فهل نصدق نحن المسلمون ذلك الزعم الذي يفخمه أعدائه من المستشرقين والمتنطعين ، بل ويسلطون الضوء عليه ويبرزونه ويتناولونه في أنديةهم على أنهم أخيرا قد توصلوا إلى ثغرة في تاريخ هذا الكتاب الكريم؟ كلا لا نصدق ذلك أبدا عن بن مسعود، فإنهم لا يدركون قيمته عند المسلمين ، وقد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه القرآن وفضله ومناقبه تشهد بعلمه وفضله ، فالظن بعدم علمه أن المعوذتين والفاتحة من غير القرآن غير مقنع تماما، ومن وجهة نظر عقلية من يعرف شخصية بن مسعود رضي الله عنه وتفانيه في خدمة القرآن والمحافظة عليه يستبعد تماما تلك الأوهام والظنون التي أثبتت حوله ، ومما يثبت ذلك أن قراءة عاصم الأكثر انتشارا والتي تضم الفاتحة والمعوذتين ثابتة بالنقل الصحيح والتواتر عن بن مسعود.

ومن ناحية أخرى يوقن الجميع أن العصمة للأنبياء فقط وما عداهم قد يصيب ويخطئ، وأن العمل الفردي لا يعتد به ما لم يشهد على أساس من التوافق مع الشرع والإجماع ، ولا ينبغي عليه حكم دون النظر فيما اتفقت عليه الأمة.

قال ابن كثير: " المشهور عند كثير من القراء والفقهاء : أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه ، فلعله لم يسمعهما من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتواتر عنده ، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة ، فإن الصحابة ، رضي الله عنهم ، كتبوهما في المصاحف الأئمة ، ونفذوها إلى سائر الأفاق كذلك ، والله الحمد والمنة" (٣).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

لما أبان الله تعالى أمر الألوهية في سورة الإخلاص لتنزيه الله عما لا يليق به في ذاته وصفاته، أبان في هذه السورة وما بعدها وهما المعوذتان ما يستعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم، ومراتب مخلوقاته الذين يصدون عن توحيد الله، كالمشركين وسائر شياطين الإنس والجن، وقد ابتدأ في هذه السورة بالاستعاذة من شر المخلوقات، وظلمة الليل، والسحرة، والحساد، ثم ذكر في «سورة الناس» الاستعاذة من شر شياطين

(١) مناهل العرفان، الزرقاني : (١/٢٢٥-٢٢٦)

(٢) محمد علي قشيري، مصدر سابق ، ص ٩٧

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٣١/٨.

الإنس والجن لذا سميت السور الثلاثة -الإخلاص وما بعدها- في الحديث بالمعوذات. وقدمت الفلق على الناس لمناسبة الأوزان في اللفظ لفواصل الإخلاص مع مقطع {تَبَّتْ} (١).
قال أبو حيان: "لما شرح أمر الإلهية في السورة قبلها، شرح ما يستعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم ومراتب مخلوقاته" (٢).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

تتمثل مقاصد «سورة الفلق» الإجمالية في أمر المؤمنين بالاعتصام بالله، رب الفلق من شرّ مخلوقاته: وبالأخص الليل إذا أظلم، والسواحر بالنفث في العقد، والحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن الناس.

وقد جاءت المقاصد التفصيلية لـ«سورة الفلق» على النحو الآتي:

١- التأكيد على أنّ الله -تعالى- هو خالق الظواهر الكونية، فقد قال -سبحانه وتعالى- ويظهر ذلك في مطلع سورة الفلق: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق : ١]، والفلق هو بزوغ الفجر فقد أمر الله عباده بالاستعاذة بالله خالق الفلق وربّ كلّ ما في الكون.

٢- الإقرار بأنّ الله -تعالى- هو خالق الخير والشر، فالشيطان وكلّ من كفر من الجنّ هم من خلق الله وكانوا كلّهم مسلمين له قبل تمردهم وعصيانه، ولأنّ الله -تعالى- يعلم شرّ ما يمكن أن يصيبوا المرء به أمر النبيّ الكريم والمسلمين بالتعوذ بالله من شرّ ما خلق، حيث تابع قوله بأنّ يستعيذ بربّ الفلق من كل الشرور التي خلقها فقد قال: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)} [الفلق : ١ - ٢].

٣- لفت انتباه المسلمين إلى أنّ الليل إذا سكن فهو يحوي من الشر والمخاطر ما يستوجب الاستعاذة بالله منه وذلك بقوله: {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} [الفلق : ٣]، فالغاسق هو الليل وإذا وقب أي إذا هدأ، فعند هدوء الليل تخرج شياطين الإنس والجن لتعيث فساداً في المجتمع الإسلامي ولهذا أمر الله المسلمين بالاستعاذة من هدوء الليل.

٤- الأمر بالاستعاذة من النفاثات في العقد وذلك بقوله: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} [الفلق : ٤]، فالنفاثات في العقد هنّ الساحرات اللواتي يعقدن العقد وينفثن فيها حتى ينعقد السحر، فكان من مقاصد سورة الفلق الإقرار بكفر هؤلاء الساحرات مع الأمر بالاستعاذة بالله منهن للوقاية من شرهن.

٥- ختام سورة الفلق بالمقصد الأخير وهو أنّ الله -سبحانه وتعالى- أمر بالاستعاذة من شر الحاسد وبغضه وذلك بقوله: {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق : ٥]، وفي هذا إشارة على أنّ الحسد النابع من نفس المرء قد يحوي شرّاً كثيراً وقد تكون من تبعاته تمنى زوال الخير عن من تحسده النفس الشريرة الأمانة بالسوء -والعياذ بالله-، لهذا كان أمر الله بالاستعاذة من شر هذه النفوس وما تضرره في صدورهما من مشاعر سلبية مثل الحسد.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: الاستعاذة من الشرور، ومن مخافة الليل الديجور، ومن آفات الماكرين والحاسدين في قوله: {إِذَا حَسَدَ} [الفلق : ٥]" (٣).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة (١).

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ٤٦٩/٣٠-٤٧٠.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ٥٧٥/١٠.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٦/١.

■ فضائل السورة:

- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}»^(١).
- عن عقبة بن عامر قال: اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب، فوضعت يدي على قدمه، فقلت: أقرني سورة هود أو سورة يوسف. فقال: «لن تقرأ شيئاً أنفع عند الله من "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ"»^(٢).
- عن عقبة بن عامر قال: بينا أنا أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نَقَب من تلك النقاب، إذ قال لي: «يا عقبة، ألا تركب؟». قال: فأجَلْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أركب مركبه. ثم قال: «يا عُقَيْب، ألا تركب؟». قال فأشفتت أن تكون معصية، قال: فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبت هنيئة، ثم ركب، ثم قال: «يا عقيب، ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس؟». قلت: بلى يا رسول الله. فأقراني: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» و «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» ثم أقيمت الصلاة، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ بهما، ثم مر بي فقال: «كيف رأيت يا عقيب اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت»^(٣).
- وعن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»^(٤).
- عن عقبة بن عامر قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا عقبة، قل» فقلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فسكت عني، فقلت: اللهم ارده علي، فقال: «يا عقبة قل» قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فقال: «قل أعوذ برب الفلق»، فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال: «قل» قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: «قل أعوذ برب الناس» فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «ما سأل سائل بمثلهما، ولا استعاذ مستعيز بمثلهما»^(٥).
- عن عقبة بن عامر: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في صلاة الصبح»^(٦).
- عن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرأ يا جابر» قلت: وماذا أقرأ بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: «اقرأ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس» فقرأتها، فقال: «اقرأ بهما، ولن تقرأ بمثلهما»^(٧).
- عن عبد الله الأسلمي - هو ابن أنيس - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على صدره ثم قال: «قل». فلم أدر ما أقول، ثم قال لي: «قل». قلت: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ثم قال لي: «قل». قلت: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» حتى فرغت منها، ثم قال لي: «قل». قلت: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» حتى فرغت منها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هكذا فتعوذ ما تعوذ المتعوذون بمثلهن»

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف العزير: ٥٥٦/١.
(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين - باب فضل قراءة المعوذتين ٨١٤، والنسائي في الافتتاح ٩٥٣، والترمذي في التفسير - تفسير المعوذتين ٣٣٦٧، وأحمد ١٤٤/٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠.
(٣) سنن النسائي (٥٤٣٩): ص ٢٥٤/٨. قال الألباني: صحيح.
(٤) أخرجه أبو داود في الوتر ١٤٦٢، والنسائي في الاستعاذة ٥٠٢٤، ٥٠٢٥، وصححه الألباني.
(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وقال: «غريب». وأحمد ١٥٥/٤، وصححه الألباني. وانظر «تفسير ابن كثير» ٥٥١/٨-٥٥٣.
(٦) سنن النسائي (٥٤٣٨): ص ٢٥٣/٨. قال الألباني: حسن صحيح.
(٧) صحيح النسائي (٥٤٣٥): ص ٢٥٢/٨. قال الألباني: صحيح.
(٨) سنن النسائي (٥٤٤١): ص ٢٥٤/٨، قال الألباني: حسن صحيح.

قط" (١).

- عن ابن عباس الجهني أن النبي ﷺ قال له: يا ابن عباس «ألا أدلك - أو قال: ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} هاتين السورتين» (٢).

- عن أبي العلاء قال: قال رجل: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، والناس يعتقدون، وفي الظهر قلة، فحانت نزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلتني، فلحقني فضرب من بعدي منكبي، فقال: " {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأتها معه، ثم قال: " {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأتها معه، فقال: "إذا صليت فاقرا بهما" (٣).

- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقرأ بهما وينفث في كفيه، ويمسح بهما رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، وما بلغت يده من جسده» (٤).

قال ابن القيم رحمه الله: "والمقصود: الكلام على هاتين السورتين، وبيان عظيم منفعتهما، وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيراً خاصاً في دفع السحر والعين وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس" (٥).

وقال ابن القيم: "فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات، وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيون التي أصلها كلها الوسوسة" (٦).

(١) سنن النسائي الكبرى برقم (٧٨٤٥).

(٢) أخرجه النسائي في الاستعاذة (٥٤٣٢) ص: ٢٥١/٨، وصححه الألباني.

(٣) المسند (٢٤/٥). قال ابن كثير: ٥٣٤/٨: "الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر، والله أعلم".

(٤) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ٥٠١٨، ومسلم في السلام ٢١٩٢، وأبو داود في الطب، ٣٩٠٢، وابن ماجه في الطب ٣٥٢٩.

(٥) انظر «التفسير القيم» ص ٥٣٧.

(٦) التفسير القيم: ٦٠٠.

سورة «الناس»

«سورة الناس»: هي السورة الرابعة عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثانية عشرة من المجموعة الخامسة عشرة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة الفلق»، وقبل «سورة الإخلاص»، آياتها سبع عند المكيين، والشاميين، وست عند الباقين. المختلف فيها آية: {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَاسِ} [الناس : ٤]. وكلماتها عشرون. وحروفها تسع وسبعون. وفواصلها على «السين»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:-أسمائها التوقيفية:

١-«سورة الناس»:

اشتهرت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير^(٢) بـ«سورة الناس»، ووجه تسميتها لافتتاحها بقوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس : ١]، وقد تكررت كلمة «الناس»، فيها خمس مرات.

٢-سورة«قل أعوذ برب الناس»:

لقد تقدم في الاسم الثاني لسورة «الفلق»، أن النبي-صلى الله عليه وسلم- والصحابة الكرام، سموها سورة: «قل أعوذ برب الناس».

روي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}»^(٣).

عن عائشة -رضي الله عنها-: " أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، ثم يمسح ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»^(٤).

وقد عنونها البخاري في «صحيحه»^(٥): سورة «قل أعوذ برب الناس»، بإضافة كلمة «سورة» إلى أول جملة منها.

٣- سورة «المعوذتين» :

قد تقدم في الاسم الثالث لـ«سورة الفلق»، أنها و«سورة الناس»، تسميان: «المعوذتين»، وكذلك جاء في كلام بعض الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-.

روي عن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»^(٦). بكسر الواو المشددة وبصيغة الجمع بتأويل الآيات المعوذات، أي: آيات السورتين. وفي رواية: «بالمعوذتين في دبر كل صلاة»^(٧).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٧/١.

(٢) انظر مثلاً: تفسير الطبري: ٧٠٧/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦٥٩/١٠، والبحر العلوم للسمرقندي: ٦٣٨/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧٥/٥، وتفسير ابن فورك: ٣٠٨/٣، والكشف والبيان: ٣٤١/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٥١٣/١٢، والنكت والعيون: ٣٧٨/٦، والوسيط للواحد: ٥٧٥/٤، وتفسير السمعاني: ٣٠٨/٦، وتفسير البيهقي: ٥٩٧/٨، والكشاف: ٨٢٣/٤، والمحزر الوجيز: ٥٤٠/٥، وزاد المسير: ٥١٠/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٧٦/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٦٠/٢٠، وتفسير البيضاوي: ٣٥٠/٥، وغيرها.

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين - باب فضل قراءة المعوذتين ٨١٤، والنسائي في الافتتاح ٩٥٣، والترمذي في التفسير - تفسير المعوذتين ٣٣٦٧، وأحمد ١٤٤/٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠.

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٠١٧) وسنن أبي داود برقم (٥٠٥٦) وسنن الترمذي برقم (٣٤٠٢) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٦٢٤) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٧٥).

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٨١/٦.

(٦) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وقال: «غريب». وأحمد ١٥٥/٤، وصححه الألباني. وانظر «تفسير ابن كثير» ٥٥١/٨-٥٥٣.

(٧) سنن الترمذي (٢٩٠٣):ص١٧١/٥.

وعنون لها من القدماء-ابن عطية^(١)، والثعالبي^(٢) في تفسيريهما: سورة «المعوذة الثانية»^(٣)، وعنون لها الترمذي^(٤) مع سورة الفلق بـ«المعوذتين»، وكذلك فعل الكلبي في تفسيره^(٥).

■ الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:

١-سورة «المشفتين»:

سبق أيضا- أنها هي و«الفلق»تسميان:«المشفتين»، وقد سماهما بهذا الاسم السخاوي^(٦)، والسيوطي^(٧)، دون ذكر مستندهما في هذه التسمية.

٢-سورة «المشفتين»:

تقدم في مقدمة سورة «الفلق»، أن بعض المفسرين^(٨) سموها : «المشفتين»^(٩)-بتقديم القافين على الشينين-، أي: تيرئان من النفاق^(١٠).

وقد وردت في بعض المصاحف سورة «الملك»^(١١)، وهي تسمية للسورة ببعض ألفاظها، قال تعالى: {مَلِكِ النَّاسِ} [الناس : ٢]، ولم أقف عليه عند أحد من المفسرين.

■ مكية السورة ومدنيتها:

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، رواه كريب عن ابن عباس^(١٢)، وبه قال قتادة^(١٣).

الثاني: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١٤)، وابن الزبير^(١٥).

عن عبد الله بن الزبير، قال: "أنزل بالمدينة: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}"^(١٦).

قال ابن عاشور: "هي مكية في قول الذين قالوا في سورة الفلق إنها مكية، ومدنية في قول الذين قالوا في سورة الفلق إنها مدنية. والصحيح أنهما نزلتا متعاقبتين، فالخلاف في إحداهما كالخلاف في الأخرى"^(١٧).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٦١/١٥. طبعة: قطر.

(٢) انظر: تفسير الثعالبي: ٤٥٣/٤.

(٣) وقد وردت هذه التسمية في التفاسير الحديثة، مثل: التفسير الوسيط للطنطاوي: ٥٤٧/١٥، والتفسير الواضح، للحجازي: ٩٢٣/٣.

(٤) سنن الترمذي: ١٧٠/٥.

(٥) انظر: تفسير الكلبي: ٢٢٥/٤.

(٦) انظر: جمال القراء: ٩٤.

(٧) الإتقان: ١٩٧/١.

(٨) ذكرها الزمخشري في "الكشاف": ٨٢٤/٤، و٣٧٣/٦، الماوردي في "النكت والعيون": ٣٧٣/٦، والقرطبي في "التفسير": ٢٥١/٢٠.

(٩) فيكون اسم «المشفتين» مشتركا بين أربع سور : «سورة الفلق»، و«سورة الناس»، و«سورة براءة»، و«سورة الكافرون».

(١٠) انظر: تفسير القرطبي: ٢٥١/٢٠.

(١١) مصحف بجامعة الإمام بالرياض، رقم(٨٠٤٣)، نسخ سنة(١٠٩٨هـ).

(١٢) انظر: زاد المسير: ٥١٠/٤.

(١٣) انظر: المحرر الوجيز: ٥٤٠/٥.

(١٤) انظر: المحرر الوجيز: ٥٤٠/٥، وزاد المسير: ٥١٠/٤.

(١٥) انظر: الدر المنثور: ٦٩٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٦) الدر المنثور: ٦٩٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٧) التحرير والتنوير: ٦٣١/٣٠.

تقدم أنها نزلت مع ما قبلها ، ولقد عرفنا وجه مناسبتها لما سبقها في مقدمة سورة «الفلق»، وهي آخر سورة في القرآن، وقد بدئ بالفاتحة التي هي استعانة بالله وحمد له، وختم بالمعوذتين للاستعانة بالله أيضا^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها:

تتمثل مقاصد سورة الناس الإجمالية في الاعتصام بالإله الحق من شر الخلق الباطن، واسمها دال على ذلك لأن الإنسان مطبوع على الشر، وأكثر شره بالمكر والخداع، وأحسن من هذا أنها للاستعاذة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه، فإن الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي، والناس مشتق من الأنس، فإن أصله أناس، وهو أيضاً اضطراب الباطن المشير إليه الاشتقاق من النوس، فطابق حينئذ الاسم المسمى. ويعد مقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان ببراعة الختام وكذلك النظام، كما أن الفاتحة شاملة لذلك لأنها براءة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالمثول، والله المسؤول في تيسير السؤل، وتحقيق المأمول، فإنه الجواد ذو الطول، وبه يستعان وعليه التكلان.

جاءت مقاصد سورة الناس التفصيلية على النحو التالي:

١- الإقرار بربوبية الله تعالى وأنه وحده المالك لكل شيء في هذا الكون والمستحق للعبودية، فهو الرب والملك والإله الذي يُستعاذ به ويُلتجأ إليه من كل شر.

٢- تكريم الله لبني آدم، حيث خصّ الله تعالى الناس من بين جميع المخلوقات المربوبة، ومن باب التشريف أنه أخدم لهم الملائكة، وذلك لأن العدو الأزلي إبليس متربص بالناس، وتلقى الشياطين وسواسهم إلى الناس لكي يُضلونهم.

٣- التأكيد على أن الله تعالى هو الملك الحق، الغني عن الخلق، الذي له السلطة العليا في الناس، وله الملك الكامل، والتصرف الشامل، الذي له الأمر النافذ في خلقه، ينفذ فيهم أمره وحكمه، كيف شاء، ومتى شاء.

٤- الإشارة إلى أن «الله» هو المعبود، وهذا الوصف جامع لكافة صفات الكمال والجلال؛ لذلك يتضمن لفظ «الله» كافة الأسماء الحسنى، فهو الاسم الجامع لأنه به دلالة على ألوهيته للناس، وتألّه القلوب بعظمته.

٥- توسط صفة الملك بين الربوبية والإلهية؛ لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره، فهو المطاع إذا أمر، وملكه سبحانه لهم تابع لخلقهم إياهم، فملكه من كمال ربوبيته، وكونه إلههم الحق من كمال ملكه.

٦- إرشاد العباد إلى الاستعاذة من أذى الشيطان الموكل بالإنسان الذي يوسوس عند الغفلة، ويختفي عند ذكر الله، لم يقل الشيطان ولكن الوسواس؛ لأن الوسوسة هي أبرز صفة للشيطان وأخطرها وأضرها على الإنسان.

٧- بيان جهات الشر، فالشر بعضه ينشأ عن وسوسة النفس، والبعض الآخر ناتج عن وسوسة الشيطان، فإذا كره الإنسان ما تدعو إليه نفسه الأمارة بالسوء، فعليه أن يستعيز من الشيطان لأنه منبته، وإذا أحب الإنسان ما تدعو إليه نفسه الأمارة بالسوء، فعليه أن يردعها ويجاهدتها.

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ٤٦٩/٣٠-٤٧٠.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: الاعتصام بحفظ الحق - تعالى - وحياطته، والحرز والاحتراز من وسواس الشيطان، ومن تعدى الجن والإنسان، في قوله: {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} [الناس: ٦]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

جميعها محكم وليس فيها ناسخ ولا منسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}»^(٣).

- وعن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»^(٤).

- عن ابن عباس الجهني أن النبي ﷺ قال له: يا ابن عباس «ألا أدلك - أو قال: ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} هاتين السورتين»^(٥).

- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقرأ بهما وينفث في كفيه، ويمسح بهما رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، وما بلغت يده من جسده»^(٦).

قال ابن القيم رحمه الله: "والمقصود: الكلام على هاتين السورتين، وبيان عظيم منفعتهما، وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيراً خاصاً في دفع السحر والعين وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس"^(٧).

وقال ابن القيم: "فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات، وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيون التي أصلها كلها الوسوسة"^(٨).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٧/١.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، لهبة الله: ٢٠٩.

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين - باب فضل قراءة المعوذتين ٨١٤، والنسائي في الافتتاح ٩٥٣، والترمذي في التفسير - تفسير المعوذتين ٣٣٦٧، وأحمد ٤/١٤٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠.

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وقال: «غريب». وأحمد ٤/١٥٥، وصححه الألباني. وانظر «تفسير ابن كثير» ٥٥١/٨-٥٥٣.

(٥) أخرجه النسائي في الاستعاذة (٥٤٣٢): ص ٢٥١/٨، وصححه الألباني.

(٦) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ٥٠١٨، ومسلم في السلام ٢١٩٢، وأبو داود في الطب، ٣٩٠٢، وابن ماجه في الطب ٣٥٢٩.

(٧) انظر «التفسير القيم» ص ٥٣٧.

(٨) التفسير القيم: ٦٠٠.

الخاتمة

سيظلّ القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي لا تنقضي عجائبه إلى يوم القيامة. تحدّى الله البشرَ أن يأتيوا بآية مثله، فلم يقدر إنسان على وجه الأرض منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً على أن يأتي بكلمات تماثل آية من كتاب الله -عزّ وجل-، ولن يستطيع البشر أن يفعلوا هذا، ولو اجتمع أهل الأرض ما استطاعوا إلى هذا سبيلاً، وهو ما يدلّ على عظمة هذا الكتاب، وعلى النعمة الكبيرة التي اختصّ بها الله -عز وجل- العربَ بإنزاله كتابه بلسانهم، فجاء القرآن: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} [الشعراء: ١٩٥].

والقرآن الكريم أثرى الكتب على الإطلاق؛ فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يتعرّض للتغيير والتبديل والتحريف، وهو الكتاب الذي يجد فيه كلّ إنسان ما يريد، ويعثر فيه الحيارى على ما يزيل حيرتهم، وتتنزّل على المؤمنين الطمأنينة والسكينة عند قراءته والاستماع إليه، وتستقيم حياتهم عندما يتخذونه نهجاً يهتدون به وبالسنة النبوية التي أوضحتها، ويجد فيه العلماء معاني لم يصلوا إليها من قبل؛ وفي هذا دليل على إعجازه الذي لا ينقطع.

وقد توصل البحث إلى جملة من الاستنتاجات، يمكن إجمالها فيما يأتي:

١- أشهر القرآن الكريم بأربعة أسماء، وهي: "الكتاب، والذكر، والفرقان، والقرآن"، أمّا ما دُكر من أسماء أخرى؛ فهي من قبيل الصفات لا من الأسماء، مثل: وصف القرآن بالعظيم، أو الكريم، أو المتين، أو المجيد، أو العزيز، وغير ذلك من الصفات، وفيما يأتي تفصيل وبيان البعض من الأسماء الخاصة بالقرآن.

٢- ثبت عن بعض السلف كراهة أن يقال في تسمية السورة باسمها المباشر، كأن يقال: سورة البقرة، سورة آل عمران، ونحو ذلك، ، والصحيح جواز أن يقال سورة البقرة: وآل عمران والنساء، والأعراف، وهكذا بدون كراهة.

٣- كتبت المصاحف منذ زمن عثمان بن عفان وهي خالية من النقط و التشكيل، وذلك حتى يمكن قراءته بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، وعندما أرسلت نسخ القرآن الكريم إلى البلاد التي كان يفتحها المسلمون، نسخوها على هيئتها، وهي خالية من النقط والتشكيل، فاضطر المسلمون في عصر التابعين إلى اعجام المصحف وشكله وتجزئته للمحافظة على أداء القرآن كما رسمه المصحف.

٤- أنّ القرآن الكريم نزل مقسماً إلى ١١٤ سورة، وكلّ سورة من القرآن تحمل اسماً يميزها عن غيرها. وبعض السور يحمل عدّة أسماء وليس اسماً واحداً، ومنها سورة الفاتحة التي ذكر السيوطي أن لها ما يزيد على عشرين اسماً.

٥- ثبت أن أسماء سور القرآن الكريم توقيفية، أي: أن الله هو الذي سمى السور بهذه الأسماء ، ونزل أمين الوحي جبريل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بأسمائها، والرسول صلى الله عليه وسلم أخبر الصحابة بها بعدما أوحى إليه بذلك ، وبهذا جزم السيوطي في كتابه الإتيان، أو أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفق لهذا وأقره الوحي عليها وهذا رأي آخر لبعض العلماء

٦- ان بعض السور لها أكثر من اسم، ومن هذه الاسماء التوقيفية ومنها الاجتهادي، فما ثبت منها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهي توقيفية، وأما الاجتهادية فهي من تسمية الصحابة والتابعين، ومن استنباط العلماء واجتهادهم.

٧- أهمية ذكر فضائل القرآن لأنه يحفز على تعلم القرآن وقراءته.

٨- أن فضائل القرآن تعني أمرين : بيان المزية والشرف للقرآن نفسه أو ما يتعلق به، وبيان الأجر والثواب في الدنيا والآخرة، وقد ترد الفضائل في آيات مجتمعة وأحياناً مفردة، وأحياناً ترد فضائل في سور مجتمعة وكذلك مفردة.

٩- قد وردت في فضائل السور أحاديث كثيرة، منها صحيحة ، ومنها ضعيفة، وقد بين البحث درجة كل حديث.

١٠- أن عامة كتب التفسير قد احتوت على أحاديث ضعيفة وموضوعة ، وأخبار إسرائيلية منكرة ، وقصص تالفة لا طائل بذكرها . ومن ذلك الحديث الموضوع في فضائل القرآن ، سورة ، سورة ، حيث رواه الثعلبي في تفسيره منجماً عند كل سورة ما يناسبها وتبعه على ذلك تلميذه الواحدي وذلك في "الوسيط" وسار على طريقتهما الزمخشري في "الكشاف" وقد نص الأئمة الحفاظ على وضعه.

١١- كشف البحث عن علاقة تناسب في النص القرآني من ثلاثة جوانب:

الجانب الأول: التناسب بين اسم السورة مع مضمونها.

الجانب الثاني: التناسب بين مطلع السورة مع خاتمتها.

الجانب الثالث: التناسب بين السورة مع ما قبلها وما بعدها.

١٢- اهتم البحث بدراسة المكي والمدني من الآيات؛ لأنه موضوع بالغ الأهمية بالنسبة للدراسات القرآنية، وله دور في أكثر من مجال.

١٣- حاول هذا البحث استخلاص أهم مقاصد كل سورة، والوقوف على ما اهتم به القرآن من قضايا الوجود، وما تنطلع إليه النفس البشرية من أنواع الهداية، إذ تمثل مقاصد القرآن الكريم المدخل السليم للتعريف بالدين الإسلامي تعريفاً صحيحاً لا يشوبه التشويه، وبيانه بيانا سليماً لا يعتريه الخلل، وتوضيحه توضيحاً كاملاً لا يرد عليه النقص أو الزلل، ذلك أن مقاصد القرآن هي الكاشفة لحقائق الإسلام ومعالمه، وهي المرشدة إلى معانيه وقيمه، وهي الهداية إلى أسرارهِ وغاياته. والتعريف العام بدين الإسلام إنما يعتمد ابتداءً على التصور الصحيح لمقاصد القرآن الكريم نفسه، وإدراك غاياته ومعانيه، ومعرفة أهدافه ومراميه.

وأخيراً أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يجعل فيه العلم النافع ليكون وسيلة نرى من خلالها عظمة هذا القرآن وعظمة منزل القرآن عزّ وجلّ، ويعلم الله أنني لم أدر جهداً لإنجاز هذا البحث، فما كان فيه من توفيق فمن الله، وما كان فيه من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان، وحسبي قول الله تعالى: " لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا "

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

المصادر والمراجع العامة

القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي ٩١١هـ تحقيق مركز الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- أسباب النزول عن الصحابة والتابعين": لعبد الفتاح القاضي، دار الندوة-بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- أسباب نزول القرآن": للواحي، تد السيد أحمد صقر، دار الكتاب الجديد-مصر، ط١، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- أسباب نزول القرآن"، دراسة وتحليل لعبد الرحيم أبو علبة، الوكالة العربية للتوزيع.
- الأعلام": للزركلي، بيروت ط٣.
- البحر المحيط: لأبي حيان "ت٤٧٥هـ"، مصورة دار الفكر-بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- البحر المحيط: للزركشي، "ت٧٩٤هـ" تد د. عمر سليمان الأشقر، الكويت ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- بحوث منهجية في علوم القرآن. موسى إبراهيم لإبراهيم، دار عمّار عمان، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.
- البداية والنهاية: لابن كثير "ت٤٧٧هـ"، مصورة مكتبة المعارف-بيروت.
- البرهان في علوم القرآن": للزركشي، تد محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر-بيروت-ط٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- البرهان في علوم القرآن. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ٧٩٤هـ تحقيق أبي الفضل الديمياطي دار الحديث القاهرة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
- تاريخ الإسلام: للذهبي، تد د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، وتحد د، بشار عواد والشخ شعيب الأرناؤوط ود. صالح مهدي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٤٠٨هـ.
- تاريخ الطبري: تد محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف-القاهرة، ط٥.
- التحرير والتنوير: لمحمد طاهر بن عاشور، منشورات دار الكتب الشرقية-بتونس، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م.
- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف": للمزي، تد عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي-بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- تدريب الراوي": للسيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- تذكرة الحفاظ": للذهبي، مصورة دار أحياء التراث العربي، عن طبعة الهند.
- الترغيب والترهيب": للمنذري "ت٦٥٦هـ"، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.
- تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ - ٧٧٤ هـ]، المحقق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

- تفسير مقاتل بن سليمان: تح: د. عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.
- التفسير والمفسرون. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة القاهرة. الطبعة السابعة ٢٠٠٠م.
- التمهيد": لابن عبد البر، مطبعة فضالة المحمدية-المغرب، ابتدئ به في ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- تهذيب التهذيب: لابن حجر، مصورة دائرة المعارف العثمانية-الهند.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للمزي، تح: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- تهذيب تاريخ ابن عساكر: لعبد القادر بدران "ت١٣٤٦هـ"، دار المسيرة بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن. لمحمد بن عمر بن سالم بازمول، دار الهجرة الرياض بالاشتراك مع دار ابن عفان القاهرة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .
- جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ بتحقيق محمود محمد شاكر مكتبة ابن تيمية القاهرة .
- جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري(٣١٠هـ)- تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-وسننه وأيامه. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦٦هـ) تحقيق محب الدين الخطيب ترقيم وفهرست محمد فؤاد عبد الباقي المكتبة السلفية القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ .
- الجامع لأحكام القرآن": للقرطبي "ت٦٧١هـ" دار الكتب العلمية-بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم الرازي، دائرة المعارف العثمانية-بحيدر آباد الدكن-الهند ط١، ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م.
- جمال القراء وكمال الإقراء. أبو الحسن علم الدين علي بن محمد السخاوي ٦٤٣هـ تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، نشر دار المأمون للتراث دمشق ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
- دراسات في علوم القرآن. د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار القاهرة الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت
- دلائل النبوة لأبي نعيم (ت ٤٣٠) ، عالم الكتب، بيروت.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة": للبيهقي، تح: د. عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة حتى عام ١٤٢٧هـ . للأستاذ فؤاد بن عبده أبو الغيث مسؤول وحدة المعلومات بمركز الدراسات والمعلومات القرآنية ، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد ٢ ذو الحجة ١٤٢٧هـ.

- ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثوق: للذهبي "٦٧٣-٧٤٨هـ"، د. محمد شكور، مكتبة المنار-الزرقاء، الأردن ط١ "١٤٠٦هـ-١٩٨٧م".
- ذيل طبقات الحفاظ": للسيوطي "في ذبول تذكرة الحفاظ للحسيني وابن فهد والسيوطي"، مصورة دار أحياء التراث العربي.
- الرسالة. أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ٢٠٤هـ تحقيق وتعليق أحمد شاکر (بدون بيانات).
- زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي "٥٠٨-٥٩٧هـ"، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- زاد الميعاد في هدي خير العباد": لابن القيم الجوزية "٥٧١هـ"، تد شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت ط٤، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- السبعة في القراءات": لابن مجاهد، تد الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف-مصر ط٣.
- سنن ابن ماجه": تد محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة.
- سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥) المكتبة العصرية بيروت.
- سنن الترمذي": "ت٢٩٧هـ"، تد أحمد محمد شاکر وكمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- سنن الدارقطني وبذيلة التعليق المغني": لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، طبعة عالم الكتب-بيروت.
- سنن الدارمي": "ت٢٥٥هـ" بعناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، وطبعة عبد الله هاشم يماني المدني دار المحاسن للطباعة-القاهرة.
- السنن الكبرى": للبيهقي، مصورة دار الفكر-بيروت.
- سنن النسائي": رقمه وفهرسه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر-بيروت، ط٢، ١٤٠٦.
- سنن سعيد بن منصور": تد حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية.
- سير أعلام النبلاء": للذهبي، تد مجموعة من الأساتذة، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٤، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- السير والمغازي": لابن إسحاق، تد سهيل زكار، دار الفكر-بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- السيرة النبوية الصحيحة": لأكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- السيرة النبوية": لابن هشام، تد مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر-بيروت.
- شرح السنة للبغوي (ت ٥١٦) المكتب الإسلامي.
- شرح صحيح مسلم": للنووي، دار الفكر-بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- شرح علل الترمذي": لابن رجب الحنبلي، "ت٧٩٥هـ"، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي (ت ٣٢١) مطبعة الأنوار المحمدية.
- شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية. الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تخريج تحقيق وتعليق إسلام منصور عبد الحميد، دار البصيرة الإسكندرية ٢٠٠٣م.

- صحيح ابن خزيمة": تد محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي-بيروت، ط ١، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
- صحيح البخاري مع فتح الباري": لابن حجر، دار المعرفة-بيروت.
- الصحيح المسند من أسباب النزول": لأبي عبد الرحمن مقلب الوادعي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، ط ٤، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- صحيح مسلم": "ت ٢٦١هـ"، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث-القاهرة.
- صفوة البيان لمعاني القرآن": لحسين مخلوف، الكويت ط ٣.
- الضعفاء الصغير للبخاري": تد محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب-١٣٩٦هـ.
- الضعفاء الكبير": للعقيلي "ت ٣٢٢هـ"، تد عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- الضعفاء والمتروكين": لابن الجوزي، "ت ٥٩٧هـ"، تد عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الضعفاء والمتروكين": للدارقطني "ت ٣٨٥هـ"، تد صبحي السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- الضعفاء": للنسائي، تد محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ١٣٩٦هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع": لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة-بيروت.
- طبقات الحفاظ": للسيوطي، تد علي محمد عمر، مكتبة وهبة-القاهرة، ط ١، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- الطبقات الكبرى": لابن سعد محمد بن سعد بن منيع "ت ٢٣٠هـ"، دار صادر-بيروت، طبع سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها": لأبي الشيخ الأنصاري "٢٧٤-٣٦٩هـ"، تد عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- طبقات المفسرين": للداودي "ت ٩٤٥هـ"، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- طبقات المفسرين": للسيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت.
- طبقات علماء الحديث" لابن عبد الهادي "ت ٧٤٤هـ"، تد أكرم البوشي وإبراهيم زبيق، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- عشرة النساء للنسائي (٣٠٣) ، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
- علل الحديث": لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد الرازي الحنظلي، المطبعة السلفية-القاهرة، ١٣٤٤هـ.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ابن الجوزي، دار نشر الكتب الإسلامية، باكستان.
- علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة موازنة. الدكتور حازم سعيد حيدر؛ مكتبة دار الزمان المدينة المنورة الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
- علوم القرآن تاريخه... وتصنيف أنواعه . الدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ؛ مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد ١ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ.

- علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير. الدكتور محمد صفا شيخ إبراهيم حقي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري": إخراج محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة-بيروت، لبنان.
- الفتح السماوي": للمناوي "ت١٠٣١هـ"، تد أحمد مجتبي بن نذير السلفي، دار العاصمة-الرياض ط١، ١٤٠٩هـ.
- فتح القدير": للشوكاني "ت١٢٥٠هـ"، البابي الحلبي، مصر ط٢، ١٣٨٣هـ.
- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن. عبد الرحمن بن الجوزي ٥٩٧هـ تحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- كتاب العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل": للزمخشري، "ت٥٣٨هـ"، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ
- كشف الأستار عن زوائد البزار- لنور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧) مؤسسة الرسالة.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي (ت ٩٧٥) . مؤسسة الرسالة.
- لباب النقول في أسباب النزول": للسيوطي، دار إحياء العلوم-بيروت.
- لسان الميزان": لابن حجر، مصور "مؤسسة الأعلمي"، بيروت ط٢، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م، دار الفكر-بيروت.
- لطائف البيان في علوم القرآن. الدكتور مصطفى أكرور ، دار الإمام مالك الجزائر ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير. الدكتور محمد بن لطفي الصبّاغ، المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- مباحث في علوم القرآن. الدكتور محمد الدراجي، دار قرطبة الجزائر ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- المجروحين": لابن حبان، تد محمود إبراهيم زايد، صدر عن دار الوعي-حلب ط١، ١٣٩٦هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد": للهيتمي، طبعة دار الكتاب، بيروت سنة ١٩٦٧م.
- مجموع فتاوي ابن تيمية": جمع عبد الرحمن العاصي النجدي مصورة مكتبة ابن تيمية-مصر.
- محاسن التأويل": للقاسمي دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي-القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- محاضرات في علوم القرآن": لغانم قدوري حمد، دار الكتاب-بغداد، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م. تم طبع بعنوان "علوم القرآن الكريم".
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز": لابن عطية، تد مجموعة، الدوحة، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٧٧م.
- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراسة، خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).

- مختار الصحاح. زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، ترتيب: محمود خاطر، تحقيق: حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- مختصر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي. صلاح الدين أرقه دان، دار النفائس بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم . الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبه. دار اللواء للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الثالثة: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز. شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بابن شامة المقدسي (٦٦٥هـ) تحقيق: طيار آلتى قولاج، نشر دار صادر بيروت سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير": جمع وتخريج حكمت بشير ياسين وآخرين، مكتبة المؤيد-السعودية، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- المستدرك على الصحيحين": للحاكم حيدر آباد، الهند، ط١، ١٣٣٤هـ-١٣٤٠هـ.
- مسند أبي داود الطيالسي": مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية في الهند ط١، ١٣٢١هـ.
- مسند أبي يعلى الموصلي": تد حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل" أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وتحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- مسند الحميدي": "ت٢١٩هـ"، تد حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ط١-بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- مسند أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز": للباغندي "ت٣١٢هـ" تد الشيخ محمد عوامة. مؤسسة علوم القرآن، د. ب، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- المسند": لأبي عوانة، طبعة دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن-الهند، ١٣٦٢هـ فما بعدها.
- مشاهير علماء الأمصار": لابن حبان البستي "ت٣٥٤هـ" عنى بتصحيحه م. فلا يشهمر، القاهرة، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.
- المشتبه": للذهبي، تد على محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة، ١٩٦٢م.
- مشكل الآثار"، للطحاوي، دار صادر-بيروت عن طبعة دائرة المعارف العثمانية-الهند.
- المصاحف لابن أبي داود، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٣٦ م.
- المصنف": لعبد الرزاق، تد حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي ط١.
- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع": للشيخ علي القاري "ت١٠١٤هـ"، تد الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية-بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية": لابن حجر، تد حبيب الرحمن الأعظمي، المطبعة العصرية-الكويت، ط١، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
- معاني القرآن": لأبي جعفر النحاس "ت٣٣٨هـ"، تد محمد علي الصابوني، شركة مكة للطباعة، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- معاني القرآن": للزجاج، تد عبد الجليل عبده شلبي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- المعجم الصغير": للطبراني مع "الروض الداني"، تد محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي-بيروت دار أبو عمار-عمان، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- المعجم الكبير": للطبراني "ت٣٦٠هـ"، تد حمدي السلفي، طبعة وزارة الأوقاف العراقية-بغداد، ط١، ١٣٩٩م.
- معرفة الثقات": للعجلي، تد عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار-المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- معرفة الرجال": عن يحيى بن معين رواية ابن محرز في جزأين حقق الأول محمد كامل القصار والثاني محمد مطيع الحافظ وغزوة بدر، مطبوعات مجمع اللغة العربية-دمشق، ١٤٠٥هـ.
- معرفة الصحابة": لأبي نعيم، تد محمد راضي بن حاج عثمان، مكتبة الدار-المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ.
- المغني في الضعفاء": للذهبي، تد نور الدين عتر، دار المعارف-حلب.
- مفاتيح الغيب": "تفسير الرازي"، دار الفكر-بيروت ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر بيروت .
- المقدمات الأساسية في علوم القرآن. عبد الله بن يوسف الجُدَيْع، مركز البحوث الإسلامية ليدز بريطانيا توزيع دار الريان سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .
- مقدمة التفسير": لابن تيمية ضمن "مجموع الفتاوي"، جمع، عبد الرحمن العاصمي الحنبلي، مكتبة ابن تيمية-مصر.
- مقدمة في أصول التفسير. شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ، دار الفجر الجزائر ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م
- مناهل العرفان في علوم القرآن. الشيخ عبد العظيم الزرقاني تحقيق الدكتور نواف الجراح دار صادر بيروت ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
- موارد الظمان": للهيتمي "ت٨٠٧هـ"، تد محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية-بيروت.
- الموافقات": للشاطبي "ت٧٩٠هـ"، بعناية محمد عبد الله دراز، دار المعرفة-بيروت.
- موسوعة علوم القرآن. الدكتور عبد القادر منصور، دار القلم العربي حلب سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .
- الموضوعات": لابن الجوزي "ت٥٩٧هـ"، تد عبد الرحمن محمد عثمان، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- الموطأ": للإمام مالك بن أنس برواية أبي مصعب الزهري، تد بشار عواد، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- الموقظة": للذهبي، بعناية عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال": للذهبي "ت٧٤٨هـ"، تد علي محمد البجاوي، دار الفكر للطباعة.
- الناسخ والمنسوخ": لأبي جعفر النحاس، تد محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح-الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- النكت والعيون": للماوردي "٣٦٤-٤٥٠هـ"، تد خضر محمد خضر، مطابع المقهوي-الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر": لابن الأثير "ت ٦٠٦هـ" تد طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية-بيروت.
- نواسخ القرآن": لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- وفيان الأعيان وأنباء أبناء الزمان": لابن خلكان "ت ٦٨١هـ"، تد إحسان عباس، دار صادر-بيروت.
- الواضح في علوم القرآن. د.مصطفى ديب البغا و الأستاذ محيي الدين ديب متو، دار العلوم الإنسانية بدمشق بالاشتراك مع دار الكلم الطيب بدمشق ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.